ماعيل العربي

دن المغربية

المؤسسة الوطنية للكتاب

77,35
85/236
1 . ex
إسماعيل العربي
. 341 . ر
35/961/ع
2 . ex
35/961/ع
2 . ex
330024

المدن المغربية

المؤسسة الوطنية للكتاب
3 ، شارع زيروت يوسف
- الجزائر -

افريقية فقبالتها صقلية والارض الكبير (ايطاليا) ولايعدّى منها الى الاندلس ، فليست من بر العدوة . وقال ابن حوقل ان تونس يعدّى منها الى الاندلس ، وهي من افريقية ، فتكون من بر العدوة أيضا » (1)

قيمة مساهمات الجغرافيين العرب

تمثل هذه النصوص التي نضعها بين يدي القارئي محققة مرتبة عن المغرب ومدنه ، حصيلة ماسجله الجغرافيون العرب في وصف هذه البلاد ، خلال الفترة بين القرن الثالث والقرن الثامن الهجري . وأما الفترة السابقة لهذه الحقبة ، فان الجغرافيين والرحالة العرب لم يكونوا قد اكتشفوا خلالها بعد جزيرة المغرب (أوبعبارة أدق ، تعوزنا الادلة التي تشير إلى أنهم استكشفوها) . وأما الفترة اللاحقة ، فهي ، في الحقيقة ، فترة خاوية توقف فيها مد الفكر العربي في شتى النواحي وأخذت اعراض الوهن والضعف تبدو عليه . وهذا يصدق بصفة خاصة على الاستكشاف والوصف الجغرافي .

وفيما يتعلق بالفترة التي تهمنا ، فسيلاحظ القارئي في الصفحات التالية أن مساهمات الجغرافيين العرب في التعريف بالمغرب ومدنه ، ليست كلها في مستوى واحد من حيث عمق النظرة ودقة التحليل واصابة الحقيقة ، وأن بعض المتاخرين ينقلون كثيرا عن بعض المتقدمين (كما هي الحالة في التاريخ) وفي بعض الحالات ، دون اشارة الى المصادر التي نقلوا عنها ، وأن بعض الناقلين يصادفه التوفيق في اختيار ما ينقله ، والبعض الآخر لم يصادفه التوفيق .

ولقراءة هذه النصوص بطريقة مجدية وممتعة في نفس الوقت ، يقتضي الامر أن يكون القارئي على علم بالفترة التي كتب فيها كل قسم منها ، وبالظروف التي كتبت فيها ، وعلى معرفة بشخصية الكاتب الذي خطها . ولكن المعلومات المتوفرة في الكتب المتداولة في الوقت الحاضر ، نزرة يسيرة ، بل هي شبه منعدمة . فان من أعسر الامور أن يكون المثقف العادي لنفسه فكرة في هذا الموضوع دون أن يرجع الى عشرات الكتب المطبوعة النادرة والمخطوطات التي لايمكن الوصول اليها الا بعد جهد جهيد .

ولهذه الاعتبارات ، رأينا تقديم فقرة وجيزة تلقي الضوء على شخصية الكاتب الذي اقتبسنا من عمله هذه النصوص ، وعلى الظروف التي احاطت بكتابتها ، ثم نردف ذلك بثبت

(1) تقويم البلدان (ص 121) .

بالمراجع التي يمكن للباحث الذي يريد التوسع أن يعتمد عليها ، ثم نقدم رأينا ، صراحة أو ضمنيا في قيمة المساهمة التي قدمها كل واحد من هؤلاء الكتاب للتعريف بمختلف نواحي حضارة المغرب العربي .

ومحاولتنا لتقدير قيمة هذه المساهمات ، لا تُعفي القارئ ، بطبيعة الحال ، من بذل مجهود شخصي للمقارنة النقدية بين النصوص التي نقدمها اليه كاملة وحرفيا ، والخروج من هذه المقارنة بنتائجه الشخصية . على العكس ، فان الفائدة من هذه الآثار القيمة لا يمكن أن تكمل ، في رأينا ، الا اذا كانت قراءتها واعية ومركزة ومنهجية وهادفة .

اليعقوبي

اسمه الكامل ، هو أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح (ابو العباس) ولكنه اشتهر باسم اليعقوبي (1) . كان جده الاعلى من موالي الخليفة المنصور ، وقد شغل في عهده خلال فترة معينة ، منصب حاكم ارمينيا ومنصب حاكم مصر ، ولكنه دفع حياته ثمنا لميوله الشيعية التي ورثها عنه حفيده ، أحمد ، مؤلفنا . وأما والد اليعقوبي ، فقد كان من كبار عمال البريد في العهد العباسي .

ولد اليعقوبي ببغداد ، ولكنه غادر هذه العاصمة مبكرا في بداية حياته ، فعاش مدة طويلة بارمينيا وخراسان ثم زار الهند وفلسطين ثم أقام بمصر مدة طويلة تمتع خلالها برعاية بني طولون . ومن مصر اتجه لزيارة المغرب .

وقد عرف اليعقوبي ، كما اشرنا ، بميوله الشيعية ، ومن ثم ، فقد كان من المؤرخين الاوائل القلائل الذين لم يكونوا يتحرَّجون في رواية الحقيقة كاملة وفي أن يقولوا في بني العبَّاس كثيرا مما كان يتحاشاه غيرهم .

لليعقوبي كتاب مشهور في التاريخ يحمل اسمه ، في جزئين يتناول الجزء الأول منهما تاريخ ما قبل الاسلام ويعالج الثاني التاريخ الاسلامي حتى سنة 202 هـ . وهذا الكتاب ، قام المستشرق هوتسما (Hotsma) بنشره في ليدن ، سنة 1883 ، ثم أعيد طبعهُ مؤخرا في بيروت.

---

(1) راجع : (Brock. GAL (SB, I/405 N° 3) ، معجم الادباء لياقوت (2/ 156) ، معجم المطبوعات (1948) تاريخ الاداب لجرجي زيدان (196/2) ، أكراتشكوفسكي : تاريخ الادب الجغرافي العربي (158/1) ، Reinaud, Introduction (I/LXI).

ولكن كتاب آخر يهمنا والذي نقدنا عنه وصفه للمدن المغربية ، هو كتاب البلدان الذي وضعه في حدود سنة 278 هـ (و 905 م) ، أي قبل وفاته بقليل (في سنة 284 هـ) . وهذا الكتاب قام بتحقيقه المستشرق العلامة دوحويه ونشره في ليدن في سنة 1892 ، مع كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته (1) في سفر يشكل الجزء السابع من مكتبة الجغرافيا العربية

يبدأ كتاب البلدان بالديباجة المعتادة ثم يقول المؤلف

" إني عشت في عنفوان شبابي وعند اكتمال سني وحدة ذهني بعلم أخبار البلدان ، ومسافة ما بين كل بلد وبلد ، لأني سافرت حديث السن ، واتصلت أسفاري ودام تغربي ، فكنت متى نفيت حلا من تلك البلدان ، سألته عن وطنه ومصره فإذا ذكر لي محلة داره وموضع قراره ، سألته عن سنده ذلك . وورعه وما هو وساكنيه من هم من عرب او عجم وديانتهم ومقالاتهم .. " (2) .

وبعد هذه المقدمة ، يشرع المؤلف في وصف البلدان وفقا للمنهج الذي التزم به ويبدأ بوصف بغداد وصفا مستفيضا بحيث يستغرق هذا الكتاب (من ص 233 الى ص 369) . ثم يمضي فيصف بقية البلدان مقسما إياها الى اربعة أقسام : المشرق والمغرب والجنوب والشمال

وفي القسم الاول ، يصف ايران وتركستان وأفغانستان . وفي القسم الثاني عربي العراق وجنوبي الجزيرة العربية ، وفي القسم الثالث يتحدث عن العراق الجنوبية والشرقية وشرقي الجزيرة العربية والهند والصين ، ويصف في القسم الرابع بربرية ومصر والمغرب

يبدأ وصف اليعقوبي للمغرب من برقة ، كما سبق أن ذكرنا ، ثم يعرج نحو الجنوب ليخصص فقرات لكل من ودّان ورويله وفزان ، ثم يعود الى الشمال ليتحدث عن طرابلس الغرب ، ثم يكرس صفحة مهمة لقيروان وتونس ، ليخرج بعد ذلك في نحو اربع ويصف مدنه وصفا محببا للامل باقتضابه ، ولكنه مع ذلك يشتمل على ملاحظات قيمة للغاية ، ولا سيما ما يتصل منه بوصفه لا مارات أبناء سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب (ص 4) المستقرة هناك وهناك في غرب الجزائر ، وهو ، فيما يخص هذه النقطة بالذات أهم مرجع لدينا .

(1) يبدأ كتاب البلدان عند صفحة 230 من هذا السفر .
(2) كتاب البلدان (ص 232) .

وبعد ما يستطرد ليصف لاندلس وصف موجز (في نحو صفحتين) يعود اليعقوبي ليتفي بنا في نيهرت الرستمية التي كان عليها ابن أفلح ، ثم يصف تيمسل والبلاد مجاورة لها ويتجه نحو المحوب يقدم لنا وصفا يتسم بالاصابه والثراء لمدينة سجلماسة العتيدة التي كانت مدينة مزدهره الحضاة في عهده . وسوس الاقصى . ثم يعود الى الشمال ليتحدث في ايجاز بالغ عن السوس الادنى وعن جبال الريف .

وهذا التقسيم للبلدان الذي يقوم على اساس ولايات ، بدلا من التقسيم المتعارف الذي يقوم على أساس الاقاليم ، تقسيم عملي سمح للمؤلف بوضع معلوماته التي تتسم بالاصالة والامانة في اطار سليم . وعلى الرغم مما يشوب وصف اليعقوبي من قلة التوازن ، ومن همله لكثير من مراكز العمران المعروفة في عهده في المغرب ، فان عناية المؤلف بمسائل جوهرية ، مثل الطوغرافيا والصناعة والتجارة والمحاصيل ، تجعل من هذا الكتاب أداة ثمينة للعمل ولايمكن لباحث في تاريخ المغرب ان يستغني عنه .

والمعلومات القليلة التي اوردها عن امراء سيماد (شقيق) ادريس الاول وعن اقامتهم بالجزائر ، ينفرد بها اليعقوبي ، وهي على قلتها ، ذات قيمة عظيمة .

ومما يزيد من قيمة وصف اليعقوبي للمغرب ، أن هذا الوصف هو آخر ماوصل الينا عن الفترة التي سبقت انفصال المغرب عن الدولة العباسية ، بعد ما استقر العبيديون في شرقه ، والادارسه في غربه

ووصف يعقوبي للاندلس وصف مقتضب ، كما ذكرنا ، ولكنه ، مع ذلك قدم بحث لنعمي مساهمة قيمة ، خصوصا ، بتفرده بذكر خبر اغارة المجوس (النورمان) على قرطبة في سنة 225هـ (844م) (1) وهذا الخبر هو الذي كان له الفضل الاكبر في التفات نظر الدوائر العلمية في أوربا الى أهمية آثار اليعقوبي ، وصمم له بعد ذلك شهرة واسعة بين الباحثين المهتمين بتاريخ الاسلام وقد كتشف الفرنسي Frahn نهذه الرواية في عام 1838 ، صهرت عدة بحوث عن غارات النورمان في غربي بحر الابيض المتوسط (2)

(1) راجع كتاب البلدان (ص 354) .
(2) راجع الأدب الجغرافي العربي لاكراتشكوفسكي (160/1) .

الهمذانـــي

ظهرت في أواخر القرن الثالث الهجري أنماط متنوعة من الادب الجغرافي . فالى جانب المصنفات التي وضعت لاغراض عملية لسد حاجات الاداريين وعمال الدواوين والبريد ، صدر كتاب يستجيب لحاجة الاديب والمثقف لمعرفة أطراف المملكة الاسلامية وللاطلاع على ماينتشر فيها من انواع المنتجات وما تمتلكه من الموارد . وهذا الكتاب هو (كتاب البلدان) لابن الفقيه الهمذاني الذي قام بوضعه في سنة 290هـ .

وفيما يخص شخصية ابن الفقيه ، فنحن لانعرف عنها شيئا ، فيما عدا ماذكره صاحب الفهرست ، من أن اسمه أحمد . والمرجح انه من ايران وينتمي الى مدينة همدان (1) .

وكتاب البلدان الذي كان يتكون في الاصل من عدة أجزاء ويبلغ مجموع صفحاته نحو الألف ، لم يصلنا منه سوى مختصر قام بوضعه رجل يدعى الشيرازي في حدود سنة 413 هـ (1022 م) (2) . وهذا الملخص هو الذي قام بتحقيقه المستشرق دوحويه ونشره في ليدن في سنة 1906 .

على أن المستشرق الروسي ، اكراتشكوفسكي ، يفيدنا بانه قد عثر منذ وقت على الجزء الثالث من كتاب البلدان الاصلي الذي يعتبر ضائعا (3) .

واذا حكمنا على ابن الفقيه على ضوء ملخص كتابه الذي بين أيدينا ، فاننا لا نتردد في القول بأن الرجل أعلم بالرواية والشعر ، منه بعلم المسالك والبلدان . فان كتابة يزخر بالشعر والقصص والحكم والامثال ولا يذكرنا بالجغرافيا ، سواء منها الوصفية أو الفلكية ، الا من بعيد .

وهذا الاتجاه الذي سيتحقق منه القارئ عندما يتصفح الفقرات التي اقتبسناها من الكتاب ، يبدو لنا واضحا منذ الملحظة الأولى التي نفتتحه فيها ، ولا سيما إذ يقول .

---

(1) لم يذكره ياقوت ضمن الشخصيات التي ذكرها في معرض الحديث عن مدينة همذان في معجم البلدان (410/5) ، مع أن هذا المؤلف ينقل كثيراً عن كتاب ابن الفقيه . وذكره كشف الظنون (62.5) باسم الهمداني (بالدال المهملة) وقال أنه توفي سنة 340 هـ . وأن له ذكرا للشعراء المحدثين والبلغاء منهم والمفحمين .

(2) راجع مقدمتنا لجغرافية إبن سعيد المغربي (ص 35) .

(3) الأدب الجغرافي العربي (163/1) .

«كتابي هذا يشتمل على ضروب من اخبار البلدان ، وعجائب الكور والبيان . فمن نظر فيه من أهل الادب والمعرفة ، فيتأمله بعين الانصاف ويعرنا فيه حسن محضره وجميل رأيه ... فإني اذ لحقت في هذ الكتاب ما أدركه حفظي وحصره سمعي من الأخبار والأشعار والشواهد والامثال » (1)

وانطلاقا من هذا الاتجاه الادبي الذي يمنح الاولوية للنقل والسماع ، فان حظ الكتاب من المشاهدات قليل وهو . كذلك يعوزه التنظيم والتخصص . وذلك بي جانب صغر مادته لجغرافية ، وهذا يصدق بالخصوص على وصفه لاقطار المغرب

وترتيب ابوابه يجري على النحو التالي

يبدأ الكتاب بالحديث عن خلق الارض والبحار المحيطة بها وما فيها من العجائب ، ثم يتعرض للفرق بين الصين والهند ، ثم يصف مكة والمدينة ، ثم يفرق بين تهامه والحجاز واليمامة ولبحرين واليمن ، ثم يعقد فصلا لتصريف الجد إلى الهرل ، والهزل إلى الجد ، ويمدح الغربة والاغتراب .

وبعد ما يتعرض لوصف مصر والنيل والبلاد التي يحويها ، يصل الى المغرب عن طريق برقة ليصف هذه البلاد في نحو 12 صفحة . ثم يعود الى الشرق ليتحدث عن الشام والعراق وبلاد الروم وفارس وذ ربيجان وارمينية وبهاوند والري الى آخره ، وكل ذلك في اضطراب في الترتيب واستطراد وحشو في القول بالشعر ، مما لايمكن وصفه .

الاصطخري

وفي أواخر النصف الاول من القرن الرابع الهجري ، كان كاتب فارسي يتجول في مختلف الولايات الاسلامية ، اسمه ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري ، ويعرف أيضا بالكرخي . نشأ باصطخر (2) في اقليم الوسطى وعنى لعلم وعني باخبار البلاد وما يتعلق بها ، ثم ابتعد عن بلدته لاسباب سياسية .

---

(1) كتاب البلدان (ص 2 — 3) .

(2) راجع مقالة سبيك (Streck) عن مدينة اصطخر في دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة القديمة 2 244 ـ 292) وكذلك معجم البلدان (211/1 — 212) .

وقد بدأ الاصطخري رحلته في المنطقة التي تمتد بين الخليج العربي وبحر قزوين والمحيط الأطلسي في سنة 289- 290 هـ . وكذلك زار الهند حيث اجتمع بالرحالة والجغرافي المعروف ابن حوقل الذي كان يسافر حاملا معه (المسودة) الاولى لكتاب الاصطخري ولما عرض ابن حوقل بعض ملاحظاته على الكاتب ، كلف الاصطخري رفيقه في السفر بتنقيحه. (1)

ومهما يكن من أمر ، فقد تحول الاصطخري ببلاد العرب والشام ثم طاف ببلاد ماوراء النهر ، قبل ان يبلغ به الترحال شواطئ المحيط الاطلسي (2)

وفي كتاب مسالك الممالك الذي حققه ونشره دوحوية ضمن سلسلة المكتبة الجغرافية العربية في سنة 1871 ، يقدم لنا الاصطخري وصفا للممالك والمدن والبحار والانهار ويحدد المسافات بين المدن .

وقد ذكر دوحوية في مقدمة الطبعة التي قام بتحقيقها ان الاصطخري قد اعتمد كثيرا في هذا الكتاب على أبي زيد البلخي (3).

ووصف الاصطخري يقوم على أساس المناطق والولايات وليس على أساس الاقاليم الاصطلاحية المعروفة ، ولو انه يسمى الولايات أقاليم . والوصف يقتصر على البلدان الاسلامية دون سواها وفي هذا السياق ، يقول المؤلف في مقدمته كتابه :

فاني ذكرت في كتابي هذا أقاليم الارض . . . وقصدت منها بلاد الاسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما يعود بالاعمال المجموعة اليها ، ولم أقصد الاقاليم السبعة التي عليها قسمة الارض ، بل جعلت كل قطعة افردتها مصورة يحكى موضع ذلك الاقليم ، ثم ذكرت ما يحيط به من الاماكن وما في اضعافه من المدن والبقاع المشهورة والبحار والانهار ، ففصلت بلاد الاسلام عشرين قليما وابتدأت بديار العرب ، فجعلتها اقليما ، لان فيها الكعبة . ومكة أم القرى ، واسطة هذه الاقاليم (4)

---

(1) ج مقدمتنا لجغرافية ابن سعيد (ص 38)

(2) لا يسعفني المصادر التي رجعت إليها بأية معلومات عن سيرة الأصطخري ولسدة التي أوردها هنا ، سيجدها القاريء موزعة في الفقرة التي خصصها أستريك في دائرة المعارف الإسلامية (المصدر المذكور) للحديث عن الأصطخري ، وفي دائرة معارف البستاني (3 744) ، ومعجم مطبوعات (453—454) ، واكراتشكوفسكي (199/1)

(3) قام مستشرق هولندي (Moleen) بترجمة كتاب مسالك الممالك إلى اللاتينية ونشر هذه الترجمة في هامبورج في سنة 1845 .

(4) مسالك الممالك (ص 2—3) .

وبعد الجزيرة العربية يصف الاصطخري بحر فارس (مع المحيط الهندي) ، ثم ديار المغرب التي يقسمها الى قسمين : الشرقي ، وهو المغرب الذي يمتد من برقة الى طنجة ، والغربي ، وهو الاندلس . وبعد ذلك ، يصف مصر والشام وبحر الروم (البحر الابيض) ثم الجزيرة ثم العراق ثم خوزستان ثم فارس كرمان ثم بلاد السند والهند ثم أذربيجان ثم الجبال ثم الديلم ثم بحر الخزر ثم بلاد السند والهند ثم أذربيجان . ثم الجبال ثم الديلم ثم بحر الخزر ثم الجزيرة التي بين فارس وخوزستان . وخيرا ، خراسان وما وراء النهر

على الرغم من أن الاصطخري قد زار بلاد المغرب ، كما قلنا ، فان وصفه لهذه الولايات يتسم بالاختصار والاقتضاب كما سنرى في الصفحات التالية . بحيث ان مجموع الصفحات التي خصصها للمغرب لا تتجاوز أربع صفحات (واكثر من هذا العدد قليلا للاندلس) .

ووصف الاصطخري للمغرب بالاضافة الى قصره ، فهو قليل القيمة ، حيث أنه لا يكاد يتجاوز ذكر المدن والمسافات التي تفصل بينها ، مع ملاحظات عامة عن حجمها وموقعها ، وهم الخصائص التي تميزها . وهو أيضا ، خال من كل همية تاريخية فهو حينما يذكر الادارسة الذين كانوا سادة المغرب ، يقتصر على القول بانهم «ملوك طبحة ، وبينهم وبين افريقية نهرت (1) وهو كذلك حين يتحدث عن الاغالبة حيث لا يزيد على قوله بانهم ولاة الاغلب الذي كان قد انفرد في أول أيام بني العباس ليكون في وجه ادريس بن ادريس » (2)

وفيما يتعلق بقيمة المعلومات التي أوردها الاصطخري عن مناطق أخرى ، مثل جزر البحر الابيض وبلاد الصقالبة ، فنحن نحيل القارئ الذي يرغب في معرفة ذلك الى كتاب اكراتشكوفسكي العظيم القيمة « الادب الجغرافي العربي »(3) .

ولكنه بالرغم من النقص الذي يسود هذا العمل ، بالقياس الى الكتب الاخرى المماثلة ، فان مما لا شك فيه ان كتاب « مسالك الممالك » قد ترك أثرا لم يقف عند حد الادب العربي وحده ، بل تجاوزه ، بواسطة الترجمة ، الى الادب الفارسي والادب التركي حيث ترجم الى اللغة التركية في عهد السلطان محمد الثالث ، في أواخر القرن السادس عشر (4)

(1) نفس المصدر (ص 45) .
(2) نفس المصدر
(3) (200/1) .
(4) نفس المصدر .

ابن حوقل النصيبي

لا نكاد نعرف شيئا عن أبي القاسم محمد بن حوقل ، اذا استثنينا الاستنتاج من اسمه بأنه ينتمي الى مدينة نصيبين ، وما يخبرنا به هو في مقدمة كتابه من أنه غادر مدينة سلام لقيام برحلته في 7 رمضان سنة 331هـ من أجل الدرس والتجارة والكسب «الاستزادة بالرفق والاثر ، والشهوة لتنوع الوطر» (1)

نحن لا ندري بالضبط ما هي البلاد التي زارها ، وان كان مؤلفنا يخبرنا بأنه سبق «وجه الارض بأجمعه في طولها وقطعت وتر الشمس على ظهرها» (2) . ولكن المؤكد لدينا انه زار المغرب ونجوب فيه من الشرق الى اقصى الغرب ، ومن الشمال الى أقصى الجنوب ، وان هذه الرحلة لم تكن رحلة عابر سبيل ، بل كانت مناسبة للدرس والتأمل المتمهل ، سمحت له بالاغناء عنه في المعرفة وبممارسة أعماله التجارية وكذلك تحول ابن حوقل في الاندلس وفي فارس والهند حيث التقى ، كما أشرنا ، بالاصطخري في سنة 340 هـ (3) . وهناك كلف الاصطخري الذي هو الاصغر منه سنا بتنقيح كتابه « مسالك » وقد استجاب ابن حوقل لهذه الرغبة وقام بمهمة ولكنه ادخل تعديلات جوهرية على الكتاب ، ولاسيما الاقسام التي تتعلق بمصر والمغرب والاندلس وصقلية والعراق وارمينيا وما وراء النهر . وبذلك ظهرت المسودة الاولى التي اهداها بكتب لسيف الدولة الحمداني ، وكأنها مسودة كتاب جديد اطلق عليه عنوان «المسالك والممالك» وقد أتم ابن حوقل كتابه قبل سنة 367 ، وهي السنة التي توفي فيها . وهذا الكتاب هو الذي قام دوخوية بتحقيقه ونشره ضمن المكتبة الجغرافية العربية (ج 2) في ليدن في سنة 1873 . وعاد تحقيقه المستشرق كرامرز (Kramers) على اساس قدم المخطوطات (مخطوطة استنبول) ونشره في سنة 1938 ـ 1939 .

(1) صورة الأرض (ص 10)

(2) نفس المصدر (ص 11)

(3) راجع بشأن رحلات ابن حوقل وأعماله مقالة أندريك (Andrick) في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة الفرنسية) 145/1 ـ 146) ، العقود اللؤلؤية (110/1) ، مقدمة كتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 38 ـ 39) ، رحلة مسلمين في العصور الوسطى (ص 39 ـ 42) ، الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي (200/1 ـ 201) ، دوزي (3/18) (Dozy Hist. des Musulmans d'Espagne) معجم المطبوعات العربية (90/1 ـ 91)

وقبل ذلك ، نشر عدد من الباحثين شذرات من الكتاب تعالج بالوصف مناطق معينة ، فنشر أماري قسما منه يتعلق بصقلية مع ترجمة فرنسية ، في باريس في سنة 1845 ، كما نشر القسم الذي يتعلق بعراق العجم مع ترجمة لاتينية في سنة 1822 .

والكتاب يقتصر على وصف البلاد الاسلامية أو البلاد التي يشكل المسلمون فيها اغلبية ، هذا اذا استثنينا حالات معينة ، مثل حديثه عن هزيمة الروس للبلغار والخزر

وامـا الطريقة التي اعتمدها المؤلف لتقديم معلوماته في هذا الكتاب ، فهو يصفها (1) بقوله :

« وقد عملت له كتابي هذا بصفة أشكال الأرض ومقدارها في الطول والعرض ، وأقاليم البلدان ومحل العامر منها والعمران من جميع بلاد الاسلام ، بتفصيل مدنها وتقسيم ما تفرد بالاعمال المجموعة اليها . لم أقصد الاقاليم السبعة التي عليها قسمة الارض ، لان الصورة الهندية التي بالقوديان ، وان كانت صحيحة ، فكثيرة الخلط . وقد جعلت لكل قطعة أفردتها تصويرا وشكلا يحكي موضع ذلك الاقليم ، ثم ذكرت ما يحيط به من الاماكن والبقاع ، وما في ضعفها من المدن والاصقاع ، ومدنها من القوابين والارتفاع ، وما فيها من الانهار والبحار

والناحية التي لابد لنا من ايرادها بصفة خاصة في هذا العمل ، هي عناية ابن حوقل واهتمامه بالناحية الاقتصادية والتجارية . فهو يحدثنا عن انتاج كل بلد وكل مدينة ويذكر لنا ما اختصت كل منطقة من الانتاج الزراعي ، وطرق والقوافل التي تنقل المنتجات . بل ان ابن حوقل يذهب به الحرص على هذه الناحية حتى أنه يقدر دخل بيت المال في المغرب في عهد الربيين ، من خرج وعشر وصدقات الخ فيقول انه بلغ في سنة 336 ما يتروح بين 700 و800 الف دينار (2) .

وقد عدد ابن حوقل بالوصف تجارة المغرب الخارجية فافاض في الحديث عن القوافل التي تاتي من مختلف بلاد المشرق ، وقدم لنا صورة تفصيلية لصادرات المغرب الى بلاد المشرق (3)

(1) مقدمة صورة الأرض (ص 10)

(2) نفس المصدر (ص 94) .

(3) نفس المصدر (ص 42) .

ومعلومات ابن حوقل عن المغرب تدعمها وتكملها المعلومات التي يقدمها عن الاندلس . حيث عاش فترة من الزمن في عهد عبد الرحمن الثالث ، أي في عهد ازدهار الحضارة الاموية في الأندلس . وهو إذ يورد معلومات قيمة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الأندلس ويذكر قائمة للمحاصيل التي تصدرها الاندلس الى المغرب ، يبين لنا أيضا كيف كان المغرب والاندلس كلاهما معبرا لطرق التجارة في الرقيق وغيره في اتجاه قصور الخلفاء والامراء في مصر والعراق والشام .

ولهذه الاعتبارات وغيرها ، فقد كان من الطبيعي أن يكتسب كتاب ابن حوقل صيتا وشهرة في المغرب وخاصة في الاندلس أوسع من الشهرة التي اكتسبها في المشرق . صحيح أن ابن سعيد المغربي قد هاجم بعض آراء ابن حوقل وملاحظاته هجوما عنيفا (1) ولكن هذا الهجوم انما يتناول ما قاله ابن حوقل عن الحالة الاخلاقية وتدهور روح الفروسية في الأندلس ، ولا يمس النواحي الأخرى ، كما أنه لا يمس ما ذكره عن المغرب .

المقدسي

سجلت الجغرافيا الوصفية تقدما عظيما في نهاية القرن الرابع الهجري ، بظهور كتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» الذي وضعه محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي (2) الشامي (شمس الدين ، أبو عبد الله) .

ولد المقدسي في بيت المقدس في سنة 335 هـ . ، وكان جغرافيا بناء اكتسب شهرة في هذا البناء بحيث انه عهد اليه ببناء ميناء عكة في عهد أحمد بن طولون . وأما أمه ، فتنتمي الى اسرة تقيم في عمل قومس على حدود خراسان . هذا كل ما نعرفه تقريبا عن حياة هذا الجغرافي الذي لم يتردد باحث كبير في العصر الحديث وهو (sprenger) في أن يجمع عليه وصف «أعظم جغرافي في العالم قاطبة» . بل أننا لا نعرف حتى تاريخ وفاته على وجه

---

(1) نقل عنه المقري في نفح الطيب (طبعة بولاق) ج 1 ص 211 وما بعدها ، من كتاب «نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب» ، وهو كتاب لابن سعيد يتناول بالدراسة والتحليل تاريخ العرب قبل الاسلام .

(2) نسبة إلى بيت المقدس ، هكذا صنعه العرب الذين يسمونه أيضا بيت المقدس ، وقد يحذف بعضهم كلمة بيت فيقولون المقدس . وفي مقدمتهم أشهر الجغرافيين العرب (ياقوت الحموي) الذي عني بتحقيق هذه الكلمة ، وكتب لاسم علم مذكر وشدد

ت فهو (1) وبكل يقين كتبو عن المقدسي يجمعون على القول بانه مارس التجارة واحترفها وصف في كثير من البلدان الإسلامية ووصل إلى صقلية ، ولكنه لم يزر الأندلس .

وكثيرة لجولاته واستفساراته ، صنف المقدسي كتاب «احسن التقاسيم في معرفه الأقاليم» (Sprenger) .

لذي لفت أنظار الدوائر العلمية في أوروبا إلى قيمة هذا الأثر الجليل ، في دراسة خاصة عنه (2) سبقت الإشارة اليها .

وفي سنة 1877 ، قام المستشرق الهولندي ، دوخوية ، بتحقيق كتاب أحسن التقاسيم معتمدا على مخطوط لدي حمله معه اشر بنجر من الهند والذي أصبح يعرف فيما بعد باسم مخطوط برلين ، ومخطوط الفاتيكان . ونشره في ليدن ضمن سلسلة المكتبة الجغرافية العربية (ج 2) ، كما قام بترجمته الى اللغة اللاتينية .

وبعد ذلك ، قام دوخوية بتعاون مع دوزي باصدار طبعة ثانية للكتاب ، مع تعليقات نشرت في باريس في سنة 1906 .

وان المنهج الذي سار عليه المؤلف في وصف البلدان ، فان المقدسي نفسه ، هو أفضل من يشرحه حين يقول في مقدمة كتابه — :

« اني أسست هذا الكتاب على قواعد محكمة واسسته بدعائم قوية . وتحريت جهدي صواب وستعنت بفهم أولي الالباب ، وسألت الله عز وجل ان يجنبني الخطأ والزلل ويسعى السبيل ، وعمدت الدعائم والاركان . . وما استعنت به على تبيانه سؤال ذوي العقول من الناس ومن لم عرفهم بالفطنة والانتباس عن بكر ولاعما التي عدت عنها ومما نشأ في وصف منها الرجاء والامل ، فاعلي قواعده ووصف بنيانه . من شهدته وعقلته وعرفته وعلقته ، وعليه رفعت

---

(1) راجع (410 581 B...ck (A) ...SR محمة مشرق (10 683) معجم المطبوعات (1773) ، مقدمة جغرافيه من سعيد (39 40) ، كشف بعض (6 62 63) ، اكراتشكوفسكي (1 209) ، ... ص ...

Ibn Khurdadhbih Al Masalik wa'l Mamalik Leiden 1889 p. 9 ... Ibn Al Faqih Al Hamadhani Kitab al Buldan Leiden 1885 p. 4 ... Ibn Rustah Al Aalaq an Nafisah Leiden 1892 p. 84 ... Ibn Al Athir Al Kamil fi'l Tarikh Leiden 1851 ... Ibn Khaldun Muqaddimah Paris 1858 II 354 363 ... Dozy (R.) Recherches sur l'Histoire et la Littérature de l'Espagne (II 313).

وذلك إلى جانب المراجع المتقدمة .

(2) Sprenger, Dies Post und Reisen Routen des Orients (p. XVIII).

قد وقع عليه اتفاقهم اثبته ، وما اختلفوا فيه بينته ، وما لم يكن بُدّ من الوصول اليه والوقوف عليه قصدته وما لم يقر في قلبي ولم يقبله عقلي ، اسندته الى الذي ذكره ، وقلت «زعموا» (1) .

ولكن الميزة الاساسية التي تميز عمل المقدسي ، ليست هذه الضوابط والقواعد المنهجية التي الزم نفسه بالاخذ بها لنقد الروايات والتحري في الاقوال . فحسب ، بل ان الخاصة التي تجعل هذا الكتاب فريدا ، هي مادته الجغرافية الغزيرة التي جردها من الاساطير والخرفات التي حشيها كثير من الكتاب السابقين لاثارة شعور الدهشة والاستغراب .

وشعور المقدسي باصالة عمله وجدة مادته ، هو الذي جعله يحس بالالتزام على الجغرافيين سابقين ، لان التأخر منهم باخذ كتاب المتقدم فيعدله ويحذف فيه ويضيف اليه ثم ينسبه الى نفسه وكأنه يقدم عملا من تأليفه . وفي ذلك يقول (2) «واذا نظرت إلى كتاب الجيهاني وجدته قد احتوى على جميع أصل ابن خرداذبه وبناه عليه واذا نظرت في كتاب ابن الفقيه ، فكأنما أنت ناظر في كتاب الجاحظ والزيـج الاعظم» (3) :

واراء المجهود العظيم الذي بذله المقدسي لجمع معلومات أصلية والتحري عن مصادرها ، قد يجد البعض في الفخر الذي يساور المؤلف والذي يقرب من الغرور ، ما يبرره ، ولكن المرء ، مع ذلك ، لا يسعه إلا أن يبتسم حين يقرؤ مثل الجملة الآتية :

«واذا نظرت في كتابنا ، وجدته نسيج وحده ويتيما في نظمه . ولو وجدنا بحصة في ترك جمع هذا الاصل ما اشتغلنا به . ولكن لما بلغنا الله تعالى أقاصي الاسلام وأرانا اسبابه والهمنا قسمته ، وجب أن ننهي ذلك إلى كافة المسلمين» (4) .

وصفا للمخطط الذي رسمه ، فان المؤلف يقصر الحديث عن بلاد الاسلام ويهمل وصف ممالك الكفار ، وذلك لأنه لم يرها ، حسب قوله ، ولانه لا يجد فائدة في ذلك !

(1) أحسن التقاسيم (ص 5—6) .
(2) نفس المصدر .
(3) سيرى ... صغيرة الحجم ولكنها عصمة لجمة بمخطط كبير ... تصوره ... كانت نفس صنعة حتى عثر عليه المرحوم حسن حسني عبد الوهاب ونشرها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (مجلد 12 ص 323)
(4) مقدمة أحسن التقاسيم .

ومن ثم ، فنحن لا نجد في كتب كثير من الرحالة العربية ولا الأوربية شيئا وافيا يتعلق بالحديث مسكتي البقاع والحرف ، وذلك لأن هذه البلدان كانت تضم عددا كبيرا من المسلمين

ونظرا لأن المقدسي قد نقل وصفه للاندلس عن بعض الحجاج ، حيث لم يتمكن من زيارة شبه جزيرة ايبريا ، فان معلوماته عن هذه البلاد ، يشوبها بعض النقص والاضطراب

ومعلوماته عن المغرب أحسن قيمة ، ولكنها هي الاخرى مشوشة وناقصة ، واذا استثنينا المدن الرئيسية لتونسية والليبية ، وبعض المراكز الحضارية الكبيرة في المغرب ، مثل فاس وسجلماسة وتيهرت والقيروان ، فسنبحث عبثا في كتاب «أحسن التقاسيم» عن اسماء مدن كانت مراكز للاشعاع الثقافي وللازدهار الاقتصادي ، مثل تلمسان والبصرة ، (المغربية) وأودغست وطبنة ، وغيرها ، والمدن التي وصفها قد خلط في ترتيبها ، كما نلاحظ أن معلوماته التي قدمها عنها ثانوية ، والسجع والمحسنات اللفظية التي تميز اسلوبه لا تعني شيئا عن نقص المعلومات ونحن نكاد ندرك مدى قصور وصف المقدسي للمغرب يكفي أن نقارن هذا الوصف بوصف سابقه ، ابن حوقل ، أو لاحقه البكري ، لأية مدينة كبيرة في المغرب .

وفيما يتعلق بتسلسل وصف البلاد الاسلامية ، فان المؤلف ، بعدما يعرض علينا المعطيات الجغرافية العامة ، يتحدث عن اسماء الاماكن المشتركة ، ثم يدخل في صلب موضوعه ويقدم وصفا لكل قطر ، وهو يقسم القطر الى ثلاثة اقسام غير متساوية الحجم ، يورد الكلام في القسم الاول عن مدنه والاماكن العامرة فيه ، ثم يتحدث عن مناخ وبرغ ومنحرة والاودية والعقود ومياه والمعادن وخلاق السكان والشؤون السياسية والخراج ، وفي القسم الثالث يذكر المسافات والطرق .

ويبدأ المقدسي وصفه بجزيرة العرب ثم يعرج على العراق ثم يتجه الى مصر والمغرب ، وبعد ذلك ، يعالج بالوصف اصقاع الشرقية التي يقسمها الى بلاد الهند طله وخراسان والديلم وما وراءها الديلمان والجبل وخوزستان وفارس وكرمان والسند ومفازة فارس

البكري

وفي النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ، كان يعيش جغرافي اندلسي وهو

عبد الله بن عبد العزيز بن أيوب (أبوب عبيد الله البكري) (1) .

يجدر البكري الذي يجهل تاريخ ميلاده من اسرة من الامراء تنتسب الى بكر بن وائل . كانت تتوارث الملك خلال فترة قصيرة ، في عهد ملوك الطوائف ، على وبة (2) Huelva وشلطيس Saltés (3) وما بينهما . ولكن والده ، عبد العزيز ، عجز عن الاحتفاظ بإمارته ، فبعث المعتصد بن عباد ، ملك اشبيلية ، الذي كان يحاول بسط سلطانه على الاندلس كلها ، فسلمها اليه وخرج بأمواله ، هو وولده سرا الى قرطبة .

وقد تتلمذ البكري دراسته على عدد من كبار العلماء ، وفي مقدمتهم العذري وبن عبد البر ، تحق بخدمة محمد بن معن ، صاحب المرية الذي اصطفاه لصحبته ورفع مرتبته ثم بعثه به في مهمة ديبلوماسية إلى باديس بن حبوس ، صاحب غرناطة ، حيث استمر على ممارسة نشاطه العلمي حتى توفي في سنة 487 هـ (1094 م) (4) بعد حياة زاخرة عرف فيها مذاقات الحياة وتذوق منها كثيرا .

---

(1) رجع عن أبي عبيد الله البكري : الصلة لابن بشكوال (ص 282) ، طبقات الأطباء (3 52) ، بغية الوعاة (ص 282) آداب اللغة العربية (84/3) مقالة كور (Cour A) في دائرة المعارف الإسلامية ، مقدمتنا لكتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 43 ـ 44) ، مقدمة بارون دوسلان (لترجمته الفرنسية) لمعجم البكري لكتاب المغرب (ص 2 ـ 20) . وبحثه سيرة لابن الابار (2 80ج) ، Brock GAL 1 627 ، 1875; Dozy (R) Recherches (1 282) (1282) اضافات لتصحيح بن حوقل (ص 191) ، لحلة لابن بشكوال (مع فهرس لعلم الشرقي) المغرب لابن سعيد المغربي (1 347 348) لادب الجغرافي العربي لكراتشقوفسكي (1 274 278) ، كشف الظنون (5 459) مع تعليب (ط مدريد) (2 134 و160) ، Pons Boigues Ensayo Bibliografico Espagoles p 160b .

(2) يطلق إسم حاليا في إسبانيا على ولاية كبيرة تبلغ مساحتها 10085 كيلو مترا ، مربعا ، تتاخم مديرية اشبيلية وقادس من الشرق ، وحدود لبرتغال من الغرب ، ومديرية بطليوس من الشمال

(3) تقع جزيرة شلطيس عند مصب النهر الأحمر Rio Tinto وهو وادي Odiel في خليج واسع ويحيط به جزر أصغر منها . ويبلغ طول الجزيرة نحو ميل أو أزيد . والمدينة منها تقع في جهة الجنوب راجع : صفة الأندلس من الروض المعطار (ص 110 ـ 111) .

(4) هذه رواية حاجي خليفة في تحقيقه لابن دوسلان ودوزي و بن بشكوفسكي وكوبت وسركيس في معجمه ، ه ، في بشكوال وضعه كوديرا (Codera) 1883 ج 2 ص 282) وبن الابار ترجمة لـ 18 ف كل منهما أن البكري توفي سنة 480 هـ .

وكتب التي خدمها لبكري كثيرة وكلها عظيمة القيمة وقد ذكر له حاجي خليفة مؤلفات تالية : اعلام السوة شرح لنوادر لابي علي القالي شفاء عليل العربية . فصل مقال في شرح الامثال الآلئ على كتاب الامالي المسالك والممالك ومعجم ما استعجم (أ)

وكتاب مسالك والممالك الذي نشر لأول دوسلان هو قسم الذي يتصل بالمغرب . يقوم هذا على مجهود المؤلف الشخصي وعلى المعلومات التي استمدها من معاصريه من علماء ومسافرين ولكن لبكري استفاد ايضا من الكتاب السابقين مثل ابن الورق والجيهاني والمسعودي وابن رسته . على ان المؤلف ينقصه عنصر المشاهدة الشخصية فيما كتبه عن المغرب . حيث انه لم يتح له قط أن يجتاز مضيق جبل طارق . ومع ذلك فإن القسم الذي يتصل بشمال افريقية من الكتاب هو أغنى أقسامه .

وكتاب لا يقتصر في وصفه على المناطق الشمالية التي يتردد عليها التجار والمسافرون الأندلسيون . بل هو يوغل في الجنوب فيقدم لنا تفاصيل عن جزء مهم من القارة السوداء تتسم بالدقة والاصالة ومعرفة لبكري بمذهب ومويح وطرق التجارية والقبائل . هي بعض معرفة لا يمكن مقارنتها بمعرفة غيره . ومما يزيد من قيمة وصف بكري . طلاوة اسلوبه وعدم التكلف .

والكتاب أيضا منجم ثمين المعدن عزيز بالمعلومات والتطورات التاريخية وسلالات الملوك . كما يزخر باقتباسات وشذرات من التقارير ووثائق الرسمية التي كانت لا تزال في حوزة الامراء ، ثبتت بدورة حسبما كان يتبع منهجه الديبلوماسي الخطير نشأ

صحيح ان معلومات البكري عن بعض التطورات السياسية التي وقعت في المغرب بعدم تحت تعلاوت بين هذا السند وبين الاندلس ، لم تكن في مستوى معلومات التي جمعها عن ذلك ومن هذا القبيل ، المعلومات التي يقدمها عن مراكش وفي المكان الأول ، سيلاحظ القارئ انه لا يوجد اي نص خاص التي تقدمه عن مدينة مراكش نص للبكري ، وذلك ليست واضح ، وهو أن هذا الكتاب لا يذكر في كتابه تلك مدينة التي أسسها يوسف بن تاشفين في سنة 465 هـ بل ان البكري لتجاهل اسم يوسف بن تاشفين نفسه . وذلك على

(أ) ان البكري جد كتابه هذا بتصنيف كتاب من جغرافيا يوناني اسمه . هيبرس معروف عند أهل الأندلس باسم معجم مصنوعات عربية (580) وهو طبع الكتاب لأول مرة بتحقيق العلامة مصطفى السقا في حوالي خوطه ، 1876 ـ 1877 ، ثم طبعه مصطفى السقا في أربعة أجزاء في مجلدين ، القاهرة ، 1949

ودلك على الرغم من أن المغرب كان قد أسند اليه مقاليده في السنة السابقة وأنه استولى على مدينة فاس بعد ذلك بسنة واحدة .

وهذا الجهل والعجز عن متابعة تطور الاحداث في المغرب لا يرجع ، في اعتقادنا الى قلة اكتراث المؤلف ، ولا الى تسيب ، او الى استخفافه بحركة المرابطين . كما ذهب دوسلان (1) فان البكري قد عني عناية تشرفه بظهور دولة المرابطين التي خصص لها منذ بدايتها ما يقرب من سبع صفحات من كتابه ، ختمها بقوله « وامير المرابطين اليوم ، وذلك في سنة ستين وأربعمائة ، أبوبكر بن عمر » (2) .

وعلى الرغم من ان حركة المرابطين كانت في حداثة ، بين قبائل صنهاجة ، في اقصى الجنوب ، وكانت حوادثها في البداية كلها تدور حول سجلماسة واغمات والسوس الأقصى ، وهي مناطق بعيدة ، فانه لا بد من الاعتراف بان البكري كان دقيقا كعادته ، على الاقل من الناحية التكلبية ، فان يوسف بن تاشفين لم يبايع امير للمسلمين الا بعد وفاة أبي بكر بن عمر .

ومن جهة أخرى ، فقد كان اضطراب الحياة السياسية في الأندلس ، مثل اضطرابها في المغرب ، يمثل عائقا كبيرا للحصول على آخر المعلومات وأزمة الحرب والقلاقل لم تكن في يوم من الأيام من الازمة المفصلة للسفر ولجمع أخبار دقيقة

وخلاصة القول ، أن القارىء الذي يقرأ كتاب البكري بما يستحق من العناية والتدبر ، سوف لا يسعه ان يتشكك في وصف ابن سعيد المغربي لهذا العالم حين يقول « انه آخر علماء الجزيرة بالزمان وأحقهم في البراعة والاحسان . كان العرب استحفظته على لسانها والأيام وثقته زمام حدثانها » (3) .

الشريف الادريسي

وفي القرن السادس الهجري ، نشطت الدراسات الجغرافية العربية أوجه كما اتسعت

(1) راجع المقدمة الفرنسية لكتاب المغرب في ذكر أفريقية وبلاد المغرب .

(2) تولى أبوبكر بن عمر في سنة 462 هـ ، فتاريخ ذكره البكري عن دولة المرابطين يتغير (2 182 — 189) والكامل (619/9 — 623) .

(3) المغرب (348/1) .

رقعة المعمورة من الأرض المعروفة لدى العرب بصورة ملحوظة ، تفصل مساهمة عالم عربي كبير وهو الشريف الادريسي .

يتحدر أبو عبد الله محمد بن عبد الله ادريس الحمودي ، أمير المؤمنين العالي بأمر الله (1) ، من سلالة ادريس الأكبر الذي أقام دعائم دولة الأدارسة في أوليلي ، ثم بفاس ، الدولة التي دامت نحو قرنين من الزمن . وبعدما سقطت هذه الدولة تحت هجمات الأمويين المتوالية من الاندلس ، وهجمات العبيديين من الشرق ، قامت للادارسة دولة أخرى في الاندلس ، تسمى الدولة الحمودية ، في عهد ملوك الطوائف كانت مالقة Malaga مقرا لها في المرحلة الاولى ثم قرطبة ، حيث استحوذ علي بن حمود على الخلافة في مرحلة ثانية . ولكن الادارسة ، سيفقد نجمهم في الاندلس ويعودون الى سبتة ، القاعدة التي انطلقوا منها للاستيلاء على الحكم في شبه جزيرة ايبيريا .

وفي سبتة ولد أبو عبد الله في سنة 493 هـ وأخذ علومه الأولى . ومن هناك انتقل إلى قرطبة حيث أتم دراسته (2) ، قبل أن يقوم بعدة رحلات حملته بعدما تجوب في الأندلس نفسها ، حيث أنه لم يتح له قط أن يجتاز مضيق جبل طارق . ومع ذلك فإن القسم الذي يتصل

---

(1) هكذا ورد نسبه في مخطوط اكسفورد نزهة المشتاق وهذا التسلسل تؤكده شجرة النسب التي أوردها له الصفدي وهي كما يلي : محمد أبي محمد بن عبد الله بن إدريس بن يحي بن علي بن حمود بن ميمون بن أحمد بن عبد الله بن عمر بن إدريس (بن إدريس) بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ص) راجع الوافي بالوفيات (1/163 164)

وانظر كذلك :

Reinaud Introduction (p CXIII (XXIV) . Amari, Storia Dei Musulmani di Sicilia (3 452 460) Blochet, Contribution à l'étude de la [illegible] chez les Musulmans (Bull de l'Academie d'Hipone [illegible] Zeitsch D Deutsch Morg Ges (63 19) . Krumbacher Gesch [illegible] (p 411) . Leclerc, Histoire de la Medecine Arabe (2 65 70) [illegible] Dozy R (Hist. des Mu[illegible] d'Esp[illegible] IV 60 [illegible] [illegible] (p 843 [illegible]

(2) راجع عن سيره الادريسي ومساهمته في تنمية الجغرافيا العربية الوافي بالوفيات (1 163) ، 164) آداب سبتة (84/3) ، مجلة المشرق (320/11) مجلة المقتطف (عدد مارس 1912) ، مقدمة سيبولد (Seybold C F) في دائرة المعارف الإسلامية (مادة الادريسي) ، مقدمة الترجمة الفرنسية لكتاب «أرض المغرب والسودان ومصر» للإدريسي ، لسوع المغربي » (88/1) ، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى (ص 44 47) ، مقدمتا الجغرافية ابن سعيد المغربي (ص 44 — 47) ، اكراتشكوفسكي الأدب الجغرافي العربي (279/1 294) ، مقدمة كتابنا القارة الافريقية وجزيرة الأندلس (مقتبس من كتاب نزهة المشتاق ، نشر ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1983 .

ى شوصيء فرنسا واجتازوا الى آسيا الصغرى ، ثم التقى عصد بترحال حير في سنة 1138م في سرم ، في بلاط روجر الثاني النورمندي ، بناء على دعوة من هذ الملك (1)

وهناك في سرم صنف الادريسي كتابه المشهور نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الذي اهدء إلى روجر الثاني ، فكان بسبب ذلك يعرف في المكتب العربية باسم الكتاب لرجري .

وبعد ذلك صنف لادريسي كتاب آخر كبير الحجم في الجغرافيا لعليوم الاوب (1154 - 1166) بعنوان روض الأنس ونزهة النفس أو كتاب الممالك والمسالك ، وهذ الكتاب يعتبر مفقودا فلم يبق منه سوى ملخص لا يزال مخطوطا في مكتبات اسطنبول

وقد قام الادريسي بتأليف كتاب نزهة المشتاق بتكليف من روجر الصقلي الذي كان قد وجه بعث من الرحالة الاذكياء والرسامين وارسلهم الى مختلف الاصقاع لجمع المعلومات ولرسم الخرائط وكنت عدت جماعة منهم بحملها من المعلومات والبيانات . فحذف الادريسي منهم وعمل لصياغتها وترتيبها ، ثم يضيف اليها ما استخلصه من المؤلفين السابقين ووضعها في مكانها . والمؤلفون الذين استعان بهم الادريسي يذكر لنا سماؤهم في خاتمة كتابه وفي مقدمة هؤلاء المسعودي والجيهاني وابن خرداذبه والعذرى وابن حوقل والبعقوبي وقدامة البصري وبطليموس وارسيوس الانطاكي وغيرهم .

وكتاب نزهة المشتاق نشر له ملخص في روما في سنة 1592 م ، وترجم إلى اللاتينية فيما بعد ثم قام بترجمة الكتاب الى اللغة الفرنسية على اساس مخطوطي المكتبة الاهلية بباريس ترجمة رديئة آمدي جوبير Amedee Jaubert (في سنة 1836) وقد قسم العلامة دوزي ودوخويه القسم الذي يتعلق بالمغرب ومصر والاندلس منه ووضعا له ترجمة فرنسية مع تثبت بالمصطلحات ونشراه في ليدن في سنة 1864 .

وفي الوقت الحاضر يقوم جماعة من العلماء بتحقيق النص الكامل لنزهة المشتاق ويجري نشره في كراريس متتابعة في روما . ولكن هذ العمل طويل النفس وقد يستغرق اخراجه كاملا بحواشي والتعليقات نيف وعشر سنوات ومن العوامل التي تقلل من قيمة هذا العمل ان بحواشي ستكون باللغة الايطالية ، وهذه الاعتبارات وغيرها هي التي حملتني على القيام

---

1) وهو روجر الثاني (Roger II) في سنة 1095 وتوفي في سنة 1154 م وهو ابن روجر الأول كونت صقلية وقد توج ملكا على صقلية في سنة 1130 واحتفظ بعرشه حتى تاريخ وفاته .

بتحقيق القسم الذي يهم المغرب والأندلس من الكتاب ، وهذا العمل قد تم تحت عنوان «القارة الافريقية وجزيرة الأندلس» (1) .

وهذا الكتاب الذي لا مثيل له فيما كتبه العرب قبل الادريسي وبعده ، يمتاز بميزات أساسية .

— وضوح التقسيم للكرة الأرضية
— غزارة المادة
— دقة الوصف
— اتساع رقعة المعمورة التي شملها الوصف .

والكاتب يبدأ بوصف موجز للأرض التي يتصورها المؤلف كروية الشكل ثم يصف الأقاليم السبعة التي يتخذها اطارا لتقديم معلوماته .

وبعد ذلك ينتقل الى سطح الارض بالتفصيل على اساس أشرطة الاقاليم التي يقسم كلا منها الى عشرة اقسام رأسية يصفها واحد بعد واحد مبتدئا من الغرب متجها الى الشرق . وكل قسم من هذه الاقسام مرسوم على خريطة منفردة بحيث اذا جمعنا الخرائط المسعين التي يحتوي عليها الكتاب ، تتكون لدينا بذلك خريطة كاملة للعالم .

وأهم أقسام الكتاب ، هو الذي يتناول بوصف المغرب والاندلس وصقلية وايطاليا الجنوبية ، ويلي ذلك من حيث القيمة ، وصف الادريسي لاوربا الغربية حتى شواطيء بحر شمال ، وايرلندا واسكونلاندا . وكذلك يشمل وصف الكتاب البلدان الواقعة على شواطيء بحر البلطيق وللقفقاز وضفاف نهر الدنوب والمجر ورومانيا وبولندا وروسيا . وهذا الوصف يتناول الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعادات والتقاليد والمدن والطرق والمسافات .

وفيما يتعلق بافريقية السوداء فقد اختلف الدارسون في قيمته ، ولكن ما قاله الادريسي عن مجرى نهر النيجر قد أكدته استكشافات الرحالة الأوربيين ، في القرن التاسع عشر . وهذا في حد ذاته ذو أهمية رمزية بالغة ، ودليل على ان هذا الكاتب لم يكتف بترديد اقوال بطليموس - كما زعم البعض - عن هذه المنطقة ، بل هو اعتمد على مادة حديثة مستقاة من مصادر مباشرة .

(1) طبع ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية ، 1983 .

ومن مساهمة الادريسي في التعريف بمختلف نواحي الحضارة المغربية ، فهي مساهمة جوهرية . وتتمثل ، مع وصف البكري وابن حوقل ، الرصيد الأساسي الذي تقوم عليه معرفتنا الجغرافية للمغرب خلال الفترة التي تفصل بين عصر ابن حوقل وعصر الادريسي .

ووصف الادريسي ، كما سيلاحظ القارئ ذلك من خلال الشذرات التي اقتبسناها عن المدن المغربية ، مصاغ في أسلوب علمي مباشر خال من التمنيق والصنعة اللفظية ولا مكان فيه للاساطير والقصص الأدبية ، ولكنه مع ذلك ، لايتسم بالجفاف ولا يهمل اختيار الكلمات الصحيحة ودات المدلول الدقيق . والوصف شامل من حيث الامتداد الجغرافي بحيث لا يعدو مركز أو أثر اذا قيمة عمرانية دون أن يذكره ، ومحيط بحيث لايدع مجالا من مجالات النشاط الإنساني الخلاق دون أن يتعرض له بالحديث .

ياقوت الحموي

ولد أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي الملقب مهذب الدين ، في سنة 574 هـ (1178م) ببلاد الروم وأسر في بلاده صغيرا وابتاعه تاجر ببغداد ووضعه على دفاتر تجارته . والتاجر يسمى عسكر بن ابرهيم الحموي ، ومن هنا لصقت به هذه التسمية . وعلى الرغم من محاولته تسمية نفسه عبد الرحمن ، بدلا من ياقوت الذي هو من أسماء العبيد ، فان هذا الاسم قد لازمه وقد أرخ له به القدماء والمحدثون (1) .

عاش ياقوت بعد عتقه في سنة 596 هـ من نسخ الكتب بالأجرة حتى عطف عليه مولاه وستخدمه في بعض أعماله التجارية . ولما توفي مولاه قام برحلات انتهت به الى مرو وخوارزم . ولياقوت ديوان شعر يقع في عشرة كراريس اطلع عليه ابن خلكان .

وفي سنة 613 هـ توجه إلى دمشق ودخل في مناقشات ومناظرات مع بعض الخوارج وكان متعصبا لعلي (ض) ووقع في ورطة واجتمع عليه العامة وكادوا يقتلونه ، ولكنه نجا بنفسه وقصد

---

(1) جمع عن حياة ياقوت وآثاره وافيات الاعيان (6 122 126) ، ادباء بلغة (2 88) ، معجم الادباء (19 311) سجوم برهرة (5 283) ، الروضة المسموق (102) ، مرآة الجنان (4 59 63) ، شذرات الذهب من اخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (مخطوط في مكتبة الفاتح - ج 2 ورقة 221) ، عقود الجمان للزركشي (مخطوط) بمكتبة الفاتح رقم 4434 ج 9 ورقة 347) كشف الظنون (6 513) معجم مطبوعات (1941) ، (880 مقدمة بكتاب الجغرافيا لابن سعيد (ص 47 — 48) : مقدمة معجم البلدان (1/1) .

A mir (M) Storia dei Musulmani (Nallino, (I) 491) Reinaud, Introduction (I (XXXII) (XXXV) Brock Gal (I) 630

إلى حلب . ومنها خرج إلى الموصل ثم إلى أربل . ومنها سلك طريق خراسان واستوطن مَرْو وبقي يتحرى هناك مدة من الزمن ، في الوقت الذي كان يواصل فيه أبحاثه في مكتباتها .

وبينما كان ياقوت في خوارزم ، صادف خروج التتر في سنة 616 هـ ، فاضطر إلى الهروب واسعاً بنفسه أمام زحفهم ، تاركاً وراءه كل ما يملكه من متاع ودنيا ، وعاد إلى الموصل حيث أصبح لا يملك قوت يومه . وبعد إقامة قصيرة بالموصل انتقل إلى سنجار وهو في حالة من الضيق والضنك ثم قصد إلى حلب وأقام بظاهرها إلى أن مات في داره في سنة 626 هـ (1229 م) .

وهم مؤلفات ياقوت بدون شك ، هما المعجمان : معجم البلدان الذي قام بتحقيقه ونشره لأول مرة العلامة وستنفيلد (F Wustenfeld)في ليبزيج في ستة أجزاء خلال الفترة 1866 ـ 1873 . ومعجم الأدباء (إرشاد الأريب) الذي عني بتحقيقه ونشره في سبعة أجزاء في القاهرة مرغليوث (Margliouth) خلال الفترة 1907 ـ 1925

فرغ ياقوت من تأليف معجم البلدان في العشرين من صفر سنة 621 هـ . بثغر حلب . وقدم هذا الكتاب هدية الى خزانة الوزير والعالم جمال الدين بن القفطي ، وزير الظاهر بن صلاح الدين الأيوبي ، صاحب حلب . وكان بن القفطي قد أسبغ عليه رعايته وامدة بمساعدة مكنت ياقوت من مواصلة عمله في تحرير معجمه الكبير. ولكن هذه النسخة لم تكن سوى مسودة في ذهن المؤلف حيث أنه استمر على جمع المعلومات بعد انتهائه من تأليف الكتاب أراد أن يضيفها اليه وأخذ في تنقيح المعجم وإثرائه بالمادة الجديدة في سنة 1625 هـ . ولكن المنية عاجلته فلم يحقق هذه الرغبة .

وأول من حاول تقويم المعجم هو ياقوت نفسه . فقد جاء في مقدمة الكتاب ما يلي : « وعلى ذلك ، فإني أقول ولا حشمة وادعي أني لم أزل كل علم ولا انهزم . أن كتابي هذا أوحد زمانه ، مؤمر على أقرانه لا يقوم بأمره مثله إلا من أيد بالتوفيق وركب في طلب فوائده كل صريق ، فعز نظيره وبعد ، وضوح نفسه فأبعد ، وتفرع له في عصر الشبيبة وحرارته وساعده العمر بمتداده وكفايته وظهرت منه أمارات الحرص وحركته (1)

وقبل ذلك صرح المؤلف مخاطبا القارئ بقوله : «واستقصيت لك الفوائد حلها ، أوكلها ، وملكتك عفوا صفوا عقدها وحلها» (2)

---

(1) معجم البلدان (13/1) .

(2) نفس المصدر (12/1) .

وفي معرض تحليله لمصادر معجمه ، ذكر ياقوت في مقدمة الكتاب ن لكتب التي صنفت في اسماء الأماكن صنفان . «منها ما قصد بتصنيفه ذكر المدن المعمورة والبلدان المسكونة المشهورة ، ومنها ما قصد به البوادي والقفار واقتصر على منازل العرب الواردة في اخبارهم واشعارهم» (1) . والنوع الثاني من واضعي المعاجم ينسبهم ياقوت الى طبقة «اهل الادب» ، وبالتالي فهم ليسوا من الجغرافيين في رأيه .

والمعجم يبدأ بمدخل يتكون من خمسة أبواب . ففي الباب الأولى ، يعرض المؤلف للنظريات المختلفة التي تتصل بصورة الأرض معتمدا على المعطيات الجغرافية والرياضية معروفة في عصره .

ويبحث الباب الثاني في نظام تقسيم الاقاليم ويورد قائمة الروح الاثني عشر ويعين البلدان التي تقع تحت تاثير كل منها . وفي الباب الثالث يعني المؤلف بتفسير المصطلحات التي يذكرها الكتاب الجغرافيون مثل الميل والفرسخ والاقليم والكورة والطول والعرض الخ .

وأما الباب الرابع ، فيقدم تصنيفا قصيرا للبلدان المختلفة التي فتحها المسلمون وذلك وفقا للخراج الذي يجبي من كل منها .

وفي الباب الخامس ، يورد ياقوت اخبار البلاد وسكان النوحي المختلفة وتوزيع الممالك بحسب مكانتها وعراقتها بحيث يبدأ ببابل فالهند ، فالصين ، فالترك ، فالروم .

وبعد هذه المقدمة التي تشتمل على نحو 50 صفحة ، يدخل المؤلف في صلب موضوعه ويبدأ المعجم المرتب حسب الحروف الهجائية على الطريقة الشرقية في وصف البلدان .

ومادة المعجم متنوعة للغاية . فهو لا يقتصر على ذكر ولايات الامبراطورية الاسلامية كما فعل عدد من الجغرافيين السابقين ، كما أنه لم يول الجزيرة العربية أهمية خاصة ، بل هو يعالج مختلف المناطق بالتساوي حسب أهمية كل منها الذاتية ويمتد وصفه ليشمل ، إلى جانب العالم الاسلامي ، الشرق الاقصى واوروبا الشرقية والشمالية . واذا كانت المعلومات التي يقدمها الينا ياقوت عن الشرق أوفر من غيرها ، فإن ذلك لا يرجع إلى منهجية مختارة مسبقا ، أو إلى قصد بتفضيل المشرق على المغرب واوروبا ، وانما هو يعود الى كون رصيده العلمي عن بلدان هذه المنطقة أكبر ، وذلك بحكم اتصاله الوثيق بها .

والحق أن مادة ياقوت عن التاريخ والحضارة الاسلامية لا يمكن مقارنتها بالمادة التي يقدمها الينا غيره من الجغرافيين ، مثل البكري والادريسي ، ولو أنه لا يمكن اعتباره في نفس

(1) نفس المصدر (11/1) .

المرتبة مع البيروني والمسعودي . وعمل ياقوت يمتاز بمنهجيته المستقلة وبحس تنظيم المادة وهذه الخصائص ، تبرز وصف اكراتشكوفسكي له حين يقول :

واهمية معجم البلدان تتحور كثير الاهداف الجغرافية الضيقة . فهو ، فوق ذلك يمثل آخر انعكاس لتلك الوحدة المثالية لعالم الاسلامي ، تحت حكم العباسيين ، وهو أوسع واهم بل وأكاد أقول ، أفضل مصنف من نوعه لمؤلف عربي في العصور الوسطى» (1) .

ومعجم البلدان لم يكتشف العالم العربي قيمته الا في وقت متاخر نسبيا ، وبعد اكتشاف مساهمات الادريسي والبكري وغيرهما بوقت قصير . وقد كان المستشرقون الهولنديون أول من انتبه إلى قيمة المعجم في القرن السابع عشر ولكن هذا الاهتمام لم يتخذ سوى شكل ملاحظات عامة ، وسوف لا يجد الدارسون الاوربيون ياقوت بعين الجد الا في أوائل القرن التاسع عشر ، عقب تسرب عدد من مخطوطات المعجم إلى أوروبا حين نقل كل من راسموس (Rassmusen) وفرين (Frähn) بعضها . ومهما يكن من أمر ، فان النص الكامل لمعجم البلدان سوف لا يظهر إلا في سنة 1863 .

وقبل هذا التاريخ ، لم يكن معروفا من مخطوطات المعجم سوى ثلاث نسخ (كوبنهاجن وبترسبوخ واكسفوردا) وهي كلها ذات عيوب ، وذلك بالاضافة الى حجم الكتاب الذي لا شك أن منظره افزع أكثر من دارس متطلع لتحقيقه .

على ان فحص مخطوطات أخرى (باريس وبرلين ولندن) سمح لفردينالد وستنفلد أن يأخذ على عاتقه مهمة تحقيق الكتاب خلال الفترة بين 1866 ـ 1873 ويقدم بذلك خدمة كبيرة للعلم العربي .

وقد ظهرت طبعة وستنفلد كاملة في ستة أجزاء ، خصص المحقق الجزء السادس منه لأسماء الاعلام والشخصيات التاريخية ، وهو عمل يمثل في حد ذاته مساهمة عظيمة بالنظر الى العدد الهائل من الكتب العلمية التي استقى منها مادته .

وبعد ذلك ، ظهرت طبعة ثانية في القاهرة وأخرى في بيروت في خمسة أجزاء ولكن هذه كلها طبعات تجارية هي عالة على عمل وستنفيلد العلمي .

القزويني

ولد أبو عبد الله زكارياء بن محمود بن محمود القزويني بقزوين (بين رشت وطهران في

(1) الادب الجغرافي العربي (334/1) .

سنه 600 هـ (1203 م) ، وينحدر من أسرة عربية يرقي نسبها الى مالك بن أنس (ض) استقر بها المقام في العراق العجمي (1) .

وفي سن مبكرة رحل القزويني الى دمشق حيث لقي ابن العربي والأديب ضياء الدين بن الاثير (شقيق المؤرخ الشهير) . والى جانب اهتمامه بالتاريخ والجغرافيا كان القزويني متضلعا في الفقه بحيث انه شغل منصب القاضي في واسط بالعراق ، في عهد الخليفة المستعصم العباسي

وقد توفي القزويني في سن متقدمة في سنة 682 هـ .

والقزويني كاتب يأتي في المكان الأول . وعلى الرغم من اطلاعه الواسع ومعلوماته الغزيرة فهو لايأتي بتحديد ولا يقدم نظرية أصيلة . وقد اشتهر القزويني في الاوساط الشعبية بميله الى منح أهمية خاصة للعجيب والمستغرب الذي يثير النفوس ويبعث الانفعالات . وهذا الاتجاه الذي يعتبر القزويني من رواده ، سيسير عليه عدد من المؤلفين فيما بعد ، وفي مقدمتهم الدمشقي وابن الوردى .

على ان الشيء الذي لا سبيل الى انكاره والذي لا شك انه كان من العوامل التي حببت القزويني للجماهير ، هو أسلوبه الأدبي الذي يتسم بالوضوح وعدم التعقيد ، على الرغم من انه لا يخلو من الدخيل .

وكذلك كانت ثقافة القزويني الواسعة ، التي هي ثمرة الاطلاع أكثر مما كانت نتيجة للمشاهدة ، سببا في الشهرة خاصة بين المستشرقين في القرن الماضي بحيث أن بعضهم يشبهه بهيرودوت ويرون ان كتابه «عجائب المخلوقات» هو «أهم أثر انتجه عربي في العصور الوسطى» (2) وهي نظرية لا تخلو من المبالغة .

ومن هنا ، فلا عجب أن يترجم هذا الكاتب الى عدد من اللغات منها الألمانية والفارسية والتركية . وكتاب «آثار البلاد وأخبار العباد» هو الآخر ، كان يتمتع بشهرة عالمية ، ولو ان حظه لم يبلغ حظ «عجائب المخلوقات» . وقد ترجم هو الآخر الى اللغة الفارسية واللغة التركية .

---

(1) راجع عن القزويني وآثاره ، كشف الظنون (9/1) آداب اللغة (222/3) مقالة أشتريك Strech (M) في دائرة المعارف الإسلامية ، مجلة الشرق (926/8) ، اكرانشكوفسكي (361/1) ، معجم المطبوعات (1507) ، مقدمة كتاب الجغرافيا لابن سعيد ص 49 50 Reinaud, Introduction (I CXLIV).

(2) دائرة المعارف الإسلامية وكذلك (900/11 904) Brown (E) literary History of Peria from Ferdawsi to saadi (II (483)

على أن هذا الكتاب لم يتلق مجهودا كبيرا للدرس والتحليل ، ولربما كان ذلك لان القزويني ينقل كثيرا (1) ولانه يزل بموضوعات متخصصة الى مستوى الجماهير .

ومع ذلك فقد قام كل من وستفيلد ومولر بمحاولات مثمرة لابراز أثر القزويني في التاريخ والجغرافيا ، وكذلك اتضح فيما بعد ، أن نقل القزويني بافراط لا يحط هو الآخر من مزية ، حيث أنه حفظ لنا نصوصا من بعض الآثار التي ضاعت . ومن هذا النوع تلك الاقتباسات التي أخذها ونقلها عن هارون بن يحي بشأن بيربطة ، والشذرات التي أخذها من أبي دلف مسعر وابن فضلان . وكذلك ينقل القزويني عن كاتب يسمى أبا الربيع الملتاني (2) لا نعرف عنه شيئا ولم يرد اسمه في غير ماكتبه ، ويذكرنا بابن فاطمة الذي انفرد ابن سعيد بنقل روايته ، حيث أن الملتاني قام هو الآخر برحلة داخل افريقية .

وفي كتاب عجائب المخلوقات ، يستعرض القزويني المعلومات الشائعة في عصره عن الاجرام السماوية ، ويتحدث عن الملائكة والأرض وما يوجد على ظهرها مثل الماء والنار والرياح والشهب وغير ذلك من الظواهر الطبيعية (3)

ولكن الكتاب الذي يهمنا هنا ، هو آثار البلاد الذي ننقل منه فقرات عن المدن المغربية . والكتاب ظهر في روايتين (4) مختلفتين ، تحمل احداهما عنوان «عجائب المخلوقات» حيث اختلط أمره بالكتاب الذي يحمل أصليا نفس العنوان . والأخرى بعنوان آثار البلاد وأخبار العباد» وهذه الرواية الأخيرة هي التي تقوم عليها الطبعة الأولى التي حققها وستنفلد .

وفي هذا الكتاب يصف القزويني الأرض على أساس الترتيب المعروف للأقاليم السبعة . وفي داخل كل اقليم يصف مختلف البلاد والمدن والجبال والأنهار ويرتبها على الحروف الهجائية .

ووصف القزويني كثيرا ما يتجاوز الجغرافيا ليقدم لنا المؤلف تفاصيل تاريخية عن أسماء الاعلام والرجال .

---

(1) نعرف وستفيلد على خمس كانا نقل عنهم القزويني . وذلك في النصف الأول من القرن الماضي حينما كان عدد المؤلفات الجغرافية المكتشفة صغيرا .

(2) ربما كان هذا الإسم محرفا عن الملياني الذي ينقل عنه ياقوت أيضا كما سبقت الإشارة أعلاه (انظر ص 18 هامش 1)

(3) راجع بشأن مخطوطات هذا الكتاب وترجماته ، دائرة المعارف الإسلامية مادة «القزويني» والأدب الجغرافي العربي المصدر المذكور (362/1) .

(4) الأدب الجغرافي العربي (189/1) .

ومن هذه الزاوية نجد آثار البلاد وأخبار العباد قريب الشبه بمعجم البلدان الذي يأخذ القزويني كثيرا من مادته . ولو أن محصول القزويني في الجغرافيا لا يمكن مقارنته بمحصول معاصره ، ياقوت ، أو حتى بمادة غيره من الجغرافيين السابقين .

ابن سعيد المغربي

ولد ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد بن عبد الملك بن سعيد المعروف بابن سعيد المغربي في الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة 610 هـ (فبراير 1204 م) في قلعة يحصب (alcalaa la real) من اعمال غرناطة ، القلعة التي كانت مقرا لأمارة بني سعيد والتي تحمل اسم الاسرة في بعض الكتب وتسمى ايضا . قلعة بني سعيد (1) .

كان ابوه (موسى) وجده ، عبد الملك ، كلاهما عالما بالتاريخ الادبي والسياسي لشبه جزيرة الاندلس ومولعا بجميع نوادر الشعر والنثر ، وهو ميل سيرثه عنهما علي الذي سيكمل كتابا ضخما بعنوان «المغرب في حلى المغرب» . ولكنه يمتاز عنهما بولعه واهتمامه بالجغرافيا الوصفية والفلكية .

---

(1) راجع عن سيرة إبن سعيد وأسرته وآثاره الأدبية : المقري ، نفح الطيب (ط ليدن 1855—640/10 ، 645) ، شكيب أرسلان ، الحلل السندسية (369/1) ، المنهل الصافي لابن تغربردي (مخطوط بالمكتبة الأهلية بالقاهرة تحت رقم 113 — مجلد 3 ، ورقة 453) ، فوات الوفيات للكتبي (ط بولاق 112/2) بغية الوعاة للسيوطي (ص 357) ، الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (222/3) ، الديباج المذهب لابن فرحون (ص . 308) حسن المحاضرة للسيوطي (320/1 و 244) ، مسالك الأبصار للعمري (مخطوط محفوظ بالمكتبة الأهلية بالقاهرة ج 8 ورقة 382) ، مقدمة كتاب المغرب في حلي المغرب لابن سعيد ، تحقيق شوقي ضيف (1/1—9) ، كشف الظنون (ط القاهرة ، رقم 1823 و 1248) محمد بن شنب ، مادة إبن سعيد في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة العربية — 1 190 200) ، مقدمات لكتب الجغرافيا لمترجم له ، وكذلك

Kramers, The Legacy of Islam (edited by Sir Thomas Arnold and Alfred Guillaum, Oxford, 1931 (p. 102) Blachère (R), Extraits des Principaux Géographes Arabes du Moyen Age , Publication de l'Ecole des Lettres d'Alger, 1932 (p. 276 277) , Pons Boigues (F) Ensayo Bibliografico-Arabigo Espagnoles (1/356 - 357), (1/356 — 35) و (359/1 ، 356/1) لأدب الجغرافي العربي (ترجمة صلاح هاشم)

Wustenfeld (F) die Geschichtreiber des Araber und ihre Werke (p. 136) Reinaud, la Géographie d'Aboulfeda, Introduction (CXLI) , Brock GAL (I 373-BSI 576) , Amari (M) (Nallino) Storia de Musulmani di Sicilia (Secondo Ed. Zione) (I 41-42) Morizi (B, Ibn Said's Beschreibung Von Sicilien Centenario , Palermo , 1910 (I 292 305) , Barthold, Geografia Ibn Said (p. 226 241) , Catalogue des Manuscrits de la Bib d'Oxford , (II 231) Catalogue des Manuscrits de la Bib Nationale de Paris , (AF N. 2234) Lexicon Bibliographicum et Encyclopadicum ed. Flugel , (V 647 note 1248 et p. 499 note (1832) , Iben Khaldoun Hist des Dynasties Musulmanes (II 369)

وبعد ما اتم علي تعليمه الاولي في حصن الاسرة ، أرسله والده الى اشبيلية حيث قضى ردحا من شبابه يتلقى العلم على اعلام زمانه ، مثل الشلوبيني والاعلم البطليوسي وابن عصفور وغيرهم .

ولما عاد الى مسقط رأسه بقي فترة من الزمن يتعاون خلالها مع والده في اعماله الادبية ، ولما قرر الاخير السفر الى الاماكن المقدسة لاداء فريضة الحج (سنة 638 هـ) رافقه ابنه في هذه الرحيلة ، ولكن عليا لما وصل الى مصر ، قرر الاستقرار في مصر القديمة حيث لقى استقبالا طيبا في الاوساط الادبية ، شجعه بدون شك على تأجيل تأديه فريضة الحج الى ما بعد .

وبعد اقامة بضع سنوات ، واصل ابن سعيد سفره الى بغداد ، ووصل الى هذه المدينة ، وهي في اوج ازدهارها الثقافي ، وقبل ان تكتسحها جيوش التتر ، وهناك أتيح له ان يلتقي برجال العلم ، والادب وان يعترف من مكتباتها الزاخرة التي يبلغ عددها 33 مكتبة عمومية .

ومن بغداد ، اتجه ابن سعيد الى حلب عاصمة الناصر ، حفيد صلاح الدين الايوبي ، في رفقة المؤرخ الشهير ابن النديم .

وفي حلب ، أقام مدة في قصر الناصر حيث كان محل الحظوة والتقدير ، قبل ان ينتقل الى دمشق ، ثم الى البصرة ، ثم الى حدود الفرس .

وفي سنة 652 هـ ، أدى علي بن سعيد فريضة الحج ثم قفل راجعا إلى تونس حيث التحق ببلاط ابي عبد الله المستنصر واقام هناك قرابة عشر سنوات .

وفي سنة 666 هـ ، عاد ابن سعيد ادراجه الى المشرق فزار بين مازاره من البلاد ، ارمينيا ، حيث اقام ردحاً من الزمن في ضيافة هولاكو ، أمبراطور التتر ، الذي كان صدى فتوحاته لا يزال يدوى في المشرق والغرب .

وام الفترة الثانية من حياة ابن سعيد ، فيحيط بها ستار من الضباب ، حيث لانعرف شيئا عن اعماله وتحركاته ، بل اننا لانعرف على وجه التدقيق ، حتى تاريخ وفاته . فبينما يقرر الكتبي (1) وابن تغربردى (2) انه توفي في تونس في سنة 673 هـ (1274م) ، يروي

(1) فوات الوفيات (321/2) .

(2) المصدر المذكور (453/2) .

المقري نقلا عن ابن الخطيب (1) وابن فرحون (2) انه مات في دمشق في سنة 685 هـ (1286 م) . وما السيوطي . فقد اورد الشرحيين في كتابين مختلفين ، فبينما يفيد في حسن المحاضرة (3) انه توفي في سنة 685 هـ . فاذا هو يخبرنا في بغية الوعاة (4) انه مات في سنة 673 هـ . وكذلك وقع لحاجي خليفة في نفس الاضطراب فأورد التاريخين في مكانين مختلفين (5) .

ونحن نرجح الرواية التي تقول بأنه مات في سنة 685هـ (6) . لأن نسخة وصلت الينا من كتاب العصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة (تحتفظ المكتبة الاهلية المصرية بنسخة مصورة منها) . مكتوبة بخط المؤلف ، وفي نهايتها انها كتبت في سنة 683 هـ .

من بين الكتب العديدة التي وضعها ابن سعيد ، كتابان في الجغرافيا ، احدهما يعتبر من كتب البديع وهو لا يزال مخطوطا وتحتفظ مكتبة أكسفورد بنسخة منه (7) ، وكتاب جغرافيا الذي قمت بتحقيقه ونشره . وكتاب الاول غير معروف لدى الاوساط العلمية ، بحيث اني لا اعرف أحدا من الباحثين استفاد منه أو أشار اليه فيما عدا الاقتباس الذي أخذه منه فيجان (Fagnan) والذي أشرت اليه ، ورأى هذا العالم في الكتاب مشوب بتحفظ . وأما فقد كان موضع دراسات عديدة بمختلف اللغات ، منذ ان اعلن عن قيمته ريبو في مقدمة ترجمته لتقويم البلدان لابي الفدا .

ومساهمة كتاب الجغرافيا في تقدم الجغرافية العربية ، وفي تاريخ الشرق الاقصى خصوصا، مساهمة كبيرة سبق أن نوهت بها وحللتها ، ولا سيما في مقدمتي لهذا الكتاب ، فان ابن سعيد قد وسع في هذا الكتاب رقعة القسم المعمور من الارض في اتجاه الجنوب حتى اقترب

---

(1) نفح الطيب (642/1) .

(2) الديباج (ص ، 208) .

(3) حسن المحاضرة (320/1)

(4) بغية الوعاة (ص 357) .

(5) المصدر المذكور (رقم 11822 ورقم 1248)

(6) مقدمتنا لكتاب الجغرافيا . ب

(7) راجع مقتبسات منه في Fagnan (F.) Extraits Inedits Rolatifs au Maghreb (p 6 - 26)

من اكتشاف رأس الرجاء الصالح من البرّ ، كما مدد رقعة القسم المعمور في نحو الشمال بصفة مقبرة .

ومساهمة عظمى التي قدمها ابن سعيد بتاريخ والتي انفرد بها ، وهي تلك رواية التي تتعلق باستيطان شعب حمير لجزيرة مدغشقر والتي نوه بقيمتها بحاثة فرنسي (Ferrand)(1) في مقال خاص في المجلة الاسيوية (1) وقد تعرض المستشرق الروسي بارثولد (Barthold) بتقويم كتاب الجغرافيا في بحث قدمه ضمن مجموعة بحوث لأحياء ذكرى العالم دنيال شولصن (Chwolson (D) (2) ، فقال ما نصه :

« ويمثل هذا المصنف بمقارنته بالادريسي وابي الفدا مساهمة قائمة بنفسها . ولم يستطع ابو الفدا والمترجمون والناشرون المتعاقبون استيعاب مادته » (3)

وفيما يتعلق بمساهمة ابن سعيد في التعريف بأوربا الغربية عامة . وفرنسا وهنغاريا خاصة . فقد وصف العلامة أكرانشكو فسكيي ما جاء في كتاب الجغرافيا عنها بانه « غني حافل ولا يخلو من طرافة ، كما لا يخلو منها ايضا وصفه لآسيا الصغرى ومنطقة قسطمونيا بالذات التي كانت آنئذ مركزا للتركمان » (4)

وكذلك وصف بارثولد المعلومات التي يقدمها ابن سعيد عن اوربا الشرقية وآسيا الداخلية بأنها معلومات ممتازة ، ثم يمضي ويفصل قائلا : « انه على معرفة بالروس على سواحل بحر أوف (A/OV) ونهر الدون ، كما وانه يورد تفاصيل عن حمال القوقاز والشعوب المقطنة الى الشمال والشرق ، كالرطاس والغز والكومان والقبجاق » (5) .

وان مساهمة ابن سعيد في التعريف بالمغرب فهي قد تبدو لسطر لاول وهلة صغيرة الحجم ، ولكنه متى تصفحها بعناية ، وجد ان ذلك مرجعه الى عدم رغبة المؤلف في

---

(1) جـ (11) 1907 ، Ferrand , Journal Asiatique. وكذلك يعتمد في كتابه الجغرافي (ص 222 223)، ومقال آخر لفران في نفس المجلة عن شعب الكوان بعنوان Le Kouen Lowen et Les Anciens Navigations Interocean ques dans les Mers du Sud 1919 (14 201)

(2) نشر في برلين في سنة 1899 (Journal Asiatique) ، وهذا البحث يشغل الصفحات 226 241

(3) نفس المصدر (ص 227) .

(4) المصدر المذكور (358/1) .

(5) المصدر المذكور (235—236) .

لأندلس وترديد ما قاله السابقون ، حيث انه اراد أن يقتصر على تقديم عصارة معرفته شخصية ، وهي بالتاكيد علمية وتمثل ما يمكن ان يضيفه كاتب في القرن السابع للقرن مساهمات كتاب القرن الخامس والسادس للهجري ، ويكفي للتدليل على قيمة هذه مساهمة أن الملك اسماعيل أبا الفدا الذي كان يملك النسخة الخطية المحفوظة في المكتبة الأهلية س باريس والتي تحمل تعليقات بقلمه على هوامشها ، قد اعتمد رواية ابن سعيد عن المغرب عندما كتبا ، في تقويم البلدان (1) ، كما سنرى في الشذرات التي اقتبسناها من هذا الكتاب.

وكذلك اماط البحث الحديث اللثام عن دقة معرفته ابن سعيد وجودة معلوماته عن جنوب أوروبا وايطاليا وصقيلية (2) .

وقد اشار اكرا تشكوفسكي الى مساهمة ابن سعيد في التعريف بمدن مثل سالرنو وروما وبيزه وجنوه وبحر البحر لابيض ، مثل قورسيقه وسردينيه فقال ، « انه ورد بشأنها عددا من المعطيات الجديدة مما لم يعرفه الآخرون ، ولعله استقاها من لتجار الاندلسيين والدرقة »(3) .

وهذا الحكم يشبه الحكم الذي اصدره ذلك المؤرخ بروسي الكبير للجغرافيا العربية بشأن مساهمة ابن سعيد في التعريف بشواطئ افريقية الغربية والشرقية التي لم يزرها بنفسه ولكنه استقى مادته عنها من ملاح عربي لانعرف عنه شيئ الاعن طريق ابن سعيد ، اسمه ن فاطمة ، عاش في العصر السابق وتجول في افريقية الغربية حتى نهر السنيغال ، وفي فريقية ، وكان أول مشتكشف عربي بلغت أخباره لجزيرة مدغشقر (4)

---

(1) راجع : Reinaud المقدمة (CXL / 1)

(2) راجع : Amari (M), Storia dei Musulmani di Sicilia

(3) المصدر المذكور (359/1) .

(4) إن مساهمة استكشاف ابن فاطمة لجزيرة مدغشقر وتجواله في شواطئ افريقية الغربية حتى نهر السنيغال (وابن سعيد لم يزد عليه شيئا تذكر) تطرح سؤالا هاما لشك) تطرح سؤالا هاما هاما قصوى في علم الجغرافيا . وقد حظر ببالي منذ سنوات عديدة حينما كنت اعمل بتحقيق كتاب الجغرافيا ، ولكني لم اجرؤ حينئذ على اعلانه كيف وصل ابن فاطمة من جزيرة مدغشقر في المحيط الهندي الى حدوده وبمنطقه ومصب نهر السنغال ؟ هل لسفر بطريق البر عبر الصحراء الشرقية وفريقية الوسطى والصحراء الى شواطئ افريقية الغربية على محيط لاطلسي ، تمثل مغامرة مستحيلة ولا سيما بالنسبة الى رجل وهي ، فضلا عن ذلك لا معنى له ويبقى الفرض لبحري الوحيد الذي لا يرد الآن في مستحيلة سهلة لاختصاصيون . هو ان ابن فاطمة قد درس الرحلاء الصالح . فيكون بذلك قد اكتشف هذه الطريق البحرية قبل البرتغاليين بعدة قرون .

وكتاب الجغرافيا يسير على نمط تقسيم المعمور من الارض الى سبعة اقاليم ، مصدقا بها منطقتان سمى المؤلف أولاهما «المعمور خلف خط الاستواء» والثانية «المعمورة في شمال الأقاليم السبعة» .

وبعد مقدمة وجيزة يعرف فيها المؤلف بالمعطيات الاساسية للجغرافيا ، مثل كروية الأرض التي يحيط بها الماء ، وسرعة دورانها بين الأفلاك الخ ، يمضي فيقدم لنا وصفه من الغرب إلى الشرق مع ذكر طول المكان وعرضه .

* * *

أبو الفدا

ولد اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه ابن ايوب بن شادي نجم الدين الأيوبي سنة 672 هـ (1273 م) بدمشق التي فر اليها أبوه الملك الأفضل وأسرته في وجه التتر . وكان أمير حماة في ذلك الحين (1) .

نشأ ابو الفدا في عاصمة الامويين وتربى فيها ، قبل ان يبدأ حياته العسكرية ويلتحق بعمه أثناء حروبه ضد الصليبيين . ولما مات محمود الثاني الذي لا عقب له في 21 من ذي القعدة عام 698 هـ ، التحق بخدمة السلطان الملك الناصر الذي اصطفاه مدة اثني عشر عاما قبل ان يوليه على حماه التي استقبل بها ، ثم يخلع عليه لقب الملك . وبعد ذلك اصبحت السلطنة وراثية في بيته .

وفي حماة فتح الملك المؤيد ، الذي كان متضلعا في العلوم والرواية والادب وكان يمرض الشعر ، بلاطه للقاصدين اليه من رجال العلم والادب الذين كان يقربهم ويحسن

---

(1) . جمع سيرة أبي الفدا في تقويم الحكمة (1 371) ، البداية والنهاية (4 158) ، فوات الوفيات (1 16) ، النجوم الزاهرة (9/292) ، طبقات السبكي (6/84) ، المحيط للبستاني (2/298) كتاب الاعتبار ، بشر فارس حلو ، جامعة بريستون سنة 1930) ، آداب اللغة العربية (31/177) ، معجم المطبوعات (333 335) ، مقالة بروكلمان في دائرة المعارف الإسلامية (مادة أبو الفدا) ، تاريخ أبي الفدا المختصر في أخبار البشر (المقدمة) وكذا (4/60-62 و104) وكذلك كشف بعض (5 114) وانظر أيضا

Carra de Vaux Les Penseurs de l'Islam , (3) 146 ; Kramars The Legacy of Islam (p. 91)
Blachère (R), Extraits des Principaux Geographes Arabes (p. 291) Amar (M) (Nallino) Storia dei Musulmani (I 58 N. 24) Brock GAL (I 485 N. 8 SBI 887 888) Resahata, Introduction (I XXXVIII) وكذلك ترجمة أبي الفدا التي كتبها بنفسه ونشرها بالفرنسية De Slane
Reinaud Recueil des Historiens des croisade (106)
Wustenfeld Die Geschi. Der Araber (p. 398, Leclerc Histoire de la Medecine Arabe (2 277, 390-391)
Reinaud Recueil des Historiens (133 127/1) وكذلك الأدب الجغرافي العربي لاكراتشكوفسكي des croisades (1 106)

بيبرس . وقد توفي ابو الفدا ، في محرم سنة 732 هـ (اكتوبر 1331 م) بحماة حيث دفن .

وضع الملك المؤيد عددا من الكتب اهمها واشهرها كتاب « المختصر في اخبار البشر » الذي يعرف بصفة بتاريخ أبي الفدا . وصف حسن نظم تاريخ ابن الأثير وانتهى فيه في سنة 721 هـ . وأما تتمة المختصر الى سنة 749 فهو من تذييل ابن الوردي (توفي سنة 750) . وقد طبع هذا الكتاب وترجم الى اللاتينية في كوبنهاغن في فترة 1789 1794 م . ثم طبع مرة اخرى ، ومعه تتمة ابن الوردي في استانبول في سنة 1286 هـ في مجلدين . ثم في القاهرة في سنة 1325 هـ . وكذلك ترجمت قسم منه الى اللغة الفرنسية والانجليزية . والكتاب الاخر الذي له شهرة كبيرة لأبي الفدا ، هو كتاب تقويم البلدان « الذي نشره المستشرق رينو(Reinaud J) بتعاون مع دوسلان وترجمه الى اللغة الفرنسية

عظيمة الفائدة تقع في سفر مستقل عن النص

صنع ابو الفدا في تصنيف كتاب تقويم البلدان » ، لانه كان يرى ان المؤلف في الجغرافيا حتى عهده لا يفي بغرض المطلب فاس حوقل لم يضبط الاسماء ولم يذكر العروض والاصول وكتاب الشريف الادريسي وان جرد لبه غزيرة عن تحقيق الاسامي والكتب التي وضعت لتصحيح الاسماء ككتاب الانساب للسمعاني ، ومشترك ياقوت وغيرهما . تشتمل على تحقيق الاسماء وضبطها دون ان تتعرض للاصول والعروض . وبعض البلاد ضبطت مجهولة على الرغم من كثرة الكتب التي وضعت في الجغرافيا فان فيها بعض . مثلا . مع كثرة مدنه لم يقع الينا من اخباره سوى الشاذ والنادر وهو غير محقق . »

والأمر كذلك بالنسبة الى الهند وبلاد اسعد واحركس وابروس والسرب والقوق والتكرور الخ (1) .

وكتاب تقويم البلدان الذي وضع لنفسه هذا الغرض ، حفظ على نسخة تقويم البلدان في تسعة اجزاء لابي الحسن علي بن حرمة (2) ، ورتب على نفس الاقليم المعروف مع ضبط الاصول والعروض . وقد ذكر ابو الفدا في كتابه هذا ما لا يقل عن 623 بلدا عدا ما ذكره في الهوامش (3)

(1) كشف الظنون (468/1) .
(2) راجع وصفه في نفس المصدر (467/1) .
(3) راجع Blachère المصدر المذكور (ص 291) .

وقد وقع كتاب تقويم البلدان في يد الملك محمد علي (الشهير بسباهي زادة سنة 997) فقام بترتيبه على الحروف الهجائية واضاف اليه ما التقطه من الكتب وسماه «اوضح المسالك الى معرفة البلدان والممالك» وهداه في سنة 980 هـ ، إلى السلطان مراد خان .

وكتاب تقويم البلدان ينقسم الى قسمين متساويين احدهما اكثر اصالة من الاخر (1) ففي القسم الاول ، يقدم المؤلف المعلومات الاساسية المعروفة في عهده عن تقسيم الارض وعلى حظ الاستواء والاقاليم السبعة والقسم المعمور من الارض الخ .

واما القسم الثاني ، وهو الاكبر فينقسم الى 27 قسما فرعيا كرسها المؤلف للكلام عن المناطق الجغرافية ، وبعض البلاد التي تسمى الاقاليم . ويجري وصف هذه البلاد حسب الترتيب التالي :

بلاد العرب ، مصر ، المغرب ، السودان (اي بلاد السود) ، الاندلس ، بحر البحر الابيض المتوسط وبحر المحيط الأطلسي ، بلاد الفرنجة ، والترك والشام والعراق خوزستان ، فارس ، كرمان ، سجستان ، السند ، الهند ، الصين ، بحر الشرقي ، الروم ، آسيا الصغرى ، أرمينيا ، العراق العجمي ، الديلم ، طبرستان ، خراسان ، الغور ، طخارستان ، خوارزم ، ما وراء النهر .

ويهد التقسيم الأصيل الذي لم يسبق اليه ابو الفدا ، حدد هذا المؤلف عن منهج الادريسي وعن تقسيم مؤلفه المفضل بن سعد المغربي ، الذي سار ، كما رأينا على نمط الاقاليم الفلكية . وفصل عنه تقسيم المعمور من الارض الى اقاليم جغرافية .

وفي داخل هذه الاقسام ، يرتب المؤلف معلوماته عن البلاد وسكانها ومنتجاتها وعاداتها الخ ، ترتيبا حسنا ، هو بدون شك ، افضل من ترتيب الاقاليم الفلكية الذي يجزئ البلد الواحد الى عدة قطع . وهذه الاقسام تتفاوت من حيث الحجم تتفاوت مساحة كل بلد وأهميته الجغرافية وتبعا للمادة المتوفرة لدى المؤلف .

والنقطة الاخرى التي تميز بها ابو الفدا ، هي انه يذكر مصادره التي استقى منها معلوماته في كل مكان ومن هنا فان مراجع ابي الفدا معروفة لدينا بدقة : الاصطخري وابن حوقل والادريسي ومعجم البلدان لياقوت ، وخصوصا ، كتاب الجغرافيا لابن سعيد المغربي الذي ينقل عنه الى جانب المادة الوصفية ، الاطوال والعروض .

(1) الأدب الجغرافي العربي (128/1) .

وكذلك ينقل ابو الفدا عن بعض المؤلفين الذين لم تصلنا مصنفاتهم مثل الذهبي وهو من جغرافي العهد الفاطمي .

وقد وجه ابو الفدا اهتمامه الى الجغرافيا الفلكية ، ولكن الجغرافيا بوصفه خطت عنده بصفة خاصة وهو في هذه الناحية يعتمد على كتاب المسعودي سيروي ، وكتاب الجغرافيا ، لابن سعيد ، كما قلنا .

وبلاد الشام هي التي تحتل ـ بطبيعة الحال ـ مكانة لاولى من الاهمية في وصف ي الفدا وتليها ، الجزيرة العربية ومصر .

وفيما يتعلق بأوروبا ، فان وصف ي الفدا يعتمد على بعد المصادر المعروفة وكان وصفه للمناطق الجنوبية في قريتيه يقتصر على ما سجله بعض المتقدمين .

وفيما يتصل بالصين التي لم يزدد يوضح معالمها ويكشف غوامضها . فان المعلومات التي اضافها تتسم ببعض الخلط والاضطراب . وربما كان مرجع ذلك الى المصادر التي حصل عنها (1) .

وما المعلومات التي يقدمها عن المغرب فهي تتسم كما سيتضح فيما من الاقتباسات التي حدثاها من تقويم البلدان ، بحس التنظيم والتركيب ، ولكنها لا تكاد تضيف شيئا يذكر الى وصف البكري والادريسي وابن سعيد ولربما كان ذلك مرجعه ان هؤلاء المؤلفين قد قدموا كل ما يستحق التقديم ، وذلك من ناحية الوصف والمعطيات الفلكية معا ، مع العلم بان الفترة التي كانت تفصل بين ابي الفدا وابن سعيد ، كانت فترة قصيرة نسبيا .

التحـــانـــي

هو ابو محمد عبد الله بن احمد التحاني الذي ينحدر من اسرة من بني تحان (بكسر

(1) راجع Kimble(G H T)Geography in the Middle Ages(p 60-62)

لتاء) ، من قبائل المغرب الاقصى (1) . رحل جده ابو القاسم ، مع جيش الموحدين الفاتح لتونس (2) .

ولد أحمد التجاني ، أبو الرحالة ، بتونس في تاريخ لا يمكن تحديده على ضوء المصادر التي بين أيدينا . ونراه في عاصمة الدولة الحفصية التي تولى وظيفة الإنشاء في أحد دواوينها ، قبل أن ينتقل الى مدينة بجاية ، استجابة لدعوة ميرها ابي زكرياء سنة 684 هـ .

وقد بقي التجاني يتردد بين بجاية وقسنطينة حتى ولاية الامير ابي يحي زكرياء اللحاني مشيخة الموحدين ، بتونس وأسند اليه منصبا عاليا ، فيما يبدو ، في ديوان الرسائل بتونس .

وفي هذه البيئة الادبية والعلمية ولد صاحب الرحلة ، عبد الله ، بتونس ما بين سنتي 670 و675 هـ (1272 — 1276 م) .

وبعدما قرأ على عدد من كبار العلماء الذين من بينهم ابو بكر العوفي ، واحاروه في مختلف العلوم والآداب ، انخرط في سلك الكتاب في ديوان الانشاء ، مثل ابيه ، في عهد السلطان محمد المعروف بابي عصيدة ، في بداية القرن الثامن ، ثم اصطفاه السلطان ابو يحي ، شيخ موحدين ، وقربه

وعندما عزم السلطان على السير لمحاربة الاسبان المعتصمين لجزيرة جربة في منتصف سنة 708 هـ ، عين عبد الله مرافقته وكلفه بمهمة الاشراف على رسائله

والرواية التي تتصل بسيرة التجاني في المرحلة التالية يشوبها الاضطراب ، قبل ان تختفي اخباره تماما ، عقب الاضطرابات الدموية التي وقعت في سنة 707 هـ ، اثر خروج السلطان ابي الليحاني من تونس ، وهزيمة خليفته ، محمد ابي ضربة ، على يد الامير ابن يحي ، بل ان اخبار اسرة التجاني العريقة ، كلها ستختفي بعد هذه الاحداث والمؤرخون يفترضون ان يكون جميع افراد الاسرة قتلوا أو فروا من تونس وظلوا متسترين بعد ذلك .

(1) يجب عدم الخلط بين التجاني صاحب الرحلة وأحمد بن محمد بن المختار التجاني (1150—1223 هـ) شيخ الطريقة التجانية بالمغرب ، وصاحب تصريحين ماضي الذي خربه الأمير عبد القادر .

(2) راجع عن التجاني ، الضوء اللامع ، للسخاوي (126/2) ، مقالة التجاني في دائرة المعارف الإسلامية بقلم بليسنر Plesser (E) ، كشف الظنون (2623) ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (ص 51) ، نفح الطيب (4 20 21) بين الإبتهاج بتطريز الديباج (ص 81) ، درة الحجال في أسماء الرجال لابن القاضي (ص 1 41) ، وخصوصا ، مقدمة حسن حسني عبد الوهاب لطبعة الرحلة التي نشرتها كتابة الدولة بخزينة القومية والشباب بتونسية في سنة 1958 ، وكذلك Attali (M) (Nuhno) Storia dei Musulmani والأدب الجغرافي العربي (383/1 384) 180-81), Brock , GAL ,II 257, N t , SB II 368)

وقد ترك عبد الله التجاني عددا من المؤلفات في النحو والصرف والحديث والترجمة والأدب ، اورد المرحوم حسن حسني عبد الوهاب قائمة لها في مقدمته التي سبقت الاشارة اليها للرحلة (1) .

والرحلة نفسها تذكرنا من حيث المحتوى والأسلوب أيضا ، إلى حد ما ، برحلة العبدري التي سنتحدث عنها في الصفحات التالية ، ودليلنا لان الرحلة التونسي يعني هو ايضا ، عناية كبيرة برواية الشعر والتعريف بالنابغين من الفقهاء والادباء والقواد والصلحاء من معاصريه من ابناء البلاد التي زارها ، ولكن التجاني يتجاوز اهتمامه الادب والرواية الى الوصف الجغرافي الدقيق ، فيتحدث عن المدن وما فيها من العمران وعن القبائل ومواقعها واراضيها وعاداتها وتقاليدها .

وهذا التنوع والتدقيق في الوصف يجعل الرحلة طريفة ومفيدة في نفس الوقت ، والرحلة فيما يتعلق بوصف تونس ، والتعريف بعمرانها وبحياتها الاجتماعية في أوائل القرن الثامن هجري ، تبدو ، كما قال حسن حسني عبد الوهاب ، « وكأنها فريدة من نوعها » (2) .

خرج التجاني في رحلته هذه في رفقة مخدومة ، ابي يحي زكريا بن اللياني ، من تونس لاداء فريضة الحج في سنة 708 هـ (1309 م) وسار على الساحل التونسي الى صفاقس ، ثم برقة ناحية قابس وجزيرة جربة ، ثم دخل الواحات الجنوبية بقسميها الشرقي (مطماطة وقبلاوة) ، والغربي (بلاد الجريد) . وقطع سبخة تاكمرت ، ثم دخل الاراضي الصرابسية ومر بوزرة رواعة واقام مدة بمدينة طرابلس حيث فارق التجاني الامير الموحدي لأسباب صحية وسياسية معا ، وبعد ذلك عاد الى تونس ، سالكا ، طريقا غير الطريق التي سلكها من قبل .

والى جانب المعلومات الادبية والتاريخية والوصف الجغرافي الذي يعرضه ، يقدم لنا التجاني وثائق تاريخية ورسائل معاصرة مهمة بنصوصها الاصلية ، وهو الامر الذي تفرد به هذه الرحلة عن جميع المعاصرين والسابقين له .

انه لمن المؤسف حقا ان نجد ان رحلة التجاني لا تتناول بالوصف سوى المناطق التي تمتد في جنوب مدينة تونس وشرقها على طول الساحل ، حتى مسراته ، ولكن ضيق الرقعة

---

(1) المصدر المذكور (ص 32—33) .
(2) المصدر المذكور (ص 41) .

تي شملها الوصف وبطء سير الرحلة ، كانت من العوامل التي ساعدت التجاني على التركيز وعلى اثراء وصفه بالتفاصيل ، حيث تمكن من زيارة الآثار لمعالم والتجول في المدن ودرس الحياة الاجتماعية والوقوف عند كل ما يمكن ملاحظته موقف الباحث ، وليس موقف السائح المتجول

واسلوب التجاني ادبي صرف ، ولكنه لايشتمل على القرىء ، مثل العبدري ، بل طغت عليه الحصية وبمحاولة ابراز تضلعه في الادب ومهارته في قرض الشعر

وهذه الخصائص هي التي جعلت التجاني الى حد ما يغفل عنه في عدة اجزاء من كتاب العبروالى غيره من القراء والكتاب (1)

وكذلك حظي مكتبته التجاني عن حريرة جزيرة وصفية بعديه وتقدير عالم حديث متخصص في المخطوطات التي تتصل بصقلية ، وهي بحث العلامة مدري ، الذي اورد في كتابه ، المكتبة العربية الصقلية» اقتباسات أحدها من مختصر قسم مخصوصة رحلة التجاني (2)

العبـــدري

يبحدر محمد بن محمد العبدري ، ابو عبد الله ، من سلالة بني عبد الدار من قصي وينتمي إلى مدينة بلنسية بالأندلس (3) ، ولكنه أقام مدة خلال الفترة التي سبقت رحلته في لصويرة (موجدور) حيث ترك سرته عند قبيلة جزوله عند الشروع في رحلته . وكذلك قام مدة من الزمن ، في قرية تقع على الطريق بين بسكرة وتوزر .

---

(1) رجع ، الأدب العربي في المغرب (1 383) ومقاله نشر في دائرة المعارف الإسلامية (مادة التجاني)

(2) المكتبة العربية الصقلية (ص 375—403) .

(3) رجع عن العبدوي ورحلته تونس لابن أبي دينار (ص 18 ، مقدمة أحمد بن حدو لطبعته برحلة العبدوي ، وكذلك برحلة نسب في عدة أماكن ، جدوة الاقتباس (ص 179) ، الرحلة المسمى (ص 132) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (3 128) ، الرحلة الورتلانية (في عدة مواضع) ، مقالة محمد بن شنب في دائرة المعارف الإسلامية (مادة العبدوي) ، شجرة النور (ص 217) ، استشهد به المقري في نفح الطيب في عدة أماكن (راجع فهرس طبعة إحسان عباس) الأدب الجغرافي العربي (1/367 — 368) ، وكذلك :

R[illegible] (I XXX VI) Pons Boigues Les [illegible] Bibliografia Arabigo [illegible] Valencia Cl[illegible] Hist[illegible] from Herat to Omar Khayam (2 165 66) Mo[illegible] Arabes [illegible] Paleo[illegible] Hist[illegible] p 20, [illegible] M (Nobel) Storia dei Musulmani (I 56, N 261) Brock , GAL (II 83, N° 1, SB/95)

بدأ العبدري في رحلته في رفقة ابيه لاداء فريضة الحج في سنة 5688 هـ ، (1289 م (1) عن طريق ولايات الشرقية للمغرب الاقصى ثم الجزائر وتونس . ثم برب بمصر ، ومن هناك رافق قافلة الحجاج الى مكة المكرمة .

وبعد اداء فريضة الحج رجع العبدري الى مصر عن طريق فلسطين ، فاقام بها وقتا كما قام في القاهرة والاسكندرية ، ثم قفل راجعا الى بلده عن طريق الجزائر وتلمسان وفاس ومكناس ، حتى بلغ أزمور التي تقع على شاطىء المحيط الأطلسي ، حيث لحقت به أسرته .

اكتشفت الاوساط العلمية قيمة رحلة العبدري في وقت مبكر نسبيا ، حيث قام العالم شارل بيلو بنشر شذرات منها في سنة 1854 م (2) . ولكن العبدري أهمل بعد ذلك قرابة قرن من الزمن ، وكان حظه في ذلك حظ معاصره التجاني الذي سبق الحديث عنه . وعندما انتعش الاهتمام به في سنة 1940 م على يد هونرباخ (Hoenerbach) لم تكن الدراسة التي اسفر عنها في متناول جمهرة الباحثين بحيث ترفع من ستار الجهل الذي يحيط بالرحلة في العالم العربي ، وإنما هي ظهرت في دورية متخصصة تصدر في هموبرج (3) على أن طبعة ظهرت مؤخرا بالجزائر لرحلة العبدري سدت هذا النقص ، وذلك على الرغم من ان هذا العمل كان يمكن أن يتم بعناية أكبر وبطريقة علمية اوفى (4) .

والنص المطبوع لا يشتمل لا على وصف شمال افريقية ولكن المعروف ان رحلة العبدوي تتناول مصر وغيرها من البلدان الشرقية ، ولو أن وصفه لهذه البلدان الشرقية هو ، فيما يبدو ، اقل اهمية من وصف المغرب (5) . والمحقق للنص المطبوع لا يسير الطريق ماما لحل هذه المعضلة

ومهما يكن من أمر ، فان الرحلة التي بين ايدينا ، هي اقرب الى المؤلفات الادبية منها الى المصنفات الجغرافية ، وذلك على الرغم من ان المؤلف يزودنا بالمعلومات الجغرافية الهامة

---

(1) هذه هي الرواية التي اعتمدها عدد من الكتاب وفي مقدمتهم شارل بيلو واكراتشكوفسكي، وأما ابن حدو فقد ذكر في مقدمة طبعته للرحلة أن العبدوي ترك ولده بالمغرب .

(2) Cherbonneau : Notices et Extraits du Voyage d'El Abdery a Travers l'Afrique Septentrionale au VII Siècle de l'Hégir, Journal Asiatique, 5e serie 1854, p. 144 - 176

(3) Hoenerbach (W.) Das Nordafricanische Steneral des Abdari ZDMG 94 3, 940

(4) بشر وتحقيق ابن حدو وقد يعني أن طبعة أخرى أكثر حجما وأدق تحقيقا ظهرت في المغرب الأقصى ، ولكني لم أوفق للحصول على نسخة منها .

(5) راجع ما قاله إبن شنب في دائرة المعارف الإسلامية . الطبعة الأولى (مادة عبدري) .

عن الأماكن والمدن التي أقام بها أو مر بها ، والآثار التي شاهدها . ونظرة عابرة إلى هذا النص تقنعنا بأن هتمام الكاتب لا يتجه الى الانتاج الاقتصادي والتجارة والسياسة وغير ذلك من لون النشاط الحضاري . وانما هو يتجه الى رواية وتراجم العلماء والادباء وفي الشعر بصفة خاصة ويحق لنا الرحلة اقرب الى أن تكون تقريرا نقديا يعكس الى حد ما الحركة الادبية والعلمية في البلدان التي مر بها ، فضلا الى عمل من نوع الذي عوده عليه الجغرافيون والرحالة العرب .

والشيء الاساسي الذي يميز رحلة العبدري هو لاسلوب الادبي الرشيق والشيق والملاحظة الدقيقة والمعرفة بسير الرجال . ومن هذه الروية ، يمكن أن نعتبر من أهم جوانب الرحلة كونها مصدرا عديد من التراجم المغربية من العلماء والادباء ، مما يكمل طبقات ابي العرب وبرنامج التجيبي القيرواني ومن ضمن التراجم التي تقدمها الرحلة ، ولا توجد فيما نعرف في غيرها ، ترجمة ابي الحسن بن القاسم بن ناديس القسنطيني الذي تباحث معه المؤلف وقيد اسمه (1)

وربما كان هذا الميل الى الناحية الادبية في وقت كانت الحركة الادبية فيه خامدة في المغرب ، هو سبب اهتمام الباحثين لرحلة العبدري طيلة هذه الاجيال ومؤلف بعد . لا يخلو من بعض شخصيته فيما يرويه ويقيمه ، بل أن هذه الشخصية تبدو بارزة لاوضح وهلة . وهي تستهدف لنظر كثير من لرواية المنقولة نفسها والرحلة تزخر بالابيات الشعرية والقصائد التي نظمها رحالتنا والتي يسجلها بمناسبة وفي غير مناسبة .

القلقشندي

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي ، صاحب صبح الاعشى (2) ، مؤرخ وبحاثة ، ولد بمصر سنة 756 هـ (1355 م) (2) وتوفي في سنة 821 هـ (1418 م) . وهو ينتمي الى بيت يتوارث افراده العلم ابا عن جد .

(1) الرحلة (ص 29)

(2) رجع عن القلقشندي ، ضوء اللامع (8 2) ، الدارس نعه (3 133) ، فهرس التمهيدي (ص 417) ، كشف الظنون (5 122) ، معجم المطبوعات (1521 1522) ، خطة الشرق (9 516) ، شذرات الذهب (4 163) ، مفتاح السعادة (2 78) ، وكذلك Brock (GAL SB 2 168) لأدب العربي في [illegible] (1 415 421) ، فهرس كتب صبح الأعشى ومقدمة محمد عبد العزيز [illegible] ، معجم [illegible] Demombynes [illegible] 317 1 ,

اشتهر القلقشندي منذ القديم بعدد من الكتب المهمة في التاريخ والأدب والأنساب . ولكنه لم يعرف حقيقة في الدوائر العلمية في اوربا الا منذ القرن التاسع عشر . ولربما كان مرجع تأخر شهرته الى ضخامة موسوعته ، صبح الاعشى ، التي هي اهم مؤلفاته فان العلماء المهتمين بالعلوم العربية لم يتمكنوا من تكوين فكرة اجمالية عن هذا الكتاب الا بعد نشره كاملا بمعرفة العالم المصري المحدث ، احمد زكي باشا في سنة 1913 (1)

تلقى القلقشندي علومه الاولى بالاسكندرية ، وبعد اتمام تعليمه تولى تدريس الحديث والفقه في سن مبكرة (18 هـ) ، ولكن اهتمامه كان يتجه بصفة خاصة ، الى درس بعض المسائل العربية ، فوضع كتابا في ذلك بعنوان ، «نهاية الارب في معرفة قبائل العرب» (2) .

وهذا الكتاب ، كمله وزاد عليه ونشره العلامة العراقي ، السويدي ، في وائل القرن التاسع عشر (3) .

وفي عام 791 هـ ، التحق القلقشندي بديوان الانشاء وظل مرتبطا به بعد ذلك حتى وفاته .

وقد القلقشندي للعمل في موسوعته الكبيرة بعد دخوله ديوان الانشاء ، وكانت نيته لاصيه وضع كتاب يستعين به موظفو الدواوين ، فسماه «صبح الاعشى في صناعة الانشاء» وقد استمر يضيف اليه وينقحه حتى وفاته .

وقد رأى ضخامة حجم هذا الكتاب ودرك صعوبة تداوله ، وضع له مختصرا بعنوان : «ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر» (4) .

وهذا الكتاب (الاصلي) يتميز بضبط المادة وحسن تبويبها ويشتمل على ملخص للمعارف الانسانية كما كانت في عصر المؤلف ، مما يحتاج اليه المثقفون ، وكتاب الدواوين فهو يفيد مصر كاملا مصر والشام وجميع الدول التي تربطها علاقة بمصر ، ويشمل النظم السياسية والادارية واساليب المعاملات ونماذج المكاتبات الديبلوماسية ، بل ان المؤلف لا يفوته كذلك أن يتحدث عن انواع المداد والقرطاس والقلم الخ .

1. أعيد طبعه في سنة 1963 ، كما قام بوضع فهرس له مؤخرا محمد قنديل البقلي
2. انظر فهرسه للآداب في قسم الآداب ، بالسويدي
3. معجم المطبوعات (1523 هامش)
4. الأدب الجغرافي العربي (419/2)

وبقسم « صبح لاعشى » من حيث التبويب الى عشرة اقسام كبيرة غير متساوية الحجم . وفي الاجزاء الاول حتى الثالث ، يعالج ما يحتاج اليه الكاتب مما يتعلق بالخط والنحو والصرف والبلاغة الخ . ويتناول المؤلف في الجزء الثالث الى الخامس المعلومات التي تتصل بالجغرافيا والتاريخ . وفي الجزء الخامس والسادس يتعرض للناحية الشكلية في الكتابة وللكنى والالقاب والضبع الخ . وفي الجزء السادس حتى الجزء التاسع يعرض انماط المكاتبات وانواع الرسائل والوثائق .

وفي الجزء التاسع حتى الثاني عشر يقدم لنا المعلومات النظرية ونماذج تطبيقية للولايات والعهود والبعثات وغير ذلك من السنود الادارية العليا . وفي بقية الاجزاء يعرض الكتاب ماده متنوعة من عقود الصلح واليمين والاقطاعات الخ .

وفي الخاتمة يبحث المؤلف في شئون المواصلات والنقل (مثل نقل الثلج المحمد من الشام الى مصر على ظهر الجمال) واستعمال الاشارات النارية الخ .

والكتاب يعتبر عيه انقل من الجغرافيين والكتاب السابقين ، وخصوصا عن العمري . مع ذكر اسماء المؤلفين والمراجع في الاغلب ، وهو يحتوي على رصيد ثمين من المعلومات المتنوعة في مختلف الموضوعات ، كما اشرنا . ولكن عرضه الجغرافي يتركز بصفة خاصة في مصر ، ويبدي هذا الوصف من حيث الاهمية ، وصف الشام ، ثم وصف الحجاز الذي كان يقع تحت نفوذ مصر في عهد المؤلف .

وبعد ما يتناول بالوصف المفصل ايضا ، ايران واليمن وعمان والهند ، يعود الى الحديث عن البلاد الواقعة في غرب مصر وفي جنوبيها وشماليها .

ويبدأ القلقشندي وصفه بشمال افريقية طرابلس وتونس وبنيها المغرب الاوسط وقصبته ، تلمسان ، ثم المغرب الاقصى أو بر العدوة .

وبعد ذلك ينتقل الى اوروبا يصف الاندلس وبلاد الفرنجة (فرنسا) وجليسيا ونوماردية وشعوب بحركس وتوقار الخ

وفيما يتعلق بالمغرب فان وصف مكتب لا يكاد يضيف شيئا يذكر الى ما نقله عن الجغرافيين ما استثنينا ملاحظات تفصيلية هنا وهناك . ولكل مكتب في مجموعه يضم ماده تجعله جديدا بالوصف الذي وضعه عليه اكرتشكوفسكي حين يقول « فهو بهذا يعد مصدرا فريدا » وانه « يمثل ظاهرة فريدة في بابها في مجال الادب الجغرافي » (1)

(1) الأدب الجغرافي العربي (420/1) .

الباب الأول
مدن المغرب الأقصى

سبتـــة (1)

ابن خـــرداذبـــة :

ومدينة سبتة الى جانب الخضراء . وملك سبتة اليـــان *

الهمذاني :

ومدينة سبتة الى جانب الخضراء . وملك سبتة اليان .

ابن حوقـــل :

ومنها إلى مدينة سبتة . وهي لطيفة على نحر البحر . وبها بساتين وأجنة تقوم باهلها مؤها من داخلها يستخرج من آبار بها معين . ومن خارجها أيضا من الآبار شيء كثير عذب . مرسي قريب الامر. وقدتقدم أن بها معدنا للمرجان صالحا يعمل فيه قوبيرات لطاف . وهي وقتنا هذا لبني أمية ولم يكن لهم في عدوة المغرب غيرها . ولها من ظاهرها بربر يأحد صداقتهم ولوارمهم وحراجهم من كان واليا عليها . وكذلك من كان بمرسى موسى في ضمنهم . وكأني بها راجعة الى مولانا عليه الســـلام .

---

(1) . رجع إلى حديث ... رجع بعرته المقتبس منه ومرجع الأحاسة التي وردذكرها عند البحديث عن مدينة فاس ومراكش
H.de la Pernaudie Vrles maritimes du Maroc Badgett Mackin The Land of the Moors
وكذلك وصف يحيى بن محمد الوزان في «وصف افريقيا» ج 1 . ص مسل . تحفة الملوك (مخطوط في مكتبة اكسفورد) ورقة 108 ـــ 111 .

(*) في طبعة ليدن : ليمان .

المقدسي

وسبتة على اقاق بحر الاندلس ترى منها السرين . وهي احد المعاقل المشهورة

البكـــري

وهي (سبتة) على ضفة البحر الرومي . وهو بحر الرقاق الداخل من البحر المحيط وهي في طرف من الارض دخل من المغرب الى الشرق ضيق جدا . والبحر محيط بها شرقا وشمالا وقبلة . ولوشاء ساكنوها ان يوصلوه من ناحيه الشمال لوصلوه . فتكون (المدينة) جزيره منقطعة . وقد حفر من تقدم في ذلك الموضع نحو عشرين وهي مدينة كبيره مسورة بسور صخر محكم البناء . بناه عبد الرحمن الناصر لدين الله وحماماتها يحمل اليها الماء على ظهر من البحر وبمدينتها حمام قديم يعرف بحمام خالد . ولها بابان من جانب الشرق فيه ثلاث حمامات . وجامعها على البحر القبلي معروف بجامع البحر فيه خمسة بلاطات . وفي صحنه جنان ولها منبرة في الجبل . ومنبرة اخرى بحوفيها على بحر البرسة . وأهلها عرب وبربر فعربها تنسب الى صدف وبربرها من ناحية صنهاجة وبنصرة . وهم تحت دار علم وفي شرقيها جبل منيف كان محمد بن أبي عامر ينتدب فيه بناء سور لم يتم وهذا الجبل مشرف على الربض المذكور الذي فيه الحمامات . وفي شرقيه كروم وبها الامارة في جوفي مدينة وصولها من السور الغربي الذي يدخل منه مدينة قاطعة الى آخر الجزيره خمسة ميل . والمدينة في الجانب الغربي منها وسورها الغربي تسعة ابراج . والباب في البرج الاوسط ويبتدئ هذا السور سور ضيف يستتر الرجل ويتصل به خندق عميق عريض عمقه قطوة خشب أعلاه بستان واسع ومنبره والسور القبلي على أشرف عليه وهو قوي ومحكم فيه تحصين ولها باب بحري معروف بباب البحر يعرف برج سابق يدخل منه الى دار الامارة وفي جانبه من السور الغربي الى ان في الجانب الجنوبي منه مدينة قديمة يسكنها الان من بقي من كتامة وجماعات وبقايا من . وهي مع جملة البحر تشرف على كتامة التي هي اعظم جامع . وكان صاحب بناء هو ابو بكر جعفر بن يزيد وصاحبه بن الاندلس قد عمر عقبه بن نافع الفهري أرض طنجه وسد الى سبته جزء ابيه بناء ما يحتاج وعمل له في الاعياد فرشه وقره في موضعه . ثم دخلها العرب بعد ذلك بالصلح وغيروها . ثم قام عليهم بربر صلحه فاخرجوهم منها وقهروها وبنيت حرب بعمرها الجيش ماء ثم دخلها جل من كتامة يسمى محكر وكان

مشرك فعمّرها وأسلم ورأس فيها ، ثم وليها بعد هلاكه ابنه عصام ، ثم ابن ابنه محمد بن عصام وفي دولته دخلها قوم كثيرون من أهل كلشانه (1) أيام المحمل فاشتروا من البربر وسكنوا فيها وتوطنوها وكثروا مع ذلك يؤدون الطاعة الى قريش العدوة من الحسنيين حتى فتحها عبد الرحمن الناصر لدين الله ووالدها الرّضى بن عصام بعد موت أخيه محمد ودخلها عامله وقائده وزج بن عمير يوم الجمعة في صدر ربيع الأول في سنة تسع عشرة والمسلك من سبتة الى طنجة على طرف وهي مساكن قبائل مصمودة كلها .

الادريسي

وأما مدينة سبتة فهي تقابل الجزيرة الخضراء ، وهي من سبعة أجبل صغار متّصلة بعضها ببعض معمورة صورها من المغرب الى المشرق نحو ميل . وتتصل بها من جهة المغرب وعلى ميامن مرسى موسى وهذا الجبل منسوب لموسى ابن نصير ، وهو الذي كان على يديه افتتاح الأندلس في صدر الاسلام . وتحاوره جنان وبساتين واشجار فواكه كثيرة وقصب سكّر واترج وينحدر به الى ما حاور سبتة من البلاد لكثرة الفواكه بها ويسمى هذا المكان الذي جمع هذا كله بلوبش . وبهذا الموضع مياه جارية وعيون مطردة وخصب رائد . وبني المدينة من من جهة المشرق جبل عال يسمى جبل المينة . واعلاه سبيط وعلى اعلاه سور بناه محمد بن ابي عامر (2) عندما حاز اليها من الاندلس وأراد أن ينقل المدينة الى أعلى هذا الجبل ، فمات عند فراغه من

---

(1) في نص بكري فسكانه (وكان نص الادريسي في ترجمة دوسلان يحمل Calchana كلشانة) وهو تحريف وصح وكان بكري قد تحدث عن مدينة جزي باسم كلشانه تقع على مسافة 12 ميل من قلعوان وكلشانة تعرف ورد ذكرها في نفح الطيب وغيره (رجع تعليق دوسلان ترجمة 205 هامش 1) .

(2) هو محمد بن عبد الله بن أبي عامر المعافري ، الملقب بالمنصور . دخل جده ، عبد الملك الأندلس في أوائل الفتح وسكن بنو عامر الجزيرة الخضراء حيث ولد محمد ولما بلغ سن الصبا رحل إلى قرطبة وتقرب من الحكم المستنصر الذي ولاه عدة مناصب وقد أبدأ كثيرا من البراعة والحصافة وستمر معه في صعود حتى أصبح من أعظم رجالات الدولة وتوفي وفاة طبيعية بحكم في 2 صفر ، 366 هـ (سبتمبر 976 م) استولى المنصور بن أبي عامر على الحكم

راجع ابن الأبار ، الحلة السيراء ، 268/1 277 ، عبد الله عنان ، دولة الإسلام 470/2 ، سالم عبد العزيز ، تاريخ المسلمين ، ص ، 324 ، فيليب حتى ، تاريخ العرب ، 643/3 ، المقري ، نفح الطيب ، (طبعة ليدن) ، 1 375 وما بعدها ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص 27 ، ابن سعيد المغربي المغرب في حلي المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، 1955 ، ابن عذارى ، في أماكن متفرقة من البيان المغرب ج 3 ، ابن حيان القرطبي ، المقتبس في أخبار بلد الأندلس تحقيق الدحجي ، في أماكن متفرقة ولا سيما ص 41 43 و 49 52

سبب سواد وعجز أهل سبتة عن الانتقال الى هذه المدينة المسماة بالمليلة . فمكثوا في مدينتهم وبقيت المليلة خالية وأسوارها قائمة وقد نبت حطب الشعراء فيها. وفي وسط المدينة عين على عين ماء لطيفه لاكنها لاتحف البتة .وهذه الاسوار التي تحيط بمدينة المليلة تطهر من عدوة الاندلس لشدة بياضها . ومدينة سبتة سميت بهذا الاسم لانها جزيرة منفصلة والبحر يحيط بها من جميع جهاتها الا من ناحية المغرب . فان البحر يكاد يلتقي بعضه ببعض هناك ولا يبقى بينهما الا أقل من رمية سهم . واسم البحر الذي يليها شمالا بحر رقاق والبحر الآخر الذي يليها من جهة الجنوب يقال له بحر بسبوب . وهو مرسى حسن يرسى به فيكنّ من كل ريح . وبمدينة سبتة مصايد للحوت ولا يعد لها بلد في اصابة الحوت وجلبه . ويصاد بها من السمك نحو مائة نوع . ويصطاد بها السمك المسمى التُّن الكبير الكثير . وصيدهم له يكون زرقا بالرماح . وهذه الرماح لها في اسنتها اجنحة بارزة تثبت في الحوت ولا تخرج . وفي اطراف عصيها شرائط القنب الطوال . وبها في ذلك دربة وحكمة سبقوا فيها جميع الصيادين لذلك . ويصاد بمدينة سبتة شجر المرجان الذي لايعد له صنف من صنوف المرجان المستخرج بجميع اقطار البحار . وبمدينة سبتة سوق لتفضيله وحكه وصنعة خرزه وثقبه وتنظيمه . ومنها يتجه الى سائر البلاد . واكثر ما يحمل الى عانة وجميع بلاد السودان لانه في تلك البلاد يستعمل كثيرا . ومن مدينة سبتة الى قصر مصمودة في الغرب ميل .

ياقوت

سبتة . بفتح المعجمة الواحدة من الاسبتة ، على انهم يهود تعريضة سبت مسهور . بفتح اوله . وصمته بحرم بكسر وه وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب . مرساها احد مرسى على البحر وهي على بر البربر . تقابل جزيرة الاندلس على طرف رقاق الذي هو قرب من مدينتين البر وجزيرة وهي مدينة حصينة تشبه مهدية التي بافريقية . على ساحل . لانها صارية في البحر داخلة كدخول كف على زند وهي ذات جوف (1) وخمس ثغار مستقبله بشمال وبحر رقاق الى جنوبها بحر بعضلف منها من بحر الزقاق . وبينها وبين قرس عشرة أيام . وقد نسب اليها جماعة من أعيان العلم ، منهم ابن مرزوق سبتي ، كان من علماء الحساب والفرائض والهندسة والفقه ، وله الاعمدة في الحيف

(1) جمع جيف . هوض وارتفاع في سطح جسم (راجع معاني أخرى للكلمة في تاج العروس (6 106 107)

من تلاميذة ابن العربي الفرضي الحاسب ، يقولون انه من أهل بلده . وكان اسماعيل ابن عباد (1) شب ، شتهيت ان يكون عندي من اهل سنة ثلاثة نفر : ابن عاري الخطيب وابن عطاء المكاتب وابن مرانة الفرضي

القزويني

سبتة بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب على ساحل البحر في برّ البربر . وهي ضاربة في البحر داخلة فيه . قال أبو حامد الأندلسي : عندها الصّخرة التي وصل اليها موسى وفتاه يوشع عليه السلام ، فسي لحوت استوي وكان قد اكلا نصفه فاحيا الله تعالى النصف الآخر واتخذ سبيله الى البحر عجبا . وله نسل الى الآن في ذلك الموضع ، وهي سمكة طولها أكثر من ذراع وعرضها شبر واحد جانبيها صحيح والجانب الآخر شوكة وعظام وغشاء رقيق على أحشائها وعينها واحدة ، ورأسها نصف رأس . فمن رآها من هذا الجانب استقذرها ويحسب أنها مأكولة ميّتة . والنّاس يتبركون بها ويهدونها الى المحتشمين . واليهود يقددونها ويحملونها الى البلاد البعيدة للهدايـــا .

ابن سعيد

والسفر بين طرفيه (بحر الزقاق) اربعون ميلا من ازيلا الى طرف استريال ثم يضيق الزقاق بين عدوتين وبين بحر الاندلس ، فيكون قدره ثمانية عشر ميلا وطوله الى جبل الميناء الذي على سبتة اربعة وأربعون ميلا ، وهي على البحر المحيط . قال البكري : ان اتّساع البحر عندها ثلث مجرى ، وهو أضيق بقليل عندما يشرق عنها الى أن يكون عند قصر المجاز ثمانية عشر ميلا . وبينه وبين طنجة ثمان درجات واحدى وثلاثون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وتكون سبتة المشهورة حيث الطول تسع درجات والعرض خمس وثلاثون درجة ونصف .

---

(1) هو اسماعيل بن عباد الطالقاني (أبو القاسم) . ولد في شهر ذي القعدة سنة 326 هـ (938 م) وتوفي في الري في سنة 385 هـ (995 م) . أديب كبير استوزره مؤيّد الدولة بن بويه الديلمي . وقد لقب بالصاحب ، لأنه كان يصحب مؤيد الدولة ولما تولى مؤيد الدولة في سنة 373 هـ (984 م) ،وانتقل الحكم إلى فخر الدولة ، أقره في الوزارة ، وظل يشغل منصبه إلى أن توفي . وله عدد من الكتب . من أشهرها « المحيط » في اللغة . في سبع مجلدات راجع ياقوت ، إرشاد الأديب ، ط مرجليوث 273/2 343) ؛ وابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ط إحسان عباس ، رقم 96 ، 228/1 ؛ وابن خلدون ، العبر ، 466/4 ؛ وابن الأثير ، الكامل ، 37/9 ؛ ولسان الميزان ، 413/1 ؛ مجلة المجمع العلمي العربي ، 73/19 وكذلك :

Wilken, Gesch der Sultane aus dem Geschleichte Buyeh Nach Mirchond

الفصل الثاني

وهذه المدينة بين بحرين ، وهي مركات البرّين ، شبه الاسكندريّة في كثرة الحطّ والاقلاع . وفيها التجار الأعيان الذين يبتاعون المركب بما فيه من بضائع الهند وغيرها في صفقة واحده ولا يحوجون صاحبها الى تقاض . وهي [الآن] غير راجعة الى سلطان ، بل يديرها الفقيه العرفي . وعسكرها في أسطولها في المراكب التي ترد عليها من البحر المحيط ومن ريف عمارة .

أبو الفدا

سبته ، مدينة بين بحرين : المحيط وبحر الروم . وهي مورد البرّين ، برّ العدوة وبرّ الاندلس. وهي مدينة حط واقلاع ، وهي في دخلة من البر في البحر ، ومدخلها من جهة الغرب ، وهو ضيق ، والبحر محيط باكثرها ولو شاء أهلها لوصلوا البحر حولها وجعلوها جزيرة . وأسوارها عظيمة من صخر ، وميناؤها بشرقيها ، والبحر عندها ضيق واذا كان الصحو بصرت منها الجزيرة الخضراء (1) من برّ الاندلس وماؤها مجلوب لها صهاريج من المطر .

القلقشندي

بعدما نقل ما ذكره ابو الفدا ، اضاف قائلا : ويقال انها أول مابني ببر العدوة . قال في الروض المعطار : وهي سبعة أجبل صغار متصلة بعضها ببعض معمورة . طولها من المغرب الى الشرق نحو ميل . وقال في « مسالك الابصار » : طولها من السور الغربي المحيط بر بضها الى آخر الجزيرة خمسة أميال . قال في « الروض المعطار » : ولها بابان من جهة

---

(1) Algeziras ، وتدل لها أيضا جزيرة أم حكيم ، نسبة إلى جزيرة طارق بن زياد كانت تسمى سدمث خلفها في الجزيرة . استولى المسلمون على الجزيرة الخضراء في شهر رمضان سنة 91 هـ (يوليو 710 م) وهي مرفأ ومرسى يقع على ربوة مشرفة على جون جبل طارق . وقد تعاقب الولاة عليها من بني أمية ثم ملوك الطوائف والمرابطون فالموحدون وظلت في يد المسلمين حتى استولى عليها الأذفنش « الفونس » الحادي عشر صاحب قشتالة في سنة 743) 1342 م بعد موقعة سهر طريف وقد كانت الجزيرة الخضراء معقلا لأسباه القاسم بن حمود مدة من الزمن قبل أن تسقط في يد بني عباد أمراء اشبيلية في 450 هـ (1058 م) والجزيرة الخضراء في الوقت الحاضر مركز إداري في مديرية قادس (راجع مقالة سيبولد (مادة جزيرة بحضراء) في دائرة معارف الإسلامية ، ومرجع بني احمد عليها ، وكذلك رحلة ابن بطوطة (199,2) ، صفة الأندلس للحميري (ص 73 - 75) ، معجم البلدان (136,2 - 137) صبح الأعشى (220/5) ، الأدريسي (ص 176—177) .

سر ويتصل بها على ميلين من جهة مغرب جبل يعرف بجبل موسى ، وهو موسى بن نصير قاتي فتح الأندلس . وبحوزه بساتين واشجار وقرى كثيرة . وهناك يزرع قصب السكر ويحمل الى ماحوزها من المدن ولها نهر عذب (ينصب) في البحر ولها كنيسة جمعت جامعا . وبها يستخرج من البحر شجر المرجان الذي لايعد له مرجان . ويقابلها من الجزيرة الخضراء ، وبحر الروم بينهما ضيق . حتى أنه اذا كان الصحو رأيت احداهما من الاخرى . ولذلك يسمى بحرها بحر الزقاق . وميناؤها شرقيها وغالب طرف المدينة موجودة فيها . والحنطة مجلوبة اليها ، اذا لايزكو نباتها فيها . ويصاد بها أسماك مختلفة على مائة نوع .

وكانت هذه المدينة قاعدة لهذا القطر قبل الإسلام ، وهي يومئذ ديار عمارة من المصادمة ، والحاكم عليها ملك الاندلس من القوط ، وكان ملك غمارة بها في زمن الفتح يقال له يليان . ولما زحف اليه موسى ابن نصير المذكور (1) ، امير افريقية ، في زمن الفتح ، جاء معه بالهدايا ، وأذعن لأداء الجزية ، فأقره عليها ، واسترهن ابنه وأبناء قومه ، كما سيأتي الكلام على مكاتبة صاحب الأندلس . ولما هلك يُولْيَانْ ، استولى المسلمون العرب على مدينة

---

(1) موسى بن نصير (19—97 هـ = 640 — 715 م) بن عبد الرحمن بن يزيد اللخمي بالولاء ، أبو عبد الرحمن فاتح الأندلس . أصله من الحجاز ونشأ في دمشق وولي غزو البحر في عهد معاوية ، فغزا قبرص وسبى منها خلقا وقد غزا أفريقية في عهد عبد العزيز بن مروان . ولما آلت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك ، ولاه على أفريقية وما وراءها من المغرب (سنة 88) . فأقام بالقيروان وقد استعمل مولاه طارق بن زياد على طنجة وأمره بغزو أوربا وفي سنة 92 ، فتح طارق جبل كلبي Kalpe الذي يحمل إسمه حاليا . وبعد ذلك واصل التوغل في إسبانيا على الرغم من أوامر موسى بن نصير الذي معه من ذلك وقد استخلف موسى ابنه على القيروان واتجه إلى إسبانيا التي دخلها في رمضان سنة 93 ، فاحتل قرمونة وإشبيلية وعدد أمن المدن الأخرى ثم ماردة ، ومضى حتى بلغ طليطلة ، حيث اجتمع بطارق ووجهه إلى الشرق فافتتح برشلونة وبلنسية ودانية وفي أقل من سنة ، تمّ لطارق وموسى فتح ما بين جبل طارق وجبل الطارس وتآمر من الخليفة ، الوليد بن عبد الملك ، عاد موسى بن نصير إلى القيروان في سنة 95 ، ثم سار إلى المشرق ومعه غنائمه ، فدخل مصر ومعه مائة وعشرون من الملوك وأولادهم وفي سنة 96 ، دخل إلى دمشق ونحسنة على فراش موته ، وبعد وفاة نحسنة ، تخلف الرواية في مصير موسى ، رجع بعضهم (2 332) ، وفيات الأعيان (8 318) جذوة المقتبس (ص 317) تراجم علماء الأندلس ، (ط مدريد 2 18) بغية الملتمس (ط . مدريد ، ص 442) الحلة السيراء (1/64 و 2/332—334) .

سبتة بالصلح من أهلها فعمروها إلى أن كانت فتنة ميسرة الحقير (1) وما دعا اليه من مذهب الخوارج وأخذ به الكثيرون من البربر من غمارة وغيرهم ، زحف برابرة طنجة إلى سبتة فأخرجوا العرب منها وحربوها وبقيت خالية الى ان عمرها ماجكس من وجوه غماره من البربر وبناها واسلم وصحب أهل العلم ورجع الناس اليها ومات .

فقام بالامر من بعده ابنه عصام ، فاقام بها زمنا الى أن مات فولي بعده ابنه محيو ، فاقام بها الى أن مات ، فوليها اخوه الرضي ، ويقال ابنه ، وكانوا يعطون الطاعة لبني ادريس من العلوية ملوك فاس . ولما سما الناصر الاموي صاحب الاندلس الى ملك المغرب وتناول اكثره من يد الادارسة ببلاد غماره وغيرها حين اخرجوا من فاس وقاموا بدعوة الناصر في جميع أعمالهم ، برلو للناصر عن سبتة ، فبعث اليها العساكر فانتزعها من يد الرضي بن عصام سنة تسع عشرة وثلاثمائة ، وانقرض أمر بني عصام وصارت سبتة للناصر ومن بعده من بني امية خلفاء الاندلس .

وكان علي والقاسم ابنا حمود بن ميمون بن أحمد بن علي ابن عبيد الله بن عمر بن ادريس العلوي ، لحقا بالاندلس لما أخرج المستنصر الاموي الادارسة من المغرب وبقيا بالاندلس الى ان كانت أيام المستعين سليمان بن الحاكم ، فاختص بقاسم وعلي ابني حمود ، وعقد لعلي بن حمود على طنجة وأعمال غمارة فنزلها ، ثم خرج على طاعته ودعا لنفسه وعاد الى الاندلس وولي الخلافة بقرطبة وولي على عمله ابنه يحي بن علي .

---

(1) كانت ثورة ميسرة بداية ثورات الخوارج التي اشتعلت بها عدة إمارات في شمال افريقية وكان سببها ان عبيد الله بن الحبحاب ، عامل عبد الملك بن مروان على افريقية والمغرب ، قد استعمل على طنجة ابنه اسماعيل وجعل معه عبد الله المرادي ، فاساء السيرة وأراد أن يحمس البربر ورغم أنهم في ظاهر المسلمين ، فانتقص البربر على ابن الحبحاب وتداعت عليه باسرها ، مسلمها وكافرها بقيادة ميسره الخفير الذي يدعى أيضا السقاء ، وكان صفريا خارجيا ، وقصدوا الى طنجة فاستولوا عليها وبايعوا السقاء بالخلافة وخوطب بأمير المؤمنين ، وكان ذلك في سنة 122 هـ (39—740 م) . قارن الكامل (190/5—193) والبيان (54852/1) .

طنجة (1)

الهمداني

وطنجة خلف تاهرت بأربع وعشرين ليلة . قالوا : الغالب عليها المعتزلة وعميدهم اليوم سحاق بن محمد بن عبد الحميد : وهوصاحب ادريس بن ادريس (2) .

(1) يسميها الحسن بن محمد الوزان طنجيو (Tangia) ، ويسميها البرتغاليون صنجر (Tangar) . رجع عن مدينة طنجه الوثائق التي نشرت في مختلف أعداد مجلة Archieves marocaines خلال الفترة بين 1904 1920 ، وفيما يتعلق باحتلال البرتغال هذه المدينة يعتبر كتاب المعنون Histoire de Tanger Fernando de Menzes (لشبونه 1762) أهم مرجع عن تلك الفترة انظر كذلك Playfair, Bibliography of Morocco (لندن 1892) ، والتعليق الذي وضعه المرحوم محمد بن تاويت الطنجي عن التعريف بابن خلدون (القاهرة 1951 ص 220 هامش 2) .

(2) هوإدريس بن ادريس بن عبد الله بن عبد الله بن الحسن المثنى ، أبوالقاسم ، ثاني ملوك الأدارسة في المغرب الأقصى ، ولد في سنة 177 هـ (793 م) في وليلي وتوفي في سنة 213 هـ (828 م) بمدينة فاس هوباني المدينة ، وقد توفي والده وهوجنين ، فقام بشؤون البربر بعده راشد ، مولى أبيه . وقتل راشد في سنة 186 هـ . ، وقام بكفالة إدريس أبوخالد العبدي ، حتى بلغ الحادية عشر وبايعه البربر وقد اختط مدينة فاس ، كما سنرى ، في سنة 192 ، وانتقل إليها ، واقتطع المغربين الأقصى والأوسط عن دعوة العباسيين فأمتد حكمهُ من السوس الأقصى إلى وادي شلف ويلاحظ ان المؤلف وقع في اضطراب فخلط بين ادريس الثاني وادريس الأول الذي هوصاحب اسحاق بن محمد راجع الاستقصا (70/1—75) ، العبر (13/4) ؛ البيان المغرب (103/1) ؛ جذوة الاقتباس (ص 95) ؛ الحلة السيراء (131/1) ؛ الكامل (93/6 ، 124) ؛ النجوم الزاهرة لابن تغريبردي (433/1—452) ؛ جمع تواريخ مدينة فاس المؤلف مجهول (نشر (Storia d Fas Cusa)) (ص 13—15) ؛ ابن أبي دينار ، المؤنس (ص 86) ؛ تاريخ اليعقوبي (405/2) ؛ مروج الذهب (193/6) ؛ تاريخ الطبري (560/3) ؛ بغية الرواد ليحيى بن خلدون (تحقيق حاجيات ، طبع المكتبة الوطنية ، الجزائر 1980 ، ص 166 — 167 ، 78) إدريس بن حمد ، حدود الجهة (7 2) ، حمد بحلي ، الدر النفيس (ص 79 ـ 109 و 121 ـ 141 و 144 ـ 149) . إسماعيل العربي ، دولة الأدارسة ملوك فاس وقرطبة وتلمسان ، نشر دار المغرب الاسلامي بيروت 1983 Despergers, Hist.de l'Afrique et de la Scile (p 89-91 note 97) , Fournel, Les Berbers (1'295-400 et 447 449)

ابن حوقل

صنحة مدينة أزلية آثارها بينة وأبنيتها بالحجارة قائمة على وجه البحر . سكنها أهلها قديما سنين في صدر الاسلام ثم استحدثوا لهم مدينة على مسيرة ميل منها على ظهر جبل . والذي أوجب استحداثها . خوف من ادريس عليها عند استحواذهم على سبتة في وقتهم . واكثر اموال اهلها من الزرع ، حنطة وشعير وحبوب . وماؤها مجلوب اليها في قنّى من مكان بعيد لا يعلم أصله ولا يعرف من أين مجيئه ، وانما يظنون جهاته . وهي حصبة صالحة الاسعار وليس عليها سور

البكـرى

فأما كرة طنجة فهي مساكن صنهاجة . وطريق السّاحل من مدينة سبتة الى طنجة تخرج من المدينة في بسيط تعمره نحو ميل ثم تدخل في حد بني سمغرة ، وهم أهل جبل مرسى به تخرج الى وادي البَيّه والقصر الاول وبصور مصموده تتشعب من اربع قبائل دعاغ وأصادة بني صمغرة وكتامة وبطون صنهاجة تفترق من قبيلتين من فارس صنهاج وحزمار بن صنهاج . وفي القصر الأول سكنى بني طريف وحوله غراسات كثيرة وتدخل المراكب في هذا الوادي الى حنط القصر . وبين هذ الوادي وموقعه في البحر نحو سكتين ومن سبتة الى هذا القصر مرحله . ومن القصر الى طنجة مرحلة . قال محمد بن يوسف : اذا خرج الخارج من طنجة الى سبتة في البحر فانّه يأخذ الى جانب الشرق . وأول ما يلقى جبل المنارة ثم مرسى ... اليوم ، وهو غير مُكَنّ وفيه سكنى ورباط وواد لطيف يريق في البحر . وبينه وبين طنجة ثلاثون ميلا في البرّ وفي البحر نصف مجرى . ويقابل باب اليمّ من جزيرة الأندلس مرسى جزيرة طريف ، وبينهما ثلث مجرى :

« ومدينة طنجة تعرف بالبربريّة وليلى ، افتتحها عقبة بن نافع وقتل رجالها وسبا من بها وهي على شاطىء البحر المعروف بالزقاق مسورة متقنة البناء ، وهي محط للسفن اللطاف ، لأنّ الرّيح الشّرقيّة تؤدي فيه . وهي طنجة البيضاء القديمة المذكورة في التواريخ ، وفيها آثار للأول كثيرة ، قصور وأقباء وغيران وحمام وماء مجلوب في قنا ورحام كثير وصخر منحور وتحتفر حرايبها فيوجد فيها اصناف الجواهر في قبور أوليّة وغيرها من المواضع ، وهي آخر حدود افريقيّة في العرب

وقبل ان عمل طنجة مسيرة شهر في مثله وان ملوك المغرب كانت دار مملكتهم طنجة ، وان ملكا من ملوكهم كان في عسكره ثلاثون فيلا . ومسافة ما بين مدينة القيروان وطنجة الف ميل وقد غلب على مدينة طنجة القديمة الرمل ، والعمارة اليوم فوقها . وهناك جامع حسن وسوق عامرة. وماء طنجة في البحر المحيط وازاء حبل اندلس الجزائر المسماة فرصانش ، اي السعيدة سميت بذلك ، لان شعراءها وعياضها كلها اصناف الفواكه الطيبة العجيبة دون عراسة ولا عمارة ، وان ارضها تحمل الزرع مكان العشب واصناف الرياحين لعصرة ، بدل الشوك وهي بعربي بلاد البربر ، مفترقة متقاربة في البحر المذكور .

الادريسي

ومدينة طنجة قديمة أزلية وأرضها منسوبة اليها ، وهي على جبل عال مطل على البحر وسكنى أهلها منه في مسند الجبل الى ضفة البحر . وهي مدينة حسنة لها أسواق وصناعة وقنعة . وبها انشاء المراكب وبها اقلاع وحط . وهي على أرض متصلة بالبرّ فيها مزارع وغلات وسكانها برابر ينسبون الى صنهاجه . ومن مدينة طنجة ينعطف البحر المحيط الاعظم آخذا في جهة الجنوب الى أرض تشمّس . وتشمّس كانت مدينة كبيرة ذات سور من حجارة تشرف على نهر سقدد . وبينها وبين البحر نحو ميل ولها قرى عامرة بأصناف من البربر وقد أفنتهم الفتنة وأبادتهم الحروب المتوالية عليهم . ومن تشمّس الى قصر عبد الكريم ، وهو على مقربة من البحر ، وبينه وبين طنجة يومان . وقصر عبد الكريم (1) مدينة صغيرة على ضفة نهر لكس وبها أسواق على قدرها يباع فيها ويشتري . والارزاق بها كثيرة والرخاء بها شامل . ومن مدينة طنجة الى مدينة أزيلا مرحلة خفيفة جدا .

ياقوت :

طنجة ، مدينة في الاقليم الرابع ، طولها من جهة المغرب ثمانون درجة وعرضها خمس وثلاثون درجة ونصف من جهة الجنوب . بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء ، وهو من البرّ الاعظم وبلاد البربر . قال ابن حوقل . طنجة مدينة أزليه آثارها ظاهرة بناؤها بالحجارة قائمة على البحر . والمدينة العامرة الآن على ميل من البحر وليس لها

(1) يقع قصر عبد الكريم الذي يسمى أيضا القصر الكبير في منطقة الريف على ساحل المحيط الأطلسي ، ويبعد عن البحر بنحو 36 كيلومترا .

سور ، وهي على ظهر جبل ، وماؤها في قناة يجري اليهم في موضع لايعرفون منبعه على الحقيقة . وهي خصبة وبين طنجة وسبتة مسيرة يوم واحد . وقيل أن عمل طنجة مسيرة شهر في مثله . وهي آخر حدود افريقية وبينها وبين القيروان الف ميل . وينسب اليها ابو عبد الملك بن مروان بن سمجون ، (1) الوافي الطنجي ، روى عن ابي محمد عبد الله بن الوليد الحجاري وطبقته ، ورحل الى المشرق فاقام به سبع عشرة سنة يقرأ الحديث ويتردد فيه . ومن جملة مشائخه طاهر بن بابشاذ النحوي ، وكان له شعر ، وانما قرأ المسائل والوافي بعد رجوعه الى المغرب . وكان يقول : لم أدخل الى الشرق حتى حفظت أربعة وثلاثين الف بيت من أشعار الجاهلية . وله خطب ، وهو من الفصحاء الكبار بطنجة . وينسب إليها أيضا أبو محمد عبدون بن علي بن أبي عزيز الطنجي الصنهاجي . روى عن الاصبغ بن سهل ومروان بن سمجون وغيرهما ، وولي القضاء ببلده . وطنجة أيضا منتزه برأس عين على العين التي بني الملك الاشرف بها دارا وقصرا .

أبو الفدا

طنجة ، على فم بحر الزقاق . واتساع البحر عندها ثلث مجرى ، فاذا شرق عنها اتسع . وهي مدينة أولية . وقد أستحدث أهلها لهم مدينة على ميل منها على ظهر جبل ليمتنعوا بها . وماء طنجة مجلوب من قني اليها من بعيد . وطنجة كثيرة الفواكه ، ولا سيما العنب والكمثري . وأهلها مشهورون بقلة العقل . وأضيق ما يكون البحر من طنجة الى سبتة ، وقدره ثلاثة عشر ميلا . وهناك موضع يقال له قصر المجاز . ومن طنجة الى قصر المجاز مرحلة لطيفة . ومن قصر المجاز كذلك .

القلقشندي

طنجة ، مدينة من أقصى المغرب واقعة في الاقليم الرابع ، قال بن سعيد : حيث الطول ثمان درجات واحدى وثلاثون دقيقة والعرض خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهي مدينة على بحر الزقاق ، واتساع البحر عندها ثلث مجرى فاذا شرق عنها ، اتسع عن ذلك .

---

(1) ترجم له ابن الأبار في التكملة (رقم 1816 ص 653) وفي الحلة السيراء (211/2) باسم عبد المنعم بن مروان بن عبد الملك بن سمجون الوافي ، وقال أنه نشأ بمرباطة ونفقه على عدد من العلماء وفي مقدمتهم أبو علي سكرة العسّالي الصدفي ، وولي القضاء في أشبيلية بعد صرف أبي مروان الباجي ، ثم نقل إلى قضاء مرباطة توفي سنة 534 هـ

وستحدث أهلها لهم مدينة على ميل منه على ظهر جبل يمتنعون بها . والماء يسدق اليه في قني . قال في « مسالك الابصار » : وكنت دار ملك قديم ، وهي التي كانت قاعدة تلك الجهات قبل الاسلام الى حين فتح الاندلس . وهي محط السفن . وهي كثيرة الفواكه . لاسيما العنب والكمثري . وأهلها مشهورون بقلة العقل وضعف الراي ، على أن منها أبا الحسن الصنهاجي الطنجي ، ترجم له في قلائد العقيان وأثنى عليه وأنشد له أبياتا منها :

وقد تحمي الدروع من العوالي
ولا تحمي من الحدق الدروع

وكذا أبومحمد بن أحمد الحضرمي هو القائل :

وضنوا بتوديع وجادوا بتركه
ورب دواء مات منه عليل!

* *
*

أصيلة (أزيلي) (1)

ابن حوقل

وأزيلي مدينة عليها سور متعلقة على رأس حرف خارج من البحر المحيط الى أرض المغرب لطيفة ، وسورها من حجارة ، وبعضها على البحر وحطهم من الزروع والخضرة والشعير وافر . وماؤها من آبار فيها معين لذيذ . واذا اخذ منها الآخذ يريد الجنوب على سيف البحر المحيط ، لقيه وادي سَفْدُ ، وهو واد كبير عظيم غزير الماء يحمل المراكب ، عذب ومنه شرب أهل تشمس

البكري

ومدينة أصيلة أول مدن العدوة من جانب الغرب وهي في سهل من الأرض حولها رباط لطاف ، والبحر بغربيها وجوفيها ، وكان عليها سور له خمسة أبواب . وجامعها خمسة بلاطات واد اتح البحر يبلغ الموج الى حائط الجامع . وسوقها حافلة يوم الجمعة . وماء آبار المدينة شروب

(1) أصيلة ، أوزيلة ، هو الاسم المعرّب من البربرية أصبلت (كما هو عند بطليموس) . وكذلك يذكرها بعض الجغرافيين اليونان باسم زيليس Zilis وبسميها الحسن بن محمد الوزان الزيلا . وقد وصفها هذا الرحالة بالعبارات التالية « بها مدينة كبيرة بناها الرومان على البحر المحيط على مسافة 70 ميلا من مضيق جبل طارق . وقد فتحها المسلمون في سنة 94 هـ (713 م) وحتفظوا بها قرنين من الزمن ، قبل أن يهاجمها الأسطول الأنجليزي ويهدمها ولكن المسلمين استرجعوها وعادت إلى حالتها ... ، بل وأفضل مما كانت عليه » وصف أفريقية (1/260—261) راجع أيضا Massignon Le, Maroc (p 241) وكذلك أحمد المكناسي ، خريطة المغرب الأركيولوجية (ص 11) والسلاوي الإستقصا (1 172) وهذا الإستمرار في التسمية ، هو نفسه ، دليل على قدم هذه المدينة وقول البكري في الفقرة التالية إنها محدثة يعتبر غلطة من الكاتب الأندلسي الكبير .

وبحرها آ عذبة . بير عذل وبير السّانية وآبار كثيرة . ومقبرة في شرقيها ومرساها مأمن . ومدخل اليها من شرق . ويستدير بمرسى من ناحية الجوف جسر من حجارة محبوقة تكن عن السفن المرفأة فيها من هيجان البحر . ومدينة أصيلة محدثة . وكان سبب بنيانها أن المحوس خرجوا في مرسها مرّتين . فامّا الاولى . فانهم قصدين وزعموا انّ لهم بها اموالا وكنوز . فاجتمع البربر لقتالهم . فقالوا لم نأت للحرب وإنما لنا كنوز في هذا الموضع . فكونوا ناحية حتى نستخرجها ونشاركم فيها . فرضي البربر بذلك وعتزلوا وحفر المحوس موضعا فاستخرجوا دخنا كثيرًا عظما . فظن البربر انّ سفرته فضة فبدوا اليه وهرب المحوس الى مراكبهم وصاح البربر الدّخن فندموا وزعموا المحوس في الخروج واستخراج المال فأبوا وقالوا قد انقضى عهدكم . فلا شق بعدكم وسيروا الى الأندلس فحينئذ خرجوا بشبيبة . وذلك سنة تسع وعشرين ومائتين . في ايام الامام عبد الرحمن ابن الحكم . واما خروجهم الثّاني هناك . فان الرّبح فدفعهم في ذلك المرسى من الأندلس وعطبت لهم على باب المرسى من ناحية المغرب مراكب كثيرة . ويعرف ذلك الموضع ببيات المحوس إلى اليوم . فاتخذ الناس موضع أصيلة رباطا فنتابوه من جميع الأمصار . وكانت تقوم فيه سوق جامعة ثلاث مرات في السنة . وهو وقت اجتماعهم . وذلك في شهر رمضان وفي عشر ذي الحجة وفي عاشوراء . وكان الموضع ممكنا للوافدة . فاشي فيه قوم من كتامة واتخذوه جامعا . وتسامع الناس أمرها من الاندلس واهل الامصار فقصدوها في الاوقات المذكورة بضروب السلع وحيموا فيها . ثم بنو سيف بعد شيء فعمرت . فقدمها القاسم ابن ادريس بن ادريس فملكها وبني سورها وقصرها . وبها قبره . وواليها ابراهيم ابنه . ثم حسن بن ابراهيم . ثم القاسم بن حسين . ثم صار أمرها إلى حسن الحجام (1) منهم . حتى استولى عليهم ابن أبي العافية . على ما تقدم .

(1) هو الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس بن إدريس ، آخر ملوك الأدارسة بفاس وقد اشتهر بالحجام لطعنه عددا من مبارزيه في موضع الهاجم ، وفيه يقول الشاعر :

وسميت حجّاما ولست بحاجم
ولكن لطعن في مكان الهواجم

وقد عاصر ظهور العبديين في افريقية . وكان حسن الحجام هو الذي استرجع فاس منهم بعدما قتل ريحان الكتامي ، وقد استقام له الملك حتى تغلب عليه موسى بن أبي العافية بعد حروب طويلة . وقد أخرجه حامد بن حمدان الهمداني من فاس بحيلة فتدلى من سور المدينة وسقط فانكسرت ساقه ومات في عدوة الأندلس في سنة 313 هـ (944 م) . راجع : الاستقصا ، (80/1) والبيان (313/1) .

وكان الحجام يستعمل عليه [illegible] وتفسير أصيلة : حيدة . وبقبلي أصيلة قبائل لواته وبنو رياد من هوارة زلول . وبعربها هوارة الساحل وعرب كبير على البحر اذا مدّ وصل اليه . وبين القبة والعرب منها عين تعرف بين الحشب ثرة وبقربها خندق يعرف بخندق المعره . وخندق آخر يعرف بخندق السرادق . وبعربها خندق يعرف بتاشت فيه مراعي مواشي أهلها . وكيبهم يسمي مدا . وهو عشرون مدّا بمد النبي صلى الله عليه وسلم . مثل الصفة القرطبية . وكيل الزيت يسمونه قبيلة . وهي مائة وثنتا عشر أوقيه ففي القنطار عشر قبيلة . وأصيله بعربي طنجة . وأول مايلقي الخارج من أصيلة واديها . وهو بخاض . ثم مسجد عن يمين الطريق ثم وادي نبرش يخاض أيضا ، وهي قرية آهله عامرة .

الادريسي

ومن مدينة طنجة الى مدينة أزيلا مرحلة حقيقيةجدا . وهي مدينة صغيرة جدا ومابقي منها الآن الانزر يسير . وفي أرضها أسواق قريبة . وأزيلا هذه ، ويقال لها أصيلة ، عليها سور وهي معلقة على رأس الخليج المسمّى بالزقاق . وشرب أهلها من مياه الأبار . وعلى مقربة منها في طريق القصر ، مصبّ نهر سفْدَدْ ، وهو نهر كبير عذب تدخله المراكب ، ومنه يشرب أهل تشمس التي تقدّم ذكرها . وهذا الوادي ، أصله من ماءين يخرج أحدهما من بلد دَهاحَة من جبلي البصرة ، والماء الثّاني من بلد كتامة ، ثم يلتقيان فيكون منها نهر كبير .

يـــاقـــوت

أزيلي ، مدينة بالمغرب في بلاد البربر ، بعد طنجة في زاوية الخليج المادّ الى الشّام ، عليها سور ، منغلقة على رأس جرف خارج البحر ، وهي لطيفة . وشربهم من آبار عذبة . قال ابن حوقل : الطريق من برقة الى أزيلي على ساحل بحر الخليج ثم تعطف على البحر المحيط يسارا .

ابـــن عـــذاري (*)

بعدما ينقل ما ذكره البكري عن استيطان المحوس لاصيلة . يمضي يقـــول :

(*) ينقل هذا النص بصفة استثنائية لأن ابن عذاري مؤرخ وليس بحغرافي وهو يمثل أهم رواية متسلسلة بين ايدينا عن تاريخ صيلة التي انمحت وانفرضت في عهد هذا المؤرخ المغربي .

وقد قيدته واختصرته من كتاب المسالك والممالك لمحمد بن يوسف الفَرْوي ، رحمه الله . قـــال :

ومن المدن القديمة على ساحل بحر المغرب أصيلة وهي في سهل من الأرض . كانت مدينة للأوس ، ثم تغلّب عليها البحر ، ثم بنيت بعد ذلك وكان سبب بنائها أن المجوس خرجوا في مرساة مرتين : أما الأولى ، فانهم قصدوا اليها راغبين ان لهم بها اموالا وكنوزا

فاجتمع البربر لقتالهم ، حسبما ذكرت ذلك وأما خروجهم الثاني ، فان الريح دفعت بهم اليها وعطبت لهم أحقاف كثيرة عليها ، حتى كان يعرف ذلك الموضع بمرسى المجوس (1) وكان موضعها ملكا لقبائل لواته ، فابتناها قوم من كتامة . فأول ما ابتدأوا به المسجد . ثم بنى لواته مسجدا ثانيا ، وشاع أمرها . فبنى الناس شيئا فشيئا ، فقصدها التجار من الأمصار بضروب من المتاجر في أوقات معلومات لأسواق الغمار .

فأول من قدم عليه من الملوك ، القاسم بن ادريس ، فانه ملكها وقامت بيده الى ان توفي رحمه الله . ثم وليها ابنه ابراهيم بن قاسم فحرت بينه وبين عمر بن حفصون (2) الثائر بشتر من الأندلس مراسلات ومكاتبات بشدّ النفاق على الخليفة لأموي بقرطبة ، إلى أن هلـــك .

ثم وليها ابنه ، حسن بن ابراهيم بن القاسم ، فاضطرب أمره وضعفت طاعته . وكانت مدته خمسا وعشرين سنة في قبائل لواته . وكان اخوه أحمد المتولي لامر كتامه ، وكان يعرف

(1) يسميهم بعض المؤرخين العرب الروس . وهذه الحوادث يؤرخها اليعقوبي في سنة 229 هـ (844 م) . وأما ابن الأثير ، فيذكر خروج المجوس وغاراتهم على اشبيلية ولبلة وشذونة وباجة في نفس السنة ، ولكنه لا يتعرض لقصة نزولهم على الشواطىء الافريقية (راجع : الكامل 16/7 ـ 18) ولكن ابن عذارى الذي لا يشير هو الآخر لتعرض المجوس لشواطىء افريقية ، يذكر وقوع الغارة على اشبيلية ضمن حوادث سنة 230 هـ . (المغرب 130/2 ـ 132) .

(2) عمر بن حفصون بن اذفونش ، ثار على محمد بن عبد الرحمن سنة 270 هـ واعتصم بحصن بُشتر ، غير بعيد من قرطبة واستفحل أمره فقاتله الأمراء وداخت له حصون الأندلس كلها ، بحيث كان في بعض غزواته يقود جيشا تعداده 30 ألف . وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين يصمونه باللعين والخبيث ورأس الفتنة ، فإن بعض الكتاب ، مثل ابن عذارى ، لا يبخل عليه بأوصاف مشرفة مثل كونه متواضعا وحافظا للحرمة وفيا وشجاعا وعادلا راجع : العبر 134/4 ؛ التعريف بابن خلدون ، ص 6 هامش 1 ؛ بغية الملتمس ، ص 393 ؛ الحلة السيراء 149/1 ـ 155 و 241/2 ـ 367 ـ 376 ـ 378 ؛ جذوة المقتبس 282 ؛ البيان المغرب 256/2 .

بن لادنين وكان صاحب النصرة (نصرة مغرب) حينئذ حوهما عيسى بن ابراهيم بن قاسم الى ان قتله ابو العيش حمود من بني ادريس ، رحمه الله ، فتزوج اخوه حمد ملقب بني الاذنين ، زوجته ومسك مكانه . وقيل ان زوجته سمّته فقتلته فصار امر كتامه وامر النصرة الى يحي بن براهيم بن لقاسم المعروف بابن برهويه . فاحتفت عليه كتامه . وكان ذلك سبب دخول بني محمد بن كتامة وهواره وتلك الناحية وستحشو بحسن بن محمد المعروف بالحجام ، فقام بأمرهم ، وهلك القاسم بن حسن بن لقاسم بن ادريس صاحب أصيلا .

ودخل بنو محمد من بني ادريس مدينة أصيلا ، فاستأثر بها حسن الحجام دون بني عمه ، فولى عليها رجلا من خاصته يقال له الحجاج بن يوسف ، فأحسن السيرة فيهم إلى ان هلك . فطلب ولايتها رجل من اهله يقال له عبد الوارث ، فعد طوره فيها . ويقال له صاحب كبرا باصيلا بدره . ونهى ذلك الى حسن المعروف بالحجام ، فطمع في ذلك المال وعزله عن أصيلا .

ثم وليها ابراهيم بن العز المكناسي ، وكان ساكنا بها ، بعد ما عطى مالا لحجام فلما وصل الى أصيله ، صار محمد بن عبد الوارث الى حسن بمال كثير ، فعزل براهيم واعاد بن عبد الوارث ، فسار ابراهيم بهدية لى حسن ، فعزل محمدا وولاه عليها. ثم عزل ابراهيم وولي محمدبن عبد الوارث .

وكانت عزلتهما وولايتهما نحو سنتين إلى أن استقر فيها محمد هذا وسمي فأر الصهريج ، يعنون لكنز الذي أصاب فيه . وتبين لابن عبد الوارث رغبة حسن في ماله ، فأعطاه واستقامت له معه جميع أحواله مدة ثم عزل وولي براهيم بن العز لمذكور ، فمضى بها الى ان حضر اس بني العفية ، فاتاه اهل صيلا ، وصبوا منه وبه من قبله ، فولاهم سعيد بن بن التنيح الاشبيلي . وهرب ابراهيم بن لعز الى مدين بن موسى بن بني العفية ، فوفد عليه وهاداه وانقطع اليه ، فولاه أصيلا ، فحسن السيرة ورفق بالرعية ، وانصرف الى تسول ، بعدما استخلف على حرب بني محمد رجلا من اصحابه يعرف بأبي قمح ، فحاصرهم حصار شديد فلما ضاق عليهم الامر هجموا عليه ليلا ، فهرب ابو قمح ، ومسك بنو محمد محلته . واجتمعت قبائل كتامة لقبعة هدك ، فزحف اليهم بنو محمد الادارسة ، فحاربوهم حتى دخلوا لقبعة وقتلوا من كان بها ، فكان ذلك فتح بني محمد بن ادريس لحسني .

وبلغ ذلك الى أهل أصيلا ، فكتبوا الى ابن أبي العافية وذلك في سنة 332 هـ ، في حين خروج ميسور الى أرض المغرب ، فحاولهم موسى بن أبي العافية (1) ومرهم أن يتحصنوا في بلدهم وكتب الى قبائل كتامة ولوته وهوارة وصنهاجة ، يأمرهم بمعونتهم على البيات ، فانقسموا على سور المدينة وبقوه في ستة أشهر ، فهرب وجوه القبائل الى أصيلا واجتمع بها ملأ عظيم منهم ، فزحف اليهم بنو محمد الأدارسة بعساكرهم ، فكانت بينهم حرب عظيمة ، فاستمدوا بني أبي العافية فاعتذر اليهم وقال لهم : اكتبوا الى أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر ، فأنا وأنتم رعيته وتحت طاعته . وكتبوا الى أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر ، وكانت مدينة سبتة تحت طاعته ، فبعث اليهم الرماة والأنجاد . واتصل ذلك ببني محمد ، فحشدوا الأجناد وزحفوا الى أصيلا ، فحاربوها أربعين يوما ، فخاف وجوه أهلها وخارجوا الى الأندلس ، ودخل بنو محمد أصيلا ، وذلك في سنة 336 هـ ، وملكوها ، فأمنوا من بقي بها من أهلها ، وعاد من جار إلى الأندلس اليها . وحولها من القبائل ، لوته في القبلة ومن هوارة قوم يعرفون ببني زياد ، بينهم كدية رمل عالية

قال ابراهيم بن محمد الأصيلي :

سقى عربيّ أرض بني زياد ... سحائب ما يخف لها عروب

ولا زال النعيم يعم قوما ... إذا هم من لشرق لكثير

وحولها القبائل من جهة الغرب هوارة السّاحل .

* * *

---

(1) هو موسى بن أبي العافية بن أبي سنّال بن أبي الضحاك المكناسي . وهي الأسرة التي اختطت بلد كوسيف ورباط تازا (راجع عن هذه الدولة ، الغبر 134/6—137) . وقد أسس موسى إمارة آل أبي العافية المكناسية وعقد له ابن عمه ، مصالة بن حبوس على سائر المغرب (305 هـ) وأقره العبيديون على ولايته ثم صيّر إليه ما بقي بفاس في سنة 313 هـ . وظل الأدارسة وأحلافهم عن ممتلكاتهم . وقد اعتقله مكنه في سنة 317 هـ ، حتى تحمل ما بين لسوس الأقصى وتلمسان . وبعدما تقلص دعوة الفاطميين وخلصت لعبد الرحمن الناصر الأموي ، عاد تحت ضغط بني زيري الذين اكتسحوا المغرب الأقصى في عهد ملكين ، إلى محالفة العبديين على المغرب . وقد مات موسى بن أبي العافية في سنة 341 هـ (952 م) (راجع أيضا : الاستقصا ، 358/1 ، البيان المغرب ، 1 194 99 201 202 209 213 214) . الأجزاء : 4 — 5 — 8 — 10 ، وكذلك :

تطوان (تطّاوان ـ تطاون) (1)

البكـــري

ومدينة تطاون على اسفل وادي راس. وقال محمد بن يوسف وادي مجكسة وهذا النهر يتسع هناك وتدخله المراكب النصف من البحر الى أن تصل تطاوان. ومسافته ما بين البحر وبينها عشرة أميال. وهي قاعدة بني سكين منها قصبة للأول ومنار. وبها مياه كثيرة سائحة عذبة لأرجاء ونحوفيها حتى يعرف بسلاط الشوك يركب لبني سكين مائة فارس وبين مدينة تطاون وحتى الدرقة سكة. وهو قاعدة بني مرروق بن عون من مصمودة وسكانهم منه بموضع يقال له صدينة. قرية ذات مياه سائحة. وهي أطيب تلك البلاد مزارع وهذا الحتى في غاية المعـــة

الادريسي

وبين مدينة سنتة السابق ذكرها . الى حصن تطّاوان مرحلة صغيرة. وهو حصن في بسيط من الارض وبينه وبين البحر الشمالي أميال وتسكنه قبيلة من البربر تسمى مجكســـه.

---

(1) رجع عن تيطاوين غير مذكر ذلك Archives Marocaines ، الاجزاء 4 ـ 5 ـ 8 ـ 10 وكذلك Cadiera في 1925 ورقم 11 ج Revista de tropas coloniales ومقالة كولين (Ar S) في دائرة المعارف الإسلامية (مادة تيطاوين) والمراجع التي أحيل عليها

مليلة (1)

البكـــرى

مدينة مليلة مسورة بسور حجارة وداخلها قصبة منيعة وفيها مسجد جامع وحمام وأسواق وهي مدينة قديمة . ويذكر أن بني البوتي من أبي العافية ملكوني حدودها . ويسكنها سوورتدي . وهم يقترعون على من يدخل اليهم من تجار ، فمن صارته قرعة رحل منهم كانت تجارته على يده . ولم يصنع شيئ الا تحت نظره واشرافه . فيحميه عمن يريد ظلمه ويأخذ منه الاجر على ذلك ، ويأخذ منه الهدية لنزوله عنده . وذكر محمد بن يوسف (2) وغيره أن عبد الرحمن الناصر لدين الله (3) فتحها سنة أربع عشرة

(1) راجع عما ذكره الشيخ محمد بن محمد بورى ، وصف افريقية ، ج 2 ، وكذلك

De Castries (H) Sources inedites de l'Histoire du Maroc I ii XXVIII, Melilla au XV e siecle

مقالة Colin (G) في دائرة المعارف الإسلامية ، مادة مليلة .

(2) يقصد محمد بن يوسف أبو عبد الله الزياتي الوراق . راجع ما ذكره عنه صاحب الحلة (ص 90) ، وبغية الملتمس (رقم 304) ونفح الطيب (163/3) .

(3) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الربضي بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، الملقب بالمرتضى المروي الأموي . تولى من نصب بالخلافة في دولة بني أمية بالاندلس وبويع في قرطبة في سنة 277 هـ (890 م) كان ذهبية عرف بصلاحه وبراعته في قمع الفتن . بويع بالخلافة في سنة 316 هـ . ولقب « الناصر لدين الله » وعبد الرحمن الناصر لدين عرف بعدد من الأثار العمرانية ، هو بني مدينة الزهراء وقد استمر حكمه خمسين سنة وستة أشهر ، فكان أكثر من صاحب الحلة سيراء . « أطول ملوك الإسلام فيه مدة وزمنا » . راجع الحلة سيراء 1 197 200 و 2 258 و 352 و 367 ، وطبقات السبكي ، والعبر 4 137 ، والكامل 8 177 ، والبيان المغرب ص 228 234 ، وأزهار الرياض 2 257 284 ، والمعرب في حلى المغرب 1 176 181)

ثلاثمائة وسي سورها معقلا موسى بن أبي العافية وقال أحمد بن محمد الرازي (1) يذكر ذلك

واسك الناصر ديس الله فيما يحوط لدين عيرساه
سي لموسى عدة مدينه مبيعة شاهقة حصينة
ذلت لها تاهرت والاوقة ولم يفق بنبلها العمالقة

وكيلهم يسمونه مدّ ، وهو خمسة وعشرون مدّا بمد النبي صلى الله عليه وسلم ورطلهم مثل رطل بكور ، ثنتان وعشرون اوقية . والاوقية خمسة عشر درهما . وقدرهم من جميع الاشياء بهذا الرطل . والدرهم بها عدة قراريط ، كل قيراط خمسة عشر درهم

ومن المرادي ، مرسى مليلة ، وهو صيفي ويواريه من بر الاندلس ، مدينة شلوبينه . وسنذكر اقصاب مرسي من بكور أخذاً الى الشرق وما يحديها من مرسي الاندلس الى مرسى مليلة ومن مرسى مليلة الى الشرق مرسى مدينة جراوة ، وهو مامون

الادريسي

ومدينة مليلة ، مدينة حسنة متوسطة ذات سور منيع وحال حسنة على البحر . وكان لها قبل هذه عمارات متصلة وزراعات كثيرة . ولها بئر فيها عين ربية كثيرة الماء ومنها شربهم ويحيط بها من قبائل البربر بصون بُطَّوِيّة . ومن مليلة الى مصب الوادي الذي يأتي من آقرسيف 20 ميلا . وأمام مصب هذا النهر جزيرة صغيرة . ويقابل هذ الموضع من البريه مدينة جراوة .

ياقوت

مليلة ، بالفتح ثم الكسر وياء تحتها نقطتان ، مدينة بالمغرب قريبة من سبتة

(1) هو أحمد بن محمد بن موسى بن بشير بن حماد الرازي ، أبو بكر الكناني ، مؤرخ أندلسي من قرطبة ، له مؤلفات كثيرة في التاريخ ، فيما يروي ابن الفرضي ، كما كان عارفا بالأدب والشعر راجع : تاريخ علماء الأندلس 40/1

البصـــرة (1)

ابـــن حـــوقـــل

البصرة ، مدينة مقتصدة عليها سور ليس بالمنيع ولها مياه عن خارجها من عيون عليها بساتين يسيرة من شرقيها ولها علاة كثيرة من القطن المحمول الى افريقية وغيرها ومن علاتهم القمح والشعير والقطاني ، وسهمهم في دبث وغير وهي خصبة كثيرة الخيرات حسنة الاسواق ، والعمارة طيبة الهواء صحيحة التربة . وفيها قوم لهم حظ وميل الى السلامة والعلم ، ولهم محاسن في خلقهم ، قد غلبت سفاهتهم ورجاحتهم وغلب عليهم حسن القدود واعتدال الخلق وجمال الاطراف . ويشملهم الستر والسلامة والمعروف . وبين البصرة والمدينة المعروفة بالاقلام أقل من مرحلة .

البكـــري

البصرة ، مدينة كبيرة واسعة ، وهي اوسع تبث النواحي مرعى وكثرها ضرع وكثرة ماشية تعرف ببصرة لدبان (الألبان ؟) ، وتعرف أيضا ببصرة الكتان . كانوا يتبايعون في بدء امرها في جميع تجارتهم بالكتان وتعرف ايضا بالحمراء . لانها حمراء التربة وسورها مبني بالحجارة والطوب وهي بين شرفين ولها عشرة ابواب وجامعها سبع بلاطات . وبها حمامات . ومقبرتها الكبرى في شرقيها في جبل . ومقبرتها العربية تعرف بمقبرة قصاعة . وماء المدينة زعاق . وشرب أهلها من بئر عذبة على باب المدينة تعرف ببئر ابن ذكاء وخارجها

(1) وتسمى أيضا بصرة لكتان أو بصرة للبان مدينة لم يبق لها من أثر في عصرنا وهذه المدينة هي التي يسميها مرمول Marmo بست Basil وبسا Bava وبشر Besara وموقعها من ناحية العرب على نهر مدا ، ومن ناحية الشرق على الطريق إلى وزان ، وهي تبعد ثمانين ميلا عن فاس وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن البصرة قد قامت في مكان المدينة الرومانية Tremulae والبصرة شيّدت في أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) . وكانت في منتصف القرن الرابع عاصمة ولاية بصرة الريف وبلاد عمارة جمع بحسين بن محمد الوزان ، ووصف افريقيا ابن الأثير ، جغرافية سيرته 1 131 132 ، سلاوي الاستقصا 1 172 وكذلك Tissot Recherches sur la Mauritanie Tingistane

ابـن عـذاري (*)

أسست البصرة (1) في الوقت الذي أسست فيه أصيلا وعلى ثمانية أميال منها جبـل يقال له صَرْصَرْ ، كثير المياه والثمار يسكنه مصموده . وأول من ملكها ابراهيم بن القاسم ثم أخوه أحمد بإبراهيم ، ثم برهون بن عيسى ثانية ، ثم سعيد علام المطفر من قبل مصالة بن حبوس (2) ثم حسن بن محمد بن الحجام ثم محمد بن يحيى بن القاسم ولـد الحبوطي ، ثم عيسى بن أحمد المعروف بأبي العيش (3) ثم أحمد بن القاسم ثانيـة ، ثم وال من قبل ابن أبي العافية ، ثم أبو العيش بن أحمد ثالثة ، ثم أحمد بن أبي العيش الى سـنة 347 .

ولما خرب أبو الفتوح يوسف بن زيري الصنهاجي أمير افريقية مدينة البصرة .

* *
*

(*) نورد وصف ابن عذاري بصفة استثنائية لأنه يحتوي على عناصر لم يذكرها غيره .

(1) أسسها محمد بن إدريس بن إدريس في سنة 218 هـ (833) وقد وليها القاسم بن إدريس لأخيه محمد بن إدريس القائم بعد أبيه إدريس الثاني عقب وفاته في 12 جمادي الثانية سنة 213 هـ أغسطس 828 م) . راجع تقسيم محمد محمد بن إدريس لمملكة الأدارسة بين إخوته في الاستقصا (173/1) ؛ روض القرطاس (ط . فاس ، ص 6) ، وكذلك لحنة السيره (131/1ـ132) .

(2) مصالة حبوس المكناسي أمير بربري عاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وكان من أعظم قواد عبيد الله المهدي الذي ولاه على تيهرت ومن هناك زحف على المغرب الأقصى في سنة 305 هـ على فاس التي كانت في يد يحيى بن إدريس وحمله على إعلان طاعته للعبيديين وأنفذه أميرا على مدينة سبتة لابن عمه ، موسى بن أبي العافيه على بقية اطراف المغرب الاقصى . جمع أخباره في نفح (6 134) والبيان (1 197) إدريس

(3) عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله الحسني المدني مات في فتح ... من سلالة بني سليمان ملكو ... و شعب وسبس ... هو بني بن مدينة ... وبنى بمدينة ... وتوفي بها سنة 330هـ راجع البكري (ص 77)

فـاس (1)

ابـن حـوقـل

وفاس مدينة جليلة يشقها نهر . وهي جانبان يفصلهما اميران مختلفان . وبين هاتين الجانبين لقتال لوائمة والقتل البديع المتصل ونهرها كثير عزير الماء عليه ارحية كثيرة . وهي مدينة حصينة مفروشة بالحجارة ، أحدثها ادريس بن ادريس . في كل يوم من ايام الصيف

---

(1) ـ راجع غير ما ذكر آنفا : روض القرطاس في أخبار ملوك فاس . جذوة المقتبس . نسوة الاعلام . نزهة الحادي . لاستقصا في أخبار مغرب الأقصى . زهرة الآس . وكتب Leon l'Africain *Description de l'Afrique*

Marmol, *Description de l'Afrique*, Traduction d'Abancourt , Gaillard (H) *Une ville d'Islam* , Mouléras (A), *Fès* Lucas (G), *Fès dans le Maroc Moderne* Le Tourneau (R), *Fès avant le protectorat*, *Fès at the Age of the Marinides* Levi Provençal *La Fondation de Fès* (Annales d'Etudes Orientales IV 23 ومؤلف نفسه *Islam d'Occident* *Neue Reisen eines deutschen Arztes in Fès*

ـ ـ ـ

يرسل في أسواقها من نهرها الماء فيغسلها فتبرد الحجارة وجميع مافيها من الفواكه والغلات والمطاعم والمشارب والتجارات والمرافق والخانات ، فزائد على سائر ماقرب منها وبعد في أرض الهبط ، وظاهر بكثرة حده وموضعه ومستفاض بوفورة مكانه ومرفقه .

المقـــدّسي

وأما فاس ، فان أهلها ولا انهم علوق . وهي اسم القصبة ايضا . وتسمى الكرة السوس الادنى . ومن مدنها البصرة ورلول وسوق الكتامي وورعة سبو . . . وأريلا وسبتة ، بلد غمارة ، ومساكنة ، وقلعة شميث ...

وفاس بلدان جليلان كبيران كل واحد منها محصن بينهما واد حرار عليه بساتين وأرحيه قد أستولى على أحدهما الفاطمي وعلى الآخر الاموي .

وكم ثم من حروب وقتل وغلبة . بناؤها مدر وحصنها طوب ، وبها قلعة شميت بناها البوري وأخرى على الوادي بناها ابن أحمد . وهو بلد كثير الخيرات والتين والزيتون ، غير أنهم كما ترى وفيهم ثقل وغباء ، أهل خير وصلاح وأقل انقلابا من غيرهم .

البكـــري

ومدينة فاس مدينتان مفترقتان مسورتان وبينهما نهر يطرد وأرحاء وقناطر . وعدوة القرويين في غربي عدوة الأندلسيين وعلى باب دار الرجل فيها رحاه وبستانه بأنواع الثمار . وجداول الماء تحرق داره . وبالمدينتين أزيد من ثمانمائة رحا ، فيها نحو عشرين حماما . وهي أكثر بلاد المغرب يهودا يختلفون منها إلى جميع الآفاق . ومن أمثال أهل المغرب : «فاس بلد بلا ناس» . وكلتا عدوتي فاس في سفح من جبل والنهر الذي بينهما مخرجه من عين عزيزة في وسط مرج ببلاد مطغرة ، على مسيرة نصف يوم من فاس . وأسست عدوة الأندلسيين في سنة أثنتين وتسعين ومائة ، في ولاية ادريس بن ادريس ومات ادريس بمدينة وليلي من أرض فاس على مسافة يوم من جانب الغرب وكانت وفاته سنة ثلاث عشرة ومائتين في شهر ربيع الأول . ولعدوة الأندلس من الابواب ، باب المفتوح قبلي منه يخرج إلى القيروان ، وباب الكنيسة شرقي يقابل ربض المرصي ، وباب أبي حنوف شرقي وباب حصن سعدون جوفي ، وباب الحوض غربي ، يقابل عدوة القرويين وباب سبتة منه ومن هذين البابين يخرج أهل هذه العدوة إلى الحرب إذا كان بينهم اختلاف وتقوم الحرب حينئذ بموضع يعرف بكدية العود وباب الفوارة وبها جامع حسن فيه ستة بلاطات طوله

من الشرق الى الغرب وعمده ارحى كذلك ، وله صحن فسيح فيه اصول حور وشجر وساقية تعرف بساقية مصمودة غزيرة الماء وبهذه العدوة تفاح حلو يعرف بالاطرابلسي جليل حسن الطعم يصبح به وبه عفنة ولا يصلح بعدوة القرويين وسميد عدوة الاندلسيين اطيب من سميد القرويين كدقتهم بصنعته . وكذلك رجال عدوة الأندلسيين أشجع وأنجد من القرويين ، ونساؤهم أجمل من نساء القرويين ، ورجال القرويين أحمل من رجال الاندلسيين ولعدوة القرويين من الأبواب باب الحصن الجديد يخرج الى روّاعة ، وباب السلسلة شرقي يخرج منه الى عدوة الأندلسيين ، وباب القناطر شرقي ، وباب سباع يحيى بن القاسم جوفي يخرج منه الى المحاص والى وشتاتة ومعيلة . وباب سوق الأحد غربي ويخرج منه الى زوّاغة ، وهو جامع فيه ثلاثة بلاطات طولها من الشرق الى الغرب ، بناه ادريس بن ادريس وله صحن كبير فيه زيتون وشجر وله سقايف وبها نحو عشرين حمام . وهي أكثر سقايين وميها . وعدوة الاندلسيين يجري الماء عليهم ولا ، ويجود بهذه العدوة الاترج ويعظم ولا يجود بعدوة الاندلسيين وكذلك العدوتين جميعه بخطر عظيمة لقدر وموقع وادي فاس بوادي سبو . وهي غربي عدوة القرويين في بلد معبدة موضع يقال له بسيج ، سمي بهذه ومن هذا الموضع انهزم ابو زكريا بن ابي حفصية سنة حدى وتسعين وثلاثمائة . (1) هزمه ابو محمد وحتوو على معسكره . وبنهر فاس الحوت المعروف بالليبس كثير . وقال محمد بن اسحق المعروف بالبجلي :

يا عدوة القرويين التي كرمت ... لازال جانبك المخصور ممطورا
ولا سرى الله عنك ثوب نعمته ... أرض تحسنت الانام والزورا

وأنشد ابراهيم بن محمد الاصيلي :

دخلت فاس ولي شوق الى فاس ... والحبس يأخذ بالعيس والرأس
فسوف أدخل فاس ماحييت ولو ... أعطيت فاسا بما فيها من الناس

وقال أحمد بن فتح ، قاضي تاهرت في كلمة له :

أصبح على كل فاسي مررت به ... في العدوتين معا لاتبقين أحدا
قوم عذلوا اللوم حتى قال قائلهم ... من لا يكون لئيما لم يعش رغدا

(1) جمع هذه الحوادث في الفصل الذي خصصه ابن خلدون للحديث عن دولة بني أبي العافية في ج 6 ص 134 137

ومنهم يبيع من الصاع ثمانين اوقية . ومنهم يسمونه النوح وفيه من هذا المد مائة وعشرون مدا وجميع ماكولات من الزيت والعسل والسمن والزيتون عندهم بلاوق وحوانيها من قبائل البربر ترهنه ومغيلة واوربه وصدينة وهواره ومكناسه وزواغة .

وفاس هي دار مملكة بني ادريس بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان نزول ادريس عند دخوله المغرب بوليلي . وولبلي . هي طنجة بالبربرية .

الادريسي

ومدينة فاس مدينتان بينهما نهر كبير يأتي من عيون تسمى عيون صنهاجة ، وعليه في داخل المدينة ارحاء كثيرة تطحن بها الحنطة بلا ثمن له خطر . والمدينة الشمالية منهما تسمى القرويين وتسمى الجنوبية الاندلس . ماؤها قليل ولكن يشقها نهر واحد يسير بعلاها وينتفع منه ببعضها . وأما مدينة القرويين ، فمياهها كثيرة تجري منها في كل شارع . وفي كل رفاق ساقية متى شاء اهل الموضع فجروها فغسلوا مكانهم منها ليلا فتصبح أرقتهم ورحابهم مغسولة وفي كل دار منها صغيرة كانت أو كبيرة ، ساقية ماء نقيا كان أو غير نقي . وفي كل مدينة منها جامع ومسر . وبين المدينتين أبداً فتن ومقاتلات وبالجملة ، أن أهل مدينتي فاس يقتل فتيانها بعضهم بعضا . وبمدينة فاس ضياع ومعايش ومباني سامية ودور وقصور ولأهلها اهتمام بحوائجهم ومبانيهم وجميع آلاتهم . ونعمها كثيرة والحنطة بها رخيصة لاسعار جدا دون غيرها من البلاد القريبة منها . وفواكهها كثيرة وحصبها رائد وبها في كل مكان منها عيون نابعة ومياه جارية وعليها قباب مبنية ودواميس محنية ونقوش وصروف من الرخام وبحارجها الماء مطرد نابع من عيون غزيرة . وجهاتها مخضرة مونقة وبساتينها عامرة وحدائقها ملتفة . وفي أهلها عزة ومنعة . ومنها الى سجلماسه مرحلة .

يـاقـوت

فاس ، بالسين المهملة بلفظ فاس البحار، مدينة مشهورة كبيرة بالمغرب من بلاد البربر وهي حاضرة اكبر واجل مدنه قبل ان تختط مراكش وفاس محتضنة بين تبتين عظيمتين وقد تصاعدت العمارة في حضيها على الجبل حتى بلغت مستواها من رأسه وقد تفجرت كلها عيونا تسيل الى قرارة واديها الى نهر متوسط مستبطن على الارض منحدر من عيون

في عربيها على ثلثي فرسخ منها بجزيرة دوي ، ثم ينساب يمينا وشمالا في مروج خضر . فاذ أنتهى النهر الى المدينة طلب قرارتها فيفترق منه ثمانية أنهار تشق المدينة عليها نحو ستمائة رحي في دخل المدينة كلها دائرة لا تبطل ليلا ولا نهاراً ، تدخل من تلك الانهار في كل دار ساقية ماء كبار وصغار . وليس بالمغرب مدينة يتخللها الماء غيرها الا غرناطة بالاندلس . وبفاس يصبغ الارجوان والاكسيه القرمزية . وقلعتها في أرفع موضع فيها يشقها نهر يسمى الماء المفروش اذا تجاوز القلعة أدار رحي هناك . وفيها ثلاثة جوامع يخطب يوم الجمعة في جميعها . قال أبو عبيد البكري : مدينة فاس مدينتان مسورتان (الخ . ما ذكر أعلاه) .

ومنها الى سبتة عشرة أيام ، وسبتة أقرب منها الى الشرق . وقال البكي يهجو أهل فاس .

فراق الهم عند خروج فاس ... لكل ملمة تخشى وباس
فأما أرضها فأجل أرض ... وأما أهلها فاخس ناس
بلاد لم تكن وطنا لحر ... ولا أشتملت على رجل مواسى

أطعن بأبرك من تلقى من الناس
من أرض مصر الى أقصى قرى فاسِ

وله أيضا فيهم :

دخلت بلدة فاس ... أسترزق الله فيهم
فما تيسر منهم ... أنفقته بينهم

وقد نسب اليهم جماعة من أهل العلم منهم : أبو عمر عمران موسى بن عيسى بن لَحْح الفاسي (1) فقيه أهل القيروان في وقته نزل بها وكان قد سمع بالمغرب من جماعة ورحل وسمع بالمشرق جماعة من العلماء ، وكان من أهل الفضل والطلب .

(1) هو موسى بن عيسى بن أبي حجاج الصفحوني أبو عمران الفاسي ، من فقهاء المذهب المالكي ومن أعلام عصره في القيروان ، وهو ينتسب الى قبيلة صفحوم (فخذ من برنة) ، اصله من فاس ثم رحل بالقيروان وتوفي بها سنة 430 هـ وقد بقي اسمه مقترنا عن عدد من الأعلام ، منهم لاصبغ وسعيد ابن حصه واسرة وعدهم ، ثم حل بالمشرق فر =

القـزوينـي

فاس ، مدينة مشهورة في بلاد البربر على برّ المغرب بين ثنتين عظيمتين ، والعمارة قد تصاعدت حتى بلغت مستواها ، وقد تفجرت كلها عيونا تسير إلى قرارة نهر منبسط إلى الأرض ينساب إلى مروج خضر وعليها داخل المدينة ستمائة رحى ولها قهندز (1) في أرفع موضع منها ويسقيها نهر يسمى المفروش .

ومضى ونقل جزءا من وصف البكري مما في ذلك الأبيات الشعرية التي أوردناها سابقا

ابن سعيـد

وفي عربيها (تلمسان) مدينة فاس ، حيث الطول عشر درجات وخمسون دقيقة والعرض ثلاث وثلاثون درجة [وهي] من خواص المغرب الملأى بالخيرات والصنائع العربة ويقال ان فيها من العيون عدد الايام ويسقيها نهرها الآتي من المرج الذي في شرقيها وينصب في نهر سبو الذي على شماليها . وفي شرقي فاس جبل مديون يمتد الى الجنوب وفيه تعمل البرانس المديونية التي لا ينفذ منها المطر . ويختص هذا الجبل من جنوبه بجبل تارا وغمارة . ومن الجبال التي في جنوبي فاس ينزل نهر سبك ومنه ، وفي جنوبي هذا النهر ينزل نهر أم ربيع . ومن الجبال التي في شمال فاس ينزل نهر يسر . وكلها تصب في البحر المحيط على مارسم. وفي شمال فاس مدينة مكناس المشهورة الكثيرة الزيتون . وبينها وبين فاس أربعون ميلا .

أبـو الفـدا

فاس ، مدينتان يشق بينهما نهر . وفي فاس عدة عيون تجري . وللمدينة ثلاثة عشر

- فاس : بعد وجع عده حجات ثم عاد إلى القهقرى ... جع . « لصبه » (2 611 612 قم 1337) ، جذوة المقتبس (ص 338 قم 391) ، شذرات الذهب (3 247 248) ، المسالك (ص 344 وما بعدها) ، معجم البلدان (5 30 و 77) ، عناية الباهية (321 322) ، دليل مؤرخ المغرب (ترجمة رقم 1010) ، كتاب الوفيات لابن قنفذ (ص 239) .

(1) القهندز (بضم القاف وهاء وبعدها نون) في مغرب ... بعده موضع في بلاد معجم وفي المشترك ومعجم البلدان يقول ياقوت : اسم جنس لكل حصن وسط المدينة العظمى ... جع ، معجم البلدان (4 419) ، تاج العروس (4 72 73)

بانا . والمياه تجري باسواقها وديارها وحماماتها ، وليس بالمغرب ولا بالمشرق مثلها في هذ الشأن . وهي مدينة محدثة اسلامية . ونقل ابن سعيد عن الحجاري انهم لما شرعوا في حفر هذه المدينة وجدوا فاس في موضع لحفر فسميت بذلك . قال وعلى انهارها داخل المدينة نحو ستمائة حجر أرحى تدور بالماء دائما . وأهل فاس مخصوصون برفاهية العيش . ولفاس قلعة بارفع مكان بها ويشق القلعة نهر . وفي فاس ثلاثة جوامع يخطب فيها . ومنها الى ستة عشره أيام ومخرج نهرها على نصف يوم من فاس ، يجري في مرج وأزهار حتى يدخلها . قال في كتاب الاطوال : وفاس قصبة طنجة .

القلقشنـــدي

فاس (القاعدة الاولى) ، بفتح الفاء ثم ألف وسين مهمله . وهي مدينة بالغرب الاقصى واقعة في آخر الاقليم الثالث من الاقاليم السبعة . قال ابن سعيد : حيث الطول عشر درجات وخمسون دقيقة والعرض ثلاثة وثلاثون درجة . قال وسميت بفاس (الى آخر ما ذكر أعـلاه) . قال في تقويم البلدان : وهي مدينتان يشق بينهما نهر . الاولى ، فاس القديمة والمياه تجري باسواقها وديارها وحماماتها ، حتى يقال انه ليس بالمشرق ولا بالمغرب مدينة تضاهيها في ذلك ، الا أن أرضها ذات أرتفاع وأنخفاض وفيها عدة عيون . قال أبو عبد الله العسلي عدّتها ثلاثمائة وستون عينا . قال ابن سعيد : لم أرَقطّ حمامات في داخلها عين تنبع الا في فاس . قال وهي اكثر مياها من دمشق . قال ابن سعيد في «المغرب» : وهي مدينتان : احداهما بناها ادريس بن ادريس بن عبد الله ، احد خلفاء الادارسة في المغرب ، وتعرف بعدوة الاندلس والاخرى بنيت بعدها وتعرف بعدوة القرويين . وقال في الروض المعطار» : وكان بناء عدوة الاندلسيين في سنة اثنتين وتسعين ومائة وبناء عدوة القرويين في سنة ثلاث وتسعين ومائة . وعدوة القرويين كثر عيون وبساتين واشجار من عدوة الاندلسيين . ورجال عدوة الاندلسيين اشجع ورجال عدوة القرويين اجمل وبناء عدوة الاندلسيين اجمل وبعدوة الاندلسيين تفاح طيب الطعم يعرف بالصرفي لايصح بعدوة القرويين وبعدوة القرويين ترنج حسن لا يصح بعدوة الاندلسيين مع التقارب على ضفة النهر الغربية وهي في مستوى من الارض وهي في علو لا يحكم النهر عليها . والثانية ، فاس الجديدة ، ثلاثة مدن (من) بناء بعض ملوكها تعاشيب بها الآن حين ملكوا المغرب الاقصى وما يليه معها ثلاث مدن على الضفة الغربية للنهر .

أولها ، المدينة البيضاء ، وتعرف بالجديدة . بناها أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق (1) أول من أستقل بالملك بعد الموحدين .

الثانية ، مدينة حمص ، ويعرف موضعها بالملاح . بناها ولده أبو سعيد ، عثمان بن أبي يوسف ، الى جانب المدينة البيضاء المتقدم ذكرها .

الثالثة « ربض النصاري » ، وهي المتحدة لسكنى النصاري من الهربج المستخدمين بخدمة السلطان . وهذه المتحددات الثلاث على ضفة النهر العربية فربض النصاري ، يقابل فاس القديمة على بعد من ضفة النهر والبيضاء ، وهي فاس الجديدة ، أحدة من شمالي ربض النصاري الى ضفة النهر . وأول عمارة فاس الجديدة آخر عمارة فاس العتيقة . وحمص راكبة على النهر بشمال على جانب فاس الجديدة آخذة الى ربض النصاري ينصب من الجنوب الى الشمال ، ثم ينعطف على زاوية آخذا من الغرب الى الشرق حتى يصير كأنه يحدر من الغرب ، وحمص على محراه هناك ، ثم يمر آخذا الى الشرق على حاله فوق فاس الجديدة ، ثم ينعطف عليها بزاوية الى الجنوب ثم ينعطف الى الشرق جائزا بها . وهناك فاس العتيقة على الضفة الشمالية . والقصبة ، وهي القلعة ، بها في غربيها مرحلة على الارض لا تتميز على المدينة برفعة ولا بناء عال . ويصير النهر مستديرا بفاس الجديدة من جانب الشمال على المجرى المركب عليه حمص . ومن الشرق حيث أنعطف النهر عند فاس العتيقة .

قال في « مسالك الابصار » وهذا النهر متوسط المقدار . عرضه في المكان المتسع نحو أربعين ذراعا ، وفي الضيق دون ذلك ، وربما تضايق الى خمسة عشر ذراعا .

(1) هو يعقوب بن عبد الحق بن محيوس أبي بكر بن حمامة المريني الزناتي (607 685 هـ) سلطان المغرب الاقصى بعد أبيه ، ولي بعد أخيه والد على كره وعنوة ، وقد مات أخوه في سنة 656 هـ ، أقبل إلى فاس حيث بايعه الناس وقد هدمه بنو عبد الواد قصر بها ، وكان أول من قام بتشييد مدينة سلا من حكام الأندلس وصرفهم منها وفي سنة 660 هـ ، أركب ثلاثة آلاف فارس من بني مرين وعبر بحرا إلى الأندلس للجهاد ، ثم جمع جيشا قويا وأغار على ثغر جيش الموحدين وعلى يده انقرضت دولة الموحدين بني عبد المؤمن في المغرب في سنة 674 هـ ، وبعدها استولى على سجلماسة (672هـ) وسجلماسة (673هـ) صفاته المغرب كله ، فلم يبق يتوطن بقطر حصون وينشئ في الأقوياء في الأندلس ولما عاد إلى المغرب أقام بفاس حيث أمر ببناء « المدينة البيضاء » ملاصقة لها وتتصل بها جوانبها وسورها . كما أمر ببناء قصبة « مكناسة » وقد استمر على الجهاد وبعد في الأندلس حتى توفي بقصبته في جزيرة الحمراء وقبر برباط الفتح . راجع سيرته وغزواته في الاستقصا 10/2—32 ؛ الذخيرة السنية ص 92 ؛ جذوة الاقتباس ص 349 ، الأنيس المطرب بقرطاس ص 5 من الكرتاس 27 ، الحلل الموشية وصفحة الرياض ص 143 148

قد دوبه . وعمقه في غالب تقدير قامة رجل . وقال في « مسالك الابصار » عن ابن سعيد أن نهرها يلاقي وادي سبو ، وهو من أعظم أنهار المغرب ، يصب في البحر المحيط بين سلا وقصر عبد الكريم . قال في « تقويم البلدان » قال ابن سعيد : وعلى أنهارها داخل المدينة نحو ستمائة رحى تدور بماء دائم . قال في « مسالك الابصار » وعليها باعورة ترفع الماء الى بستان السلطان . وبناء فاس العتيقة بالآجر والجبال مكتنفة بها ، وعلى كل من عتيقها وجديدها سور دائره محصنة ذات بروج وبادنات وجميع ابنيتها بالحجر والآجر والجص موثقه البناء مشيدة الاركان ، وتزيد فاس الجديدة على فاس العتيقة في الحصانة والمنعة وامتناعه سور واحد من الحجارة والجديدة بسورين من الطين المقرع بالقضب من تراب ورمل وجص مضروب . وهو شديد من الحجر ولا تعمل فيه المجانيق ولا تؤثر فيه ، وكذلك سبيلها وسقوف جميعها الخشب . وربما عشيت بعض السقوف بالقصدير والأصباغ الملونة وارض دور وقائها مفروشة بالبليط ، وهو نوع من الآجر مدهون بدهان ملون ، كالقاشاني بالابيض والاسود والاحمر والاخضر ، وما يتركب من هذه الالوان . وعنده الازرق الكحلي . وربما تحد منه الوزرات بحيطان الدور . قال في « مسالك الابصار » وسألت السلائحي عن مقدار عدة فاس عتيقها وجديدها ، فقال : تكون قدر ثلث مصر وقاهره وحواضرها . قال في « تقويم البلدان » وبمدينتين ثلاثة عشر بابا وفي مدينة محارق لعلال ، وهي مكان يستدير عليه سور منيع عليه باب وعلق داخله المطامير . وبفاس العتيقة داخل سورها حمان وبساتين ذات أشجار وبساتين في دور الكبراء وبيوت الاعبدة ثم قال : وبكل من فاس القديمة وفاس الجديدة المعروفة بالبيضاء وحمص الجوامع والمساجد والقيسارية والحمامات والاسواق . من مدارس وخوانق وربط فيها حيث تختلف اهل المغرب من الجوهر لا تزر يسير جدا (1) وبفاس العتيقة مارستان . وبفاس مجالس مبنية على عمد من حجر وأخرى وقت تظل على صحن بلاط ، وفي وسط صحن الدار بركة يصب بها ماء ويعبر عنها عندهم بالصهريج . ولهم عناية باتخاذ القباب في بيوتهم حتى يوجد في دار الكبير قبتان فأكثر . وحماماتهم صحن واحد ، لا خلاوى فيها ولذلك تتخذ عامة النساء الخدمات في بيوتهم فرارا من مخالطة العامة في الحمام

---

(1) هذا وصف جيد لاحتفاظ وعنايته في مدينة فاس في القرن السادس عشر في وصف فريدة بمحاسن محمد الوزان المصدر المذكور (1/179 ـ 240)

قال ابن سعيد : ومدينة فاس متوسطة بين ملك المغرب ، بينها وبين مراكش عشرة أيام ، وبينها وبين سبتة عشرة أيام ، وبينها وبين سجلماسة عشرة أيام .

قال في « مسالك الابصار » ولدت صنعت ، تكون قاعدة الملك وهي تشبه الاسكندرية في المحافظة على علوم الشريعة وتغيير المنكر والقيام بالناموس وتشبه دمشق في البساتين .

وقد ذكر ابن مُنْقِذ (1) ، رسول السلطان صلاح الدين بن أيوب إلى بلاد المغرب ، أنهم أحرجوا إلى بستان بفاس يقال له البحيرة متحصلة في كل سنة خمسة وأربعون ألف دينار وله بركة ذرع كل جانب منها مائتان وستة عشر ذراعا ، يكون دورها ثمانمائة ذراع وأربعة وستين ذراعا . قال : وبها ماهو أكبر من ذلك . قال في تقويم البلدان وأهلها مخصوصون برفاهية العيش . قال في « مسالك الابصار » ولأهلها حسن الصنعة والمخروطات من الخشب والنحاس . قال أبو عبدالله السلايحي : ولكنها وَخْمَة ثقيلة الماء تعلو وجوه سكانها صفرة وتحدث في أجسادهم كسلا وفتورا .

* * *

(1) هو أسامة بن مرشد بن علي الكناني الكلبي الشيزري (488 -- 584 هـ) مؤيد الدولة ، أمير من بني منقذ أصحاب قلعة شيزر (Zaizar عند الصليبيين) ، من العلماء الشجعان وله تصانيف عديدة في فنون الأدب ، منها لباب الآداب والعصا (طبع) وديوان شعر . وقد قاد عدة حملات ضد الصليبيين في فلسطين ، وسكن دمشق حيث استدعاه صلاح الدين لأيوبي إليه ، فأقام عنده مكرما معززا ، وكان قد تجاوز الثمانين انظر ترجمته في وفيات الاعيان 1 195 199 ، معجم الأدباء 5 188 البداية والنهاية 12 331 ، تهذيب ابن عساكر 2 400

مـراكـش (1)

الادريـسـي

مدينة بناها يوسف بن تاشفين (2) في صدر سنـة 470 ، بعد ان اشتـرى ارضها من اهل اغمات بحمنة اموال واختطها له وسمي عمه . وهي في وطاء من الارض ليس حولها شيء من الجبال الا الجبل صغير يسمى ايجليز ، ومنه قطع الحجر الذي بني منه قصر أمير المسلمين ، علي بن يوسف بن تشفين ، وهو المعروف بدار الحجر ، وليس في موضع مدينة مراكش حجر البتّة الا ما كان من هذا الجبل وانما بناؤها بالطين والطوب والطوابي

(1) جمع عبد الله بكر أعلاه ، البكري ، ابن صاحب الصلاة ، ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ابن أبي دينار ، المؤنس ابن إبراهيم المراكشي ، عذارى الكمال ، علي بك العباسي ، الرحلة ، ج 1 ، الحسن بن محمد الوزان ، وصف أفريقية

Marmol, Description General de Africa , De Chenier (L) Recherches Historique sur les Maures, (T III Melanges) Rene Basset (1939) I et II , Jacksons, Account of The Empire of Morocco , Lambert (P), Notice sur la ville du Maroc (Bull Soc Geogr), 1868 Drutte, Marrockech , Champnion (P), Rabat et Marrakech (les villes d'art célébres) Terrasse (H) Sanctuaires et Portresses almohades (Hesperis, 1925 27) ; Terrasse (Ch), Madras du Maroc

(2) هو يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي ، أبو يعقوب ، سلطان المرابطين وأول من تلقب منهم بأمير المسلمين ولد في سنة 410 هـ (1019 م) في جنوب المغرب وولاه أبوبكر بن عمر اللمتوني شؤون الغرب وبعدما استولى على فاس وغزا الأندلس وسقل بالمغرب ، بنى مدينة مراكش سنة 465 هـ (1072 1073 م) ولما واجه المعتمد بن عبّاد صعوبات مع ألفونسو ، استنجد بيوسف بن تاشفين ، فسحق جيوش الاسبان المشهور في معركة « الزلاقة » (سنة 479) وتبعه من شاهد هذه المعركة من ملوك الأندلس وقد عاد إلى مراكش ثم لم يبرح أمير جيشه بن الأندلس ودخل غرناطة التي أخرج منها صاحبها ، عبد الله بلكين الصنهاجي وقد توفي يوسف في مراكش في سنة 500 هـ (1106 م) راجع جذوة المقتبس ص 342 ، وفيات الاعيان ، 112/7 130 ، الكامل 9 216 و 10 145 ، بغية كاترود (طبعة الجديدين) 1 86 ، المعجب في أخبار المغرب ص 162 الاستقصا 106/1 ، المعجب في أخبار المغرب ص 162 ، الحلة السيراء 1 193 و 2 100 ـ 102 لسان المغرب 3 239 و243 .

المقامة من التراب . وماؤها الذي تسقي به البساتين مستخرج بصنعة هندسية حسنة استخرج ذلك عبد الله بن يونس المهندس . وسبب ذلك أن ماءها ليس بعيد الغور ، موجود اذا أحتفر قريبا من وجه الارض . وذلك أن هذا الرجل المذكور ، عبيد الله بن يونس ، جاء الى مراكش في صدر بنائها وليس بها الا بستان واحد لابي الفضل ، مولي أمير المسلمين

تقدم ذكره ، فقصد الى أعلى الارض مما يلي البستان ، فاحتفر به بئرا مربعة كبيرة التربيع ، ثم احتفر منها ساقية متصلة الحفر على وجه الارض ، ومر يحفر بتدريج من أرفع الى أخفض متدرجا الى أسفله بمقدار حتى وصل الماء الى البستان ، وهو منسكب مع وجه الارض يصب فيه وهو جار مع الايام لايفتر ، واذا نظر الناظر الى مسطح الارض ، لم يربها كثير ارتفاع يوجب خروج الماء من قعرها الى وجهها وبما يحير ذلك عالم بالسبب الذي به استخرج ذلك الماء والسبب هو الوزن للارض ، فاستحسن ذلك امير المسلمين ، من فعل عبيد الله بن يونس المهندس وأعطاه مالا وأثوابا وأكرم مثواه مدة بقائه عنده . ثم أن الناس نظروا الى ذلك ، ولم يزالوا يحفرون الارض ويستخرجون مياهها الى البساتين حتى كثرت البساتين والجنات واتصلت بذلك عمارات مراكش وحسن قطرها ومصرها . ومدينة مراكش في هذا الوقت من أكبر مدن المغرب الاقصى . لانها كانت دار امارة لمتونة ومدار ملكهم وسلك جميعهم . وكان بها أعداد قصور لكثير من الامراء والقواد وخدام الدولة . وازقتها واسعة ورحابها فسيحة . ومبانيها سامية ، واسواقها محتفلة ، وسلعها رافقة . وكان بها جامع بناه أميرها يوسف بن تاشفين . فلما كان في هذا الوقت وتغلب عليها المصامدة وصار الملك لهم ، تركوا ذلك الجامع عطلا مغلق الأبواب ولا يرود الصلاة فيه ، وبنوا لانفسهم مسجدا جامعا يصلون فيه بعد ان نهبوا الاموال وسفكوا الدماء وباعوا الحرم ، كل ذلك بمذهب لهم ، يرون ذلك فيه حلالا . وشرب أهل مراكش من الابار . ومياهها كلها عذبة . وآبارهم قريبة معينة . وكان علي بن يوسف قد جلب الى مراكش ماء من عين بينها وبين المدينة أميال ، ولم يستتم ذلك . فلما تغلب المصامدة على الملك وصار لهم وبايديهم ، تمموا جلب ذلك الماء الى داخل المدينة وصنعوا به سقيات بقرب دار الحجر . وهي الحظيرة التي فيها القصر منفردا متحيزا بذاته . والمدينة تحارح هذا القصر وطول المدينة أشف من ميل وعرضها قرب ذلك وعلى ثلاثة أميال من مراكش نهر لها يسمى تانسيفت وليس بالكبير . لكنه دائم الجري . واذا كان زمن الشتاء حمل بسيل كبير لا يبقى

ولايـــدر . وكان مير المسلمين علي بن يوسف بن علي(1) بنى على هذا النهر قنطرة عجيبة البناء متقنة الصنع بعد أن جلب الى عملها صناع الاندلس ، وجملا من أهل المعرفة بالبناء . فشيدوها واتقنوا بنيانها حتى كملت ، ثم لم تلبث غير أعوام يسيرة حتى أتى عليها السيل واحتمل اكثرها وافلت عقدها وهدمها ورمى بها في البحر الزخار . وهذا الوادي ياتي اليه الماء من عيون ومياه منبعثة من جبل درن مـن نـاحيـة مـدينـة أغمات ايـلان .

وأهل مراكش يأكلون الجراد ، ويباع منه بها كل يوم الثلاثون حملا فما دونها وفوقها . فقباله عليه وكانت أكثر الصنع بمراكش متقبلة عليها مال لازم مثل سوق الدخان والصابون والصفر والمغازل . وكانت القبالة على كل شيء يباع ، دق أوجل . كل شيء على قدره فلما ولي المصامدة وصار الامر اليهم قطعوا القبالات بكل وجه وأراحوا منها واستحلوا قتل المتقبلين لها . ولا تذكر الآن القباله ذكرا في شيء من بلاد المصامدة .

ويسكن بقبلة مراكش من قبائل البربر ايلان ، وهم مصاميد ، وحولها من القبائل نفيس وبنويدفرودكالة وزَجّراجَة وزَوْدَه وهسكوره وهَزْرَجَه .

يـــاقـــــوت

مراكش بالفتح ثم التشديد ، وضم الكاف وشين معجمة . أعظم مدينة بالمغرب وأجلها وبها سرير ملك بني عبد المؤمن وهي في البر الأعظم بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر . وكان أول من اختطها يوسف بن تاشفين من الملثمين الملقب بأمير المسلمين في حدود سنة 370 هـ (2) ، وبينها وبين جبل دَرَنَ الذي ظهر منه ابن تومرت المسمى بالمهدي ثلاثة فراسخ ، وهو في جنوبها . وكان موضع مراكش قبل ذلك مخافة يقطع فيه اللصوص القوافل . كان اذا انتهت القوافل اليه قالوا مراكش ، معناه بالبربرية : أسرع المشي . وبقيت مدة يشرب أهلها من الابار حتى جلب اليها ماء يسير من ناحية أغمات يسقي

(1) علي بن يوسف بن تاشفين (477 — 437) ثاني ملوك دولة المرابطين ، بويع له بعد وفاة أبيه في سنة 500 هـ وسلك طريق أبيه في الحكم ، وقد عبر إلى الأندلس مجاهدا وبنا هناك عدة حصون . وهو آخر ملوك هذه الدولة قاصطرعت شؤون دولته وماتت عـ راجع الاستقصا 123.1 ، الحلل الموشية ص 61 — 90 ، جذوة المقتبس 291 .

(2) هذا غلط لأن مراكش أسست ، كما ذكرت في سنة 465 هـ انظر أعلاه ، ص 34

بستان لها . وكان أول من أتخذ بها البساتين عبد المؤمن بن علي يقولون أن بستانا منها طوله ثلاثة فراسخ .

القزويني

مراكش من اعظم مدن المغرب ، واليوم سرير ملك بني عبد المؤمن . وهي في البر الاعظم ، بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر .. وبها كثيرة الجنان والبساتين ويخرج خارجها الخلجان والسواقي ومياتيها الارزق من الاقطار والبوادي ، مع ما فيها من حي الاشجار والكروم التي يتحدث بطيبها في الافاق والمدينة ذات قصور ومبان محكمة .

بها بستان عبد المؤمن بن علي . ابي الحفناء ، وهو بستان طوله ثلاثة فرسخ ، وكان مملوء من الابار ، فجلب اليها ماء من أعماق تسير وتسقي بساتين لها . وحكى أبو الربيع سليمان الملتاني أن دور مراكش أربعون ميلا .

ينسب اليها الشيخ الصالح سني بن عبد الله المراكشي وكان شيخا مستجاب الدعوة ، ذكر أن القطر حبس عنهم في ولاية يعقوب بن يوسف ، فقال : ادع الله تعالى أن يسقينا . فقال الشيخ : أبعث الي خمسين ألف دينار حتى أدعو الله تعالى أن يسقيكم في أي وقت شئتم ! فبعث اليه ذلك ففرقها على المحاويج ، ودعا فجاءهم غيث مدرار أياما . فقالوا له : كفينا ، أدع الله أن يقطعه ! فقال : أبعث الي خمسين ألف دينار حتى أدعو الله أن يقطعه ففعل ذلك ففرق المال على المحاويج ودعا الله تعالى فقطعه . والله الموفق .

ابن سعيد

وفي شمالها (اغمات) بميلة قليلة الى الغرب ، على نحو خمسة عشر ميلا ، حاضرة المغرب ، مراكش ، بناها يوسف بن تاشفين المتولي سلطان الملثمين في أرض صحراوية ، وجلب اليها الماء ، وأكثر الناس فيها من البساتين [وقد] كثر وخمها ولا يكاد غريب يخلص فيها من الحمى ، ولاسيما الملثمة . وعلى أربعة أميال منها نهر تانسفت ينزل من جبل درن ، فيمر شرقيها وشماليها وعليه ارحى وتخرج منه جداول تسقي البساتين وتصب في نهر تفيس المليح الذي على شطيه الكروم ذوات الاعناب المفضلة والبساتين الكثيرة والعمائر المفصلة .

وعند مصبه في البحر المحيط ، مرسى أعمات القديم . واختلف في عرض مراكش ، فقيل احدى وثلاثون درجة . والصواب تسع وعشرون درجة .

أبو الفدا

مرّاكش بفتح الميم وتشديد الراء المهملة وفتحها وألف ساكنة ثم كاف وشين . وعن ابن سعيد (نقل النص المذكور أعلاه) . وحنوب مملكة مراكش ، جبل درن ، وفي شمالها مملكة سلا ، وفي غربيها البحر المحيط وفي شرقيها الجهات التي بين سجلماسة وفاس . وبين مراكش سبعة اميال ، وبين سبعة عشر ميلا . وحرها شديد وهي في شمال اعمات بمسيرة يسيرة الى الغرب ، وبينهما نحو خمسة عشر ميلا .

القلقشندي

بعدما نقل كثير من أوصاف المتقدمين قال ان : بمراكش جامع جليل يعرف بالكتبيين ، طوله مائة وعشرة أذرع وعلى بابه ساعات مرتفعة في الهواء خمسون ذراعا ، كان يرمي فيها عند انقضاء كل ساعة صَنْجَةٌ زنتها مائة درهم ، تتحرك لنزولها أجراس تسمع على بعد تسمى عندهم بالنَّحَّاسة. قال في « تقويم البلدان » الا أن الناس أكثروا فيها البساتين ، فكثر وخمها . قال في « الروض المعطار » : وقد هجاها أبو القاسم بن أبي عبد الله محمد ابن أيوب من أهل بلنسية بابيات أبلغ في ذمها ، فقال :

مراكش ان سألت عنها ... فانها في البلاد عار
هواؤها في الشتاء ثلج ... وحرها في الصيف نار
وكل مائم وهو خير ... من أهلها عقرب وفار
فان أكن قد مكثت فيها ... فانما مكثي بها اضطرار

وكانت هذه المدينة دار ملك المرابطين من الملثمين الذين ملكوا بعد بني زيري ، ثم الموحدين من بعدهم . قال ابن سعيد : وبينها وبين فاس عشرة أيام . وقال في « الروض المعطار » . نحو ثمانية أيام . قال : وبينها وبين جبال درن نحو عشرين يوما .

* * *

أغمـــات (1)

ابـن حـــوقـــل

وما عداه وأوعل في براري سجلماسة وأودغست ونواحي لمطة وتاكدمت الى الحبوب ، ونواحي فزان ، ففيه مياه عميها قبائل من البربر المهملين الذين لا يعرفون الطعام ولا رأوا الحنطة ولا الشعير ولا شيئا من الحبوب . والغالب عليهم الشقاء والاتشاح بالكساء وقوام حياتهم باللبن واللحم . وسأذكر ذلك وأصفه بعد فراغي من ذكر المسافات على استقصاء ان شـاء الله وفي مكان آخـــر :

وعن يسار طريق فاس الى سجلماسة اقليم اغمات . وهو رستاق عظيم فيه مدينة كثيرة الخير والتجارة الى سجلماسة وغيرها . ومن سجلماسة الى أغمات ، نحو ثماني مراحل ، ومثلها الى فاس . ومن ورائها الى ناحية البحر المحيط السوس الاقصى وليس بالمغرب كله بلد أجمع ولا ناحية أوفر وأغزر وأكثر خيرا منها . قد جمعت فنون المأكل كلها ذات الصرود والجروم . فيها الارتج والجوز واللوز والنحل وقصب السكر والسمسم والقنّب وسائر البقول التي لاتكاد تجتمع بغيرها . وأهل السوس فرقتان مختلفتان ، مالكيون أهل سنة ، وموسويون شيعة يقطعون على موسى بن جعفر من أصحاب علي بن ورصند .

(1) راجع غير ما ذكر أسفله : روض القرطاس ، معجب في أخبار المغرب ، البيان المغرب (ج 3) ، وصف أفريقية لحسن بن محمد الوزان ، نهر ، في عدة أماكن وكذلك Marmol, Drscription General de Africa, I I
في الجزء السادس والجزء السابع ، إبن رميل ، تحفة الملوك (مخطوط محفوظ في مكتبة اكسفورد) (ورقة 413)

المقدسي

وأما السوس الأقصى . فقصبتها قرقلة ، ومن مدنها أغمات ويلا ، ووريكة ، وتندلي ، وماسة وغيرهن .

البكـــــري

ذكـــر مدينـــة أغمـــات

وهي مدينتان سهيلتان . احداهما تسمى أغمات ايلان والاخرى ، أغمات وريكة ، وبها مسكن رئيسهم ، وبها يزل التجار والغرباء ، وأغمات ايلان ، لايسكنها غريب . وبينهم نسائية اميت ، ونهر لطيف جرية من السنة في الصيف ، هذه رعاق يقال له تانيروت . وحولها بساتين ونخل كثير وهو بلد واسع يسكنه قبائل مصمودة في قصور وأجشار . وهو راجي الاسعار كثير الخير يحمل اليه من مدينة نفيس تفاح جيد يباع منه حمل بعل نصف درهم الا أنه وخم الهواء . الوان سكانها مصفرة (وهي) كثيرة العقارب القتالة لتي لا يداوي سليمها ، وبها أسواق جامعة . فسوق أغمات وريكة يقوم يوم لاحد بضروب من السبع واصناف المتاجر ، يدبح فيها أكثر من مائة ثور وألف شاه ، ويفقد في ذلك اليوم جميع ذلك . وكانت امر أهل أغمات دولا بينهم ، يتولى الرجل سنة ، ثم يديرون بآخر عن تراض واتفاق . كذلك ذكر محمد ابن يوسف القيرواني . وساحل أغمات رباط فوز على البحر المحيط . وفيه تنزل السفن من جميع البلاد ، ولاتخرج منه السفن صادرة الا في زمان الامطار وتكدر الهواء واعتراض الجو . فحينئذ تصدق لهم الرياح البرية . فان تمادى ذلك لهم سلمو وان صحى الجو وصفا الهواء هبت لهم الرياح البحرية من المغرب فيهيج عليهم البحر ويقذفهم في البراري ، فقل مايسلمون .

الادريســـي

ومدينة أغمات تكنفها جبل درن ، كما قلناه . فاذا كان زمن الشتاء تحلّلت الثلوج لمزلة بجبل دَرَن (1) فيسيل ذوبانها الى مدينة أغمات ، وربما حمد به النهر في وسط

(1) جبل درن = سلسلة جبال الأطلس وهي التسمية العامة التي تطلق على جميع السلسلة الجبلية التي تخترق شمال افريقية وتمتد من المحيط الأطلسي ، مارة بالمغرب الأقصى والجزائر ، حتى خليج تونس ، على مسافة نحو 1600 ميل وكلمة درن التي يستعملها العرب ، هي تحريف لكلمة « أدرار » البربرية (الجبل) وجبال الأطلس تنقسم إلى ثلاث كتل أساسية كل واحدة منها قائمة بنفسها . سلاسل جبال المغرب الأقصى وسلسلة هضاب الشطوط ، والسلاسل الجبلية التي تمتد على طول الشواطىء البحرية .

المدينة حتى يجتاز الاطفال عليه وهو جامد ، فلا يتكسر لشدة جموده . وهذا شيء عاينناه نحن غير ما مرة . ومدينة اغمات اهلها هواره . ومن قبائل البربر المتبربرين المجاورة . وهم تجار مياسير يدخلون الى بلد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الاموال من النحاس الاحمر والملون والاكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر وصوف النظم من الزجاج والاصداف والاحجار وضروب من الافاوية والعطر والآت الحديد المصنوع . وما منهم رجل يسفر عبيده ورجاله الا وله في قوافلهم المائة جمل والسبعون والثمانون جملا ، كلها موقره ، ولم يكن في دولة الملثم أحد أكثر منهم أموالا ولا أوسع منهم أحوالا . وبابواب منازلهم علامات تدل على مقادير أموالهم ، وذلك أن الرجل منهم اذا أملك أربعة آلاف دينار يمسكها مع نفسه ، وأربعة آلاف يصرفها في تجارته أقام على يمين بابه وعن يساره عرصتين من الارض الى أعلى السقف . وبنايتهم بالآجر والطوب ، والطين أكثر . فاذا مرّ الخاطر بداره ونظر الى تلك العرص مع الابواب قائمة عدّها ، فيعلم من عددها كم مبلغ مال صاحب الدار ، لانه قد يكون من هذا العرض خلف الباب أربع وست مع كل عضادة اثنتان وثلاث وانما الان ، في وقت تاليفنا لهذا الكتاب ، فقد اتى على اكثر اموالهم المصمدة ، وغيرت ما كان بيديهم من نعم الله ولكنهم مع هذا ميسير اغنياء انهم بحوة واعتزاز لا يتحولون عنه . وبمدينة أغمات عقارب كثيرة وكثيرا ما تلسب الناس فتاديهم ، وربما مات من لسته . وبمدينة اغمات ضروب من فواكه وانواع من النعم وكل شيء بها من المأكول رخيص ممكن .

يـــاقـــوت

أغمات ، ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب ، قرب مراكش . وهي مدينتان متقابلتان كثيرة الخير ومن ورائها الى جهة البحر المحيط السوس الاقصى بأربع مراحل ، ومن سجلماسة ثمان مراحل نحو الغرب . وليس في بلاد المغرب ، فيما زعموا ، أجمع لاصناف من الخيرات ولا أكثر ناحية ولا أوفر حظا ولا خصبا منها . تجمع بين فواكه الصرود والجروم (1) وأهلها فرقتان يقال لاحداهما المسوية من أصحاب ابن ورصد والغالب عليهم جفاء الطبع وعدم الرقة . والفرقة الاخرى مالكية حشوية ، وبينهما القتال بدائم . وكل فرقة تصلي في الجامع منفردة بعد صلاة الاخرى . كذا ذكر ابن حوقل الناجر

(1) الصَّرْد والصَّرَد : البرد . والصرود من البلاد = الباردة ، وهي خلاف الجروم : الحارة . أي فواكه المناطق المعتدلة وفواكه المناطق الإستوائية أنظر معان أخرى لكلمة الصرد في لسان العرب (2/426 427) .

الموصلي في كتابه . وكان شاهدها قديما بعد الثلاثمائة من الهجرة . ولا أدري كيف هي الآن فقد تداولتهم عدة دول منها : دولة الملثمين وكان فيهم جدٌّ وصلابة في الدين ، ثم عبد المؤمن وبنوه ، ولهم ناموس يلتزمونه وسياسة يقيسونها لا يشت معها مثل هذه الاخلاط ، والله أعلم . وبين مدينة أغمات ومراكش ثلاثة فراسخ في سفح جبل هناك . وهي للمصامدة يدفع بها جلود تفوق جودة على جميع جلود الدنيا وتحمل منها الى سائر بلاد المغرب ويتنافسون فيها . وينسب اليها أبو هارون موسى بن عبد الله ابراهيم بن محمد ابن سنان بن عطاء الاغماتي المغربي رحل الى الشرق وأوغل حتى بلغ سمرقند . وكان فاضلا وله شعر حسن منه .

لعمر الهوى اني ، وان شطت النوى

بدوكد حرّى ودوم مدمع سكب

فان كنت في أقصى خراسان ثاويا

فجسمي في شرق وقلبي في غرب

وقال أبو بكر بن عيسى المعروف بابن الدبانة (1) يذكر المعتمد بن ابن عباد صاحب اشبيليه (2) وكان لما أزيل أمره وأنتزع ملكه حمل الى أغمات وحبس بها :

---

(1) محمد بن عيسى بن محمد اللخمي ، ابوبكر ، المعروف بابن الدبانة ، من أهل دانية . عمل في دولة ابن صمادح وقد وصفه ابن الابار في التكملة (ص 145) بأنه «من جلة الادباء وفحول الشعراء» توفي في جزيرة ميورقة في سنة 507(1113م) ودفن وراء أبي العرب الصقلي به عدة كتب ، منها سقيط الدرر وتقييد الوهر ، ونظم السلوك في وعظ الملوك راجع قلائد العقيان (ص 245) المراكشي ، المعجب (ص 104) ، ابن دحية ، المطرب (ص 178) ابن الابار ، التكملة (ص 145) ، الحميدي ، شذرات الذهب (4 20) ابن شاكر الوافي بالوفيات (260/2) .

(2) محمد بن عباد بن إسماعيل اللخمي ، أبوالقاسم ، المعتمد على الله ، ولد في سنة 430 هـ (1040 م) وبويع بالإمارة على أشبيلية وقرطبة بعد وفاة أبيه في سنة 461 هـ . وامتلك كثيرا من بلاد الأندلس حتى بلغت حدود مملكته مرسية ، وكان ملوك الطوائف يودون إليه ضريبة سنوية وقد اشتد تحرش ملوك النصارى به ، استنجد بيوسف بن تاشفين وشترك جيش الملثمين في معركة الزلاقة التي حدثت فيها جيوش ألذونش (Alphonse VI) (سنة 479 هـ) وبعدما عاد يوسف بن تاشفين إلى مراكش لم يلبث أن وجه جيشه لمحاصرة ابن عباد في أشبيلية . وقد استسلم الملك الشاعر بعد معارك شهد له فيها بالبسالة والإقدام ، ونقل إلى أغمات حيث زج به في غياهب السجن حيث توفي في سنة 488هـ (1095م) (راجع ابن الأبار ، الحلة السيراء (2 52 ـ 68) ، المقري ، نفح الطيب ، (2 1119) . بيان المغرب . (3 244) . وابن الأثير ، الكامل (10 86) ، الحميدي ، شذرات الذهب (3 386) ، الصفدي . الوافي بالوفيات (183/3) .

أنفض يـديك مـن الدنيـا وسـاكنهـا
فالارض قـد اقفرت والناس قد ماتوا
وقـل لعـالمهـا الارضي قـد كتمـت
سـريرة العـالـم العلـوي أغمات

ابن سعيد

وفي شمالي حبل دَرَن أغمات ، وهي كانت حاضرة البلاد قبل بنيان مراكش . وهي ذات مياه وفواكه كثيرة . وفي شمالها بميلة قليلة الى الغرب على نحو خمسة عشر ميلا ، حاضرة المغرب ، مراكش . وهي ذات مياه وفواكه كثيرة ،

أبو الفدا

ومدينة أغمات في شمال جبل درن ، وكانت حاضرة البلد قبل بنيان مراكش . وهي من أقصى المغرب . وعن ابن سعيد أيضا ، كانت كرسي ملك أمير المسلمين ، يوسف بن تاشفين ، قبل ان يختط مدينة مراكش . ويسميها قال الادريسي واغمات في مكان افيح طيب التراب كثير النبات والأعشاب والمياه وتخترقه يميا وشمالا . وحولها جنات محدقة وبساتين وأشجار ملتفة . وهي طيبة المقام صحيحة الهواء . وبها نهر ليس بالكبير يشق المدينة وبانيها من جنوبها ويخرج من شماليها . وربما جمد بها النهر في الشتاء حتى يحتار لاطفال عليه قال . وهذا شيء عاياه بها عبرمرة وتسمى هذه اغمات وريكة

القلقشنـــدي

أغمـات قال في « اللبـاب » بفتح الالف وسكون العين وفتح الميم والف وتاء مثناه من فوق في آخرها . وهي مدينة من الغرب الاقصى واقعةفي الاقليم الثالث . قال في «تقويم البلدان » والقياس ان طولها احدى عشرة درجة وثلاثون دقيقه . والعرض مراكش . في مكان أفيح طيب التربة ، كثير البات والعشب ، والمياه تخترقه يميا وشمالا . قال ابن سعيد : وهي التي كانت قاعدة ملك امير المسلمين ، يوسف بن تاشفين ، قبل بناء مراكش . قال الادريسي : وحولها جنات محدقة وبساتين وأشجار ملتفة ، وهواؤها صحيح وفيها نهر ليس بالكبير (الخ النص المذكور أعلاه) .

* * *

أُودَغُسْتْ (1)

ابـــن حـــوقـــل

ومن سجلماسة الى أودغست شهران على سمت المغرب ، فتقع منحرفة محاذاة عن السوس الاقصى ، كأنهما مع سجلماسة مثلث طويل الساقين أقصر أضلاعه من السوس الى اودغست. واودغست مدينة لطيفة اشبه بلاد الله بمكة وبمدينة الجرزوان في بلد الجور جان من بلاد خراسان ، لأنها بين جبلين ذات شعاب . ومن أودغست الى غانة بضعة عشريوما بالمفرده .

(1) يختلف الجغرافيون العرب ، كما سنرى ، في تحديد موقع أودغست من حيث العرض بين درجة 26 عند أبي الفدا ودرجة 17 التي ذكرها ابن سعيد (وهو عرض راعون) وأما لبكري ، فيضع أودغست بين سجلماسة وغانة ، على مسافة متساوية من كل منهما (15 يوما) وقد كان الميجر رومل Ramel أول من حاول التعرف على أودغست في احداديس التي تقع على الشمال الغربي لبحيرة تشاد (راجع : ترجمة تقويم البلدان الفرنسية 24/2) . ولكن كولي Cooley ابتعد في تقديره عن هذا الموقع ووضع أودغست شمالي بحيرة تشاد ، وقد رسم هذا التعرف على الخريطة التي صممها كتابه المشهور (The Negroland) (راجع تعليق رقم 95) على أودغست في كتاب الجغرافيا لابن سعيد . ص 234—235) وأما بارث Barth ، فقد حدّد موقع أودغست في كتابه Reisen und Untdeckungen (ج 3 الدين 4) بين خطي طول 10° و 11° غربي جرينتش ، وخطي العرض 18° و 19° شمالا ، أي في جنوب غربي بحكتة وقد كانت أودغست في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري عاصمة الأمبراطورية الصنهاجية التي كان يخضع لها عدد من الإمارات في أفريقية الغربية . وفي سنة 446 هـ استسلمت أودغست للمرابطين الذين كانوا قد احتلوا سجلماسة من قبل . وبعد قتال عنيف ، أصبحت المدينة العظيمة بها للخراب والدمار . وقد ظلت أودغست ردحا من الزمن ، مركزا للإشعاع الحضاري الإسلامي ، فكانت تحتوي على عدد كبير من المساجد والمؤسسات والمدارس والأسواق الناقة ، كما كانت محطة مهمة لتبادل التجاري بين المغرب وشواطيء المحيط الأطلسي . ومن أشهر طرق القوافل التي كانت تربط المغرب بأودغست والتي كان ينقل عبرها ، خصوصا ، الذهب والعبيد إلى الشمال ، الطريق التي كانت تسمى طريق التمر .

ومن المعز بين الموغلين في البراري صنهاجه أودغست وسمعت أنا إسحاق ابراهيم بن عبد الله المعروف بفرغ شُعْله ، وهو صاحب الدين والصك الذي قدمت ذكره بأودغست يقول : سمعت تنبروتان بن اسفيشر يقول ، وكان ملك صنهاجة أجمع أنه بني أمرهم عشرين سنة وأنه لايزال في كل سنة يرد عليه قوم زائرين له لم يعرفهم ولا سمع بهم ولا مقلهم . قال ويكونون نحو ثلاثمائة ألف بيت من بين نوالة وخصّ . وكان الملك في أهل هذا الرجل لهذا القبيل مذ لم يزالوا .

وحدثني أيضا أبو إسحاق ابراهيم بن عبد عبد الله أن قبيلة من قبائل البربر قصدت ناحية أودغست للايقاع بآل تَنْبرتان في جمع كثيف وعُدَّة قوية وعِدَّة عظيمة تلتمس عرة وتهتبل فرصة عن طوائل حدثت مع بعض صنهاجة ، وبلغ ذلك تَنْبَروتَان ملكهم هذا وأعيد عليه ذكرهم وحالهم ومقصدهم في طريقهم دفعات ، فلم يعد جوابا فيه ودعا بر كانوا لأخته ، وكانت أيسر أهل قبيلتها وأكثرهم مالا ، من حيث لا يعلم أحد ، وقال لهم أنتم على مياه فلانة وبنو فلان يردون ناحيتكم ليلة كذا وكذا ، فإذا كان في سحرة تلك الليلةفاعتمدوا هيج الإبل التي هناك بأجمعها على الشرف الفلاني ونفارها على القوم واكتموا عني ما أقول عن أنفسكم لتنالوا مني خيرا . وأتى القوم فنزلوا ، ونفر الرعاة الإبل فصوبت على المكان والجيش الذي به ، فأتت على جميع من كان به مع إبلهم وسلاحهم دوسا لهم ووطا عليهم حتى استفاض جميع من باودغست ومن بعد عنها من أعدائهم أنه لم يعرف لواحد منهم حيلة بوجه من الوجوه ولا أثر لشيء مما كان معهم .

وملك أودغست هذا يخالط ملك غانة . و [ملك] غانة أيسر من على وجه الأرض من ملوكها بما لديه من الأموال والمدخرات من التبر المثار على قديم الأيام للمتقدمين من ملوكهم وله ، ويهادي صاحب كوغة ، وليس كوغة بقريب من صاحب غانة في اليسار وحسن الحال ، ويهادونه وحاجتهم إلى ملوك أودغست ماسّة من أجل الملح الخارج اليهم من ناحية [بلاد] الإسلام ، فإنه لا قوام لهم إلاّ به ، وربما بلغ حمل الملح في دواخل السودان وأقاصيه ما بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار .

البكـــري

أودغست ، مدينة كبيرة آهلة رمية يطل عليها جبل كبير موت لا ينبت شيئا بها جامع ومساجد كثيرة آهلة في جميعها المعلّمون للقرآن ، وحولها بساتين النخيل ويزرع فيها القمح

بالفؤس ويسقى بالدلاء . يأكله ملوكهم وأهل اليسار منهم . وسائر أهلها يأكلون الذرة والمفاثي تجود عندهم وبها شجيرات تين يسيرة ودوال يسيرة أيضا . وبها جنان حناء لها غلة كبيرة وبها آبار عذبة . والغنم والبقر أكثر شيء عندهم يشترى بالمثقال الواحد عشرة أكباش وأكثر . وعسلها ايضا كثير ياتيها من بلاد السودان. وهم ارباب نعم حرثة وموال حميلة. وسوقها عامرة الدهر كله لا يسمع الرحل فيها كلام جليسه لكثرة جمعه وضوضاء اهله وتبايعهم بالتبر وليست عندهم فضة . وبها مبان حسنة ومنازل رفيعة . وهو بلد ألوان أهله مصفرة وأمراضهم الحميات والطحال . لا يكاد يخلو من احدى العلتين أحد منهم . ويجلب اليها القمح والتمر والزبيب من بلاد الاسلام على بعد وسعر القمح عندهم في أكثر الأوقات . القنطار بستة مثاقيل . وكذلك التمر والزبيب. وسكانها من اهل افريقية وبرّ فرجانة ونفوسة ولواته وزناتة ونفزوة . هؤلاء أكثرهم . وبها نبذ من سائر الأمصار. وبها سودانيات طبّاخات محسنات تباع الواحدة منهن بمائة مثقال وأكثر . تحسن عمل الاطعمة الطيبة من الحوز بنفات والقطايف وأصناف الحلوات وغير ذلك . وبها جوار حسان الوجوه بيض الألوان مثنيات القدود . لا تنكسر لهن نهود . لطاف الخصور ضخام الأرداف . واسعات الأكتاف ضيقة الفروج المستمتع باحداهن كأنه يتمتع ببكر أبدا . قال محمد بن يوسف : اخبرني أبو بكر احمد بن خلوف الفاسي . قال اخبرني أبو رستم النفوسي . وكان من تجار أودغست . انه رأى منهن امرأة راقدة على جنبها – وكذا يفعلن في أكثر حالهن اشفاقا من الجلوس على أردافهن ورأى ولدها طفلا يداعبها فيدخل تحت خصرها وينفذ من الجهة الأخرى من غير أن تتجافى له شيئا لعظم ردفها ولطف خصرها . والحيوان الذي تعمل منه الدّرق حول أودغست كثير جدا . ويتجهز الى أودغست بالنحاس المصنوع وبثياب مصبغة بالحمرة والزرقة مجنحة . ويجلب منها العنبر المخلوف الجيد لقرب البحر المحيط منها . والذهب الابريز الخالص خيوطا مفتولة . وذهب أودغست أجود من ذهب الأرض كلها وأصحّه . وكان صاحب أودغست في عشر الخمسين وثلاثمائة تين يروتان بن ويستون بن نزار . رجل من صنهاجة . وكان قد دان له أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان كلهم يؤدي اليه الجزية وكان عمله مسيرة شهرين في مثلها في عمارة يعتدي في مائة ألف نجيب . واستمدهُ نعرين ملك ماسين على ملك اوغام فأمدّه بخمسين ألف نجيب فدخلت بلد أوغام وعساكره غافلة فغنمت البلد وأحرقته . فلما نظر أوغام الى ما حل ببلده هان عليه الموت فرمى بدرقته وثنى رجله على دابته وجلس عليها فقتلته أصحاب تين يروتان . فلما عاين نساء أوغام اليه قتيلا تردين في الآبار وقتلن نفسهن بضروب القتل . أسفا عليه وأنفة من أن يملكهن البيضان .

وفي هذا الجزء أيضا قطعة من شمال أرض غانة وفيها مدينة أودغست . وهي مدينة صغيرة في صحراء ماؤها قليل . وهي في ذاتها بين جبلين ، شبه مكة في الصفة . وعامرها قليل وليس بها كبار تجار ، ولاهلها جمال ومنها يتعيشون . ومنها الى مدينة غانة مرحلة . وكذلك من أودغست الى ورجلان مرحلة . ومن أودغست الى حَرْمَة (1) أيضا مرحلة . وكذلك من أودغست الى جزيرة أوليل ، معدن الملح ، شهر واحد . وأخبرني بعض الثقات من متجولي بلاد السودان أن مدينة أودغست ينبت بأرضها بقرب منابع المياه المتصلة بها كمأه يكون في وزن الكمأة منها ثلاثة أرطال وازيد . وهو يجلب الى أودغست كثيرا يصبحونه مع لحوم الجمال ويأكلونه ، ويزعمون انه ما في الارض مثله ، وقد صدقوا

ياقوت

أودغست بعد ما أورد ماذكره ابن حوقل ، أضاف قائلا انها تقع :

في رمال ومفاوز على مياه معروفة ، وفي بعضهابيوت البربر ، وبها أسواق جليلة . وهي مصر من الامصار الجليلة ، والسفر اليها متصل من كل بلد ، وأهلها مسلمون يقرءون القرءان ويتفهمونه ، ولهم مساجد وجماعات أسلموا على يد المهدي عبيد الله وكانوا كفارا يعظمون الشمس ويأكلون الميتة والدم . وأمطارهم في الصيف ، يزرعون عليها القمح والدُّخن والذرة واللوبيا ، والنخل في بلدهم كثير . وفي شرقيهم بلاد السودان ، وفي غربيهم البحر المحيط ، وفي شمالهم الى العرب بلاد سجلماسة . وفي جنوبيهم بلاد السودان .

ابن سعيد

وليس في هذا الجزء مدينة مذكورة غير أودغست . وسكانها أخلاط من البربر المسلمين ، والرئاسة لصنهاجة . ولهذه المدينة وصاحبها نباهة في كتاب المسالك والممالك للبكري . وهي مع خط الاقليم الثاني حيث الطول اثنتان وعشرون درجة . وفي عرضها مدينة زافون . وهي لسودان كفار . ولصاحبها بيت بين بيوت ملوك السّودان . وتمتد في هذه الصحاري

(1) كذا في الأصل والصحيح بالحيم المهملة وبفتحها ، إسم قصبة ناحية فزان وصفها البكري بأنها «مدينة فزان العظمى . افتتحها عقبة ابن نافع الفهري ، ضمن ما افتتحه من قصور فزان وودان ، وفرض على ملكها ضريبة كبيرة» راجع معجم البلدان (129/2) ، البكري (ص 3) ، الادريسي (ص 35) .

حل الكاف من شرقي لمتونة الى ان يسامت أودغست ، ثم يعرج الى الجنوب ، فيبقي بينه وبين زافون خمس مراحل .

القلقشنـــدي

أُوْدَغُسْت . قال الشيخ عبد الواحد : بفتح الهمزة وسكون الواو وفتح الدال المهملة والغين المعجمة وسكون السّين المهملة . وهي مدينة في المغرب الأقصى في الجنوب في الصحراء في الاقليم الثاني . قال في «الأطوال» : حيث الطول ثمان درجات وثمان دقائق . قال في «القانون» : والعرض ست وعشرون درجة . قال وهي في براري سودان المغرب . قال «العزيزي» : وهي جنوبي سجلماسة ، وبينهما ست واربعون مرحلة في رمال ومفاور على مياه معروفة ، ولها أسواق جليلة . والسفن تصل اليها في البحر المحيط من كل بلد . وسكان هذه المدينة اخلاط من البربر المسمين والرئاسة فيها لصنهاجة قال «العزيزي» : ولاودغست أعمال واسعة ، وهي شديدة الحرارة ، وأمطارها في الصيف ، ويزرعون عليها الحنطة والذرة والدّخن واللوبيا . وبها النخل الكثير ، وليس فيها فاكهة سوى التين ، وبها شجر الحجاز كلّه ، من السّنْطِ والمُقْل وغيرهما .

*
* *

دَرْعَـــة (1)

الْهَمَـــذَانِـــي

وَبِيَدِ الْخارجيّ الصُّفْرِي مدينة كبيرة تدعى درعة فيها معدن الفضة ، وهي مما يلي الحبشة من ناحية الجنوب .

المقـــدّســـي

درعة لها رستاق واسع ومنائر على نهر جرار نحو ستة أيام ، وعريش رستاق فيه منائر ، وسائر المدن محيطه بها في الرمال عامرات . ومعادن الفضة بتازَرْوت ، ومعدن الذهب بين هذه الكرة وبلد السودان ، وليس في تعام اصعى ولا أوسع منه . والطرق الى الكورة صعبة ، لانه في مفاور موحشة ذات رمال .

البكـــري

مدينة درعة يقال لها تيومتين ، وهي قاعدة درعة . وقد تقدم ذكر وادي درعة وأن منبعه من جبل درن . وهذه المدينة آهلة عامرة ، بها جامع وأسواق جامعة ومتاجر رابحة .

---

(1) يطلق عليه اليوم درعة ، وتكتب على الخرائط الأوربية Dura مقاطعة كبيرة خصبة ، في شرقي إقليم السوس ، وتمتد من شرقه إلى الجنوب حتى تتصل بالمحيط الاطلسي وتفصل بينه وبين إقليم السوس ، سلسلة جبال الأطلس الصحارجية Anti Atlas وفي هذه المقاطعة ينتشر عدد من المدن الصغيرة ، أكبرها وزارات وسكان هذه المقاطعة خليط من العرب وسكان الصحراء وهذا الإقليم ، هو الوطن الأصلي لدولة السعديين (راجع : التعريف بابن خلدون) تحقيق محمد بن تاويت الطنجي . ص 223 ، تعليق 4 ، العبر 362/6 ، الاستقصا 2/3) ، وابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، (مخطوط محفوظ في مكتبة البودليان ، ورقة 127) .

وهي في شرف من الارض ، ولنهر منها تقلبها وحريته من الشرق الى الغرب ، ويهبط لها من ربوة حمراء وكان صاحبها ، علي بن أحمد بن ادريس بن يحي ابن ادريس . فمن مدينة تيومتين الى تامحاشت مرحلة وأربع وعشرون دقيقة . ونهرها المشهور في غربيها ينزل من بني خمر عند جبل درّد ، وهو مسيرة سبعة أيام في عمائر متصلة . وأكثر ما يبست عليه الحناء التي تحمل الى الأقطار المغربية ، الى أن يغوص ما يفضل منه في الصّحراء الاقليم الثاني . وفي شرقي درعة ، سجلماسة .

أبـــو الفـــدا

دَرْعَة ، بفتح الدال وسكون الراء وفتح العين المهملة قال ابن سعيد وللدرعة نهر مشهور يجري في غربيها ينزل من ربوة (الخ : النص الوارد أعلاه) . ومن كتاب الشريف لادريسي : وعند طرف المغرب الأقصى (الخ : النص المنقول أعلاه) .

القلقشنـــدي

دَرْعَة . . هي آخر مدينة من جنوبي المغرب الأقصى واقعة في الاقليم الثاني . نقل في «تقويم البلدان» عن بعضهم أن طولها احدى عشرة درجة وست دقائق وعرضها خمس وعشرون درجة وعشر دقائق . قال في « نزهة المشتاق : وهي قرًى متصلة (الخ . النص المنقول أعلاه عن الادريسي) .

الادريســـي

ودرعة ليست بمدينة يحوطها سور ولا حفير ، وانما هي قرى متصلة ، وعمارات متقاربة ، ومزارع كثيرة يتناول ذلك فيها جمل وأحلاط من البربر . وهي على نهر سجلماسة النازل اليهم وعليه يزرعون علات الحنّا والكمون والكروية والنيلج . وبات الحناء يكبر فيها حتى يكون في قوم استحرة يصعدون اليها ومنها يؤخذ بذرة ويتحهز به الى كل الجهات وبيات الحناء ، لا يؤخذ بذره الا في هذا الاقليم فقط ، ولا يؤخذ بغيره من الأقاليم البتة . وهذا النبيح المزروع في درعة ، فليس طيبه هناك ، ولكنه يتصرف فيه في بلاد العرب لرخصه .

يـــاقـــوت

دَرعة ، مدينة صغيرة بالمغرب من جانب الغرب ، بينها وبين سجلماسة اربع فراسخ ،

ودرعة غربيها . اكثر تجارها من اليهود ، واكثر تمرتها القصب اليابس جدّا ، يسحق دا
دقّ يسمّى اليه ابو زيد ، نصر بن علي بن محمد الدّرعي . سمع عن سعد بن علي بن محمد
الزنجاني بمكة . ومنها أيضا أبو الحسن الدرعي الفقيه (1) .

ابـــن سعيـــد

وفي غربيه [نهر درعة] على مرحلتين مدينة درعة ، وهي [.. ..] حيث الطول
احدى عشرة درجة وست دقائق ، والعرض خمس وعشرون درجة .

(1) وممن ينتسبون لـ درعة أيضا أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي (1069 1129 هـ) . صاحب الرحلة الناصرية
سجل فيها مشاهداته أثناء رحلته إلى الحج في سنة 1121 هـ (طبع) انظر شجرة النور ص 332 ، معجم سركيس
1 872 ، ومحمد بن محمد بن ناصر (1011 1085 هـ .) فقيه كانت له زاوية وله عدة كتب لا تزال
مخطوطة في الفقه . انظر شجرة النور ص 113

سِجِلْمَاسَـة (1)

ليعقـــوبـــي

وسجماسة على نهر يقال له زِيز ليس بها عين ولا بئر. وبينها وبين البحر عدة مراحل. وأهل سجماسة اخلاط والغالبون عليهم البربر، واكثرهم صهاجة وزرعهم الدخن والذرة. وزرعهم على الأمطار لقلة الميه عندهم. فإن لم يمطروا لم يكن هم زرع. ومن (الراضي)

---

(1) قامت سجماسة على أنقاض مدينة رومانية تقع على مسيرة نحو 100 ميل في الجنوب الشرقي لمدينة فاس على نحوم صحراء وعلى ضفة نهر زيز الوادي نهر وموقعها على خط طول 3° 17 غرب. وعرض 34° 80 شمالا وقد كانت عاصمة مكناسة هي التي شيدها وسكنتها ق. في سنة 140 هـ (757 — 758 م) ومدينة سجماسة 155 هـ حضرت سجماسة بسقط بني مدرار الذين نعتوا نوح عرهم في عهد محمد بن يدتح بن ميمون بقلعة بني كرلة وقد كان شبيلي (Chenier) وبن من تعرف على سجماسة في دفلات ونعته في ذلك ووكر walker وكوبر Cooley وكان من بين من عرس بني سرشد بن يعتمد ثلاثة في هذا لاستكشاف، ما لاحظه من أن بحسن بن محمد بن . ذكر مكان سجماسة، تافيلالت وبعده ستون جوهر صقلي على سجماسة وأمر أميرها بشكر لله وخضعها للعباسيين، ستولى بنو مدرار المدينة في زمن لاحق وضعت تحت حكمهم حتى سقطت في ب فصل من خزرون المغراوي في سنة 366 هـ. وقد حكمها باسم الأمويين أصحاب قرطبة

وقد ضمت سجماسة عاصمة من عواصم الإسلامية لمدة قرون ووصفها بن بطوطة بني . ها في سنة 772 هـ. بأنها من أجمل مدن وكان يحكمها يومان الذي ر تافيلالت في الشطر الأول من القرن السادس عشر ف أهلها شرو على واليهم وقتلوه، فانتدب لمدينة بدمير وهمّر أهلها بن اريف وبن المقصور بتحريه التي برمة بلاد المغرب أرض السودان، وكذلك جمع بن حدب المقصد ذكره المسعودي. مع

Oerlemans, Routes Reisen Durch Marokko; Mercier (H. Siermassa selon les auteurs Arabes (R. A. 1880), Mafeus (Gr. les Arabes en Barbarie, Jacques Meunié Architecture et habitat des Bades; Delfous, Histoire du Sahara, (Hespirés), 1930.

وابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار (مخطوط محفوظ في مكتبة البودليان، ورقة 127) وابن رميل، تحفة الملوك

مدينة سجلماسة . فرى تعرف سي درعة وفيها مدينة ليست بالكبيرة . تعدت . ليحيى بن ادريس العلوي . عليها حصن . وحولها معادن ذهب وفضة يوجد كالنبات . ويقال ان الرياح تسفيه .

المسعـــــودي

وقصة أرض الذهب التي وراء سجلماسة من أرض المغرب والأمة التي هنالك من وراء النهر العظيم ومبايعتهم من غير مشاهدتهم ولا مخاطبتهم وتركهم المتاع وعدو الناس الى امتعتهم فيجدون أعمدة الذهب قد تركت الى جنب كل متاع من تلك الامتعة . فان شاء مالك المتاع اراد الزيادة ترك الذهب والمتاع . وهذا مشهور بأرض المغرب وبلاد سجلماسة . ومنها تحمل التجار الأمتعة الى ساحل هذا النهر وهو نهر عظيم واسع المـــاء

البكـــري

ومدينة سجلماسة بنيت سنة اربعين ومائة وعمرتها حمت مدينة ترعة . وبينهما يومان وعمارتها حلت زيز أيضا . ومدينة سجلماسة مدينة سهلية أرضها سبخة حولها رياض كثيرة . وفيها دور رفيعة ومبان سرية ولها بساتين كثيرة . وسورها أسفله مبني بالحجارة . وأعلاه بالطوب بناه ليسع أبو منصور بن أبي القاسم من ماله لم يشركه في الانفاق عليه أحد أنفق فيه ألف مدى طعام . وله أثنا عشر بابا الثمانية منها حديد . وكان بناء البسع له سنة تسع وتسعين ومائة . وأرتحل اليها سنة مائتين وقسمها على القبائل على ما هي عليه اليوم وهم يلتزمون السقف . فاذا حسر أحدهم عن وجهه لم يميزه أحد من أهله . وهي على نهرين عنصرهما من موضع يقال له حنف تنبع عيون كثيرة وقد قرب من سجلماسة تشعب نهرين يسمى شرقيها وغربيها وجمعهما متقل بعد ذلك نهرا واحدا وحماماتها بديئة الماء غير محكمة العمل ومزاجها زعق وكذلك جميع ما ينبط من ماء سجلماسة وشرب أهلها من نهر في حياض كحياض البساتين وهي كثيرة النخل والاعناب وجميع الفواكه وربيب عيشهم التمر حتى لا تكاد الشمس لا يرى لا في نخل ويعرفونه بالنخل وما اصابته الشمس منه ريب في الشمس ومدينة سجلماسة في وسط الصحراء لا يعرف في غربيها ولا قبليها عمران . وليس بسجلماسة دباب ولا ينحدم أحد من أهلها . وإذا دخلها مجذوم توقفت عنه علته . وأهل سجلماسة يسمون الكلاب

ويأكلونها ، كما يصنع أهل مدينة قفصة وقسطيلية . ويأكلون الزرع إذا حرج شطاه . وهو عندهم مستطرف . والمجدمون عندهم هم الكناوون . والبهاءون عندهم يهود لا تتحاورهم هذه الصناعة . ومن مدينة سجلماسة تدخل إلى بلاد السودان وإلى غانة وبينها وبين غانة مسيرة شهرين في صحراء غير عامرة ، لا يقوم ضعفين ولا تطمئن بهم منزل ، وهو بنو مسوفة من صنهاجة . ليس لهم مدينة يأوون إليها إلا وادي دَرْعة . وبين سجلماسة ووادي درعة على خمسة أيام . ومنك بنو مدرار سجلماسة مائة وستين سنة . وكان فيها أبو القاسم سمحو بن واسول المكناسي أبو اليسع المذكور . وجد مدرار لقي بإفريقية عكرمة مولى بن عباس وسمع منه وكان صاحب ماشية وكثيرا ما يرتجع موضع سجلماسة ، فجمع إليه قوما من الصفرية ، فلما تعصبوا عليه رجلا قدموا على أنفسهم عيسى بن يزيد الأسود ووجه معهم فشرعوا في بنيان سجلماسة ، وذلك سنة أربعين ومائة . وذكر آخرون أن مدرارا كان جد جد من رعيته الأندلس ، فخرج عند وقعة ربض قرب منزلا بقرب سجلماسة إذ ذاك برح يجتمع فيه البربر وقتا ما من السنة يتسوقون بقرب ، فكان مدرار (1) يحصر سوقهم بما يعدّه من آلات الحديد ، ثم ابتنى به خيمة وسكنه وسكن لبربر حوله . فكان ذلك أصل عمارتها ، ثم تمدّنت و(القول) الأول أصحّ في عمارتها وأما مدرار ، فلا شك في أنه كان جد جد ، لأن ولده القائمين بأمر سجلماسة قد هجوا بذلك . فأول من وليها عيسى بن مزيد ثم انكر أصحابه الصّفرية عليه أشياء ، فقال أبو الخطاب يوما في مجلس عيسى . لسّودان كلهم سراق وحتى هذا ، وأشار إلى عيسى ، فأخذوه وشدّوه وثاقا إلى شجرة في رأس جبل وتركوه كذلك حتى قتله البعوض . ويُسمي ذلك الجبل جبل عيسى إلى اليـــوم

(1) هو ... بن يسع بن أبي القاسم سمكو بن واسول المكناسي البربري ... سنة 220 هـ / 835 م) ... سرة أمراء بني ... ، وهم من خوارج الصفرية ، استولت دولتهم على أكثر وسعة أعوام كان أبو القاسم بن سمكو أول من ولي الإمارة منهم . وأعقبه عيسى بن أبي القاسم بن أبي اليسع بالإمارة بعد أبيه ثم جاء بعده اليسع (الأول) ، ثم ابنه لأمه بعده مدرار بن اليسع ، ثم ابنه (لأمه) إلياس بن مدرار بن اليسع ، ثم أبو ربيع بعده اليسع (الثاني) بن مسعود ثم ابنه اليسع (الثالث) ثم حميد بن مسعود بن مدرار ثم المعتز بن محمد ثم محمد المدعو بالمعتز بالله الثاني المنتصر ثم المنتصر (سمكو) ثم محمد بن المنتصر بن مسعود ثم المستعين بالله ، ثم أبو محمد ، وهو الوليد المستنصر بالله الثاني آخر من ولي الأمر منهم ، قتل سنة 450 هـ ، وانقضت بمقتله دولة بني مدرار ، وكان قد استولى على سجلماسة وأعمالها في شوال سنة 366 ، وقتل في ذي القعدة سنة 460 هـ ، وكانت مدة ملكهم سجلماسة وأعمالها 94 سنة ، وانقضت دولة بني مدرار . راجع ، البيان (107/1 ، 153 ، 154 ، 156 ، 157) ، العبر (130/6 133) ، لاستقصا (الطبعة الثانية 111/1 114 و 181 و 182 و 10/2 ، الكامل (8/6 و 508 و 49,8)

ثم ولي أبو القاسم سمغون مرلان بن يرنو المكناسي ، لم يزل واليا عليهم الى ان مات فجأة في حر سجدة صلاة العشاء سنة ثمان وستين ، فكانت ولايته ثلاث عشرة سنة .

ويمضي البكري في ذكر قائمة الأمراء الذين حكموا سجلماسة حتى سنة 347 هـ . ثم يعود الى وصف المدينة نفسها فيقول :

ويزرع بأرض سجلماسة عاما ويحصد من تلك الزريعة ثلاثة أعوام ، لأنّه بلد مفرط الحرّ شديد القيظ . فاذا يبس زرعهم تناثر عند الحصاد وارضهم متشققة فيرتفع ما تناثر منه في تلك الشقوق . وقد كان في العام الثاني حرث بلا بذر وكذلك في العام الثالث وقمحهم رقيق صيني ، يسع مدّ النبي صلى الله عليه وسلم خمسة وسبعين حبة . ومدّهم اثنا عشر قفقلا . والقفقل ثماني زلافات والزلافة ثمانية أمداد بمد النبي ومن العرائب عندهم أن لذهب جزاف عدد بلا وزن والكرات يتبايعونه وزنا لا عددا . ومن سجلماسة الى مدينة تقيروان ست وأربعون مرحلـــة .

ابن حوقل

. وكذلك قوم من أهل سجلماسة ، وبلدهم بلد مستقل بنفسه عن الحاجة الى ما في غيره وفيهم جمال بارع وشدة وبأس وصبر على (. .) والمراس وكنت الفيت محمد بن الفتح المعروف بالشاكر لله ، يدعو الى غزوهم في ســـنة أربعين وثلاثمائة وأظنه هلك ولم يبلغ منهم محبّة لقلة اجابة من كان يدعوه الى غزوهم من البربر وخوفهم من أطراد حيلة لمحمد بن الفتح الشاكر لله عليهم في ذلك

وفي مكان آخر يقول :

وسجلماسة مدينة حسنة الموضع جليلة الاهل فاخرة العمل على نهر يزيد في الصيف كزيادة النيل في وقت كون الشمس في الجوزاء والسرطان والاسد ، فيُزرَع نماءة حسب زروع مصر في الفلاحة . وربما زرعو ســـنة بذر وحصدوا مصلح من زرعه وتواترت السنون بالمياه فكما انحدرت تلك الارض سنة في عقب أخرى ، حصدوه لي سبع سنين ، بمثل لا يشبه مثل لحنطة ولا الشعير . بحب صلب المكسر لذيذ الطعم وحبه دون القمح والشعير ولهم تين ويسمّين حسنة وحبة وبهم رطب احمر من احسن في غاية الحلاوة وبها قوم سرة ميسير يذهبون هل مغرب في المغرب والمحر ، مع عنم

وستر وصيانة وجمال واستعمال بمروءة وسماحة ورجاحة واسيتها كابية المكوفة الى أبواب رفيعة على قصورها مشيدة عالية .

وفي مكان آخر يقول :

ويقارب القيروان سجلماسة في صحة الهواء ومجاورة البيداء .

مع تجارة غير منقطعة منها الى بلد السودان وسائر البلدان وارباح متوافرة ورفق متقاطرة ، وسيادة في الافعال وحسن كمال في الاخلاق والاعمال يحرحون برسومهم عن دقة أهل المغرب في معاملتهم وعاداتهم الى عمل بالظاهر كثير ، وتقدم في أفعال الخير شهير وحنو بعض على بعض من جهة المروءة والفتوة ، وان كانت بينهم النجدت وترت القديمة تواصفوها عند لحاجة واطرحوه رياسة وسماحة وكرم سجية تختصهم ، وادب نفوس وقف عليهم بكثرة أسفارهم وطوب تغربهم عن ديارهم وتعربهم من أوطانهم .ودخلتها في سنة اربعين فلم ر بالمغرب أكثر مشائخ في حس سمت ومدارجة لنعم واهله الى سعة نفوس عالية وهمم سامقة سامية وسائر اربات المدن دونهم في ايسار وسعة الحال وتتقارب بالعصبية بالعصبية أوصافهم وتتشاكل أحوالهم . ولقد رأيت بأودغست صكا قد ذكر حق لبعضهم على رجل من تجار أودغست ، وهو من تجار سجلماسة باثنين وأربعين ألف دينار ، ومارأيت وما سمعت بالمشرق لهذه الحكاية شبها ولا نظيراً . ولقد حكيتها بالعراق وفارس وخراسان ، فاستطرفت .

ولم يزل ، المعتز ، أيام ولايتها ، وهو أميرها ، يجتبيها من قوافل خارجه الى بلد السودان وعشر وخراج وقوانين قديمة ، على ما يباع ويشترى بها من ابل وغنم ونقر الى ما يخرج عنها ويدخلها من نواحي افريقية وفاس والاندلس والسوس وأعمالت الى غير ذلك مما على دار الضرب والسكة ، زهاء أربعمائة ألف دينار تختص بها وبعملها . وقد ذكرت ان ارتفاع المغرب من اوله الى آخره من ثمانمائة الف دينار الى مزاد على ذلك بيسير . وزيد نقص الكثير . وجباية سجلماسة تخص بها وبعملها .

الادريسي

وأما مدينة سجلماسة ، فمدينة كبيرة كثيرة العامر . وهي مقصد للوارد والصادر ، كثيرة الخصر واخيرات ، رائقة البقاع واحهات ولا حصن عليها ، وانما هي قصور وديار وعمارات متصلة على نهر له كثير الماء ، يأتي اليها من جهة المشرق من الصحراء يريد في

صيف ، كزيادة السيل سواء . ويزرع بمائه حسبما يزرع فلاحوا مصر . وزراعته ضعيفة كثيرة معلومة . وفي بعض الأعوام الكثيرة المياه المتواترة بخروج هذا النهر ، ينبت لهم ما حصدوه في العام السابق من غير بذر . وفي الأكثر من السنين ، إذا فاض النهر ثم رجع بذروا على تلك الاراضين زرعهم ثم حصدوه عند تناهيه وتركوا جذوره الى العام القادم ، فيستغنون من غير حاجة الى بذر زراعة . وحكى الحوقلي (ابن حوقل) أن البذر بها يكون عاما والحصاد فيه في كل سنة الى تمام سبع سنين ، لكن تلك الحنطة التي تنبت من غير بذر تتغير عن حالها حتى تكون بين الحنطة والشعير . وتسمى هذه الحنطة «بِرْدَن تِيزْوَاوْ» . وبها نخل كثير وانواع من التمر لا يشبه بعضها بعضا . وفيها الرطب المسمى بالبَرْني ، وهي خضراء جدا وحلاوتها تفوق كل حلاوة ، ونواها صغار في غاية الصغر . ولا هل هذه المدينة غلات القطن وغلات الكمون والكرويا والحناء . ويتجهز منها الى سائر بلاد المغرب وغيرها . وبساتينها حسنة ، غير أن المخالفين في زمننا هذا أتوا على أكثرها هدما وحرقا . وأهل سجلماسة يأكلون الكلاب والحيوان المسمَّى الجِرْذون ، ويسمّونه بلسان البربر ، أقريم . ونساؤهم يستعملنه في السمن وخصب البدن . ولذلك فهن في نهاية السمن وكثرة اللحم ، وقل ما يوجد من أهلها صحيح العينين ، بل أكثرهم عُمش . ومن مدينة سجلماسة الى مدينة اغمات وريكه نحو من مراحل .

ابن سعيد

وفي شرقي درعة ، سجلماسة ، وهي قاعدة ولاية شهيرة ، حيث الطول ثلاث عشرة درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ست وعشرون درجة وأربع وعشرون دقيقة . ونهرها يأتي من الجنوب والشرق ، ومنبعه من جبل ارزو الكثير الحيات ومن عيونه . وينقسم منها على قسمين ثم يجتمع القسمان ويتصلان على غربيها وشرقيها . ولها ثمانية أبواب من حيثما خرجت منها ترى النهر والنخيل وغير ذلك من الشجر . وينصب هذا النهر في نهر زير الذي يمشي معه ومع نهر سجلماسة واليها خمسة أيام في العمائر والخيّرات ثم ينصبّ نهر زيز في نهر ملوية الذي ينصب في بحر الرومان . ويتصل بجبل أرزو جبال صنهاجة ، وهي كثيرة ملتحمة ومتفرجة وهذا القبيل أكثر قبائل المغرب . وفي كل أرض منهم خلق ، ويذكرون أن أصلهم من عرب اليمن والعروبة بينهم ظاهرة . وبين جبالهم قاعدتهم مدينة تاكلاء ، حيث الطول اثنتا عشرة درجة والعرض ثلاثون درجة .

أبو الفدا

وعنه (ابن سعيد) وسجلماسة في شرقي دَرْعَة (الى آخر الفقرة أعلاه) . وهي مدينة تلي الصحراء الفاصلة بين بلاد المغرب وبلاد السودان . وليس في جنوبيها ولا غربيها عمارة قال ابن سعيد : وأهلها يسمون الكلاب ويأكلونها . وأرضها سبخة سهلة .

ياقوت

سجلماسة . بكسر أوله وثانيه وسكون اللام ، وبعد الألف سين مهملة مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان ، بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب وهي في منقطع جبل دَرَن . وهي في وسط رمال كرمال زَرُود ويتصل بها من شماليها حدٌّ من الأرض ، يمر بها نهر كبير يحاص . غرسوا عليه بساتين ونخيلا مدّ البصر وعلى ربعة فراسخ منها رستاق يقال له تيومتين على نهرها الجاري فيه من الأعناب الشديدة الحلاوة ما لا يحد . وفيه ستة عشر صنفا من التمر ما بين عجوة ودقل . واكثر أقوات أهل سجلماسة من التمر وعلتهم قتيبة ومعائشهم يد في صناعة عرب الصوف فهن يعملن منه كل حسن عجيب بديع من الأبرز تفوق الخصب الذي بمصر . يبيع ثمن الإبرة خمسة وثلاثين دينارا كثر . كذلك ما يكون الخصب الذي بمصر ويعملون منه عمامات يبيع ثمنها مئة دينار ويصنعونها بنوع الاصباغ . وبين سجلماسة ودرعة اربعة ايام . وهي هذه المدينة من غنى الناس واكثرهم مالا ، لانها على طريق من يريد غانه التي هي معدن الذهب .

القلقشندي

سجلماسة مدينة في جنوب المغرب الأقصى في آخر الاقليم الثاني من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : حيث الطول ثلاث عشرة درجة واثنان وعشرون دقيقة والعرض ست وعشرون درجة واربع وعشرون دقيقة .

وهي مدينة عظيمة إسلامية . وبينها وبين البحر الرومي خمس عشرة مرحلة وليس قبليها ولا غربيها عمران وبينها وبين غانه من بلاد السودان مسيرة شهرين في رمال وحمال قليلة المياه لا يدخلها الا الابل لمسيرة على بعضها حنطها يزيد بن الأسود ، من موالي العرب ، وقيل مِدْرار بن عبد الله . وكان من أهل الحديث . يقال انه لقي عكرمة مولى

بن عباس بافريقية وسمع منه . وكان صاحب ماشية (ويمضي فيذكر معظم رواية البكري دون ان يشير اليه ثم يقول) :

وقد حكى ابن سعيد . أن هذا الزرع في السنة الأولى يكون قمحا وفي باقي السنين سُلْتًا ، وهو حب من القمح والشعير . وبها الرطب والتمر والعنب الكثير والفواكه الجمة . وليس فيها ذئاب ولا كلاب ، لأنهم يسمنونها ويأكلونها ، وقلما يوجد فيها صحيح العينين ولا يوجد فيها مجذوم . ولها ثمانية أبواب من أي باب منها خرجت ، ترى النهر والنخيل وغير ذلك من الشجر وعليها وعلى جميع بساتين حائط يمنع غارة العرب مساحته أربعون ميلا . وتمرها يفضل تمر بلاد المغرب ، حتى يقال انه يضاهي التمر العراقي . وأهلها مياسير ، ولها متاجر الى بلاد السودان ، يخرجون اليها بالملح والنحاس والودع ويرجعون منها بالذهب التبر قال ابن سعيد (كذا)(1) رأيت صكًّا لأحدهم على آخر مبلغه أربعون ألف دينار . ولما قدموا عليهم عيسى بن الأسود المتقدّم ذكره ، أقام عليهم أياما ثم قتلوه سنة خمس وخمسين ومائة واجتمعوا بعده على كبيرهم (ابي القاسم بن سمكو) بن واسول بن مصلال بن ابي يزول بن تافرسين بن فراديس بن ونيف بن مكناس بن ورصطف بن يحيى بن مصيت بن فريس بن رجيك بن مادغش بن بربر . كان أبوه سمكو من أهل العلم ، ارتحل الى المدينة المنورة ، فأدرك التابعين وأخذ عن عكرمة مولى ابن عباس ومات فجأة سنة سبع وستين ومائة لا ثنتى عشرة سنة من ولايته ولما مات ولى مكانه ابنه اليسع بن أبي القاسم .

ولما مات ولي مكانه أخوه اليسع بن أبي القاسم ، وكنيته أبو منصور . فبني صور سجلماسة وشيد ببنيانها وأحتط بها المصانع والقصور لاربع وثلاثين سنـــة من ولايته . وعلى عهده أستفحل ملكهم بسجلماسة وسكنها آخر المائة الثانية بعد أن كان يسكن الصحراء ، وهلك سنـــة ثمان ومائتين .

وولي بعده ابنه ، مدرار ، ولقب المنتصر وطال أمد ولايته ، وكان له ولدان اسم كل منهما ميمون ، فوقعت الحرب بينهما ثلاث سنوات ، ثم كان آخر مرهما ب عب جدهما أخاه وأخرجه من سجلماسة ، ثم خلع أباه وأستقل بالأمر ، فساءت سيرته في الرعية . فجمعوه وعقدوا لمدرار ابنه ثم حدث نفسه بإعادة ابنه ميمون فخلع ، فجمعوه وولوه

(1) عند المنشدي جون رقم الصك أولا ، فهو إثنان وأربعون ألف دينار ، ثم غلط في عزوه هذا الكلام إلى ابن سعيد لأن من جوفل هو الذي سجل هذه الحكاية . راجع أعلاه ص 118

ابنه ميمونا الاخر ، وكان يعرف بالامير . ومات مدرارا اثر ذلك سنة ثلاثة وخمسين ومائتين . .

وولي مكانه محمد ، الى أن توفي سنة سبعين ومائتين . فولي اليسع بن المنتصر . وفي أيامه وفد عبيد الله المهدي الفاطمي وابنه أبوالقاسم على سجلماسة في خلافة المعتضد العباسي

الباب الثاني

مدن الجزائر

تلمسان (1)

اليعقوبي

ثم الى المدينة العظمى المشهورة بالمغرب التي يقال لها تلمسان ، وعليها سور حجارة وخلفه سور آخر (من) حجارة ، وبها خلق عظيم وقصور ومنازل مشيدة ينزلها رجل يقال له محمد بن القاسم بن سليمان بن محمد بن سليمان . وحول هذه المدينة قوم من البربر يقال لهم مكناسة .

---

(1) راجع بشان عصور اخرى من تاريخ تلمسان : l'Abbe Barges *Histoire des Banı Zeıan, Rois de Tlemcen* T I ؛ *Les Relations Commerciales de Tlemcen avec le Sudan sous le regne des B Zeian* (Revue de l Orient, 1853), ولنفس المؤلف *Complement a l'Histoise des B Zeiun de Tlemcen'* Rosselard *les inscriptions arabes de Tlemcen* (R A , 1858-1861), (G et W) Marçais *les Monuments*, arabes de telemcen

بن مريم ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، تحقيق إبن شنب

ولنفس المؤلف *un Atelier de Poterie et de Faience au X^e s de J C , decouvert a Tlemcen*, T I , Bel (A) et Picard (P), *le Travail de la laine à Tlemcen* ;

Zerrouki (Moh), *Tlemcen, la mystique* (Algeria, 1961) Marçais (G) *Tlemcen* (*Documents Algeriens*, 1947) و لنفس المؤلف *le Makhzan des Banı Abd Alwad, Roi de Tlemcen* (Bull de la Soc Geogr d Oran, 1940), و لنفس المؤلف *Tlemcen ville d'Art et d'Histoire* (R A , 1936) , Mantera (P), *la cite romaine de Pomaria (Tlemcen) a Siga (Takembrit)* (Bull de la Soc Geogr d'Oran, 1924) Canal (J), *Contribution a l'histoire de Tlemcen* (Bull de la Soc. Geogr d'Oran, 1889) , Vermonne (Ch), *deux lettres inedites d'un roi de Tlemcen* (1531 1532) (R A , 1955) , Jacqueton (G), *l'Expedition d'A Martinez Contre Tlemcen* (1535) (*R A* , 1892) , Casuva (F) *Guerre de Tlemcen et conquete de cette ville par les Espagnols* (Bull de la Soc Geogr d'Oran, 1890-94) ,(R A 1908)

le Coeq (A), *l'occupation de Tlemcen* 1836 (R A , 1936) , ولنفس المؤلف *Note sur sources de l'Histoire de Tlemcen* (4^e Congres de la Federation des Societes savante de l'Afrique du Nord, Rubat, 1938) , Coudray, Relations Commerciales de Tlemcen avec le Sahara (Bull de la Soc Geogr d'Alger, 1897).

ابن خرداذبه

وفي يد ولد ادريس بن عبد الله بن حسن بن علي بن ابي طالب رحمة الله عليهم . تلمسين (كذا) . ومن تدهرت اليها مسيرة خمسة وعشرين يوما . عمران كلها . وطنجة وفاس بها منزله .

ابن حوقل

. ومنها الى تلمسان (كذا) مرحلة لطيفة . وهي مدينة ازلية . ولها انهار جارية وأرحية عليها وفواكه . ولها سور من أجر حصين منيع . وزرعها سقي وغلاتها عظيمة ومزارعها كثيرة .

البكـــري

.. وهي (تلمسان) مدينة مسوره في سفح جبل شجره الجوز ولها خمسة ابواب . ثلاثة منها في القبلة . باب الحمام . وباب وهب . وباب الخوجة . وفي الشرق باب العقبة . وفي الغرب . باب أبي قرة وفيها للاول آثار قديمة . وبها بقية من النصارى الى وقتنا هذا . ولهم بها كنيسة معمورة . وأكثر ما يوجد الركاز في تلك الآثار وكان الاول قد جلبوا اليها ماء من عيون تسمى لوريط بينه وبين المدينة ستة أميال . وبها أسواق ومساجد . ومسجد جامع . وأشجار وانهار عليها الطواحين . وهو سطفسيف . وهي دار مملكة زناتـه ومتوسطة قبائل البربر ومقصد لتجار الآفاق . ونزلها محمد بن سليمان (1) بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب . ومن ولده عيسى بن العيش بن ادريس بن محمد بن سليمان الذي بنا جراوة وكان أميرها وبها توفـي . ولم تزل تلمسان دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن انس رحمه الله . وفي الجنوب من تلمسان قلعة ابن الجاهل . وهي قلعة منيعة كثيرة الثمر والانهار . ويتصـل بها جبل تاريني ، وهو وما يليه جبال معمورة .

وفي الشمال من تلمسان مرسل يسمى باب القصر . فوقه جبل يسمى جبل البغل . ينبعث من أسفله نهر سطفسيف ويصب في بركة عظيمة من عمل الاول .

(1) مؤسس الدولة بني سليمان بتلمسان وأحد رؤسائها . كان صغيرا حينما قتل أبوه (سليمان) في وقعة فخ وشتت مطاردة العباسيين له ، فخرج إلى المغرب ونزل بتلمسان .

الادريسي

وتلمسان أزلية ولها سور حصين متقن الوثاقة . وهي مدينتان في واحدة يفصل بينهما سور وهو نهر يأتيها من جبلها المسمي الصخرتين . وعلى هذا الجبل حصن بناه المسعودي قبل اخذه تلمسان . ولم تزل المصامدة قاطنين به الى ان فتحوا تلمسان . وهذا الوادي يمر في شرقي المدينة وعليه أرحاء كثيرة وفواكه جمة . وخيراتها شاملة ، ولحومها شحيمة سمينة . وبالجملة انها حسنة لرخص اسعارها ونفاق اشغالها ومرابح تجاراتها ، ولم يكن في بلاد المغرب بعد مدينة أغمات وفاس أكثر من اهلها اموالا ولا ارفه منهم حالا . ومدينة فاس أكبر من تلمسان قطرا واجل منها قدرا وأكثر خيرا ومالا وأعلى همة .

وفي مكان آخـــر :

ومدينة تلمسان قفل بلاد المغرب ، وهي على رصيف للداخل والخارج منه لا بد منها والاجتياز بها على كل حال

ياقـــوت

تِلِمْسان بكسرتين وسكون الميم وسين مهملة وبعضهم يقول : تنمسان بالنون عوض اللام . مدينة بالمغرب ، وهما مدينتان متجاورتان مسورتان ، بينهما رمية حجر ، احداهمـا قديمة والاخرى حديثة ، والحديثة احتطها الملثمون ، ملوك المغرب ، واسمها تاقرارت (*) فيما يسكن الجند واصحاب السلطان واصناف من الناس . واسم القديمة أقادير ، يسكنها الرعية فهما كالفسطاط والقاهرة من ارض مصر . ويكون بتلمسان الحيل الراشدية ، لها فضل علـى سائر الحيل . وتتخذ النساء بها من الصوف انواعا من الكنابيس لا توجد في غيرها . ومنها الى وهران مرحلة . ويزعم بعضهم انه البلد الذي اقام به الخضر ، عليه السلام ، الجدار المذكور في القرآن ، سمعته ممن راى هذه المدينة . وينسب اليها قوم منهم ابو الحسين خطاب بن احمد بن خطاب بن خليفة التلمساني . ورد بغداد في حدود سنة 520 ، كان شاعرا جيد الشعر : قاله ابو سعـــد .

(*) وفي طبعة وستنفلد : تافرزت ، وهو تحريف لم ينتبه إليه المحقق

ابـن سعيـد

وتقع تلمسان المشهورة حيث الطول اربع عشرة درجة واربعون دقيقة . والعرض ثلاث وثلاثون درجة وثنتان واربعون دقيقة . وبينها وبين ارشغون عشرون ميلا . وبينها وبين هنين ثلاثون ميلا وهي الان قاعدة بني عبد الواد من رئاته . ومنها تحمل ثياب الصوف المفضلة على جنسها المصنوع في بلاد المغرب . وتحمل منها الحم الخيل والسروج وما يتبع ذلك . والاندلسيون يقولون كانها من مدن الاندلس لمياهها ونباتيها وكثرة صنائعها .

القزويني

«تلمسان قرية قديمة بالمغرب . ذكروا انها القرية التي ذكرها الله تعالى في قصة الخضر وموسى . «فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فابوا ان يضيفوهما فوجد فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه» . قيل أنه كان جدارا عاليا عريضا مائلا . فمسحه الخضر عليه السلام بيده فاستقام .

وحدثني بعض المعارية انه راى بتلمسان مسجدا يقال له مسجد الجدار يقصده الناس للزيارة .

أبـو الفـدا

تِلمسان بكسر المتناه من فوق وكسر اللام وسكون الميم وفتح السين وتلمسان مدينة مشهورة مسورة في سفح جبل ولها ثلاثة عشر بابا . وماؤها محلوب من غير عين ستة اميال منها . وفي خارجها انهار واشجار . ويستدير النهر بقبليها وشرقيها وتدخل فيه السفن اللطاف حيث يصب في البحر . وبقعتها شريفة كثيرة المرافق . وهي قاعدة مملكة ولها حصون كثيرة وفرض عديدة اشهرها هنين ووهران . وهنين يقابل المرية من الاندلس . و هران حصينة ولها مياه سائحة ، وهي على ثمانين مَيلا من تلمسان . وملوك تلمسان من بني عبد الواد من رياته . وفي غربي تلمسان بانحراف الى الجنوب مدينة فاس . ومن تلمسان الى تاهرت اربع مراحل .

القلقشنـدي

أما حدودها (مملكة تلمسان)، فحدها من الشرق . حدود مملكة افريقية ، وما اضيف

اليها من جهة الغرب . وحدها من الشمال البحر الرومي . وحدها من الغرب ، حدود مملكة فاس الآتي ذكرها من الشرق . وحدها من جهة الجنوب المفاور الفاصلة بين بلاد المغرب وبلاد السودان . وذكر في العبر ان حدها من جهة العرب ، من وادي ملوية الفاصل بينها وبين الغرب الاقصى الى وادي مجمع في جهة الشرق الفاصل بينها وبين افريقية .

وأما قاعدتها ، فمدينة تلمسان ، بكسر المثناة من فوق واللام وسكون الميم وفتح السين المهملة والف ونون . وهي مدينة الغرب الاوسط . وقال في «تقويم البلدان» : من الغرب الاقصى متاخمة للعرب الاوسط ، شرقي فاس بميله الى الشمال . وموقعها في أوائل الاقليم الرابع من الاقاليم السبعة . قال ابن سعيد : حيث الطول أربع عشرة درجة واربعون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة واثنتا عشرة دقيقة . وهي مدينة في سفح جبل ولها ثلاثة عشر بابا وماؤها مجلوب من عين على ستة اميال منها . وفي خارجها أنهار واشجار . ويستدير بقبليها وشرقيها نهر يصب في بركة عظيمة من آثار الاول ، ويسمع لموقعه فيها خرير على مسافة ثم يصب في نهر آخر بعدما يمر على البساتين ثم يصب في البحر ، وعليه ارحاء دائرة تدخل فيه السفن اللطاف حيث يصب في البحر . وبقعتها شريفة كثيرة المرافق ولها حصون كثيرة وفرض عديده .

وبعدما ينقل فقرة من وصف الادريسي للمدينة ، يمضي القلقشندي فيقتبس من « مسالك الابصار » :

وهي على ما بلغ حد التواتر انها في غاية المنعة مع انها في وطاءة من الارض ، ولكنها محصنة البناء وبلغ من حصانتها ان ابا يعقوب المريني صاحب فاس ، حاصرها عشر سنين ، وبنى عليها مدينة سماها فاس الحديدة وأعجزه فتحها . ولها ثلاثة أسوار ، ومن جهة القصبة ، وهي القلعة ستة أسوار . وبها أنهار وأشجار (كذا) . وبها شجر الجوز على كثرة . ومشمشها يقارب في الحسن مشمش دمشق . قال في «مسالك الابصار» زكية الزرع والضرع ، ويقصدها تجار الافاق للتجارة . قال ويطول مكث المحزونات فيها حتى انه ربما مكث القمح والشعير في مخازنها ست سنين ثم يخرج بعد ذلك فيزرع فينبت .

وأما مدنها الداخلة في مملكتها ، فقد ذكر في «مسالك الابصار» ان لها ثمان عشر مدينة وهي : تلمسان ، وجده ، مديونة ، ندرومة ، هنين ، وهران ، تيمزغران ، برشك ، شرشال ، تونت ، مستغانم ، تنس ، الجزائر ، القصبات ، مازونة تاحجمت ، ومليانة والمرية .

(1) راجع عن أرشغول دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الثانية ، الأنجليزية) 661/1 والمراجع المحال إليها

وبهر تافنا ، هو الذي يصل الى مدينة أرشغول . وهناك ينصب في البحر . وأرشغول ، ساحل تلمسان . وبين مدينة أرشغول وتلمسان فحص زيدور ، طوله خمسة وعشرون ميلا . ومدينة أرشغول على بهر تافنا ، يقبل من قبليها ويستدير بشرقيها ، تدخل فيه السفن اللطـاف من البحر الى المدينة ، وبينهما ميلان ، وهي مسورة . وبمدينة أرشغول جامع حسن فيه سبعة بلاطات . وفي صحنه جب كبير وصومعة متقنة البناء . وفيها حمامان ، أحدهما قديم . وها من الابواب باب الفتوح ، غربي ، وباب الامير ، قبلي ، وباب مريسة شرقي ، محنية كلها على منافس . وسعة سورها ثمانية اشبار . وامتع جهاتها جوفيها . وبها آبار عذبة لا تغور ، تقوم باهلها وبمواشيهم وها ربض من جهة القبلة . وكيلهم ستون مدا بمد النبي صلى الله عليه وسلم ويسمونه عمورة . ورطلهم اثنتان وعشرون أوقية . ودرهمهم ثماني حراريب . والخروبة أربع حبات . وكان يسكنها التجار ونزلها عيسى بن محمد بن سليمان المذكور قبل هذا ، ووليهـا وتوفي سنة خمس وتسعين ومائتين ، وولد له فيها ابراهيم بن عيسى الارشغولي . ووليها بعده ابنه يحي بن ابراهيم ، وهو الذي حبسه ابو عبد الله الشيعي سنة 323هـ . ويقابلها جزيرة في البحر تسمى جزيرة أرشغول ، بينها وبين البر قدر صوت رجل جهير في سكون البحر . وهـي مستطيلة من القبلة الى الجوف ، عالية منيفة ، واليها التجأ الحسن بن عيسى بن ابي العيش صاحب جراوة ، وتخلى عما كان بيديه ، لما علمه على ذلك موسى بن أبي العافية على مانبينه ان شاء الله تعالى ، فكتب موسى بن ابي العافية الى صاحب الاندلس ، عبد الرحمن بن محمد يسأله نصرته عليه ويقرب له المأخذ وأعانه على ذلك ، عبد المكن بن أبي حمامة .. فأمـر عبد الرحمن أهل بجانة وغيرهم من أهل السواحل باقامة خمسة عشر مركبا حربية ، ثم جهزها بالرجال والسلاح والاردودة والاموال ، فاحاطت بهذه الجزيرة (ارشغول) وقتلوا كثيرا ممن كان فيها وحاصروهم حتى كادوا يهلكون عطشا لما نفذت مياه جبابهم ، حتى تداركهم الله بغيث وابل ، فلم يطمع فيهم أهل الاسطول حين سقوا وانصرفوا قافلين ، فوصلوا الى المرية في شهر رمضان سنة عشرين وثلاثمائة ، ثم ظفر البوري بن موسى بن أبي العافية بالحسن بن عيسى الذي لجأ الى ارشغول ، وبعث به الى عبد الرحمن بن محمد سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة .

ومنها الى جزيرة أرشغول ، ويروي أرجكول . وكانت فيما سلف حصنا عامرا لـ مرسى وبادية وسعة في الماشية والاموال السائمة ، ومرساها في جزيرة فيها مياه ومواجل كثير بمراكب . وهي جزيرة مسكونة ، وينصب بحذائها نهر ملوية (*) ومن مصب الوادي الى حصن آسلان اميال على البحر.

(*) كذا في الأصل . وهو خطأ فات المحقق تصحيحه والمقصود هنا هو نهر تافنا الذي فات الادريسي أن يذكره .

وهـــران (1)

البكـري

وبين مدينة أُرزاوْ و وهران اربعون ميلا . ومدينة وهران حصينة ذات مياه سائحة وأرحاء ماء وبساتين ولها مسجد جامع . وبنى مدينة وهران محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الاندلسيين البحريين الذين ينتجعون مرسى وهران باتفاق منهم مع نفزة وبني مسفن . وهم من ازداجة . وكونوا من اصحاب القرشي . سنة تسعين ومائتين فاستوطنوها سبعة أعوام وفي سنة سبع وتسعين ومائتين . زحفت قبائل كثيرة الى وهران يطالبون أهلها باسلام بني مسفن اليهم لدماء كانت بينهم . فابى أهل وهران من اسلامهم اليهم . فنصبوا عليهم الحرب وحاصروهم

(1) راجع عن مدينة وهران :

René Basset, Fastes Chronologiques de la Ville d'Oran pendant la periode Arabe , Frey, Histoire d'Oran avant, pendant et après la domination espagnole , Walsin Soterhazy, Notice historique sur le Maghreb d'Oran , Ruff, la Domination Espagnole à Oran sous le Gouvernement du Comte d'Alcoudete (1534 —1558) , Broudel, les Espagnoles en Algerie (Dans l'histoire et historiens de l'Algerie) , Marçais (G), les Arabe en Berberie , Blum (N), la Croisade de Ximene en Afrique (Bult de la Soc Géogr d Oran, 1898) Conquête d'Oran, Recit de Suarez et Marmol, Trad de Berbrugger (R A , 1866) , Cazenave (J) les Gouvernemeurs d'Oran pendant l'Occupation Espagnole de cette ville (R A , 1930) , Francique-Michel (R), trad de Documents inedits ayant trait à l'occupation d'Oran par les Espagnoles (Bult de la Soc Géogr d'Oran 1887) , Expédition de Chellala par le Bey d'Oran, Mohammed El-Kabir (Trad Bresnier, R A , 1860) , Notes et Documents, sur la reprise d'Oran par les Espagnoles en 1732 (Bult de lq Soc Géogr d'Oran, 1931) , Cazenave (J) Oran, cité berbère (Bult de la Soc Géogr d'Oran, 1926) , Kehl (C), Oran et l'Oranie avant l'Occupation Française (Bult de la Soc Géogr d'Oran 1942) , Ricard (R) la factorie portugaise d'Oran (1483-1487), (Annales de l'institut d'Etudes Orientales, T V, 1939) , Guin (L), quelques Notes sur l'entreprise des Espagnoles pendant la première Occupation d'Oran (R A , 1886) ,

ومنعوهم الماء ، فحرج عنهم بنو مسفن ليلا هاربين واستجاروا بارداجة واحاروهم ، وتغلب على أهل مدينة وهران وخرجوا عنها مسلمين في أنفسهم وأسلموا ذخائرهم وأموالهم وخربت وهران وأضرمت نارا فيها ، وذلك في ذي الحجة من هذه السنة . ثم عاد أهل وهران اليها في السنة التالية ، سنة ثمان وتسعين ومائتين ، بأمر أبي حميد دوّاس بن صولات ، ويقال داود عامل تاهرت ، وابتدءوا ببنيانها في شعبان من هذه السنة ، فعادت أحسن مما كانت وولي عليهم داود بن صولات اللهيصي محمد بن أبي عون ، فلم تزل في عمارة وكمال وزيادة وحسن حال الى أن وقع محمد بن يعلى بن محمد بن صالح اليفري بازداجة بجبل فيدر وفرق جماعتهم . وكانت الوقيعة بينهم يوم السبت للنصف من حماد (.) سنة ثلاث وأربعين ولاثمائة ، فدخل يعلى مدينة وهران وملكها ثم نقل أهلها الى مدينة المعروفة وذلك في ذي القعدة من العام المؤرخ ، وخرب مدينة وهران ثانية وحرقها ، وبقيت كذلك سنين ثم تراجع الناس اليها وبنيت . وفي عمل وهران قرية أهلها موصوفون بعظم الاجساد ومعروفون بشدة الايدي . اخبرني عير واحد انه رأى الرجل الكامل في الخلق المعهود يكون الى دون منكب الرجل منهم ، وانه كان منهم رجل يحمل ستة نفر ويخطوبهم خطوات يحمل على عاتقه اثنين وتأبط اثنين ، ويحمل على ذراعيه اثنين ، وأن رجلا منهم أراد عمل بيت ، فاقتطع ألف كلخة وحملها على ظهره وسوى منها بيت مغرشا .

الادريسي

و وهران على مقربة من ضفة البحر وعليها سور تراب متقن وبها أسواق مقدرة وصنائع كثيرة وتجارة نافقة ، وهي تقابل مدينة المرية من ساحل بر الاندلس . وسعة البحر بينهما مجريان ومنها أكثر من مسيرة ساحل الاندلس وفا على بابها مرسى صغير لايستر شيئا ، وفا على ميلين منها المرسى الكبير وبه ترسى المراكب الكبار والسفن السفرية . وهذا المرسى يستر من كل ريح وليس له مثيل في مراسي حائط البحر من بلاد البربر . وشرب أهلها من واد يجري اليها من البر ، وعليه بساتين وجنات وبها فواكه ممكنة وأهلها في خصب ، والعسل بها موجود وكذلك السمن والزبد ، والبقر والغنم بها رخيصة بالثمن اليسير . ومراكب الاندلس اليها مختلفة . وفي أهلها دهقنة وعزة أنفس ونخوة .

ياقوت

وهران ، بفتح أوله وسكون ثانيه ، وآخره نون . مدينة على البر الاعظم ، بينها وبين تلمسان

سرى ليلة ، وهي مدينة صغيرة على ضفة البحر ، وأكثر أهلها تجار لا يعدو نفعهم . أنفسهم ومنها الى تنس ثماني مراحل .

وبعد ذلك ، نقل ياقوت وصف البكرى لوهران دون أن يضيف اليه شيئا سوى قولـه انـــه :

ينسب اليها ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ابن خالد الهمداني الوهراني (1) يروى عن ابي بكر أحمد ابن جعفر القطيعي ، روى عنه ابن عبد البر وأبو محمد بن حزم الحـافظ الاندلســـي .

ابن سعيد

... ومنها الى فرضة وهران المشهورة ثمانون ميلا . وهي آخر فرض هذا الجزء من المدن العدوية . وميناؤها مشهور مأمون في الهول .

القلقشندي

ووهران في شرقي تلمسان بشمال قليل على مسيرة يوم من تلمسان ومستغانم وبعد ذلك ، اقتصر على ايراد وصف الادريسي والبكري على التوالي في سياق الحديـث عن تلمســان

* * *

(1) عاش في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) . عالم من رجال الحديث والرواية رحل إلى العراق وغيرها . راجع ترجمته في جذوة المقتبس (ص 675) .

تـاهـــرت (1)

ابن خرداذبه

ومدينة كورة تاهرت اسمها تاهرت . وهي مدينة كبيرة خصبة واسعة البرية والزروع والمياه ، وبها الاباضية وهم الغالبون عليها .

المقدسي

وأما تاهرت ، فهي اسم القصبة أيضا . ومن مدنها يمه ، تاغيسية ، قلعة ابن الهرب هزارة الجعبة ، غدير الدروع ، لماية ، منداس ، سوق ابن حبلة ، مطماطة ، جبل توجان ، وهران شلف طير ، الغزة ، سوق ابراهيم ، رهباية ، البطحة ، الزيتونة ، تمما ، الخضراء ، واريقن ، تنس قصر ابن ميلول ، ريا ، تاويلت أبي مغول ، تامزيت ، تاويلت لغوان ، وفكان . تاهرت هو اسم القصبة أيضا (و) هي بلخ المغرب قد أحدق بها الانهار والتفت بهـــا الاشجار وغابت في البساتين ونبعت حولها الاعين وجل بها الاقليم وانتعش فيها الغريـب واستطابها اللبيب ، يفضلونها على دمشق ، وأخطؤا ، وعلى قرطبة ، وما اظنهم أصابوا . هو بلد كبير كثير الخير رحب ، رفق ، طيب رشيق الاسواق ، غزير المياه جيد الاهل ، قديم الوضع

(1) راجع عن تيهرت وملوكها الأباضيين غير ما ذكر : ابن عذاري ، البيان المغرب (طبع بيروت 1/278ـ383) سير الشماخي ، الكامل لابن الأثير ، (3/50 و 6/90) وكتاب السير لأبي زكرياء تحقيق اسماعيل العربي ، نشر المكتبة الوطنية (ص 133 و 144) ـ 163 ، البكري (ص 68) البارودي ، الأزهار الرياضية (2/48) ، ابن خلدون دول البربر (1/154) ، أعمال المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين (القسم الثالث)

Basset (R) Etude sur la Zenatra du Mzâb, d'Ourgla et de l'Oued Rir' (Publication de la Faculté des Lettres d'Alger).

محكم الرصف . عجيب الوصف ، غير أنه متى يقاس المغرب بالشام وأين مثل دمشق في الاسلام .

ابن حوقل

وكورة تاهرت من افريقيا عند الجميع . وكانت في القديم مفردة العمل والاسم في الدواوين .

وقد تغيرت تاهرت عما كانت عليه وأهلها وجميع من قاربها من البربر في وقتنا هذا فقراء بتواتر الفتن عليهم ودوام القحط وكثرة القتل والموت . وكذلك كتامة في حالها من جهة خليفه أهل المغرب ، وهو بلكين يوسف بن زيري .

البكري

ومدينة تيهرت مسورة لها ثلاثة أبواب . باب الصفا وباب المازل وباب الاندلس وباب المطاحن وغيرها . وهي في سفح جبل يقال له جزول . ولها قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة . وهي نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينه ، وهو في قبليها . ونهر آخر يجري من عيون تجتمع تسمى تانش . ومن تانش شرب أهلها وبساتينها ، وهو في شرقيها ، وفيها جميع الثمار . وسفر جلها يفوق سفر جل الآفاق حسنا وطعما ومشما . وسفر جلها يسمى بالفارس . وهي شديدة البرد كثيرة العيوم والثلج قال بكر بن حماد أبو عبد الرحمن (1) وكان ثقة مأمونا حافظا للحديث سمع بالمشرق من ابن مشدد وعمرو بن مرزوق وبشر بن حجرا وبافريقيه من سحنون وغيرهم وسكن تاهرت وبها توفي ، قال :

---

(1) هو بكر بن حماد بن سهل بن إسماعيل الزناتي التيهرتي ، (200—296 هـ) ولد بتيهرت ويعتبر من أعظم شعراء عصره . وقد رحل إلى البصرة في سنة 217 ، فأخذ العلم عن عدد كبير من شيوخها والتقى بأدبائها وشعرائها . وفي مقدمتهم دعبل الخزاعي وعلي بن الجهم وحبيب بن أوس الطائي وكذلك أتيح لبكر الاتصال بالخليفة المعتصم بالله ومدحه ومن أخذ عنه هناك الخزاعي وعلي بن الجهم وحبيب بن أوس الطائي وكذلك أتيح لبكر الاتصال بالخليفة المعتصم بالله ومدحه . ومن أخذوا عنه بعد عودته الى القيروان ، حيث تصدر للاملاء بجامعها الكبير ، سحنون وقاسم بن أصبغ القرطبي وقد عاد الى تيهرت وتوفي بعد سنة من عودته في قمعة ابن حمد شمال تيهرت راجع ترجمته في معجم علام الجزائر (ص 54 ـ 55 .) البيان المغرب (153/1 ـ 154) ، معالم الإيمان للدباغ (473/2) .

مد حشـــ البـــرد وريـــعانـــــــه وأطـــرف الشمـــس بتـــاهـــــرت
تبـدو مـــن العيـــم اذا مـــا بـــدت كـــأنـــها تنشـــر مـــن تحـــت
فنحـــن في بحـــر بـــلا لجـــــــة تحـــري بـــه الريـــح عـــلى السمت
نفـــرح بـــالشمـــس اذا مـــا بـــدت كفـــرحـــة الـــدمـــي بـــالـــســـت

وبطر رجل من أهل تاهرت الى توقد الشمس بالحجار ، فقال : احرقي ما شئت ، فوالله انك بتاهرت لدلية . وهذه تاهرت الحديثة . وعلى خمسة أميال منها تاهرت القديمة ، وهي حصن لرفجانة ، وهو في شرقي الحديثة . ويقال انهم لما أرادوا بناء تاهرت ، كانوا يبنون النهار . فاذا جن الليل واصبحوا ، وجدوا بنيانهم قد تهدم ، فبنوا حينئذ تاهرت السفلى ، وهي الحديثة . وبقبليها لواته وهورة في قرارات . وبغربيها رواغة ، وبخوفها مطماطه وزناته ومكناسة . وقد ذكرنا ان بشرقيها حصن لبرفجانه ، وهو تاهرت القديمة وكان صاحب تاهرت ميمون بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن رستم ابن بهرام . وبهرام هذا ، مولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهو بهرام بن ذوشرز بن سابور بن بابكان بن سابور ذي الاكتاف ، الملك الفارسي . وكان ميمون رأس الاباضية وامامهم وامام الصفرية والواصلية وكان يسلم عليه بالخلافة . وكان مجمع الواصلية قريبا من تاهرت وكان عددهم نحو ثلاثين الف في بيوت كثيرة الاعراب يحمونها . وتعاقب على مملكة تاهرت بنو ميمون وبنو اخوية الفي عبد الرحمن واسماعيل بن الرستمية (1) إلى سنة ست وتسعين ومائتين ، فوصل أبو عبد الله الشيعي مدينة تاهرت فدخلها بالامان ثم قتل فيها من الرستمية عددا كثيرا وبعث برؤوسهم الى أخيه ابي العباس وطيف بها بالقيروان ونصبت على باب رقادة . ومدة ملوك رستم تاهرت مائة وثلاثين سنة وذكر محمد بن يوسف ان عبد الرحمن بن رستم كان خليفة لابي الخطاب عبد الاعلى بن عبيد بن حرملة أيام تغلبه على افريقية . فلما قتل محمد بن الاشعث الخزاعي أبا الخطاب ، وذلك في صفر سنة اربع واربعين ومائة . هرب عبد الرحمن بأهله وما خف من ماله وترك لقيروان ،

(1) هذه الرواية فيها كثير من الخلط والإضطراب ، لأن تسلسل ولاية الأئمة الأباضيين على تيهرت كان على النحو التالي عبد الرحمن بن رستم ـ عبد الوهاب بن عبد الرحمن ـ أفلح بن عبد الوهاب ـ محمد بن أفلح ـ يوسف بن محمد ـ يعقوب بن أفلح ـ يوسف بن محمد ـ يقطان بن محمد . هذه هي القائمة التي أوردها أبو زكرياء في كتاب السير ، وهي تتفق مع قائمة بن الصغير ، في حين ما يتعلق بولاية أبي بكر بن أفلح التي يتخرج الأباضيون في تواريخهم بسببها قتله لابن عرفة عبد . قارن كتاب الجسير ، تحقيق سماعيل العربي ، ص 93 وما يليها وتاريخ بن الصغير ، تحقيق دوموتيسكي ، إعادة لطبع ، Les Cahiers Tunisiens, N° 91 92 ص 321 وما يليها

فاجتمعت اليه الاباضية واتفقوا على تقديمه وبنيان مدينة تحمعهم ، فنزلوا موضع تاهـرت اليوم ، ونزل محمد بن عبد الرحمن موضعا مربعا لا شعراء فيه فقال البربر : نزل تافدمت ، تفسيره الدف ، شبهوه بالدف لتربيعه . وادركتهم صلاة الجمعة فصلى بهم هناك . فلما انقضت الصلاة ، ثارت صيحة عظيمة على أسد ظهر في الشعراء ، فاخذ حيا وأتى به الى الموضع الذي صنوا فيه وقتل هناك . فقال عبد الرحمن ، هذا بلد لا يفارقه سفك دم ولا حرب أبدا . وابتدأوا من تلك الساعة فبنوا في ذلك الموضع مسجدا ، وقطعوا حشبة من تلك الشعراء ، فهو كذلك الى اليوم . وهو مسجد جامعها . وهو من اربعة بلاطات . قال وكان موضع تاهرت منكا لقوم مستضعفين من مراسة وصنهاجة ، فارادهم عبد الرحمن على البيع فابوا فوافقهم على ان يؤدوا اليهم الخراج من الاسواق ويبيعوا لهم بنيان المساكن ، فاختطوا وبنوا وسمي الموضع معسكر عبد الرحمن بن رستم الى اليوم . قال وبتاهرت أسواق عامرة وحمامات كثيرة يسمى اثني عشر حماما ، وحواليها من البربر أمم كثيرة . ومدهم الذي يكتالون به خمسة اقفزة ونصف قرطبية وقنطار الزيت وغيره عندهم قنطاران غير ثلث ، الا المجلوب من الفلفل وغيره ، فانه قنطار عدل ورطل اللحم عندهم خمسة أرطال .

الادريسي

وبين مدينة تاهرت والبحر مراحل ، ومدينة تاهرت كانت فيما سلف من الزمن مدينتين كبيرتين ، احداهما قديمة والاخرى محدثة . والقديمة من هاتين المدينتين ذات سور . وهي على قنة جبل قليل العلو وبها ناس وجمل من البرابر ولهم تجارات وبضائع واسواق عامرة وبارضها مزارع وضياع جمة . وبها من نتاج البراذين والخيل كل حسن . واما البقر والغنم ، فكثيرة بها جدا ، وكذلك العسل والسمن وسائر غلاتها كثيرة مباركة . وبمدينة تاهرت مياه متدفقة وعيون جارية تدخل أكثر ديارهم ويتصرفون بها ولهم على هذه المياه بساتين وأشجار تحمل ضروبا من الفواكه الحسنة وبالجملة انها بقعة حسنة . ومن تاهرت الى قرية أعبر مرحلة .

ياقوت

تاهرت ، اسم لمدينتين متقابلتين باقصى المغرب . يقال لاحداهما تاهرت القديمة وللاخرى تاهرت المحدثة . بينهما وبين المسيلة ست مراحل . وهي بين تلمسان وقلعة بني حماد . وهي كثيرة الاماء والصبيان والامطار ، حتى ان الشمس بها قل ان ترى ودخلها

عربي من ليمس بلد به ابو هلال ثم خرج الى رض سودان . فلقي عليه يوم له وهج وحر شديد وسموم في تلك برمان . فمطر الى شمس مصحية راكدة على فمم الرؤس وقد صهرت الناس . فقال مشيرا الى شمس : اما والله لئن عرزت في هذ المكان لقد ما رايتك دليه تاهرت وانشد

ما خلق الرحمن من طرفة
مثلي مس الشمس تاهرت

وذكر صاحب جغرافيا ان تاهرت في الاقليم الرابع وان عرضها ثمان وثلاثون درجة وهي مدينة جليلة كانت قديما تسمى عراق المغرب . ولم تكن في طاعة صاحب افريقية ولا بعثت عساكر المسودة اليها قط ولا دخلت في سلطان بني الاغلب . وانما كان آخر ما في طاعتهم مدن الزاب .

وبعد ذلك . اقتبس ياقوت جزءا مهما من الفقرة التي وصف بها لبكري تاهرت والتي نقلناها اعلاه .

ومضى . فنقل قول المهبي الذي جاء فيه . بين أشير وتاهرت أربع مراحل . وهما تاهرت القديمة وتاهرت الحديثة . ويقال للقديمة تاهرت عبد الحق . ومن ملوكها محمد بن أفلح بن عبد الرحمن بن رستم . وممن ينسب اليها : ابو الفضل أحمد بن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله التميمي البزار التيهرتي (1) روى عن قاسم بن اصبغ وأبي عبد الملك بن أبي دكيم وأبي أحمد بن الفضل الدينوري . وأبي بكر محمد بن معاوية القرشي ومحمد بن عيسى بن رفاعة ، روعنة أبو عمر بن عبد البر وغيره .

أبو الفدا

وعن ابن حوقل : تيهرت مدينة كبيرة خصبة كثيرة الزرع . قيل ان كرة تيهرت من افريقية وهي غربي سطيف . وكانت قاعدة المغرب الاوسط . وكان بها مقام بني رستم ملوك الغرب

---

(1) ولد احمد التيهرتي البزار في سنة 309 هـ (921م) وتوفي في سنة 399 هـ 1005م وكان محدث متصفا رحل مع أبيه إلى الأندلس في سنة 317 هـ وسمع من إبن دينم وقاسم بن اصبغ ووهب إبن مسرة ومحمد بن معاوية القرشي وغيرهم (راجع بغية المتمس لإبن عمير الضبي ، ص 188 ، الصلة لإبن بشكوال 84/1) .

الاوسط ، حتى نقصت دولتهم بدولة الفاطميين الذين ملكوا مصر . قال في كتاب الاطوال تاهرت العليا طولها وعرضها (...) . قال تاهرت السفلى طولها وعرضها كط . فدل على أن هناك مكانا آخر يسمى تاهرت ، كما نقلناه عن العزيزي في الهامش . وقال في القانون وتاهرت السفلى طولها نط ن وعرضها لدته . قال الادريسي : وتاهرت كانت فيما سلف مدينتان كبيرتان والقديمة منهما على جبل ليس بالعالي ، ولها سوق .

القلقشندي

ومنها تاهرت . قال في «اللباب» : بفتح التاء المثناه فوق وهاء وسكون والراء المهملة وفي آخرها تاء ثانية قال في «تقويم البلدان» : ونقلت من خط ابن سعيد ، عوض الالف ياء مثناه تحت ، قال وهو الاصح ، لان ابن سعيد مغربي فاضل . وهي مدينة من العرب الاوسط. وقيل من افريقية في الاقليم الثالث . قال في الاطوال : حيث الطول خمس وعشرون درجة ثلاثون دقيقة ، والعرض تسع وعشرون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة كبيرة خصبة (الى آخر الجملة أعلاه) . وذكر الادريسي أنها كانت في القديم مدينتين . قال «العزيزي» :

وتاهرت القديمة تسمى «تاهرت عبد الخالق» وهي مدينة حليلة كانت قديما تسمى «بغداد المغرب» . وتاهرت الحديدة على مرحلة منها ، وهي أعظم من تاهرت القديمة والمياه تخترق دور أهلها . وهي ذات أسواق عامرة ، وأرضها مزارع وضياع جمة ، ويمر بها نهر يأتيها من جهة الغرب ولها نهر آخر يجري من عيون تجتمع فيه منه شرب أهلها ، وبها البساتين الكثيرة المونقة ، والفواكه الحسنة ، والسفرجل الذي ليس له نظير طعما وشما ، ولها قلعة عظيمة مشرفة على سوقها . وتاهرت كثيرة البرد كثيرة الغيوم والثلج ، وسورها من الحجر ، ولها ثلاثة أبواب (1) : باب الصفا وهو باب الاندلس وباب النازل وباب المطاحن .

الزهري

وهي مدينة عظيمة يقال أنها من بنيان العمالقة وقد وجد في زماننا هذا قبور أخرج منها عظام بني آدم طول قصبة من قصب الساقين ثمانية أشبار ، ودون المفاصل الأعلى والأسفل . ووجد فيها عظام من رؤس بني آدم بعض اضراسها ومطاحنها أولى بمطحنة منها (ما) عرضها اكثر من ثلاثة اشبار وفي الطول كذلك .

(1) في المعجم : أربعة أبواب باب الصفا وباب الأندلس الخ .

المعسكـــر

ابن حوقل

المعسكر ، قرية عظيمة لها أنهار وأشجار وفواكه . ومن المعسكر الى عين توجان الى عيـن الصفاصف ، قرية لها عين وأنهار وأشجار .

الادريسي

المعسكر قرية عظيمة لها أنهار وثمار . ومنها إلى جبل فرحان ماراً مع أسفله الى قرية عين الصفاصف وبها فواكه كثيـــرة .

* * *

مليـانـة (1)

ابن حوقل

مليانة مدينة أزلية وها أرحية على نهرها وسقي كثير من واديها . ولها حظ من نهر شلف . ومنها الى سوق كزان ، وهو حصن أزلي له مزارع .

البكري

... ومنها الى مليانة ، وهي مدينة رومية فيها آثار ، وهي ذات أشجار وأنهار تطحن عليها الارحاء ، جددها زيري ابن مناد وأسكنها ابنه بلجين ، وهي عامرة . ومنها الى مدينة الخضراء وهي مدينة جليلة كثيرة البساتيـــن .

الادريسي

ومن الحضراء الى مدينة مليانة مرحلة. وهي مدينة قديمة البناء حسنة البقعة كثيرة المزارع ولها نهر يسقي أكثر مزارعها وحدائقها وجناتها . ولها أرحاء على نهرها المذكور . ولاقليمها حظ من سقي نهر شلف ، على ثلاثة ايام منها وفي جنوبيها الجبل المسمى جبل الونشريس .

ياقوت

مليانة ، بالكسر ثم السكون وياء تحتها نقطتان خفيفة ، وبعد الالف نون . مدينة في

(1) وصف الحسن بن محمد الوزان مليانة (Meliana) فقال إنها مدينة كبيرة جدا بنيت على انقاض مدينة رومانية قديمة وكان الرومان يسمونها ماجنانه (Magnana) وهو الإسم الذي حرفه العرب إلى مليانه . انظر وصف افريقيا 345/1 .

أيـها السائـل عـن غربتنـا ... وعـن محـل الكفـر أشيـر
عـن دار فسـق ظـالم أهلها ... قـد شيـدت للافـك والزور
أسهـا الملعـون زيرهـا ... فلعنـة اللـه عـلى زيـري

ثم قـال:

وهي مدينة جليلة حصينة يذكر أنه ليس في تلك الاقطار أحصن منها ولا أبعد متناولا ومراما ولا يوصل الى شيء منها بقتال الا من موضع واحد يحميه عشرة رحال . وهو في شرقيها الذي ينفذ الى عين مسعود وسائر نواحيها تنزل عنها العيون وهي مع ذلك بين جبال شامخة محيطة بها دائرة عليها . وداخل مدينتها عيان ثرثان ، لا يبلغ لهما غور ولا يدرك قعر . احداهما تعرف بعين سليمان والاخرى بعين تالا تتبرغ والتي بنى سورها بلجين يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي (1) سنة سبع وستين وثلاثمائة هـ . وخربها يوسف بن حماد بن زيري واستباح أموالها وفضح حرمها ، وذلك بعد أربعين واربعمائة . ثم تراجع الناس اليها بعد خمس وخمسين . وتسير من أشير الى قرية تسمى سوق هوارة .

الادريسي

. ومنها الى أشير زيري مرحلتان ، وهو حصن حسن البقعة كثير المنافع وله سوق يوم معروف تحلب اليه كل لطيفة وتباع به كل طريفة . ومنه الى تامزكيده مرحلة .

ياقوت

أشير .. مدينة في جبال البربر بالمغرب في طرف افريقية الغربي مقابل بجاية في البر ، كان أول من عمرها زيري بن مناد الصنهاجي ، وكان سيد هذه القبيلة في أيامه . وهو جد المعز

(1) أبو الفتوح ، بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي ، سماه المعز الفاطمي يوسف ، مؤسس دولة بني زيري في المغرب الأوسط وفي أفريقية ، كان في بداية عهده من كبار قواد الفاطميين ، قام بدور جوهري مع جوهر الصقلي لتدعيم نفوذ [illegible] في بلاد المغرب لأقصى حد ممكن ، ولاعترافه له ولأسرته بالفضل ، جدد له المعز بن المنصور ولاية ما كان تحت سلطانه من أقطار المغرب عندما قرر ترحيل إلى مصر (361 هـ) وقد تولى بلكين ، بعدما أخضع فاس وسجلماسة في موضع يسمى « واركنفو » يقع بين تلمسان وسجلماسة في سنة 373 هـ (984) (رجع إلى حنكه وثبات لأعصاب ! 286 ، ابن خلدون 6 155 ، إبن عذارى ، البيان المغرب 1/228—239 ، إبن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص 26 ، إسماعيل العربي ، دولة بني حماد ، الفصل الأول)

ن باديس (1) وملوك افريقية بعد خروج الملقب بالمعز (الفاطمي) منها . وكان زيري هذا في بدء أمره يسكن الجبال . ولما نشأ ، ظهرت منه شجاعة أوجبت له أن اجتمع اليه طائفة من عشيرته فاغار بهم على من حوله من رياته والبربر ، وورق الظفر بهم مرة بعد مرة فعظم جمعه وطالبته نفسه بالامارة ، وضاق عليه وعلى اصحابه مكانهم ، فخرج يرتاد له موضعا ينزله ، فرأى أشير ، وهو موضع حال وليس به أحد مع كثرة عيونه وسعة فضائه وحسن منظره ، فحماه بالبنائس من المدن التي حوله ، وهي : المسيلة وطبنة وغيرهما ، وشرع في انشاء مدينة أشير ، وذلك في سنة 178 ، فتمت الى أحسن حال وعمل على جبلها حصنا منيعا ليس الى التحصن به طريق الا من جهة واحدة تحميه عشرة رجال ، وحمى زيري أهل تلك الناحية ورفع الناس فيها ، وقصدها أهل تلك النواحي طلبا للامن والسلامة فصارت مدينة مشهورة وتمسكه بعده بنو حماد ، وهم بنو عم باديس واستولوا على جميع ما يجاورها من النواحي ، وصاروا ملوكا لا يعطون أحدا طاعة ، وقاوموا بني عمهم ملوك افريقية آل باديس (2)

ومن أشير هذه الشيخ الفاضل ، أبو محمد عبد الله بن محمد الاشيري (3) امام أهل الحديث والفقه والادب بحلب خاصة ، وبالشام عامة ، استدعاه الوزير عون الدين أبو المظفر يحي بن محمد بن هبيرة ، وزير المقتفي والمستنجد ، وطبه من الملك العادل ، نور الدين محمود بن زنكي ، فسيره اليه ، وقرأ كتاب بن هبيرة الذي صنفه وسماه الايضاح في شرح معاني

---

(1) المعز بن باديس بن المنصور ولد بالمنصورية في سنة 398 هـ (454 هـ) تولى الحكم بعد وفاة أبيه وهو بن ثماني سنوات ، وقرره بحاكم الفاطمي صاحب مصر على الولاية وبقيه بشرف الدولة ، وفي أيامه بعث حصارة المعز ، وجه حيث شيد المرافق وبنى المؤسسات وقرب العلماء والشعراء وبشر لواء الأمن ولكن هذا سيان الحصاري الشامخ سيطوح به عرباب بني هلال وبني سليم بدين وجههم المستنصر الفاطمي بن معز ليحيو زرعه بن محل وعنه بن جهن ولسكنه بعده بعيره وسيره وبحرب و بدمر ، وذلك بسبب قطع مع بحضه حتى الفاطميين وخطبه بحزبه بدل بعده في ما هب هل بسبه راجع ، المعز (6 158) بكاس 9 87) سيار 1 267) وفيات الاعيان 9 233 ـ 235) بخلاصة تقية (ص 47) بحه سيراء (2 21 ، 22 ، 23) حسن الاعلام (ص 29)

(2) هو باديس بن المنصور بن بلكين ، أبو مناد ، ويلقب بنصير لدولة تولى ملك أفريقية والمغرب الأوسط بعد وفاة أبيه (386 هـ) . وكان مولده سنة الأحد 13 بيع الأول سنة 374 هـ . نشأ وقد عنى بتعليمه في ملك فاضله ضبط بن أبي مناد ، وقاموا بعده فتح قمعه باديس بكل حزم وبعد الانتصارات العظيمة التي حققت جيوشه ، توفي يوم الثلاثاء 29 من ذي الحجة سنة 406 هـ راجع سيرته في الخلاصة النقية (ص 64) ، العبر (6 157) ، بكاس (9 86) ، وفيات الاعيان (1/265 ـ 266) ، أعمال الاعلام (ص 28) ، وانظر كذلك كتابي ، دولة بني حماد .

هو أبو محمد عبد الله الأشيري الصنهاجي (توفي سنة 561 هـ) ، محدث كبير وفقيه ، أقام بالأندلس ثم بالشام وسمع عن أبي جعفر بن غرنون وأبي بكر بن العربي وغيرهم رجع عنه ، إلى حاشية معجم البلدان ، التكملة لابن الأبار (ط القاهرة ـ 917/2ـ91) ، تاريخ ابن عساكر (الفهرس) .

صحاح بحصوره . وجرت لمحمود بن رنكي (1) مع الوزير مسافرة في شيء اختلف فيه
غضب كل واحد منهما صاحبه ، وردف ذلك اعتذار من الوزير وبره برا وافرا ، ثم سار
من بغداد الى مكة ثم عاد الى الشام فمات في بقاع بعلبك في سنة 561 هـ .

(1) محمود بن رنكي (عماد الدين) (511 — 569 هـ) ملك الشام ودبار الجزيرة ومصر ولد في حلب وانتقل إليه
ملك بعد وفاة أبيه . كان ملكا عادلا وصلا مجاهدا وقتل الحشيشيين بنفسه في موقع عديدة أثناء حملهم على بلاد
الشام وقتل بعضهم لاجتماعه بهم وذكروا أنه فقدهم عرفان بلدانهم حتى لا يتعرضوا بالحجاج ، وكانت
له كلمة من بعض من رآه مع مرضه لمعرفته . وديوان (بحاثين) للصوفية ، انظر سيرته في سير 5 253 ،
بكامل ابن الأثير 11 138 ، 144 ، 294 ، 304 ، 341 ، 344 و 351 ، 355 . نجوم القاهرة 6 71 ،
فيات الوفيات 1 227 ، 229 ، وفيات الأعيان 2 444 ، 447 و 148 ، 151 ، 184 ، 149 ، مرآة
الزمان 305/8 ، الإسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي 289/1 .

آخر او بقية بينها وبين تنس أربعة ايام . وهي مدينة رومية قديمة ، فيها آبار وأنهار تطحن عليها الرحي ، جددها زيري بن مناد وأسكنها بلكين .

القزويني

مليانة مدينة كبيرة بالغرب من اعمال يجابه مستندة الى جبل زكار وهي كثيرة الخيرات وافرة الغلات ، مشهورة بالحسن والطيب وكثرة الاشجار وتدفق المياه . حدثني الفقيه أبو الربيع سليمان المياني (1) ان جبل زكار مطل على المدينة ، وطول الجبل أكثر من فرسخ ، ومياه المدينة تتدفق من سفحه . وهذا الجبل لا يزال أخضر صيفا وشتاء ، وأعلى الجبل مسطح يزرع . وبقرب المدينة حمامات لا يوقد عليها ولا يسقي ماؤها ، بنيت على عين حارة عذبة الميـاه يستحـم بهـا مـن شـاء .

تنس

البكري

... ومنها الى مدينة تنس . بينها وبين البحر ميلان وهي مسورة حصينة داخلها قلعة صغيرة صعبة المرتقى ينفرد بسكنها العمال لحصانتها . وبها مسجد جامع وأسواق كثيـرة . وهي على نهر يسمى تناتين ، يأتيها من جبال على مسيرة يوم يأتيها من القبلة ويستدير بها من جهة الجوف والشرق ويريق في البحر ، وبها حمامات . وتنس هذه هي التي تسمى تنس الحديثة وعلى البحر حصن يذكر أهل الاندلس أنه كان القديم المعمور قبل هذه الحديثة .

وتنس الحديثة أسسها وبناها البحريون من أهل الاندلس ، منهم الكرنكي وأبو عائشة والصقر وصهيب وغيرهم ، وذلك في سنة اثنتين وستين ومائتين . ويسكنها فريقان من أهل

(1) انظر أعلاه ص 18 قد يتبادر إلى الأذهان أن المياني (إذا اعتبرناه تحريف مياني) هو سليمان بن حميدي الوهراني (أبو الربيع) الذي ذكره القصدي في رحلته وترجم له صاحب بيان الاعراب (ص 121) ولكنه على ترجمة من أن كلا الشخصين يحملان اسما واحدا ولقبا واحدا ويسميان في نفس الحقبة ، كما كان كل منهما إماما في الفقه المالكي ، فإن من المستحيل أن يكونا شخصا واحدا ، حيث أن الأول كان يعيش في عهد القزويني (القرن السابع هجري) بينما كان الثاني يعيش في القرن التاسع هجري وكذلك يبقى التأكيد بأن كليهما غير مياني الذي ترجم له ابن الخطيب في الاحاطة (1 292) ، فإن هذا شاعر ويسمى أحمد بن علي ويكنى أبا عبد الله وأن العباس

الاندلس ، من أهل الثيرة وأهل تدمير . وأصحاب تنس من ولد ابراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسين بن علي (1) وكان هؤلاء البحريون من أهل الاندلس يشتون في مرسى على ساحل البحر ، فتجمع اليهم بربر ذلك القطر ورغبوا في الانتقال الى قلعة تنس ، وسألوهم أن يتخذوها سوقا ويجعلوها سكنى ووعدوهم بالعون والرفق وحسن المجاورة ، فاجابوهم الى ذلك ، وانتقلوا الى القلعة وحيموا بها ، وانتقل اليهم من حاورهم من أهل الاندلس وغيرهم فلما دخل عليهم الربيع ، اعتلوا واستووا فركب البحريون من أهل الاندلس مراكبهم واظهروا لمن بقي منهم انهم يمتارون . فحينئذ نزلوا مرية بحانة وتغلبوا عليها ، على ما ياتي ذكره ان شاء الله . ثم ان الباقين نزلوا في تنس ولم يزالوا في تزايد ثروة وعدد ، ورحل اليهم أهل سوق ابراهيم وكانوا في اربعمائة بيت ، فتوسع لهم أهل تنس في منازلهم وشاركوهم في أموالهم وتعاونوا على البنيان واتخذوا الحصن الذي فيها اليوم . ولها بابان الى القبلة ، وباب البحر ، وباب ابن ناصح وباب الحوخة ، شرقي يخرج منه الى عين تعرف بعين عبد السلام ، ثرة عذبة ، وكيلهم يسمى الصحفه ، وهي ثمانية واربعون قادوسا ، والقادوس ثلاثة أمداد بمد النبي صلى الله عليه وسلم ورطل اللحم بها سبع وستون أوقية . ورطل سائر الاشياء اثنتان وعشرون أوقية . ووزن قيراطهم ثلث درهم عدل بوزن قرطبه . والجاري عندهم قيراط وربع درهم وصقل وحنتان مضروبة كلها . ودرهمهم اثنا عشر صقلية عددا .

الادريسي

ومدينة تنس على مقربة من ضفة البحر الملح على ميلين منه ، وبعضها على جبل وقد أحاط به السور . وبعضها في سهل من الارض . وهي مدينة قديمة ازلية عليها سور حصين وحصيرة مابعة دائرة بها . وشرب اهلها من عين. وبها في جهة الشرق واد كثير الماء وشربهم منه في ايام الشتاء والربيع . وبها فواكه وحصب وافلاع وحط . وها أقاليم وأعمال ومزارع ، وبها الحنطة ممكنة جدا وسائر الحبوب موجودة وتخرج منها الى كل الافاق في المراكب . وبها من الفواكه كل طريفة من السفرجل الطيب المعنق ما يفوت الوصف في صفته وكثره وحسنه .

---

(1) راجع شجرة نسب أبناء محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذين أنشأوا عدة إمارات في الجزائر في عهد الأدارسة ، في جمهرة أنساب العرب (ص 48) ، وكذلك عن إمارتهم لبسده التي أوردها اليعقوبي في كتاب البلدان (ص 356، 357) والفقرة التي خصصها لهم التنسي في كتابه عن بني زيان (مخطوط في حوزة السيد محمود بوعياد (ورقة 122 وجهة) .

الجـزائــر (1)

البكري

ويليه مرسى الجزائر وتعرف بجزائر بني مزغني ، وهو مرسى مأمون مشتى بين حزيرة سطفله من الشرق الى الغرب وبين البر . ومرسى عذبة . ويقابله من مرسى بنشكمة من بر الاندلس .

وفي مكان آخر

ومنها الى مدينة جزائر بني مرغني ، وهي مدينة جليلة قديمة البنيان ، فيها آثار للاول وأبراج محكمة تدل على أنها كانت دار ملك لسالف الامم ، وصحن دار الملعب فيها مفسيفساء فيها صور الحيوان بأحكم عمل وأبدع صناعة ولم يغير تقادم الزمن ولا تعاقب القرون ولها اسواق ومسجد جامع . وكانت بمدينة بني مزغني كنيسة عظيمة بقي منها جدار مدير من

---

(1) جمع الحسن بن محمد الوزان ، وصف أفريقيا ، ج 3 ، وكذلك ترجمت عربيه بوصف بحض الجزائر من هذه الكتاب وكذلك ترجمت هذه الكتاب شارل ، وروض القرطاس لابن ابي زرع ، وتاريخ تونس لابن عذاري ، وتاريخ تونس للزركشي ، والمؤنس في أخبار افريقية وتونس لابن أبي دينار ، وكتاب الاستقصا للسلاوي ، ومدينة الجزائر لعبد القادر جلولي .

Mannol Description de Africa T 2 Shaw Travels and Observations Senaler Etat d'Alger R. Basset Documents Geographiques sur l'Afrique Septentrionale Mercier (E.) Histoire de l'Afrique Septentrionale Gramont Histoire d'Alger sous la Domination Turque Devoulx Archives Edifices Religieux d'Alger (R.A., Vol. 6 - 13) وللمؤلف نفس Notes sur les Mosquées d'Alger (R.A., Vol. 4-5) Rozet Voyage dans la Regence d'Alger Boudia, Reconnaissance de la Province d'Alger Julien Ch. A. Histoire Contemporaine de l'Afrique Gouvernt. la Magerch Gen. Les Sources Arabes Playfair (R.L.) A Bibliography of Algeria Despes (R.) Alger Etude de Geographie et d'Histoire urbaine Mattei et (A.L.) Journal de la Prise d'Alger 1830 Departmt. D'Alger 1953 Esquisse Geo. Commencement d'un empire la prise d'Alger la prise d'Alger Ensemble pour un Algerien Texte varique et illustré par Office de Architecture et d'Kadeche Mission politique à Alger de 1919 a 1939, SNED, 1970

الشرق الى الغرب . وهو اليوم قبلة الشريعة للعيدين مقصص كثير النقوش والصور ومرساها مأمود له عين عذبة . يقصد اليه أهل السفن من افريقية والاندلس وغيرهما .

الادريسي

ومدينة الجزائر على ضفة البحر وشرب أهلها من عيون على البحر عذبة ومن آبار . وهي عامرة أهله وتجارتها مربحة وأسواقها قائمة وصناعاتها رافقة ، ولها بادية كبيرة وجبال فيها قبائل من البربر . وزراعاتهم الحنطة والشعير وأكثر اموالهم المواشي من البقر والغنم ويتحدون النحل كثيرا . فعندك ، العسل والسمن في بلدهم كثير وربما يتجهز بها الى سائر البلاد والاقطار المجاورة هم والمتباعدة عنهم . واهلها قبائل ولهم حرمة مانعة .

ياقوت

الجزائر ، جمع جزيرة : اسم علم لمدينة على ضفة البحر بين افريقية والمغرب ، بينها وبين بجاية اربعة ايام ، كانت من حواضر بلاد بني حماد بن زيري بن مناد الصنهاجي . وتعرف بجزائربني مزغنا ، وربما قيل لها جزيرة بني مزغناي .

وبعد ذلك اقتبس ياقوت وصف أبي عبيد البكري الذي اورد ناه اعلاه ، ثم اختتم مقالته قائلا :

وينسب الى هذه المدينة جماعة منهم ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج الجزائري المصري يروي عن ابن قديد ، توفي في ذي القعدة سنة 368 هـ .

ابن سعيد

.. وفي شرقيها مدينة الجزائر . وهي فرضة من عمل بجاية حيث اطول عشرون درجة وثمان عشرة دقيقة والعرض ثلاث وثلاثون درجة ونصف .

القلقشندي

وعربي بجاية ، جزائر بني مزغناي (كذا) بفتح الميم وسكون الزاي وكسر الغين المعجمتين ثم نون بينهما الف الاولى منهما مشددة كما في «تقويم البلدان» عن الشيخ شعيب وبعضهم يسقط النون الاخيرة وفي «مسالك الابصار» مرغانة ، بزيادة هاء في الاخير

المسيلـة (1)

ابن حوقل

ومن مقره الى المسيلة مرحلة . وهي مدينة محدثة استحدثها علي بن الاندلس ، أحد خدم آل عبيد الله وعبيدهم ، وعليها سور حصين من طوب ، ولها واد يقال له وادي سهر فيه ماء عظيم منبسط على وجه الارض وليس بالعميق ، وهم عليه كروم وأجنة كثيرة تزيد عـلى كفايتهم وحاجتهم ، ولهم من السفر حل المعنق ما يحمل الى القيروان ، وأصله من تنس . ومن علاتهم القطن (2) والحنطة والشعير ، وتكثر عندهم المواشي من الدواب والانعام والبقر . وعليها من البربر بنو برزال (3) وبنو زيداج وهوارة مزاته وعليهم صدقات وخراج عزيز ومنها جوزا منهل ينزله الناس لا ساكن به ، وفيه ماء من عيون عذبة .

(1) وصف الحسن بن محمد بورد المسيلة بأنها مدينة قديمة بناها الرومان على ضفاف مجرى يسمى المسيلة على مسافة حوالي 140 ميلا من تاهرت وأضاف مرجع آخر أن المسيلة تبعد على مسافة 7 كيلو مترات تقريبا عن مدينة الزمورة (Zabi) وهي تحمل الآن اسم بوسعادة . أنظر وصف افريقية ا 362 هامش 16 وقد ذكر ابن عذارى أن المسيلة أسسها أبو القاسم بن عبيد الله أمر ببنائها مدينة مسورة في سنة 313 هـ ، وجعل سورها من الحجارة (على يد حمدون) وعلي هذا هو الذي جددها في سنة 324 هـ (راجع البيان ا 214 ــ 215) والمسيلة تسمى أيضا حمديه

(2) راجع : Sergeant, Textiles in ARS Islamica, XV, p. 50

(3) موطن بني برزال الأصلي ، هي منطقة ، سكنها قبائل مغراوة ، على بن حمدون ، وقد دخل بنو برزال في طاعته وبعد مقتله سنة 406 هـ لأول من سكن عندهم قلعة المسيلة (كما بعد حماد في بعد وفاته من قلعة حجر وهم سنة لتعمير القلعة) وقد ظل ولاء بني برزال لأسرة بني حمدون قوي بحيث أن جعفر بن علي بن حمدون لما هرب إلى الأندلس ودخل في خدمة الأمويين (بعد ما قرر الفاطميون تسليم حكم المغرب إلى بني زيري) ، قد تدخل لدى الخليفة المستنصر وساعده في أن يستقدم بني برزال لمملكة وقد دخل عدد كبير من جند هذه القبيلة بلاط الأندلس حيث كانوا قوة ضاربة في معارك في صف بني أمية ، ولا سيما في عهد المنصور بن أبي عامر ، وقد شكل بنو برزال دوما

تخرج من مدينة القلعة الى مدينة المسيلة ، وهي مدينة حليلة على نهر يسمى سهر ، أسسها سماعيل (1) بن ابي القاسم بن عبيد الله الله سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة وكان استولى على ما علي بن حمدون (2) بن سماك بن مسعود بن منصور حد مي المعروف بالاندلسي ، واستعمله القائم (العبيدي) عليها ، فلم يزل بها الى ان هلك في فتنة أبي يزيد (3) وبقي ابنه جعفر (4) فيها وصار اميرا على الزاب كله الى ان خرج عنها في سنة ستين وثلاثمائة على ما نحن ذاكروه في موضعه ان شاء الله .

وهي مدينة في بسيط من الارض عليها سور من بينهما واد ماء يستدير بالمدينة وله مساقط تسقي منها عند الحاجة . وللمدينة أسواق وحمامات وحولها بساتين كثيرة ويحود عندهم القطن وهي كثيرة بلحم رخيصة السعر وبها عقارب مهلكة لا يتخلص من لسعها ونشرب منها حتى

= ابي قرمونة ، وكان أول من بويع منهم بالملك فيه هو أبو عبد الله بن عبد الله بن برزال ، وكان ذلك في سنة 404 هـ وقد بقيت في بعد اسحة وشوكة وامتدّ وعمره من بلاد . رجع البيان المغرب 3 311 ـ 312) لابن عذارى

(1) وهو اسماعيل المنصور العبيدي في المهدية في سنة 302 هـ وولاه أبوه سنة 332 هـ كان المنصور شجاعا رابط الجأش فصيحا اللسان وكان هو الذي خطط مدينة صبرة (336 هـ) . ومن مآثره المنصورية ومن الأحداث التاريخية الهامة التي لعب فيها المنصور الدور الأول ، ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد التي قمعها بمساعدة بني زيري والقضاء على الخارجي في جبل تقرست (جبل قلعة بني حماد) . ومن شدة عيشه أمر بسلخ الثائر وحشو جلده قشا ثم صلبه . وأما المنصور ، فقد مات في المنصورة في آخر شوال 441 هـ (رجع ابن عذارى ، البيان المغرب (طبع بيروت) ! 311 314 .

(2) كان علي بن حمدون الأندلسي ، أول من تولى إمرة العرب من قبل الفاطميين الذين كان على نصب نفسه وهم بالمشرق ، قبل ظهور دعوتهم وقد قدم صبرت حتى أدركته فتنة أبي يزيد الخارجي . فأمره القائم بن عبيد الله بن الزبير ويلحق به في المهدية وقد وصل إلى باجه على رأس جيش كبير ، فاجتمع أيوب بن أبي يزيد فقتلا ، فسقط علي بن حمدون من على جبل شاهق فمات . رجع ابن حمدون ، الخبر 4 82 ، ابن عذارى ، البيان المغرب 2 242 ، 244 ، الأعلام ص 60 62 ، نحلة السيراء 1 305 ـ 306 ـ 307 و 2 50)

(3) رجع عن أبي يزيد مخلد بن كيداد ابن حمدون ، الخبر 4 44 ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان (طبع القاهرة) 1 77 ، ابن عذارى البيان المغرب 1 193 616 ، المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ، ابن تغربردي ، النجوم الزاهرة 87/3 ، نحلة السيراء 290/1 ـ 291 و 387/2 ـ 389 .

(4) [illegible] فولاه بعد حمل عبيديين عهد إلى مصر وقد خرجت سنة وبنى زيري معارك انتهت بمقتل زيري ثم بهزيمته على يد [illegible] فتحصن بقلعة بن حماد ، رجع ابن عذارى 1 360 ، ابن خلكان 8 625 ، ابن حمدون 6 154 ، ابن الأثير 7 386 ، [illegible] 34

عجيسة وهوارة وبني بورزال . ولهم كانت ارض المسيلة . وبقربي مدينة المسيلة موضع يعرف بالقصاب . فيه قباب من بناء الاول . وعلى مقربة منها مدينة للاول حربة يقال لها بشليفة فيها جدولان من ماء عذب جلبه الاول اليها يقال لها تارفا اودى . تفسيره ساقية السمن .

وقال احمد بن محمد المروذي يذكر نزول اسماعيل بالمسيلة والشيعة تسميها المحمدية :

ثم الى مدينة مرضية	أسست على التقوى محمدية
أقبل حتى حلها ضحية	بالنور من طلعته المضية
فحل في عسكره المسيلة	في هيئة كاملة جيلة
للنصر في أرجائه محيلة	بنعمة من ذي العلى جيلة

ونهر سهر لدي عنيه مدينة المسيلة منبعه من عيون داخل مدينة عدير وارّاوْ . وهي مدينة كبيرة ازلية بين جبال .

الادريسي

.. ثم الى المسيلة مرحلتان . وهي مستحدثة . استحدثها علي الاندلسي في ولاية ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب . وهي عامرة في بسيط من الارض وها مزارع ممتدة اكثر مما يحتاج اليه . ولاهلها سوائم خيل واعنام وابقار وجنات وعيون وفواكه وبقول ولحوم ومزارع قطن وقمح وشعير . ويسكنها من البربر بنو بورزال وربداح وهواره وصدراته ومزانة . وهذه المدينة ايضا عامرة بالناس والتجار . وهي على نهر فيه ماء كثير مستنبط على وجه الارض وليس بالعميق . وهو عذب فيه سمك صغير فيه طرق حمر حسنة ولم ير في بلاد الارض المعمورة سمك على صفته . وأهل المسيلة يفتخرون به . ويكون مقدار هذا السمك من شبر الى مادونه وربما صطيد منه الشيء الكثير . فاحتمل الى قلعة بني حماد ويبعث منها

ياقوت

المسيلة . بالفتح ثم الكسر والياء ساكنة . مدينة بالمغرب تسمى المحمدية . احتطها أبو القاسم بن عبيد الله المهدي في سنة 315 هـ . وهو يومئذ ولي عهد أبيه . وأبو القاسم هذا بنى المسيلة بعد المهدي من مستسين الى العلويين الذين كانوا بمصر ينسب اليها ابو العباس أحمد بن محمد بن حرب المقرئ بمصر . قرأ القرآن ورحل الى بطليوس فلقي بها أبا بكر محمد

ابن مزاحم الحرزجي وقرأ عليه ابو حميد عبد العزيز بن علي بن محمد بن سلمه السيحانـي المقـري .

ابن سعيد

... وفي شماليها مدينة المسيلة ، وهي محدثة بناها العبيديون على نهر سهر ، من أحل الانهار . [وهو] يمر بغربيها وتغوص [مياهه] في رمال الصحراء . وهي حيث الطول ثلاث وعشرون درجة واربعون دقيقة والعرض سبع وعشرون درجة وخمس واربعون دقيقة . والبلاد التي حولها محالات لعرب رياح. وتمتد الصحاري في شرقيها الى ان يكون جبل رحوبة الذي يمتد من المغرب الى المشرق . ذكر بطليموس ان راسه الغربي حيث الطول ثلاثون درجة وخمسون دقيقة والعرض ست وعشرون درجة ودقائق .

ابو الفدا

قال ابن سعيد : ومدينة المسيلة محدثة بناها الخلفاء الفاطميون ، خلفاء مصر ، وها نهر يمر بغربيها ويغوص في الصحاري والرمال ، وهي في شمال بسكرة . قال في العزيزي : ومدينة المسيلة محدثة أحدثها القائم بالله الفاطمي سنة خمس عشرة وثلاثمائة وسماها المحمدية . ومنها الى مدينة طبنة اربعة وعشرون فرسخا .

القلقشندي

ومسه المسيلة ... وهي من بلاد الجريد موقعها في الاقليم الثالث . قال ابن سعيد حيث الطول ثلاث وعشرون درجة [الخ. ما ذكر اعلاه] . قال في «العزيزي» . وهي مدينة محدثة بناها القائم الفاطمي [الخ . ما ذكره ابو الفدا] . قال ابن سعيد ولها نهر يمر بغربيها ويغوص في رمـال الصحـاري .

قلعة بني حماد (قلعة أبي طويل) (1)

البكري

وهي قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة وتمصرت عند خراب القيروان . انتقل اليها أكثر اهلها من افريقية . وهي اليوم مقصد التجار وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب . وهي اليوم مستقر مملكة صنهاجة وبهذه القلعة كان احتضن أبو يزيد مخلد بن كيداد [...] على ما نذكره في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله

الادريسي

ومدينة القلعة من اكبر البلاد قطرا واغزرها حبرا واوسعها اموالا واحسنها قصورا ومساكن وأعمها فواكه وخصبا . وحنطتها رخيصة ولحومها طيبة سمينة . وهي في سند جبل سامي العلو صعب الارتقاء . وقد استدار سورها بجميع الجبل ، ويسمى تاقربست واعلى هذا الجبل متصل ببسيط من الارض ومنه ملكت القلعة . وبهذه المدينة عقارب كثيرة سود تقتل في الحال . واهل القلعة يتحررون منها ويتحصنون من ضررها ويشربون لها نبات القولبون الحراني . ويزعمون انه ينفع شرب درهمين منه لعدم كامل ، فلا يصيب شاربها شيء من ألم العقارب وهذا عندهم

(1) راجع غيرما ذكر كتاب الاستبصار (الملحق) في آخر هذا الكتاب . وكذلك :

De Bevac a Kalaa des Bani Hamaad, mosquées Berbères de l'Afrique du Nord au XI^e siècle Bâche et Stradin Description des ruines de la Kalaa des Bani Hammad (Nouvelles Archives des Missions Scientifiques T. XVII) Margais (G) les Poteries et les Faïences de la Kalaa de Bani Hammad Mercadesse La Kalaa des Bani Hammad (R A 1936) Robert la Kala des Bani Hammad (Bull de la Soc Arch de Constantine (T. XXXVII, 1903

عبد الحليم عويس ، دولة بني حماد ، ملوك القلعة وعلاقاتها ، نشر شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع 1980

مشهور . وقد أخبر بذلك من يوثق به في وقتنا هذا . وحكى عن هذه الحشيشة انه شربها وقد لسبته العقرب فسكن الوجع مسرعا . ثم انه لسبته العقارب في سائر العام ثلاث مرات فما وجد لذلك اللسب المآ . وهذا النبات ببلد القلعة كثير .

باقوت

قلعة حماد : مدينة متوسطة بين اكم واقران لها قلعة عظيمة على قنة جبل يسمى تاقربوست تشبه في التحصن ما يحكي عن قلعة انطاكية . وهي قاعدة ملك بني حماد بن يوسف الملقب بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي البربري . وهو أول من احدثها في حدود سنة 370 هـ . وهي قرب أشير من أرض المغرب الأدنى ، وليس لهذه القلعة منظر ولا رواء حسن انما احتطها حماد للتحصين والامتناع . لكن تحف بها رساتيق ذات غلة وشجر مثمر كالتين والعنب في جبالها وليس بالكثير . وبها الاكسية القنعية الصفيقة النسيج الحسنة المطرزة بالذهب ولصوفها من النعومة والبصيص بحيث ينزل مع الذهب بمنزله الابرسيم . ولاهلها صحة مزاج ليس لغيرها . وبينها وبين بسكرة مرحلتان ، والى قسطينة الهواء ايام . وبينها وبين سطيف ثلاث مراحل .

***

بجايـــة (1)

البكري

... ثم مرسى مدينة بجاية ازلية آهلة عامرة بأهل الاندلس بشرقيها نهر كبير تدخلـه السفن محملة ، وهو مرسى مأمون مشتى قد خرج عن محاذاة جزيرة الاندلس . ومرسى بجاية هو ساحل قلعة ابي طويل . وعلى هذا المرسى في تلك الجبال ، قبائل كتامة ، وهي شيعـة يكرمون من مال الى مذهبهم ويبرون من وافق اعتقادهم . ثم يلي مرسى بجاية مرسى سبيبه .

الادريسي

ومدينة بجاية على البحر ، لكنها على جرف حجر ، ولها من جهة الشمال جبل يسمى اميسون وهو جبل سامي العلو صعب المرتقى . وفي اكنافه جمل من النبات المنتفع به في صناعة الطب مثل شجر الحضض والسقولوقندوريو والبرباريس والقنطوريون الكبير والزراوند والقسطون والافسنتين

(1) راجع غير ما ذكر : إبن خلدون ، ج 6 ؛ عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ؛ ديوان إبن حمديس الصقلي ، كتاب الاستبصار ، مناهج الفكر (مخطوط محفوظ في مكتبة اكسفورد ، ورقة 105) ؛ روض القرطاس ، إسماعيل العربي ، بجاية عاصمة بني حماد الدينية مجلة الثقافة عدد 18 ديسمبر يناير 1973 ، وكتاب ، دولة بني حماد ، ملوك القلعة وبجاية ، العربي ، عيون المدراية ، طبع بيروت وكذلك Feraud, Aicha, Poetesse de Bougie (R A , 1889) ولنفس الكاتب ، (1889 , Histoire de Bougie , Gyselynck) Atlas Archeologique de l'Algérie Marçais (G), la Poterie et Faience de Bougie , Marmol, Description de Africa(T I), Marçais (G), Bougie (Documents Algeriens 1950) Ferand, Notes sur Bougie (R A , 1858-1859) , ولنفس مؤلف la Conquete de Bougie par les Espagnols الحسن الوزان ، وصف أفريقية (R A , 1868) Wintzer (P), Bougie, Place Forte Espagnole (Bult Soc Géogr d'Alger 1932) Umares (Al, le Sejour de Raymon Lulle a Bougie (1307), Estudios Luluanos, 1960, Vol V

وعير ذلك من الحشائش . وفي هذا الجبل كثير من العقارب ، صفر الالوان ، لكـن ضررها قليـــل .

ومدينة بجاية في وقتنا هذا ، مدينة الغرب الاوسط وعين بلاد بني حماد . والسفن اليها مقلعة وبها القوافل منحطة والامتعة اليها برا وبحرا مجلوبة ، والبضائع بها نافقة وأهلها مياسير تجار . وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد . وأهلها يجالسون تجار المغرب الاقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق . وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالاموال المقنطـرة . ولها بواد ومزارع . والحنطة والشعير موجودان بها بكثرة والتين وسائر الفواكه بها ما يكفي لكثير من البلاد . وبها دار صناعة لانشاء الاساطيل والمراكب والسفن والحرابي لان الخشب فـي اوديتها وجبالها كثير موجود ويجلب اليها من اقاليمها الزفت البالغ الجودة والقطران . وبها معادن الحديد الطيب موجودة وممكنة ومن الصناعات كل غريبة ولطيفة . وعلى بعد ميل منها نهـر يأتيها من جهة الغرب من نحو جبال جرجره . وهو نهر عظيم يجاز عند فم البحر بالمراكب . وكلما بعد عن البحر ، كان ماؤه قليلا ، ويجوز من شاء في كل موضع منه . ومدينة بجايـة قطب لكثير من البلاد ، وذلك ان من بجاية الى ايقجان يوم وبعض يوم . ومن بجايـة الـى بلزمـا مرحلتـان .

وأما مدينة بجاية نفسها ، فانها عمرت بعد خراب القلعة التي بناها حماد بن بلقيـن ، وهي التي تنسب دولة بني حماد اليها . والقلعة كانت في وقتها وقبل عمارة بجاية دار الملـك لبني حماد ، وفيها كانت ذخائرهم مدخرة وجميع اموالهم مختزنة ودار اسلحتهم . والحنطـة تختزن بها ، فتبقى العام والعامين لا يدخلها الفساد ولا يعتريها تغيير . وبها من الفواكه الماكولة والنعم المنتخبة ما لا يلحقه الانسان بالثمن اليسير . ولحومها كثيرة ، وبلادها وجميع ما ينضاف اليها تصلح فيها السوائم والدراب لانها بلاد زرع وخصب . وفلاحتهم اذا كثرت اغنت واذا قلت كفت . فانها ابد الدهر شباع واحوالهم صالحة . وقد ذكرنا حالها وصفة بنائها فيما تقدم لنا . وهي متعلقة بجبل عظيم مطل عليها وقد احتوى سورها المبني على جميع الجبل المذكور طولا وعرضا . وامامها في جهة الجنوب ارض سهلة متصلة الانفراج لا يرى الناظر فيها جبلا عاليا ولا شرفا مطلا الا على بعد منها . وعلى مسير مراحل يرى جبالا لا تبين . وعـلى ميـل منهـا ، المسيلـة .

ابن سعيد

... وفي شرقيها قاعدة الغرب الاوسط ، بجاية ، حيث الطول اثنتان وعشرون درجة والعرض اربع وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة ولها نهر في نهاية الحسن على شاطئه البساتين والمنتزهات ويتفرج فيه اصحاب المراكب من ينصب الى البحر بشرقيها . ومنبعه من جهة شقراء بصحراء الجنوب . وعرض البحر عند بجاية الى طرطوشه من الاندلس ثلاث مجار .

ابو الفدا

وبجاية ، هي قاعدة الغرب الاوسط ، ولها نهر على شاطئه البساتين والمنازه ، في شرق بجاية . ويقابل بجاية من الاندلس طرطوشه . وعرض البحر بينهما ثلاث مجار . وغربي بجاية ، جزائر بني مزغنان (كذا) . وهي فرضة مشهورة . ومزغنان ، بفتح الميم وسكون الزاء وكسر الغين المعجمتين . ثم نونان بينهما الف ، الاولى مشددة ـ عن الشيخ شعيب . وفي آخر حد مملكة بجاية وشرقي قسنطينة مرسى الخرز المخصوص بالمرجان .

القلقشندي

بلاد بجاية ... وبجاية مدينة من مدن المغرب الاوسط واقعة في الاقليم السابع . قال ابن سعيد : حيث الطول اثنتان وعشرون درجة والعرض اربع وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في «تقويم البلدان» : هي قاعدة الغرب الاوسط ، وهي مقابل طرطوشة من الاندلس ، وعرض البحر بينهما ثلاث مجار . قال في «مسالك الابصار» وهي مدينة مسورة اضيف الى جانبها ربض ادير عليه رسوم ضم نطاق المدينة فصارا كالشيء الواحد . قال : والربض في وطاء ، والمدينة القديمة في سفح جبل ، يدخل اليها خور من البحر رومي تدخل منه المراكب اليها . قال في «تقويم البلدان» ولها نهر في شرقيها ، على شاطئه البساتين والمنازه قال في «مسالك الابصار» : وبها عينان من الماء احداهما كبيرة ومنها شرب اهلها ولها نهر جار على نحو ميلين منها تحف به البساتين على ضفتيه ممتدة نحو اثني عشر ميلا متصلا بعضها ببعض لانفصال بينهما الا ما يسلك عليه الى البساتين الى ان يصب في بحر الروم . وبضفتيه للسلطان بستانان مقابلان شرقا وغربا . الشرقي منهما يسمى الربيع .

* * *

مـرسـى الـخـرز (1)

ابن حوقل

... وعلى الساحل منها بهذا البحر على نحو مرحلة ، مرسى الخرز ، وفيه معدن المرجان . ومرسى الحرز ايضا قرية غير انها بيلة لمكان المرجان وحضور من يحضرها من التجار ، ولا اعرف في شيء من البحار له نظير في الجودة ولا يوجد المرجان في مكان غير هذه القرية المدعوة بمرسى الخرز ومدينة تنس ومدينة سبته المحاذية من الاندلس لجبل طارق ، وهي المعروفة بالجزيرة الخضراء . والذي بها من المرجان قليل الجوهر حقير المقدار في جنب ما يخرج من مرسى الخرز . ولسلطان المغرب بها أمناء على ما يخرج منه ، وناظر بي صلاتها ومعدنها وما يلزم ما يخرج من هذا المعدن . وينتجار بها اموال كثيرة من قطار لواحي عند سمسرة وقوف لبيع المرجان وشرائه . ويعمل بها في أكثر الاوقات في اثارة المرجان الحمسود قاربا ، وما زاد على ذلك مما في القارب والعشرون رجلا لى ما زاد ونقص . والمرجان نبت ينبت كالشجر في الماء ثم يستحجر في نفس الماء بين جبلين عظيمين . والعاملون فيها يكثرون الاكل والشرب والحلاعة ، ولهم فيها مكاسب وافرة وينتبذون نبيذ العسل فيشربونه من يومه ويسكرهم الاسكار العظيم . ويعمل من الصدع ما لا يعمله نبيذ الذرة وغيره من الاشربة . وهي ناحية قليلة الزرع يجلب اليها ما يقوتها مما يجاورها من فاكهة وغيرها . وفيها من صيود السمك ما لم أر ببلد مثله سمنا وربما مع جانبه من أكل ما يصاد بها ولا سيما وقت الغلات .

(1) راجع غير ما ذكر :
Lombard (M, Arsenaux et Bois de Marine dans la Mediterranee Musulmane (Irage apart d'un recueil intitule le Navire et l'Economie Maritime Marçais (G), les Arabes en Berberie , Heyd Histoire du commerce levant traduction Reynavd

المقدسي

مرسى الخرز مدينة في جزيرة على البحر يدخل من موضع واحد . ومنها يرتفع المرجان يرتفع القرن ، وهي في جبال ، يخرجون الى جمعه في قوارب ومعهم صلبان من خشب قد لفوا عليها شيئا من الكتان المحلول وربطوا في كل صليب حبلين باحدهما رجلان فيرميان بالصليب ويديرانه القارب فيتعلق بالقرن ثم يجذبونه . فمنهم من يخرج عشرة الاف دراهم ثم يجيء في اسواق لهم ويباع جزافا رخيصا ولا اشراق له قبل جليه ولا لون .

البكري

وشرقي مدينة بونة ، مرسى الخرز فيه المرجان . وهي مدينة قد احاط بها البحر الا مسلك لطيف ربما قطعه البحر في الشتاء . عليها سور وبها سوق عامرة . وقد صنع بها مرفأ للسفن منذ مدة قريبة . وفي هذه المدينة تنشأ السفن والمراكب البحرية التي يغزى بها الى بلاد الروم . والى هذه المدينة يقصد الغزاة من كل أفق لان مقطعها يقرب من جزيرة سردانيا بينهما نحو مجراويـــن .

الادريسي

ويقابل ماجة في جهة الشمال وعلى نحر البحر ، مدينة مرسى الخرز وبينهما مرحلة كبيرة ، وهي مدينة صغيرة عليها سور حصين ولها قصبة وحولها عرب كثير وعمارة اهلها لها صيد المرجان والمرجان يوجد بها كثيرا ، وهو أجل جميع المرجان الموجود بسائر الاقطار ، مثلما يوجد منه بمدينة سنة وصقلية .

ويقصد التجار من سائر البلاد الى هذه المدينة فيخرجون منه الكثير الى جميع الجهات . ومعدن هذا الجوهر في هذه المدينة مخدوم في كل سنة ويعمل به في كل الاوقات الخمسون قاربا والزائد والناقص . وفي كل قارب العشرون رجلا وما زاد ونقص . والمرجان ينبت كالشجر ثم يتحجر في نفس البحر بين جبلين عظيمين ويصاد بالات ذوات دوائب كثيرة تصنع من القنب ، تدار هذه الالة في اعلى المراكب فتلتف الحبوط على ما قاربها من نبات المرجان فيجذبه الرجال الى انفسهم ويستخرجون منه الشيء الكثير مما يباع بالاموال الطائلة . وعمدة اهلها على ذلك . وشرب اهلها من الابار ، وهي قليلة الزرع ، وانما يجلب اليها قوتها من بلاد العرب

المجاورة ، وكذلك الفواكه ، وربما جلبت اليها من بونة وغيرها . وبين مرسى الخرز وبونة مرحلة خفيفة ، وفي البحر 24 ميلا روسية .

ابن سعيد

... وفي شرقيها مرسى الخرز المخصوص بالمرجان . وأمامه في البحر في هذا الجزء سردانيه ، الجزيرة المشهورة التي يوجد فيها المرجان . وهو شجر في البحر مستحجر يخرج ابيض اللون لينا فاذا ضربه الهواء احمر وصلب . ومدينة هذا المرسى حيث الطول تسع وعشرون درجة ودقائق ، والعرض يقارب عرض بونة .

ياقوت

مرسى الخرز ، بالفتح ثم السكون والسين مهملة والقصر وأصله مفعل ، من رست السفينة اذا ثبتت ، والموضع مرسى . والخرز بفتح الخاء المعجمه والراء ثم الزاي ، واحدته خرزة : موضع معمور على ساحل افريقيه ، بينه وبين بونة ثلاثة ايام . منه يستخرجون المرجان ، يجتمع التجار فيستاجرون اهل تلك المواضع على استخراجه من قعر البحر وليس في ذلك على مستخرجه مشقة ولا لسلطان فيه حصة . فانه يتخذ لاستخراجه صليب من خشب طوله قدر الذراع ثم يشد في طول ذلك الصليب حجر ويشد فيه حبل ويركب صاحبه في قارب ويبعد عن الساحل قدر نصف فرسخ . وفي قعر تلك المسافة بيت المرجان فيرسل ذلك الصليب في الماء الى ان ينتهي الى القرار ثم يمر بالقارب يمينا وشمالا ومستديرا الى ان يعلق المرجان في دوائب الصليب ثم يقتلعه بقوة ويرقيه اليه فيخرج وقد علق في ذلك الصليب جسم مشجرا الى القصر ما هو ، اغبر اشقر . فاذا حل عنه قشره خرج احمر اللون فتصقله الصناع .

القزويني

مرسى الخرز بليدة على ساحل افريقية عندها يستخرج المرجان وليس للسلطان فيه حصة ، فيجتمع بها التجار ويستاجرون اهل تلك النواحي على استخراج المرجان من قعر البحر . حكي من شاهد كيفية استخراجه انهم يتخذون خشبتين طول كل واحدة منهما ذراع ، ويجعلونهما صليبا ويشدون فيه حجرا ثقيلا ، ويصلونه بحبل ويركب صاحبه في قارب ويتوسط البحر نصف فرسخ ليصل الى منبت المرجان ، ثم يرسل الصليب الى البحر حتى ينتهي الى قرار

البحر ويمر بالقريب يمينا وشمالا ومستديرا ليتعلق المرجان في ذوائب الصليب ثم يقلعه بالقوة ويرقيه ، فيخرج جسم اغبر اللون ، فيحك قشره فيخرج احمر اللون حسنا .

القلقشندي

وشرقي قسنطينة في آخر مملكة بجاية ، مرسى الخرز . ومنه يستخرج المرجان من قعر البحر على ما تقدم في الكلام على الاحجار النفيسة .

***

سطيف

ابن حوقل

ومدينة سطيف كثيرة لحير تقارب ميلة والمسيلة وتصاقب القسطنطينه . وبربرها بالصورة التي ذكرتها من بذل لطعام والاولاد . وكان اصل ما استباحهم به ابو عبد الله الداعي على بذل اولادهم لا ضيافهم . فاني سمعت ابا علي بن ابي سعيد يقول انه ليبلغ بهم فرط المحبة في اكرام الضيف ان يؤمر الصبي الجليل لاب والاصل لخطير في نفسه بمضاجعة ضيف ليقضي منه نهمته وينال منه الحرم وربما وقعت شهوة أحد في جميل من فرسانهم وشجعانهم فلا يمتنع عليه مطلب من الباطل ، ويرى ذلك كرما وفخر والاباء عنه عارا ونقصا وليس ترى بكتامة التي بسطيف ولا بعيرها شيئا من هذا الامر ولا يجيزونه ولا يستحسنون ذكره وكتامه التي بهذه الناحية متشيعون وبهم ظهر بو عبد الله الداعي واخذ المغرب .

البكري

ومدينة سطيف على مرحلتين من المسيلة ... ومدينة كبيرة حميلة أولية كان عليها سور خربته كتامة مع بني عبد الله الشيعي ، لانها كانت في الاول لكتامه ثم غلبتهم عليها العرب فكانوا يعشرونهم اذ دخلوها ، وهي اليوم بدون سور لكنها عامرة كثيرة الاسواق رخيصة الاسعار وبين سطيف والقيروان عشر مراحل .

وعلى مدينة بجاية الى جهة الجنوب حصن سطيف ، وبينهما مرحلتان .

وحصن سطيف كبير لقطر كثير الحنق كالمدينة . وهو كثير المياه والشجر المثمر بصروب من الفواكه ومنها يحمل الحور لكثرته بها الى سائر الاقطار . وهو بالغ طيب حسن ويباع بها رخيصا . وبين سطيف وقسطيلية مراحل . وبقرب سطيف جبل يسمى ايكجدل (1) وبه قبائل كتامة وحصن حصين ومعقل منيع . وكان قبل هذا من عمالة بني حماد

وقبيلة كتامة (2) تمتد عمارتها الى أن تتجاور أرض القل وبونه . وفيهم كرم وبذل طعام لمن قصدهم ونزل باحدهم . وهم أكرم الرحال للاضياف حتى استسهلوا مع ذلك ابدال اولادهم للاضياف النازلين بهم ولا تتم عندهم الكرمة البالغة الا بمبيت اولادهم مع الاضياف ليتلقوا منهم الارادة ولا ترى كتامة بذلك عارا ولا ترجع عن ذلك البته وقد اصابتهم الملوك في ذلك وأبدعت في حكايتهم فما اقلعوا ولا امتنعوا عن عاداتهم في ذلك ولا تحولوا عن شيء منه ولم يبق من كتامة في وقت تاليفنا هذا الكتاب سوى اربعة الاف رجل وكانوا قبل ذلك عددا كثيرا وقبائل وشعوبا . واعف قبائل كتامة وقلهم فعلا هذا القن ، من كان في جهة سطيف لانهم من القدم لا يرون ذلك ولا يستجيزونه ولا يستحسنون شيئا من فعل هذه المنكرات التي تاتيها قبائل كتامة الساكنون بجهة القل وبجبالها المتصلة باقليم قسنطينة الهواء .

باقوت

سطيف ، مدينة في جبال كتامة بين تاهرت والقيروان من أرض البربر ببلاد المغرب ، وهي صغيرة لا انها ذات مزارع وعشب عظيم . ومنها خرج أبو عبد الله الشيعي داعيه عبيد الله المسمى المهدي .

القلقشندي

سطيف ، مدينة من الغرب الاوسط في الاقليم الثالث . قال في «الاطوال» حيث تطول

1. لا يزال موقع ايكجدل غير معروف باكتمال . ولدلك على الرغم من محاولات كثيرة للتعرف عليه يقر تفاصيل تحمل هذه المحاولات في Muhammad Talbi : Emirat Aghlabi, Paris 1966 P. 600

2. كتامة وصنهاجة وزناتة أعظم قبائل المغرب وهم ينتسبون الى كتم بن برنس بن بر ، وقد قسمهم ابن خلدون الى المغرب من سطيف وتشمل أراضيهم منطقة بني عتد من جبال أوراس جنوبا حتى البحر شمالا عند عنابة وبونه ويذكر ابن خلدون أن كتامة من أشد قبائل البربر بأسا وأطولهم باعا في الملك وقد كانت كتامة دعامة الدولة الفاطمية وسندها . ولذلك في المغرب وفي مصر وسوريا على السواء انظر عن ما ذكر في هذا الكتاب . الأقليم البحيري ص 21 ، جمهرة انساب العرب . ص 495 ، البيان المغرب 1 125 ، العبر 6 ، 148

سبع وعشرون درجة ، والعرض احدى وثلاثون درجة . وهي مدينة حصينة ، بينها وبين قسطينة اربع مراحل ، ولها حصن في جهة الجنوب عن بجاية على مرحلتين منها . ولها كورة تشتمل على قرى كثيرة عزيزة امياه كثيرة الشجر المثمر بضروب من الفواكه وبها الحور الكثير ومنها يحمل الى سائـــر البـــلاد

* * *

طبنـــة (1)

اليعقوبي

مدينة الزاب العظمى ، طبنة . وهي التي ينزلها الولاة وبها اخلاط من قريش والعـرب والجند والعجم والافارقه والروم والبربر والزاب بلد واسع (1)

ابن حوقل

طبنة مدينة قديمة وكانت عظيمة كثيرة البساتين والزروع والقطن والحنطة والشعيـر ولها سور من طابية . وأهلها قبيلتان - عرب وبرقجانه . وأكثر غلاتهم بالسقي ويزرعـون الكتان ، وجميع الحبوب فيها غزيرة . وكانت وافرة الماشية من البقر والغنم وسائر الكراع والنعم فحدث بينهم البغي والحسد الى أن اهلك الله بعضهم ببعض وأتى على نعمهم فصاروا بعد السعة والدعة الى الضيق والذلة والصغار والشتات والقلة ، مشردين في البلاد مطرحين في كل جبل ووادٍ وبقيتهم صالحة . ومن طبنة الى مقرة منزل فيه ايضا مرصد ، مرحلة .

البكري

ومن نقاوس الى مدينة طبنة ، وهي مدينة كبيرة سورها اليوم (. .) من بناء المنصور ابي

(1) يجب التمييز بين الزاب الموصوف وزاب الوريعية الذي يمتد في جنوب ولاية الأوراس وقد كان الزاب في العصور الاولى من الفتح الإسلامي يشمل سهوب الحضنة ومدنها الواقعة عند سفوح جبال الأطلس الصحراوي ، مثل المسيلة وطبنة راجع :

Delattre Excursion dans le Zab Occidental (Recueil des Notices et Mémoires de la Société Archéologique Historique et Géographique de Constantine , Magueloune, Monographie Historique de la Tribu des Ziban

الدواليف وهي مما افتتح موسى بن نصير ، قبع سيها عشرين الف ، وهرب ملكهم كسيلة (1) وسورها مبني بالطوب وبها قصور وارياض وداخل القصر جامع وصهريج كبير يقع فيه نهرها ، ومنه تسقى بساتينها . ويقال أن الذي بناها أبو جعفر عمر بن حفص المهلبي (2) المعروف بهرمزامورد يسكنها العرب والعجم بينهم الاختلاف والحرب . ويسكن حولها بنو رفراح . وقال محمد بن يوسف ان قصر طبنة قديم اولي كبير جليل مبني بالصخر عليه اراج كثيرة يرله العمال . وهو ملاصق لسور المدينة من جهة القبلة عليه باب حديد . وللمدينة ستة من الابواب ، باب حافون مبني بالحجر عليه باب حديد ، وهو سري ، وباب الفتح ، غربي [عليه] باب حديد ايضا وبينهما سماط يشق المدينة من الباب الى الباب ، وباب تهودا . قبلي عليه باب حديد ، وهو سري ايضا . والباب الجديد [عليه] باب حديدايضا ، وباب كتامه . جوفي . وخارج المدينة وراء باب الفتح سور مضروب على فحص فسيح يكون مقدار ثلثي مدينة طبنة ، بناه عمر بن حفص ويشق سكك المدينة حداول الماء العذب وبها اسواق كثيرة غير السماط المذكور ، وها بساتين يسيرة ملاصقة للربض ومقبرتها بشرقيها وبقرب المقبرة غدير يعرف بغدير فرعان . وهو يجري في مصلى العيد . وليس من القيروان الى سجلماسة مدينة اكبر منها . واسم نهرها بيطام . واذا حمل سقى جميع بساتينها وفحوصها ويقول اهلها . «بيطام بيت الطعام» لجودة زرعها . واذا كانت الحرب بين العرب والمولدين ، استمد العرب بعرب مدينة تهوذا وسطيف واستمد المولدون بأهل بسكره وما والاها . وقال احمد بن محمد المروذي في قصة اسماعيل بن ابي القاسم .

سرنا وقد حل بقرب طبنه ... وصار منها اهلها في محنة
فاعصم الله العزيز المنه ... وبدلوا من بعد نار جنة

وفح زيدان يطل على مدينة طبنة واياه عنى ابو عبد الله الشيعي في قوله . .

---

(1) راجع عن كسيلة ، ابن الأثير ، الكامل 3/466 و 4 107—110 ، ابن عذارى ، المغرب (طبع بيروت) 1/20 22

(2) عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة ، بن أبي صفرة المهلبي ، من أبطال الفتح الإسلامي كان العجم يسمونه «هرمزمرد» ، أي ألف رجل ولي على أفريقية في عهد المنصور العباسي ، ووصل إلى القيروان في سنة 151 هـ أثناء فتنة عظيمة قتل فيها جميع بني عمه من جهته مدة وبقي بلاد جميعا ، ثم تحصن وراء أسوار القيروان ، ولما خرج تحصن بحصن قتل حتى قتل . راجع . الاستقصا (1 58) ، بعر (4 1924) ، يكمل في عدة اماكن ، وخصوص في (5 595 ـ 598) ، البيان (1/75) ، الطبري (9/284) ، الخلاصة النقية ص 19 .

مـــن كـــان مغتبطـــا بليـــل حشيـــة فحشيتـــي وأريكتـــي ســـرح
مـــن كـــان يعجبـــه وبهجـــــه بقـــر الدفـــوف وربـــه الصبـــح
فأنـــا الـــذي لا شـــيء يعجبـــني لا اقتحـــامـــي لجـــة الوهـــج
ســـل عـــن جيوشـــي اذ طلعت بها يـــوم الخميـــس ضحـــى مـــن الفج

ومن طبنة الى مدينة مقرة ، وهو بلد كبير ذو ثمار وأنهار ومزارع . ومنها الى قلعة ابي طويل

الادريسي

ومن المسيلة الى صنة مرحلتان . وطبنة ، مدينة الزاب ، وهي مدينة حسنة كثيرة امياه والبساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير ، وعليها سور من ترب . وأهلها أخلاط ، وبها صنائع وتجارات وأموال لأهلها متصرفة في صنوف من التجارات . والتمر بها كثير ، وكذلك سائر الفواكه . وتخرج من المسيلة الى مقرة ، مرحلة . وهي مدينة صغيرة وبها مزارع وحبوب وأهلها يزرعون الكتان ، وهو عندهم كثير .

ياقوت

طبنة ـ وهي ، فيما احسب عجمية . ومثلها في العربية الطنة لغة للاعراب ، وهي حطة يخطونها مستديرة ، وجمعها طبن .

قـــال :

تغيرت بعـــدي والهتهـــا طبـــن

والطبنة صوت الطنبور . وطبنه : بندة في طرف فريقيه مما يلي المغرب على ضفة الزاب ، فتحها موسى بن نصير ، فلما سبيها (*) عشرين الف . وهرب ملكهم كسيلة وسورها مبني بالطوب ، وبها قصور ورياض ، وليس بين القيروان الى سجماسة مدينة كبر منها . استجدها عمر بن حفص هزارمرد المهدي في حدود 454 هـ . ينسب اليها علي بن منصور الطبني روى عنه غندر البصري ، وروى عن محمد بن محارق . وكتب عنه عبد البصري وأبو القاسم بن عمي بن معاوية ابن الوليد الطبني ، له بمصر عقب . حدث عن ابن المغربي وغيره وأبو الفضل عطية

(*) بياض في الاصل

ن علي بن الحسين بن يزيد بطبي القيرواني سافر الى بغداد وسمع الحديث بها وله شعر حسن منه ،وهو معنى بديع جدا :

*قالوا التحي وانكسفت شمسه

ومن درو عدد عداريه

مرءاة خديه خلاها الصبا

فبان فيها في صدغيه

وأبو مروان بن زيدة الله الطبني (1) شاعر اديب وهو نفس معنى كان بالاندلس.وقد جمع من المشرق وكثر عليه الجمع :

اني اذا حضرتني الف محبرة

يقول شيخي .. .(*)

سدت بعقوتي الاقلام معلمة

هذي المفاخر لا قبعان من لبن

أبو الفدا

وطبنة مدينة الزيب . وهي حسنة كثيرة المياه والبساتين وازرع من القمح والحمصة والشعير وعليها سور من التراب وأهلها اخلاط وتمرها كثير وانواعه كذلك وبينها وبين المسيلة مرحلتان .

وطبنة مدينة عظيمة .

(1) من علماء المسلمين بن طبنة . عبد الملك بن زيدة الله الطبني (396 457 هـ) نشأ بطبنة وعاش في قرطبة حتى بن بحجر . وذي قرطبة جمع وكتب عن كثير ممن جمع بهم في بلدان كثيرة . وكان يوصف بالافراط في البحث وقد انتهى الأمر إلى أن قتله حواريه لتقصيره عليهم . انظر أخباره في الصلة لابن بشكوال ص 354 ، المغرب لابن سعيد 92/1 .

(*) بياض في الأصل

بسكـــرة (1)

البكري

وبسكرة كورة فيها مدن كثيرة ، وقاعدتها بسكرة . وهي مدينة كبيرة كثيرة النخيل والزيتون وأصناف الثمار . وهي مدينة مسورة عليها خندق وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات وحوانيتها بساتين كثيرة . وهي في عدة كبيرة مقدار (ها) ستة اميال فيها اجناس التمور منها جنس يعرفونه بالكسبا ، وهو الصيحاني ، يضرب به المثل لفضله على غيره ، وجنس يعرف باليازي ، ابيض املس ، كان عبيد الله الشيعي يأمر عماله بالمنع من بيعه والتحظير عليه وبعث ما هنالك منه اليه . وأجناس كثيرة يصوب ذكرها لا يعدل بها غيرها وحول بسكرة اراض خارجة عن الخندق المذكور . وبسكرة علم كثير واهلها على مذهب اهل المدينة . ولها من الابواب ، باب المقبره وباب الحمام ، وباب ثالث . وسكانها مولدون . وحولها من قبائل البربر سدراته وبنو معراوة ، اهل بيت بني خزر وبنو يزمرتي وداخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبة . منها في الجامع بئر لا تنزف . ودخل مدينة حماد يدخل اليه الماء من النهر وبها جبل يقطع فيه الملح كالصخر

(1) تسمى بسكرة حاليا لدى الرومان قديما Vescera التي كانت مركز حربي وقاعدة لتوغل الإستعماري الروماني في منطقة الزاب وقد كانت بسكرة في عهد بني حماد تحت حكم بني رماان الذين كانوا يدينون بالولاء لسادة القلعة وكانت بسكرة في ذلك الوقت ، مسورة وعليها خندق . كما يشير إلى ذلك البكري ، وقد اشتهرت مدينة الزاب منذ القدم العصور بخصب أراضي المجاورة لها وبسكرة تقع على طول 42 5 شرقي جرينتش ، وخط عرض 27 39 شمالا . راجع غيرما ذكر ابن العروس 3 43 ، بغية الرواد 183/2 ، إسماعيل العربي ، « العمران والنشاط الإقتصادي في الجزائر في عهد بني حماد » ، مجلة الأصالة ، أبريل / مارس 1974 ، التعريف بإبن خلدون ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي) .

الجليل . ومنه كان عبيد الله الشيعي وبنوه يستعملون في طعامهم . وتعرف ببسكره النخيل . قال احمد بن محمد المرزوقي :

ثـــم أتـــى بسكـــره النخيـــــــل
قـــد اغتـــدى بزيّـــه الجميـــــل

ومن مدنها ، مدينة جمونة . ومدينة طولقة ومدينة مليلى . ومدينة بنطيوس ، وهي من بنيان الاول . وشرب بسكره من نهر في جوفيها منحدر من جبل اوراس ، وقرية من قرى بسكره ملشون ، منها ابو عبد الله الملشوني (1) وابن اسحق ، عالمان يحمل عنهما العلم . سمع منهما ابو عبد الله بن ميمون ومقاتل وغيرهما . اخبرني احمد بن عمر بن انس (2) قال اخبرني قاسم بن عبد العزيز ان في الطريق الى بسكره جبل يعرف بزيغيزي في وسطه كهف فيه رجل قتيل لم يغيره مر الزمان وتقادم الدهور ، تبض جراحه دما كانما قتل منذ يومين ، وتخبر الكافة انهم لا يعلمون متى قتل قدما . وقد نقله اهل تلك النواحي ودفنوه بافنيتهم تبركا به ثم لم ينشبوا ان وجدوه في الكهف على حاله . يحدث بذلك ثقات اهل تلك الناحية ، والله فعال لما يشاء وقال محمد بن يوسف في كتابه ان هذا القتيل في شرف جبل بشرقي عين اربان . وهذه العين بين مدينة مرصاجنه ومدينة سبيبه المذكورة ايضا . وذكر انه كما ذبح من يومه وانه هناك من قبل فتح افريقية ولم يذكر أمر دفنه . والله اعلم بامره .

الادريسي

ومن نقاوس الى حصن بسكره مرحلتان ، وهو حصن منيع في كدية تراب عال وبه سوق

(1) تعرف دوسلان على ملشون أو معشونة في القرية التي تحمل اليوم اسم مشونش راجع ترجمة البكري (ص 112 ـ تعليق 4) وأما أبو عبد الله إسحاق بن عبد الملك الملشوني فقد كان فقيها وله إلمام بالتاريخ . ترجم له صاحب طبقات علماء أفريقية تحت إسم « أبو عبد الملك الملشوني » . وقال أبو العرب بشانة : « حدثني أحمد بن يزيد عن إسحاق عن أبيه عن مقاتل بن سليمان قال : وملشون قرية للعجم بنهوذة » . ومضى فقال : « رأيت إسحاق الملشوني عند سحنون أحسبه قال يسمع منه (ص 180 ـ 181) .

(2) أحمد بن عمر بن أنس بن دهاث الرّعيني العذري ، أبو العباس ، المعروف بابن الدلائي عالم أندلسي ينتسب إلى دلأية من أعمال المرية ولد في سنة 393 هـ ، وتوفي في سنة 478 هـ (1003 ـ 1085 م) وبعد إقامة استغرقت بضع سنوات في مكة ، عاد إلى المرية حيث توفي . له كتاب « المسالك والممالك » (قام بتحقيقه المرحوم عبد العزيز الاهواني ونشره المعهد العربي الاسباني في مدريد) وغيره من المصنفات (راجع : الوزير الأندلسي ، الحلل السندسية ، ص 186 ، الكامل لابن الأثير ، اللباب في معرفة الأنساب ، 436/1 ، الصلة ، لابن بشكوال ص 29 ، جذوة المقتبس للحميدي (ص 127) .

وعمارة ، وفيه ايضا من التمر كل عربية وطريفة . ومنه الى حصن بادس ، وهو في سفل طرف جبل أوراس ، مراحـــل .

ياقوت

بسكره ، بكسر الكاف وراء : بلدة بالمغرب من نواحي الزاب ، بينها وبين قمعة بني حماد مرحلتان فيها نخل وشجر وقسب جيد . وبينها وبين طبنه مرحلة هكذا ضبطها الحربي وغيره يقول : بسكره بفتح وله وكافه . قال وهي مدينة مسورة ذات اسواق وحمامات وهنها علماء على مذهب اهل المدينة . وبها حول منح يقطع منه الصخر . وتعرف بسكـــره النخيل . وبها يسكن أبوالقاسم يوسف بن علي (1) بن حبارة بن محمد بن عقيل بن سواده بن مكنس بن وريليس بن هديل بن حمح بن خيدن بن مستمنح بن عكرمة بن خالد ، وهو ابو ذئيب الهذلي بن خويلد البسكري . سافر الى بلاد المشرق وسمع ابا نعيم الاصبهاني وجماعة من المحدثين وكان يفهم الكلام والنحو ، وله خبرة في القراءة وكان يدرس النحو

ابن سعيد

.. وفي شرقيها مدينة بسكره قاعدة بلاد الزاب وهي بلاد نخل وزرع ومنها تحمـــل صناف التمر الى حاضرتي تونس وبجاية وهي حيث الصوب اربع وعشرون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، وعرض سبع وعشرون درجة ونصف ، وفي شماليها مدينة المسيلة .

ابو الفدا

بسكره ، بكسر الباء الموحدة من تحت . وقيل بفتحها وسكون السين المهملة . قال ابن سعيد (واقتبس ابو الفدا الفقرة المذكورة اعلاه) ثم قال :

وفي المشترك : والزاب كورة كبيرة ونهر جرار ببلاد المغرب .

(1) كان يوسف بن عليّ بن حبارة متكلما عالما بالقراءات المشهورة والشاذة وكان ضريرا رحل إلى اصبهان وبغداد وعين بنظام الملك مقرئا في مدرسته بنيسابور حيث توفي في سنة 465 هـ ، عن سن تناهز الثمانين والستين . وقد وضع عددا من المؤلفات ، ومن بينها كتاب « الكافي » قال فيه انه بناه على 365 شيخا ، راجع ترجمته في مرآة الجنان 3 93 ، غاية النهاية 391/2 ، إرشاد الأديب 308/7 ، لسان الميزان 325/6 و 350/4 .

ومنها بسكره . قال في اللباب بكسر الباء الموحدة ، وقيل بفتحها وسكون السين المهملة وكاف وراء مهملة بعدها هاء . وهي مدينة من بلاد الجريد في اواخر الاقليم الثاني . قال ابن سعيد (اقتبس القلقشندي ما ذكره ابن سعيد بدون اضافة) .

باغـاي (باغـايـة)

. ومنه (الزاب) مدينة واسعة يقال لها باغاية بها قبائل من الجند وعجم من اهل خراسان وعجم من عجم البلد من بقايا الروم . حولها قوم من البربر من هوارة . بجبل حديد يقال له اوراس يقع عليه الثلج

ابن حوقل

... ومنها الى باغاي . وهي كبيرة عليها سور رديء من حجارة وطين وليس عليه سور . والاسواق فيه . وكانت الاسواق قديما في المدينة فنقلت . وبها ماء جار من أوديتهم من القبلة ومنه شربهم . مع انهارهم عذبة . ولهم من البساتين الكثير . وهو بلد بربري البادية . واكثر علاتهم الحنطة والشعير . وعاملها على صلاتها ومعاونها ووجوه امواها عامل نفسه لا من تحت يد احد وجبل اوراس منها على امبال . وفيه امياه العزيزة والمراعي الكثيرة والعمارة الدائمة . وكان اهله قوم سوء . وطوله نحو اثني عشر يوما . وسكانه مستطيلين على من حاورهم من البربر وغيرهم فهلكوا وفي اعقابهم من القوة . وباغاي طريق ياخذ الآخذ على يمنه الى تقاوس الى طبنه وينصل هذا الطريق بطريق محانه الى تيجست . فيمر عليه الى بونه

البكري

ومنها الى مدينة باغاي . وهي مدينة جليلة اولية ذات انهار وثمار ومزارع ومسارح وعلى مقربة منها جبل أوراس (1) المتصل بالسوس . ومنها الى جبل قلعة محمد بن كيداد الزناتي . ومن باغاي الى مدينة قسانس . وهي مدينة قديمة .

(1) هي سلسلة الجبال الجزائرية التي تمتد في الصحراء وتكون شكلا رباعي طولها من الشرق الى الغرب نحو 65 ميلا . وهي -

وفي مكان آخر

. وعلى ما والاها جبل أوراس وهو مسيرة سبعة أيام . وفيه قلاع كثيرة يسكنها قبائل هوارة ومكناسة ، وهم على رأي الخوارج الأباضية . ومن هذا الجبل ، قام أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني المرداسي على ابي القاسم بن عبيد الله وفي هذا الجبل كان مستقر ملكه . بمدينة باغاية . وهي حصن صخر قديم حوله ربض كبير من ثلاث نواحي وليس فيما يلي ناحية الغربية ربض ، انما يتصل بها بساتين ونهر وفي اربضه فنادقها وحماماتها واسواقها . وجامعها داخل الحصن . وهي في بساط من الارض عريض كثير المياه . وجبل اوراس مطل عليه ويسكن فحص هذه المدينة قبائل مرتة وصريسة ، وكلهم اباضية . وهم يصعدون في رؤس الشعاب الى الرمال حيث لا مطر ولا ثلج . حوفا على نتاج ابلهم والى مدينة باغاية لحف البربر والروم وبها تحصنوا من عقبة بن نافع القرشي . فدارت بينهم حروب عظيمة ، وكانت الكثيرة فيه على أهل باغاية فهزمهم عقبة بن نافع وقتلهم قتالا ذريعا ولجأ فلولهم . الى الحصن وعسكر منهم حيالا . ولم يروا في معاريضهم اصلب ولا اسرع منهم . من نتاج خيل اوراس . فرحل عنهم كرهة ان يشتغل بهم عن غيرهم . واهلهم كلهم اليوم على رأي الاباضية . وكيل الصاع بمدينة باغاية بالمويبة . وهي اربعة وستون مدا بمد النبي صلى الله عليه وسلم . وهو قفيز ونصف قفيز قرطبي . والرطل قرؤى . وهو خمس رطل قرطبي والرطل للحم عندهم عشرون رطلا فلفلية.

الادريسي

هذه مدينة باغاي فمدينة كبيرة عليها سور من حجر وربض وعليه سور . وكانت الاسواق فيه وهي الآن ، فالاسواق في المدينة ، والأربض حوله فاسد يعمر بها . وهي اول بلاد تعمر وهو واد يجري اليها من جهة القبلة وشربهم منه وهم ايضا يشربون من آبار عدة . وكانت هذه

= تغطي في جبال قسطينة مساحة قدرها 3600 ميل مربع ، وفي جنوبه إلى المغرب تمتد تلال ذات القنبة الإرتفاع وأهم قممه هي كاف محمل (7740 قدم) وجبل شعبة (6980 قدم) وجبل حمر خدو (6933 قدم) وتعتبر العالية من الأوراس تغطيها الثلوج في الشتاء والربيع . راجع :

Recueil des Antiquités Numidiennes de l'Est de l'Algérie, Les Monts Aurès, Gsell (S), Musée de Mustapha, Alger, 1901 ; Basset (R), Les Chaouia de la province de constantine ; Marcier (G), Chaouia de l'Aurès, Paris, 1896 ; Marçais (G), Esquisse d'une géographie physique et humaine de la Berbérie orientale, Paris, 1961 ; Despois (J), Les fondements géographiques de l'histoire de l'Islam, Paris, 1968, P. 18-20

بلد وقرى وعمارات والآن كل ذلك قليل فيها . وحولها عمارات برابر يعمرون لعرب وكثر علاتهم لحنطة و شعير وقطن معلومهم وتصرف احوالهم لاشياحها ويتصل بها وعلى أميال منها جبل أوراس وطوله نحو 12 يوما ، وأهله مسلّطون على من جاورهم ومن مدينة باغاي قسطيلية 3 مراحل

ياقوت

باغاية : مدينة كبيرة في اقصى افريقيه بين مجانة وقسطيلية هواء ، ينسب اليها حمد بن علي بن احمد بن محمد بن عبد الله الربعي الباغائي المقرئ يكنى ابا العباس (1) دخل الأندلس في سنة 376 وقدم للاقراء بالمسجد الجامع بقرطبة ، واستدعاه المنصور بن أبي عامر لابنه عبد الرحمن ، ثم عتب عليه فأقصاه ، ثم رفاه المؤيد بالله هشام بن الحكم في دولته الثانية إلى حطّة الشورى بقرطبة . مكان أبي عمر الاشبيلي الفقيه . وكان من أهل العلم والفهم والذكاء وكان لا نظير له في علوم القرآن والفقه على مذهب مالك . روى بمصر عن أبي الطيب بن عبدون وأبي بكر الادفوي ، وتوفي لاحدى عشرة خلت من ذي القعدة سنة 401 . ومولده بباغاية سنة 345 وقرأت في كتاب لأبي بكر الخصيب باسناده الى أبي بكر بن محمد بن أحمد المفيد الخرجاني : انشدني الحسن بن علي الباغائي من أهل المغرب ، قال أنشدني ابن حماد المغربيّ منتقصا لاصحاب الحديث :

أرى الخير في الدنيا يقلّ كثيره ... ويقص نقصا والحديث يريد
فلو كان خيرًا كان كالخير كله ... ولكن شيطان الحديث مريد
ولاس معين في الرجال مقالة ... سيُسأل عنه والمليك شهيد
فان تلك حق فهي في الحكم عيبه ... وان تك زورا فالقصاص شديد

(1) هو حمد بن علي بن محمد بن عبد الله الربعي الباغائي ، ابو العباس ، محدث مالكي ومقرىء ، ولد [illegible] في سنة 345 هـ ، حل بالاندلس في سنة 376 هـ فاقرأ بالمسجد الجامع بقرطبة ، واستدعاه المنصور بن أبي عامر لابن عبد الرحمن ثم اقصاه ، ثم رفاه المؤيد بالله ابن الحكم في دولته الثانية إلى حطة الشورى مكان الفقيه أبي عمر الاشبيلي ، وقد حدث بمشرق فروى عن ابن عتاب وأبي بكر الادفوي . راجع هذه المعلومات في (1 70)

مجانة (1)

ابن حوقل

مجانة مدينة ذات سور من صفيح وهي كثيرة الزعفران والزرع ومنها معادن حديد وفضة ، ومنها الحجارة المحمية المنحوتة بجميع المغرب وفيها نخل وماء عزيز الماء يزرعون عليه والسواقي صالحة ومن مجانة الى تيجس طريق قصد على مناهل وقرى خمس مراحل

ومنها الى مسكيانة ، قرية عليها سور قديمة كثيرة النخل والزرع وبها سوق وماؤها جار من عيون فيها من الحوت الكثير الرخيص ، وسوقها ممتد كالبساط ، مرحلة .

البكري

ومن دعاية الى مدينة مجانة ، وهي كثيرة النخل عليها سور صخور وبها جامع وحمامات ومعادن كثيرة منها معدن فضة يقال له يسمى لويطسي ، وتعرف بمجانة المعادن وبها قلعة مبنية بالحجر وهي ثلاثمائة وستون حد قد تقدم ذكرها وهذه مدينة بالمغرب وحولها لواته وهذه القلعة تعرف بقلعة بشر بن صفوان فتحها عنوة ، بعثه اليها موسى بن نصير وبعث خمس غنيمتها به وبين باغاية ومجانة فندق مسكيانه .

(1) راجع :

Cagnat S. Explorations Minière Mesperis 1928 - Colvin L. Maghreb Central - Marçais Ge. la Berberie Musulmane

مجانة مدينة جزائرية تابعة لولاية بسكرة ، وقد عثر محققه « مسة فتاح » عنوة حين قام (ص 164 تعليق 5) إنها « مدينة قديمة بتونس » .

ومن مرمحنة الى محانة مرحلتان خفيفتان . بل هي مرحلة كثيرة وهي مدينة صغيرة عليها سور ترابي وكان بها قديما يزدرع يصل الرعفران وهم واد غزير الماء يأتي من جبل بمقربة منها يرعون عليه علائقهم . وهو جبل شاهق . ومنه تقطع احجار المطاحن التي ليس الانتهاء في الجودة وجس بطحين . حتى ان الحجر منها ربما مر عليه الانسان فلا يحتاج الى نقش ولا الى صنعة . هذا لصلابته ودقة احزائه واص محانة تعمت عليها العرب وبها تحرز طعامها . وبينها وبين قسنطينة مراحل .

* *

قسنطينـة (1)

ابن حوقل

واما القسطنطينية (كذا) التي للخاتمة . فمدينة قريبة الامر تداني ميله ونقاوس في حالهما.

البكري

ومدينة قسطينة وهي مدينة اولية كبيرة آهلة ذات حصانة ومنعة ليس بعرف احصن منها وهي على ثلاثة انهاء عظام تجري فيها السفن قد احاطت بها تخرج من عيون تعرف بعيون شقار . تصيره سود ونقع هذه الانهار في خندق بعيد القعر متناهي البعد . قد عقد في اسفله قنطرة على بيع حباب . ثم بني عليها قنطرة ثانية على الاولى ( ) قنطرة ثالثة من ثلاث حنايا . ثم بني فوقهن بيت سلوني حافتي الخندق يعبر عليه الى المدينة ويظهر الماء في قعر هذا الوادي

---

(1) راجع عن قسطينة :

Leschi (L), Carte de la capitale du royaume de la colonie romaine (R.A. 1933). Lespès (L), Epoque de l'établissement des Turcs à Constantine (R.A. 1866). Vayssettes (E), Histoire des derniers Beys de Constantine. Notes chronologiques pour l'histoire de Constantine (R.A. 1895). Nouel (A), Constantine à la veille de la conquête (Recueil de Tunisie, Tunis, 1955). Yver (G), La question de Constantine en 1837 (Congrès National des Sociétés Hist. 1930). Courtois (A), Etude sur le Palais d'Hadj Ahmed dernier Bey de Constantine. Bull. Soc. Géogr. d'Alger, 1929). Valet (E) et Berbier (A), Découverte d'une citerne romaine à Constantine (IV Congrès de la Fédération des Sociétés Savantes de l'Afrique du Nord, Rabat, 1938). Lespès (L), Premières années de Constantine (R.A. 1859). Lespès (L), Les origines de la ville de Constantine (Bull. de la Soc. Géogr. d'Alger, 1918). Esquer (G), La Prise de Constantine (Alger, Dec. 1937). Bouhsira (C), Constantine et son Passé (Constantine, 1937). Marc Antoine (O), Constantine depuis sa reconstruction après la conquête française (1837). Mercier (E), Histoire de Constantine (Constantine, 1903). Constantine avant la conquête française (Constantine, 1879). Marçais (G), Notes sur les poteries locales à Constantine, 1918. Saint-Calbira (Ch.), Constantine et quelques auteurs Arabes (Alger, 1913).

(٥) في الأصل : على الثانية . وهو تحريف واضح

من هذا البيت كالكوكب صغير لعمقه وبعده ويسمى هذا البيت (العين) لانه معلق في الهواء ويسكن قسطيلية قبائل شتى من اهل ميلة وبراوة وقسطيلية . وهي لقبائل من كتامة وبها اسواق جامعة ومتاجر رابحة وبينها وبين مرسى سقده مسيرة يوم .

الادريسي

ومدينة قسطيلية عامرة وبها اسواق وتجارها وأهلها مياسير ذوي مال وحال وسعة ومعاملات بالغرب وتتاجر في بحرث ولادحة . والبحيرة تقيم بها في مصايفها مائة سنة لا تفسد والعسل بها كثير . وكذلك السمن يتحهر به منها الى سائر البلاد ومدينة القسطيلية على قصعة حسنة منقطع مربع فيه بعض لاستدارة . لا يتوصل اليه من مكان الا من جهة باب في غربيها ليس بكثير سعته . وهناك مقبرة هنالك حيث يدفون موتاهم ومع هذا بعض بناء قائم من بناء الروم الاول وبه قصر قد تهدم كله الا قليل منه . وبه دار مبلطة من بناء الروم شبيه بصنعة ثرمة من بلاد صقلية وهذه مدينة . اعني القسطيلية . يحيط بها وادي من جميع جهاتها كالعقد مستدير بها وليس بمدينة من دجلتها سور بعد اكثر من نصف قامة الا من جهة باب فيه وبمدينة بساتين . باب منها في غرب . وباب منها في شرق وهذه بصورة من غرب بساتين . لان عليها يشرف على مائة درج بالبناء رخامي وهي من بناء الروم . فمشي عليها على قسي سفلى . وعددها في سعة الوادي خمس وماء يدخل على ثلاث منها مما يلي جانب الغرب وهي كلها وصفها . قوس على قوس . والقوس الاولى يجري بها ماء سفلى والوادي والقوس الاخرى فوقها . وعلى ظهرها المشي وبجوار الى سرداب وفي القوس الذي من جهة المدينة . فتحتان مفردتين على بحيال وبين القوس والقوس حيث تدفع مصرفة الماء ومصادته عند حمله بسيوله وعلى قرب الاحتمال قسي فوقه كالسابقة تماما . فربما دخل الماء في بعض الاوقات عند سيله . فعلا الاحتمال ومر في تلك الفرجات وهي من عجيب ما رؤي من اهندسة وليس في المدينة كلها دار كبيرة ولا صغيرة الا وعتبة بابها حجر واحد وكذلك جميع غصدات الابواب . فمنها ما يكون من حجرين ومنها ما يكون من بعة احجار وسوقها من غرب وصفها كلها حجر صلد وفي كل دار منها مصنع من ثلاث وبع منقورة في الحجر وكذلك تسقى بها بحيطة بروذتها وعتبات هذه . ووادي ياتي من جهة الجنوب فيحيط بها من غربيها ويمر شرقا مع دائرة المدينة ويستدير في جهة شمال ويمر مغربا الى سفل بحيال ثم يسير شمالا الى ان يصب في بحر في غربي وادي سهر . وقسطيلية من حصون بلاد الله . وهي

مصة على فحوص متصلة وهد مراع الحنطة والشعير ممتدة في جميع جهاتها وهد في داخل المدينة ومع سورها مسقى يستقون منه ويتصرفون منه عند وقت الحصر هد ممر طرقها وبين قسطيلية وعين مراحل

ياقوت

قسطيلية . بضم وله وفتح ثانيه ثم واو وكسر طاء وياء مثناة من تحت وبين اخرى بعدها ياء خفيفة وهاء مدينة قلعة يقال لها قسطيلة الهواء وهي قلعة كبيرة جدا حصينة عالية لا يصعد الطير الا بجهد . وهي من حدود فريقية . ممايلي مغرب لها طريق وتتصل بأكام متسافلة حوليها تمتد منخفضة حتى تستوي الارض وحولها مراع كثيرة وبها ينتهي جبل عرب فريقية مغربي في طلب الكلا . وتزاور عنها قلعة بني حماد ذات الحبوب حسان وارض وعرة .

وبعدها قصره . نقل ياقوت وصف البكري المذكور علاه في معجمه ثم صنف فاضلا .

وأنبأها بسنده علي بن أبي القاسم محمد ابن الحسن التميمي مغربي قسطيلي متكلم اشعري (1) قدم دمشق وسمع بها صحيح البخاري من لفظية بصريين براهيم المقدسي . وخرج له عوالي وقرأ على أبي عبد الله محمد بن عتيق الفيروزي ولقي لانه ثم عاد الى دمشق وكرمه رئيسها يودود فصرح له بصوفي . وقد صنف روى عنه شيئا من تحريبه كتبه قرأت عليه بعض كتب الاصول وكان يذكر عنه انه كان يعمل كيميا، فضة . وتوفي بقسطيلية في الاسبوع سنة كتب تهنئه الأمة وكشف فضائح مسيحة بحشوية وتوفي بدمشق سنة 519

ابن سعيد

وموضع قسطيلية في جنوبي (تل) حيث طول ست وعشرون درجة وعرض دقيقة وعرض ثلاث وثلاثون درجة وثلث وعشرون دقيقة وهو نهر ينصب في خندقها بعضه في

علي بن أبي قاسم . محمد . بن الحسن التميمي . متكلم شعري . سمع صحيح البخاري من لفظية براهيم المقدسي شيخ الشافعية . ثم قصد الى بغداد فقرأ بالنظامية على الفيروزابادي . توفي سنة 519 هراجعه . كشف الظنون 1/ 692 ايضاح المكنون (1 328) . هدية العارفين 1/ 195 . معجم [illegible] 1/ 14

مطه على فحوص متصلة وهي مراع الحنطة والشعير ممتدة في جميع جهاتها وهي في داخل مدينة ومع سورها مسقى يستقون منه ويتصرفون منه عند اوقات الحصار هي ممن صرفها وبين قسطيلية وباغايا مراحل

ياقوت

قسطيلية . بضم وله وفتح ثانيه ثم واو وكسر الطاء وياء مثناة من تحت وواو ثم حرى بعدها باء حقيقة وهاء مدينة قمعة يقال لها قسطيلية الهواء وهي قمعة كبيرة جدا حصينة عالية لا يصعد الطير الا بجهد . وهي من حدود افريقية . مما يلي مغرب هذا طريق وتصل باكام متسقة جميعها تمتد منحفضة حتى تساوي الارض وحولها مراع كثيرة وبها ينتهي جبل غرب افريقية معربين في طلب الكلا . وتزاور عنها قمعة بني حمدان ذات الحدود حسن وحص وعمرة

وبعدها نفدة . بفاء بعدها دال مكررة مذكور علاه في معصمة ثم صاد فالا .

وبها سمع علي بن ابي القاسم محمد بن الحسن التميمي المغربي القسطيلي المتكلم الاشعري (1) قدم دمشق وسمع بها صحيح البخاري من القابسي عن ابراهيم المقدسي . خرج له عوف وقرأ على ابي عبد الله محمد بن علي القيرواني ولقي الائمة ثم عاد الى دمشق واكرمه رئيسها عبد الودود مفرج بن الصوفي . وله مصنفات من الحديث ذكر فيها بعض كتب الاصول وقد بدأ في كتاب يجمع كتبه سماه . وسمعت به قسطيلية في الاصل سماه كتاب تهذيبه لانه وكشف فصالح مسهلة محسوبة وتوفي بدمشق سنة 519

ابن سعيد

وموضع قسطيلية في جنوبها (ص) حيث طول ست وعشرون درجة ، بعد دقيقة والعرض ثلاث وثلاثون درجة واثنتان وعشرون دقيقة . ولها نهر ينصب في خندقها العظيم الشرقي

علي بن ابي القاسم محمد . بن الحسن التميمي ، متكلم اشعري . سمع صحيح البخاري من القابسي بدمشق سنة 519 هـ وحج سنة 519 هـ وتوفي بدمشق سنة 519 هـ

يسمع به دوي هائل دائر من اعلى المدينة في قعر الخندق مثل دوامة السجم لبعد المسافة . وهذه مدينة على بحر سلطنة بحاية . واول سلطنة افريقية على البحر . مدينة بونة .

لعبدري

ثم وصلت الى البلد الذي شهرت الحصون معيبه . وليت الاقدار ان تكون به معيبة . بل موضع لعجيب والموضع الحصيب . مدينة قسطيلية . حجر الله صدعها . وكفها من جانب الدهر ما وصل فرعها . وهي مدينة عجيبة حصينة . غير انها لحصون الدهر مستكينه قد دنت سورج غير وقوادح لضرر . حتى صارت كالجسد لبست سربالا وكريه قد مالا والبس تحته الجراح حتى لا يطيق احتمالا . فهي ترى الحوادث تمحو ناصرا وتنادي لبيك الحال ، لو اجد ناصرا .

انها لحوائل ثم عجيبة ومكان منقطة الموضع عربية واكثرها من حجر منحوت . يعجز الوصف لقدره ويفوت وقد دارها وادٍ شديد الوعر . بعيد القعر . حاط بها كما يحيط السوار بالمعصم . ومنعها كما يمنع السوق الاعصم . ولكن سهام الدهر لا تقيها الحس ولا تمنع منها نفس . وريب المنون وصرف الزمن قد اعبت الحيلة فيها ولم ار بها من ينتمي الى علم ولا من له في فن من فنون العلم بصر سوى الشيخ ابي علي حسن بن عبد الله بن باديس وهكذا قيدني اسم نسبه بحفظه محفوظ وقد نبه على اسمه وكنيته وهو شيخ من اهل العلم يذكر ففهم ومسائل قيدني سمعه منه بحفظه محفوظ وقد نبه على اسمه وكنيته وهو شيخ من اهل العلم يذكر ففهم ومسائل دوسمت وهيه ووفر وليس في البلد من يذكر علم سوى نتة . وليست له بالرواية عناية ولم ير لا موضعا وحده . فانه قرأ على الشيخ عقيه المحدث ابي يعقوب يوسف العبدري المحساني حين حظر على قسطيلية رحمه من الشرق . فاقام عندهم مدة لتوالي لامطا فقرأه عليه وهو ذو نشاط كبير . وقد وهو عنده مجهول ومعروف من هو حتى عرفته به حين بت حظه الذي كتبه على الملخص . وقد قرأت عليه صدرا منه وحدثني به عنه . وسمعته يقول سمعت الشيخ الصالح ابن حسن الخضراوي يقول عمرت خمسا وثمانين سنة . فانا لم ار بها سرورا قط الا ثلاثة ايام الـــخ

ابو الفدا

قسطيلية . بضم القاف وسكون السين وكسر الطاء المهملتين وسكون الياء من تحت ونون وهاء .

وقسطيلية نهر يصب في خندقها بعضه ويسمع بذلك ذوي هذل . مثل ذؤيه لبحـ
لسدة ارتفع قسطيلية عن خندقها وقسطيلية حر مملكة بجايه وهن مملكة افريقية قال في
نزهة المشتاق : وقسنطينة عامرة (الخ . الفقرة الاولى من الاقتباس لدى وديدة علاد) وبينها
وبين مدينة المسيلة ثمانية عشر ميلا . وبين المسيلة وقسطيلية حبل متصل

القلقشندي

ومن المدن التي بجبال بجاية . قسطيلية وهي مدينة من مغرب الاوسط في
اواخر الاقليم الثالث . قال ابن سعيد (اقتباس العرض والطول) . قال في « تقويم البلدان » وهي
على آخر مملكة بجاية وأول مملكة افريقية . قال البكري (اقتباس فقرة من ... رد
عـــلاد)

وفي شرقي قسطيلية في آخر مملكة بجاية . مرسى لخر . ومنه يستخرج مرجان

بـونـــة (1)

ابن حوقل

ومدينة بونة مدينة مقتدرة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة . ومقدارها في رفعتها كالأرس وهي على بحر سجر . وبها سوق حسنة وحمامة مقصودة وربض متوسطة . وفيها خصب ورخص موصوف . وفواكه وستين قرية وأكثر فواكهها من بادية وتقمح بها وشعير في أكثر أوقاتها . كمية لا قدر لها وبها معادن من حديد كثيرة ويحمل منها الى الأقطار الغربية الكثيرة ويربح بها تجار وهذه عمل قائم بنفسه ومعه من الغرب عسكر لا يزول كالرباطة ومن بحرها لحم وصوف وبدشية من الدواب وسائر الكراع وبها من العسل والخير والعبير ما تزيد به على مدائن من بلاد المحروسة هذا وأكثر سوائمها البقر . وهي اقليم واسع وبادية وحواضرها بها تتاج كثيرة . وفي من بها تقوته الخيل السائمة للنتاج وبينها وبين حرث بني مرغني مراحل

(1) تقع بونة الحديثة على مسافة ميل ونصف من هيبونه ، (Hippo Regius) وقد أسس عبقريون بونة وعرفها قرطجنة ثم استولى عليها ملوك نوميديا وبها هرم يوعرفة ، صممت المدينة وأشرف على ما يسمى بولايه فريقية برومانيه وقد أصبحت بونة مدينة مزدهرة كما أصبحت من أهم المراكز ديبية (مقر لاسقفية) بعدما نشرت فيها مسيحيه

Exploration numéro Hesperis, 1928

بكري

ومدينة بونة بونة وهي مدينة افنتس (سنت عستين) العام بلدين مصرية وهي على ساحل بحر في شرقي من لارض منبع . مطل على مدينة سوس . وتسمى يومه مدينة روني وبينه وبين مدينة الحديثة نحو ثلاثة أميال . وهذه مسجد وسوق وحمام وهي دات كم و ع وقد سميت بونة الحديثة بعد الخمسين و بعمائة وفي بونة الحديثة بير على صفة بحر مقفر في صخر صلد يسمى ثر شرة منها يشرب كثر هنها ويعرى هذه البئر ماء سائح يسمى سابس . وهو مستره حسن ويصل على بونة حمل زغوج وهو كثير شجر والورد ومن بعجائب ان فيه مسجدا لا يرى عليه شيء من ذلك شجر . وان عم لحمل كله . ومدينة بونة برية بحريه كثيرة بحم وبس وحوت وعسل . وأكثر بحومها لبقر . لانه يصح بها السودان ويسقم البيضان . وحول بونة قبائل كثيره من البربر ، مصمودة واوربة وغيرهما . وأكثر تجارهم بالسبيون ومستخلص بونة . عن جهة بيت المال عشرون ألف دينار وبشرقي مدينة بونة ، مدينة مرسى الخرز .

الادريسي

ومدينة بونة وسطة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة . ومقدار هي في فعلها كالاندلس وهي على بحر بحر . وكانت بها أسواق حسنة وحمامات مفصودة وفنادق معدودة . وكان فيها كثير من بخشب موجود . جيد صنعة وهذا بين قنبة وشجر وبها من النوع الذي كان يبيع بها وأكثر فواكهها من باديها . وتفسح بها وتسعر في وقت الاغلات كما كما وصفنا كثير جدا وبها معادن حديد جيد ويزرع بارضها بالكتان (1) وعسل بها موجود ممكن . وكذلك السمن وأكثر سوائمها البقر وبها قاليم وأرض واسعة تعمل بها عليه وافتتحت بونة على يد أحد رجال سنة بعض جند في سنة 548 هـ وهي الآن في

(1) (راجع : Serjeant, Textiles, ARS Islamica, XX , Remarques sur le Commerce

صعب وقلة . وبها عمل من قبل الملك المعظم رجل (1) من آل حماد وعلى المدينة وبجنبيها جبل يدعى [illegible] وهو عالي الهضبة . سامي القمة . وبه معادن الحديد التي ذكرها [illegible]

بقوت

بونة . مدينة بافريقيه . بين مرسى الخرز وجزيرة مزغناي . وهي مدينة حصينة مقتدره كثيرة الرخص والبركه والتجاره . وكثير فاكهتها من بساتينها وبها معادن حديد وهي على البحر . ينسب اليها جماعة . منهم ابو عبد الملك مروان بن محمد الاسدي البوني (2) فقيه مالكي من اصحاب سحنون بن سعيد التنوخي له كتاب في شرح موطأ وصله من الاندلس ونقل الى افريقية فاقام ببونه فنسب اليها . ومات قبل سنة 444 ويطل على بونه جبل زغزوغ

ابن سعيد

واول سنطينه فريقية على البحر . مدينة بونه وهي حيث يطول النهار ثمان وعشرون درجه وعرض ثلاث وثلاثون درجه وخمسون دقيقة وهو بحر متوسط يغرب في البحر بعربيها وفي شرقيها مرسى الخرز المخصوص بالمرجان

(1) روجار (Roger II) (1095 ـ 1154 م) حصل على لقب ملك صقلية من البابا في سنة 1130 م وبعد محاولات فاشلة لغزو شواطىء أفريقية مع الكونت دوبرشلونة (1118 ـ 1127 م) ، استأنف حروبه معتمدا على قائده جورج أنطيوش (الأميرال) الذي كان يعمل في خدمة بني زيري في المهدية وقد استغل روجر الوضع المضطرب الذي كانت تواجهه أفريقية نتيجة لغزو الهلالي ، فاستولى على جربة في سنة 1134 ، ثم وجه أسطوله إلى جيجل (1143 م) ثم عنابة التي تمتد بين تنس وجزر قرقنة واستولى على طرابلس الغرب في سنة 1146 وفي السنتين التاليتين ، أخضع قابس والمهدية وسفاقس وسوسة . وبذلك فرض سلطته الاريرية . راجع تفاصيل أخرى في

Julien (Ch. A.), Histoire de l'Afrique du Nord, II, 107-109.

(2) هو مروان بن علي القطان البوني المتوفى سنة 439 هـ ، فقيه مفسر من الاندلس نشأ في بونة واقام بها زمنا ثم رحل إلى قرطبة وأخذ عن علمائها . وسمع عبد الحق الأشبيلي ثم أقام بسبتة وفاس وأخذ عن علمائها المدينتين ثم عاد إلى عنابة حيث عكف على التدريس والتأليف راجع إلى جانب معجم البلدان ، كشف الظنون (6 427) ، الديباج لابن فرحون ص 345 ، بغية الملتمس ص 446 ـ 447 جذوة المقتبس (ص 321) ، إيضاح المكنون (1 310) الصلة (ص 557) .

ابو الفدا

عندما نقل الفقرة المقتبسة اعلاه عن ابن سعيد ، وصف [illegible] قال في تعريفه) ومنه بونه هذه مدينة جليلة عامرة على البحر ، خصبة رخ كثيرة الفواكه . رخيصة ويوجد معادن الحديد ، ويزرع بها كتان كثير . وحدث بها عن قريب معدن المرجان . بيس كمرجان مرسى الحمر .

وختم ابو الفدا اقتباس الفقرة الاولى من وصف البلدان بمدني وردناه اعلاه .

القلقشندي

ومنها بونة قال في [illegible] بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح النون وهاء قال في «مسالك الابصار» وهي المسماة الان عند العرب (عنابه) وهي مدينة على ساحل البحر في الاول الاقليم الرابع قال ابن سعيد (نقل الخصب والعرض) قال في تعريفه (نقل ما اقتبسه ابو الفدا اعلاه)

الباب الثالث

المدن التونسية

طـبرقـة (1)

ابن حوقل

وطبرقة قرية . وهي عدوة لاهل الاندلس . اليها ينتهون ، ومنها الى الاندلس يركبون . وهي قرية وبيئة ، وبها عقارب قاتلة نحو عقارب عسكر مكرم في وحاء القتل وسرعته ومضاء لميتة وقربها ومن اراد طبرقه من تونس على الجادة احتاز على مدينة باجة

البكري

ومنها الى مدينة طبرقة . وهي على شاطئ البحر وفيها آثار بلاوٰ وسيان عجيب وهي عامرة لورود التجار فيها وبها نهر كبير تدخله السفن الكبار وتخرج في بحر طبرقه ، وروي ان الكاهنة قتلت بطبرقه وشرقي مدينة طبرقه على مسيرة يوم وبعض آخر قلاع تسمى بقلاع سرايت ، وهي حصون يأوى اليها أهل تلك الناحية ، اذ خرج الروم غزاة الى بلادهم

الادريسي

وطبرقة حصن على البحر قليل العمارة وحوله عرب لاخلاق لهم ولا يحفظون في أحد من الناس الاّ ولا ذمة ، وبها مرسى للمراكب ، ومراكب الاندلس تطفي اليها وتاخذها

---

(1) راجع :

Lévi-Provençal Histoire de l'Espagne Musulmane T III Courtois Remarques sur le Commerce (Melange G Marçais T II) Desfontaines Voyages, Dureau de la Malles Pianes, Correspondence des Beys de Tunis avec la Cour de France, 2 vol

باجـــة

ابن حوقل :

باجة مدينة قديمة أزلية كثيرة القمح والشعير . ولها من الغلاة والزروع ما ليس لجميع المغرب كثرة وجودة ونقاء [ومرجع ذلك] إلى جوهر في نفس حنوبة . وهي صحيحة الهواء كثيرة الرخاء . واسعة الفضاء عريرة المدخل على المتصل . وفرة الأياخ على تحرها ومزارعين بها . وصرفه المذكورة مع صغير مقدارها وقلة مبرتها . فلما شتهرت كثرة ورود مراكب الاندلسيين والتجار عليها وبرولهم فيها وتعشيرهم كان في سالف الزمن بها وهي تجاه اوائل الاندلس وتحاذي ايضا بعض بلاد افرنجه .

البكري

ومدينة باجة كبيرة كثيرة الانهار وهي على جبل يسمى عين الشمس . في هيئة الطيلسان تطرد حواليها وفيها عيون الماء العذب ومن تلك العيون عين تعرف بعين الشمس . هي تحت سور المدينة . والماء هناك ينسب اليها . ولها أبواب غير هذا وفي داخل الحصن عين اخرى عذبة غزيرة الماء . وحصنها اولي مبني بالصخر الجليل المتقن البناء . ويقال أنه من عهد عيسى عليه السلام . ولها ربض كبير في شرقي الحصن وسور الحصن ممايلي الربض مهدوم ولها جامع متقن البناء فسيح سور المدينة . وفيها خمسة حمامات مؤهلة بالعيون . وفنادق كثيرة وبها ثلاث خانات لبيع الاطعمة وعيون خارجها لا تحصى كثرة . وهي دائمة الخضرة والعيش كثيرة الامطار والاندى قل مايصحى هواؤها . وبها يضرب المثل في كثرة المطر ولها نهر من جهة الشرق من الجوف الى المدينة على ثلاثة اميال منها . وحولها بساتين عظيمة تطرد فيها المياه

باقوت

صرقة . بالتحريك . وبعد الراء الساكنة قاف مدينة بالمغرب من ناحية افريقية على شاطئ البحر . قرب تاهه . وفيها آثار للاول وبناء عجيب وهي عامرة يرد اليها البحر وفيها نهر كبير تدخله السفن الكبار وتخرج في بحر طرقه وفي شرقي مدينة صرقة فلاع تسمى قلاع بربر .

ابن سعيد

وفي شرقيها (مرسى الخرز) من الغرض المذكور . طرفة التي يحمل منها الخشب والقصب الفارسي الجيد الى القيروان التونسية

وتصبح سوداء متشققة تحود فيها جميع النمو وبها حمض وقوة قل مايرى مثله . وتسمى هوتي فريقية تربع بها وكثره زرعها وبها حصيبة بينة الاسعار . محصت سنة ٦٠٠ حصيت وقد كانت سعة تغيرون مزرعه . لم يكن للحصة بها قيمة . وبعد عشرين وقر الشعير من الحصة بدرهمين ويردها كل يوم من الدواب والابل العدد العظيم الالف والاكثر لاتتمالك ميرة فلا يؤثر ذلك في سعرها لكثره زرعهم ثم تسير منها مرحلة الى بسكرى ومن قرى باجة . بعيرية وهي قرية شريفة بها آثار عظيمة عجيبة بناؤل من كنائس قائمة لبنيان محكمة بعمل كأنما فعت عنها الايدي بالامس وكلها مفروشة بالرخام النفيس . يقف عليها من الغربان عدد لا يحصى . حتى يظن المرء أن غربان الارض قد تجمعت هنا ويزعمون أن بها صنما وامتحن هل باجة أيام أبي يزيد (مخلد) بالقتل والسبي والحرق فلم يرجع في هجوه لابي يزيد .

وبعدها باجة أيضا أفسدا
وأهلها أجلى ومنها شردا
وهدم الاسواق والقصورا
والدور قد فتش والقبورا

ولم يزل الناس يتنافسون في ولاية باجه . وكان متداولون فيها بذلك . بنو علي بن حميد بن تويرت فدا عرب احد منهم . لم يزل يسعى ويتلطف ويهادي ويناحف حتى يرجع بها فقيل بعضهم لم ترغبون في ولاية باجة ؟ فقال لأربعة أشياء : قمح عنده . وسفرجل زاهه وعسل بطه . وحوت دربه وبها حوت بوري ليس له نظير في الافق يخرج من حوت واحد عشرة ارطال شحم اذا كان من جلته وأكثر وكان يحمل الى عبيد الله حوتين في العسل فيحفصه ويصل طريا . ودربه بين طبرقه وباجه .

الادريسي

مدينة باجة . . مدينة حسنة في وطاء من الارض كثيرة القمح والشعير . وبها من غلات ذلك مايفيض بالمغرب مثله كثرة وجودة في المواضع المضاهية باجة . وهي صحيحة الهواء كثيرة الزرع واسعة الدخل على واليها . والغرب محدق بخراج قصرها ومتصل بضياعها وبها عين في وسطها يدور اليها بالدواليب ومنها شرب أهليها . وليس لها في خارجها عود نابت الا محوص ومزروع .

وبين باجة وطرقة مرحلة ويقابل باجة في جهة الشمال ، وعلى نحر بحر ، مدينة مرسى الخرز ، وبينهما مرحلة كبيرة .

ياقوت

باجة في خمسة مواضع ، منها : باجة بلد بافريقية تعرف باجة القمح سميت بذلك لكثرة حنطتها . بينها وبين تنس يومان . وحدثني من أثق به أن الحنطة تباع فيها كل أربعمائة رطل ، برطل بغداد ، بدرهم واحد فضة قال ابو عبيد البكري

ومدينة باجة مدينة كثيرة الأنهار (ويعني ياقوت فينقل النص الوارد أعلاه للإدريسي كله)

وينسب إلى باجة هذه أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي الباجي الأندلسي (1) أصله من باجة افريقية ، سكن اشبيلية . كذا نسبة ونسب ابنه ، أن عمر احمد بن عبد الله . أبو موسى محمد بن عمر الحافظ الاصبهاني وأبو بكر الحازمي في المبيصل ، ونسبه أبو الفضل محمد بن طاهر الى باجة الاندلس . كذا قال أبو سعد وقد رد ذلك عليه أبو محمد عبد الله بن عيسى ابن أبي حبيب الحافظ الاشبيلي ، وقال انه من باجة افريقية .

فأما الحافظ عبد الغني بن سعيد ، فانه قال في قريته الباجي ، بالنون . وأبو عمير أحمد بن عبد الله الباجي الاندلسي ، من اهل العلم ، كتبت عنه وكتب عني . وولد أبي عمر هذا من أجله المحدثين ، كان يسكن اشبيلية ولم يرد . مات قريبا من سنة أربعمائة . وأما أبو الوليد بن الفرضي فانه قال : عبد الله بن علي بن شريعة اللخمي المعروف بالباجي ، من أهل اشبيلية ، يكنى أبا محمد . سمع باشبيلية من محمد بن عبد الله بن الفرق وحسن بن عبد الله الربيدي وسعيد أبيه الزاهد . وسمع بقرطبة عن محمد بن عمر بن لبابه ، وذكر غيره . ورحل الى البيرة ، فسمع بها من محمد بن فطيس كثيرا . وكان ضابطا لرويته ، صدوقا حافظا للحديث بصيرا بمعانيه ، لم ألق فيمن لقيته بالاندلس أحدا أفضله عليه في الضبط ، وأكثر في وصفه ، ثم

(1) هو عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة بن رفاعة بن صخر اللخمي ، ابو محمد ، المعروف بابن الباجي ولد في رمضان سنه 291 هـ وتوفي في رمضان سنة 378 هـ ينتمي إلى باجه الأندلس (بيجا Beja البرتغالية) سمع باشبيلية وقرطبة والبيره ، وسمع منه عدد من الاعلام ، منهم ابن الفرضي راجع تاريخ ابن الفرضي (رقم 742) ، محمد بن محمد بن مخلوف ، شجره النور (ص 100) ، القاضي عياض ، ترجمه اعلمية (مستخرجة من مدارك القاضي عياض) (ص ، 48)

ف وحدث أكثر من خمسين سنة ، وسمع منه شيوخ اسماعيل بن اسحاق ومحمد بن محمد الجزار الاشبيلي الزاهد وعبد الله بن براهيم الاصيلي وغيرهم قال وسألته عن مولده . فقال ولدت في شهر رمضان سنة 291 هـ ومات في لتاسع عشر من شهر رمضان سنة 378 هـ . قال عبيد لله المستخير بعفوه فهذا الامام ابن لفرضي ذكر أنا محمد هذا . وهذا لامام عبد لعي . ذكر منه أن عمره لم يسب واحد من الامامين واحدا من لرحلين لى بحه فريقية وقد صرحا بأنهما من الأندلس . وفي هذا تقوية لقول ابن صاعد . والله أعلم والذي صحّ عنه نسبته الى بحة افريقية . أبو حفص عمر بن محمود بن علاب لمقرى لبحي . قال أبو صاعد السقي هو من بحة افريقية وكان رجلا من أهل القرآن صالحا وقال . سألته عن مولده . فقال في رجب 434 هـ بحة القمح بأفريقية . لا بحة لأندلس وتوفي في سنة 520 هـ في صفر وكتبت عنه أشياء كثيرة . وصحب عبد الحق بن محمد بن هارون السبتي وعبد الجليل بن مخلوف وغيرهما .

ابو الفدا

قال في لمشترك ، من افريقية وبحة أيضا كورة من الاندلس وبحة مدينة كبيرة ولها بساتين قليلة وبها عيون ماء وهي مسوّرة حصينة في مستوى من لارض من البحر على مسيره يوم . قال بن سعيد . وبين بحة وبونة ، نهر معينه قد زين الله حاشيه بشجر لزيتون وغيره . مما صيره عليهما كالطراز ، وهو في نهايته من الحسن . وذكر بعض المسافرين ان باجة أيضا قرية من لقيروان شرقي مدينة قيروان (وحتتم بو الفدا بالاندلس فقرة من لادريسي مما ورده بلاد)

القلقشندي

ومن قسنطينة على مسيرة يومين بحة . قال في المشترك بفتح الباء موحدة والف وتحتية ثم هاء وهي مدينة بافريقية ثالث . قال في « الاطوال » : حيث الطول تسع وعشرون درجة وخمس وربعون دقيقة والعرض احدى وثلاثون درجة . وهي مدينة كبيرة ولها بساتين قليلة وعيون ماء وعليها سور حصين مبني في مستوى من الارض على نحو يوم من لبحر ويقابلها على البحر مرسى الخرز .

قفصة (1)

اليعقوبي

قفصة مدينة حصينة عليها سور حجارة وفيها عيون ماء داخل المدينة وهي مفروشة بالبلاط . وحولها عمارة كثيرة [وبها] ثمار موصوفة .

البكري

ومن مدينة القيروان الى مدينة قفصة ثلاثة أيام . وهي مدينة مبنية كلها على أساطين وطيقان رخام . قد بني خلالها بالصخر الحيل بحكم عمل ويذكرون ان بني هذا السور هو شداد بن علاد بن مرثد وقد ذكر عليه اسمه . وهو مقروء فيه الى اليوم وسورها كما قد فرغ من عمله بالأمس ودخل مدينة قفصة عيون تصاحبان يبعدان شهرين حزارين يسقيان بساتينها ومزروعاتها وفي داخل جامعها عين كبيرة مبنية بالصخر من بنيان الاول . أربعون ذراعا في مثلها وقفصة أكثر بلاد القيروان فستقا ومنها ينتشر بافريقية ويحمل الى مصر والاندلس وسجلماسة . وبها تمر مثل بيض الحمام وهي تمير القيروان بانواع الفواكه والثمر وحولها أكثر من مائتي قصر عامرة أهلها تصرف فيها وحوايطها المياه . تعرف بقصور قفصة . وجباية قفصة خمسون الف دينار

---

(1) قفصة Capsa رومانية . راجع الحسن بن محمد الوزان . وصف افريقية . ج 2 . وكذلك

Bodereau la Capsa ancienne et la Capsa moderne Guerin la voyage dans le sud de la Tunisie Zaccheme Notes sur la Regence de Tunis Ceahs de Slasse a Crafsa Mavet Voyage dans le sud de la Tunisie

ومن قصور قفصة ، مدينة طراف ، وهي في منتصف الطريق من قفصة إلى فج الحمار (1) وأنت تريد القيروان .

ومدينة طراف كثيرة أهلة بها جامع وسوق حافلة واليها ينسب الكساء الطرافي ، وهو من جهاز مصر . وهي كثيرة النسّاق .

الادريسي

ومدينة قفصة مدينة حسنة ذات سور ونهر جار ماؤه أطيب من ماء قسطيلية ، ولها في وسطها العين المسماة بالطرميد ولها اسواق عامرة ومتاجر كثيرة وصناعات قائمة ، ويضيف بها نخل كثير يشتمل على ضروب من التمر العجيب ، ولها حمل حسان وبساتين وقصور قائمة معمورة يزرع بها ضروب من علات الحناء والعصفر والكمون . واهلها متبربرون واكثرهم يتكلم باللسان اللاطيني الافريقي .

ياقـــوت

قفصة ، بلدة صغيرة في طرف افريقية من ناحيه المغرب من عمل اقليم الكبير بالجريد ، بينها وبين القيروان ثلاثة أيام ، محتفة في أرض سبخة لا تنبت الا الاشنان والشيح . يشتمل سورها على بستانين لماء أحدهما يسمى الطرميد ، والاخرى بيش . وعلى هذه العين عدة بساتين دوات نخل وزيتون وتين وعنب وتفاح . وهي أكثر بلاد افريقية فستقا ومنها يحمل الى جميع نواحي افريقيه والاندلس وسجلماسه وبها تمر مثل بيض الحمام وتمير القيروان بانواع الفواكه قال : وقد قسم دلك الماء على البساتين بمكيال تورد به مقادير شربها معمولة بحكمة لايدركها الناظر لايفصل الماء عنها ولا يعورها ، تشرب في كل خمسة عشر يوما شربا وحولها اكثر من مائتي قصر عامرة أهله نطرد حواليها المياه تعرف بقصور قفصة

(1) فج الحمار . هو المكان الذي يرسم على الخرائط الاوربية على مسافة سبعة فراسخ في جنوب شرقي قفصة

ابن سعيد

ويقع آخر هذا الجزء من بلاد الجريد (1) وهي بلاد التمر قفصة . وهي قاعدة مشهورة بالجريد . والفستق لا يكاد (يوجد) بالغرب الا فيها وبها من الفواكه والمشمومات حوص كثيره ومنها يجلب دهن سفسح وحب الغصان

القلقشندي

قفصة . موقعها في الاقليم الثالث قال في الاصول حيث اطول احدى وثلاثون درجة وعرض ثلاثون درجة وخمسون دقيقة قال ابن سعيد (نقل المعنى مذكور اعلاه) ولبها يشبه حبه لا وفى لمتحدمه الضعف الشديده الذبوته

(1) يطلق اسم الجريد على المناطق الوسطى في تونس ، وخصوصا ، على واحات الأربع عشر وقصبة وبلديين وبحيرة ويحد الجريد شمالا شط غرسة ، ومن الجنوب ، شط الجريد . وتحيط بهذه المناطق جبال وتلال منيعة تعزلها عن المناطق المحيطة بها ، وجريد قليل المطر ولكنه وفير العيون غزير المياه ، ومن ثم شهرته في إنتاج التمور التي تشكل ثروته الرئيسية ، مع القمح . انظر غيرما ذكرهنا ، خصوصا العبر (6/412 ـ 420) ، وكذلك

Les fondements géographique de l'Islam. P. 129

بنـزرت (1)

المقدسي

بنزرت . مسورة وسورها من حجر . والجامع وسط البلد وثم واد يجري مالح يدخل من بحيرة الى جنب البحر ثم يرجع اليه ويعدي فيه الناس بالقوارب

البكري

مدينة بنزرت . . مدينة على البحر يشقها نهر كبير كثير الحوت ويقع في البحر وعليه سور صخر وبها جامع واسواق وحمامات وبساتين وهي ارخص البلاد حوتا . وافتتحها معاوية بن حديج سنة احدى واربعين وكان معه عبد الملك بن مروان . فشد عن الجيش . فمر بامرأة من العجم من عمل بنزرت فقرنه واكرمت مثواه فشكر ذلك لها فلما ولي الخلافة كتب لي عامله بافريقية في المرأة وأهل بيتها . فاحسن اليهم وظاهر النعم لديهم . وتوالى هذه المراسي مذكورة بعد هذا في موضعه ان شاء الله . وعلى ساحل هذه القلاع بحيرة تنسب أيضا الى بنزرت يدخل اليها ماء البحر الكبير . فيوجد فيها في شهر ما من السنة صنف من الحوت لا يشبه غيره ولا يوجد هناك في غير هذا الشهر . وفي هذه البحيرة اعجوبة على أن الصياد فيها اذا اتاه التجار لشراء الحوت يقول لهم على اي شيء ارسل شبكتي ؟ فيتفق معهم على عدة معلومة فيأتي الصياد بحوت

(1) راجع عدا ما ذكر هنا

Archidare Louis Salvador Bizerte son passé son present et son avenir Casting (R C) Bizerte souvenir du passé (Revue Maritime, 1900)

يقدم به الى الصنف المعروف بالسوري . فيرسلها في البحيرة ثم يتبعها بشبكه فيخرج بعدد التي اتفقوا عليها ، لايكاد يخطئ !

وعلى مقربة من هذه البحيرة ، بحيرتان احداهما حلوة والاخرى مالحة فيصنف كل منهما في الاخرى نصف الطعم على السواء فلا يتغير لواحدة منهما طعم (مائها)

الادريسي

وبين بنزرت وتونس يوم كامل في البر ومدينة بنزرت صغيرة عامرة بأهلها وبها مرفق وسوق قائمة بذاتها . وبالجهة الشرقية منها بحيرتها المعروفة بها والمنسوبة اليها . وطولها ميل وعرضها 8 أميال وفمها متصل بالبحر وكلما أخذت الى البرية اتسعت [وكلما] قربت من البحر ضاقت وانحرفت وهذه البحيرة من أعاجيب الدنيا . وذلك أن بها اثنى عشر نوعا من السمك ، يوجد منها في كل شهر نوع لايمتزج بغيره من أصناف السمك فاذا تم الشهر لم يوجد شيء من ذلك النوع في الشهر الثاني . ثم يوجد في الشهر الآتي صنف من السمك غير الصنف الاول ، لايمتزج بغيره . وهكذا لكل شهر نوع من السمك لايمتزج بسمك غيره الى كمال السنة هكذا في كل عام . وهذه الاثنى عشر نوعا من الحوت التي ذكرناها هي . السوري والقاروح والمحل والبلطة والاشبيبات والشلة والقراوص والبلاح والجوحة والكملاء والصفيو والفلا ويتصل بهذه البحيرة من جهة الجنوب مع انحراف الى الغرب ، بحيرة ثانية تسمى بحيرة تينجه ، وطولها 4 أميال في عرض مثلها وبينهما فم تتصل منه مياه احداهما بالاخرى وفي هاتين البحيرتين أمر عجيب . وذلك أن ماء بحيرة تينجه هذه عذب وماء بحيرة بنزرت ملح وكل واحدة من هاتين البحيرتين تنصب في جنبها ستة أشهر . ثم ينعكس جريها فتمسك البحيرة عن الجري وتنصب البحيرة الثانية في هذه الاولى ستة أشهر أخرى ، فالبحيرة تينجه يتملح ماؤها ولا يعذب ماء بحيرة بنزرت وهذا بعينه أعجب الاعاجيب من أحداث هذا الصقع . والسمك ببنزرت ، وبتونس أيضا كثير رخيص جدا .

ياقوت

بنزرت مدينة على ساحل البحر بينها وبين تونس يومان . وهي من نواحي سطفورة مشرفة على البحر وتنفرد بنزرت ببحيرة تخرج من البحر الكبير الى مستقر تحتها . يخرج منها في كل

شهر صنف من السمك لا يشبه السمك الذي خرج في الشهر الذي قبله الى انقضاء الشهر ،
[illegible]

عند [illegible] في صيرفه على مسيرة يوم بعض [illegible] [illegible] [illegible] مع
[illegible] وفيها [illegible] [illegible] قال محمد بن يوسف في ذكر [illegible] من صيرفه الى
مرسى تنيس ، مرسى [illegible] عليه مدينة حرب وهي مدينة على بحر يشقها نهر كبير كثير الحوت
واقع في بحر ، وعليها سور صخر وبها جامع وسوق وحمامات . فتحها معاوية بن حديج
سنة 41 وكان معه عبد الملك بن مروان .

ابن سعيد

وفي شرقيها ، مدينة حرب حسن قصب ثلاثين درجة وخمسون دقيقة وعرض ثلاث وثلاثون
درجة ونصف وبها نهر عليه قرية يقصب في شرقيها منها بحيرة حلوة في جنوبيها ، وبحيرة ملحة
في شرقيها ، تقصب كل منهما في الاخرى سنة اشهر . فلا الحلوة تفسد بالملحة ، ولا الملحة
تصلح بالحلوة وقد استقصى أن الحوت يخرج من هاتين البحيرتين في رأس كل خمس
خمس ، ويغيب الخمس الأول حتى يدور العام وفي شرقيها رأس الخيل حيث مرسى المأمول
في فصل الشتاء وليه تحط المراكب من مرسى تنيس الى كل الهور ، ويرد اصلاحها وبين
هذا الخمس وبين تنيس يقصب نهر المخرجة مشهور تاريخية ، ويقال له عند مصبة المخرج

ابو الفدا

ومدينة حرب على نهر يجري في شرقيها وغربيها شط ، وبها بحيرة في جنوبها وبحيرة في
شرقيها تقصب كل واحدة منهما في الاخرى سنة اشهر . فلا الحلوة تفسد بالملحة ولا الملحة
تفسد بالحلوة على الصحيح عند الواحد وهي مدينة حرب وبحيرات منها حسبما ذكر
وقال بعضهم في هذه البحيرتين المذكورتين انه اذا جاءت الشتاء وكثرت السيول على البحيرة
الحلوة ، فاضت على الملحة ومدتها واذا جاء الصيف قل مدها وغاض وانتقصت عن الملحة
فتمدها الملحة بما تأخذ منها

قال [illegible] وبين الملحة ستة عشر ميلا وعرضها ثمانية اميال والحلوة بعد ميل
في مثلها . ومن بنزرت الى طبرقة سبعون ميلا .

القزويني

سرت مدينة تاريخية على ساحل البحر سميت بهر كسر كثير سمك به فلاح خصبه يأتي به هل يوجي د خرج روم غزة . وبها رياضات تصاحبين وانفردت سرت بحيره بحرج من البحر كبيرا ى مستقر تحاهها . يخرج منه في كل شهر صنف من السمك لايشبه الصنف الذي كان في الشهر الماضي و تمام سنه . ثم يعود بدور ان لاول ويستمر صنعه ثاني عشر الف دينار

تـونـس (1)

ابن حوقل :

وبها مدينة تونس ، وهي قاعدة بلاد قديمة ذات ميرة حرية فيها ولا تنفق بها كثير ، وعنده في ربضها صخرة ، وهي حصينة في ذاتها (وبها) منبع لعلاتها ويعمل بها حصر حسن بصنع وحرف حسن كالعراقي المحدث وكان سمها في قديم الزمن ترنيس ، فلما حدث فيها مسمون النبات واستحدثوا لمستنبت وتحيطان سميت تونس وهي مضافة لفرصحة مشهور مرها بالطيب وكثرة نخوله وحسنه وجودة ثمر وصحة هواء

(1) راجع عند ذكره : Berthier et Charitre Recherches Anthropologiques dans la Berbérie Orientale وحسن حسني عبد الوهاب Coup d'Oeil General sur les Apports ethniques etrangers en Tunisie (Revue Tunisienne, 1917) ؛ وابن أبي دينار القيرواني ، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ؛ محمد شاكر ، تخلاصه في مرة وريقية ، وابن مقديش ، نزهة الانظار ، وكذلك

Savary de Breves Relations des voyages aux Royaumes Tunis et d'Alger Dan Histoire de Barbarie Laeis Memoire pour servir a l'histoire de Tunis Laugier de Tassy Histoire des Etats Barbaresques Peyssonnel Remarques d'un Voyage sur la cote de Barberie et 1724 Shaw Travels Herbeastreit Voyage a Alger a Tunis et a Tripoli en 1732 Lave Etat des Royaumes Barbaresques Poiret Memoire Circonstancie Etat present du Royaume de Tunis Shaler Sketches of Algiers Boughtere letters from the mediterranean Tunis Nouk Travels in the Barbary States Lewins Reise Von Tunis Neudy Document relatif au commerce de Tunis Kennedy Tunis 1845 Rapport de Tunis au XIX siecle Zaccone Notes sur la Regence de Tunis Les Etats Barbaresques Orientaux et les Francais Estrad Notes sur un Voyage en Tunisie Les Etats Barbaresques Pieces Concernant les Beys de Tunis et des Consuls de France avec la Cour Ottomane Lettres d'Alger et Tunis Masson Histoire des etablissements et du Commerce Francais dans l'Afrique Barbaresque Les Sujets Arabes en Tunisie Tunis en 1868 d'apres Ibn Abi Dhiaf Revue Tunisienne 1894 Serge Pacha et Sidi Ismail al Sahabi Notes Tunisiennes (1900) Sergeant (J.M.) Travaux hydrauliques Historiques de Tunis (R.A. 1936) Peyssonnel Relations des Beys et Regences des Barbaresques Mars 1854 Comptes rendus des Seances de la Premiere Legislature Revue de la Mediterranee 1960 Sheehan (A.) Venise et les Regences d'Alger Tunis et Tripoli Paris 1964) (R.A., 1957)

وتسع محلات ومن غلاتها . القمح ويحمل الى القيروان فيظهر الانتفاع به . وكذلك القطن والكروم والعصفر والعسل والسمن والحمص والزيت وكثير من الماشية مختص بها

البكري

ومن الجزر التي في مدينة تونس . مدينة ميس . وهي ثلاث مراحل . وفي قصبتها شكل مربع . وفي مسجدها ثمان مرجعة

وبدور مدينة تونس أربعة وعشرون ألف ذراع . وفي سنة أربع عشرة ومائة . بنى عبيد الله بن الحبحاب (1) بجامع وبدار الصناعة بمدينة تونس . وهما موصوفان بالمتانة والنفوس . واسم مدينة تونس في الأول مدينة ترشيش . ويقال لبحرها . بحر دمس . وكذلك يسمى مرساها مرسى رادس . وافتتحها حسان بن النعمان (2) بن عدي بن بكر بن معيث بن عمرو بن ربيعة بن عمرو الأدي . وهي جماعة عك . في المهاجرقان . سار حسان بن النعمان في سنة فقاتل الروم بقصر تونس . فسأله الروم الأ يدخل عليهم وأن يضع لخراج عنهم ويقيموا به . فصالحهم على ذلك وكانت بهم سفن معدة من ناحية بنزرت . فلما رأى حسان ذلك ركب سفنه فاحتمل فيها أهليهم وأموالهم وهربوا ليلا وأسلموا المدينة . فدخلها حسان . فخرق بها وبنى فيها مسجدا وبقي هنالك ثلاثة أشهر . وكان كلما ذكر مسجد قرطاجنة نصب لحسان بن النعمان . فإن الروم لما قدروا عليها وبقي فيها مرتاق صالح وليس معه إلا هذه . فعجب حسان : هل لك أن تعاهدني وأفدي وتقطع بي قصائع سترصها عليك وفتح

---

1) ... عبيد الله بن الحبحاب ... في سنة 116 ... في سنة 114 ... 732 ...

2) حسان بن النعمان بن عدي الغساني . قدم الى افريقية واليا عليها بعد موت زهير البلوي في برقه وكفف باتمام فتحها (سنة 78 هـ) . وكانت وقعته التي لا تزال في يد البربر من اعظم فتوحاته في هذه الحملة التي تتكون من اربعين ... الى ارسال قوة بحرية كبيرة لانجاد المدينة . وقد دخل في معارك عديدة وعنيفة مع البربر ... دهيا . في جبل اوراس وقبض اهله فيها فتحصنه وحكمه في القلعة حتى دانت له افريقية ... وقد توفي في تونس سنة 85 هـ ... Leonitos ... دائرة معارف الاسلامية (الطبعة الاولى) ... البيان 1 34 - 39 ، الدرر السنية ص 24 - 29 البلاذري ، فتوح البلدان (ط ليدن ص 229 ، ... 8 ، الحميري (ص 7 - 8) ، رحلة التجاني تاريخ الاسلام ... 109) ، المنصوري 17 - 8

[illegible] فتدخل المدينة على من فيها . فجعله في مسلحة . فشرط عليه المدن التي بين حسين التي يدخل بها فحص مريق . وهي إذ ذاك ثلاثمائة وستون قرية . ثم فتح بهم الباب . فلم يحد بها أحد غيره وغير ولده وأهله . فتمم له حسان ما شرطه وتصرف إلى القيروان . وأغارت الروم من البحر على من كان بقي من المسلمين بمدينة تونس . خرجت إليهم في مراكب . فقتلوا من بها وسبوا وغنموا وبم يكن للمسلمين شيء يحصنهم من عدوهم . إنما كانوا معسكرين هناك وبيع حسان ذلك . فرحل إلى تونس وأسس [illegible] يعين رحلا من أشراف العرب إلى عبد الملك بن مروان وكتب إليه بما نال المسلمين من البلاء . وأقام هناك مرتبطا بمصر إلى عبد الملك فلما بلغ ذلك عبد الملك . عظم عليه . وكان قد بقي [illegible] فيهم اثنان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . أنس بن مالك (1) وزيد بن ثابت (2) فقالا للمسلمين من ربط فرادس يوما فله الجنة حتى وقالا لعبد الملك . مد هذه البلاد وانصر أهلها يأمنوا من العدو ويكون لك ثوابها وأجرها . فبها من المشاهد المقدسة مرحوم أهلها وهي حرس المقدوبية يريدون القيروان وروي أن البحر فرس حرق لحصر عليه السلام السفينة . وأن الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا [هو] الخضري ، ملك قرطاجنة . الحصر السفينة بحر فرس وقتل الغلام بطليوس . وهي اليوم تسمى المحمدية . وهناك قبر موسى الحصر عليه السلام . وطليطلة على أميال يسيرة من تونس .

كتب عبد الملك بن مروان إلى أخيه عبد العزيز . وهو والي مصر أن يوجه إلى معسكر تونس ألف قبطي بأهله وولده وأن يحملهم من مصر ويحسن عونهم حتى يصلوا إلى ترشيش . وهي تونس وكتب إلى ابن النعمان يأمره أن يسبي لهم ذرية صناعة تكون قوة وعدة للمسلمين في آخر الدهر . وأن يجعل على البربر خراجا لتستعين الأشياء المراكب لتكون لذلك حزبا عليهم في آخر الدهر . وأن يضع لهم المراكب ويحشد الروم في البر والبحر وأن يعد منها على ساحل الروم فيستعين بها على البربر نظر المسلمين وتحصين ثغورهم . فوصل القبط إلى حسان . وهو بقبلي تونس

(1) أنس بن مالك بن النضر الحارثي الأنصاري . أبو حمزة صحب رسول الله وخدمه روى عنه جم غفير . حدث وفاته بالبصرة في سنة 90 هـ على الصحيح وقيل سنة 91 هـ وقيل سنة 93 هـ راجع سيرته في طبقات ابن سعد 10/7 وفي تهذيب ابن عساكر 139/7

(2) زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي أبو سعيد كاتب النبي ومن أكابر صحابته ولد بمكة في سنة 11 قبل الهجرة وأسلم وهاجر وبعثه النبي فتعلم كتابة اليهود بأمره . وكان أحد الذين جمعوا القرآن في حياة النبي (ص) وقد توفي في سنة 45 هـ . راجع سيرته في غاية النهاية 296/1 ، الصفوة 294/1

وحفر بحر من موسى رئيس في الصناعة وحفر بئر بحنب وجعل فيه مركب كبيرة وهو القبط بعمارتها .

وبشرقي مدينة تونس بحيرة كبيرة ذو هذا بعد وعشرون ميلا في وسطها جزيرة تسمى سكلة منها قصر يسكن وبها قصر خرب . فقصر الذي صنعه تونس منصلة بالبر ، وبالبر متصل بالبحيرة . وبحيرة منصلة بالبحر وعلى ساحلي البحر بالبر مسجد يعرف بمسجد الرملة . ويسمى الناس قصر مسي بالمسجد ذا منقل الماء وفي الجوف منه حنايا صخر كالسور ، فيدخل الماء في هذه السور . من حيث يخرج وهذا السور . ويعرض بها سوق جديد تمنع المراكب من الدخول والخروج مادامت متعرضة . وهذا القصر يعرف بقصر السلسة ويسمى القصر صهريجات . كان منها ثلاثة يرتفع منها الماء بحر وبعضها ما زالت قائمة ، وكان عبيد الله بن الحبحاب بنى دار الصناعة فلما ملك يزيد بن عبيد الله جدد وزاد تحصينها . فلم تزل تونس معمورة من يومئذ . يعمرونها المسلمون بالأندلس ويكثرون فيهم النكاية ولهم الأذاية .

ومدينة تونس في سفح جبل يعرف بجبل عمرو وبنو مدينتها خندق حصين . وبها خمسة عشر باب بحيرة . فباب . يسمى في جزيرة شريك ويخرج منه إلى تيونس . وبابه يعرف بجبل تونس . وهو جبل عال ليست شيئا . في علاه قصر مسي مشرف على البحر وبشرقي هذا القصر عين ماء يسمى العشوق ويعرف ماؤها بماء العشوق ويعرفي هذا الجبل جبل يعرف بجبل الصيادة . فيه قرى كثيرة زيتون وشجر وفي هذا الجبل سبعة مواجل ماء على غير واحد ويعرفي هذا الجبل بقصر شرف مرتفع منه موضع يعرف بالمنعب . فيه قصر لبني الأغلب قد عرس بجميع البناء وبشرقي مدينة تونس بئر وبحيرة بني دكين وبئرها يعرف بئر الرصاص . وبابه يصب فوهته . وبابه داخل بخندق بئر كثيرة وبالبحيرة يعرف بمجاري الريح . وباب السفينين . خلف السفينين . لأن بئر تعرف بئر بني السفينة . وهي بئر كثيرة عذبة ماؤها . وهذا القصر الذي لأغلب وبنى فيه صنف بنفسه وبرجين . ويقبل جبل أبو زمل وهو جبل بني خندقه في أعلاه ثم بنى . وباب الجزيرة بجزيرة معروف بمجاري الريح الأحد . ودون الباب من داخل الخندق غدير كبير يعرف بغدير الفحامين . وبيض المرضى خارج عن المدينة . ويقبلي بيض المرضى ملاحة تنبه منها ملحهم وملح من يجاورهم . وجامع مدينة تونس رفيع البناء مطل على البحر . [illegible] فيه الى جميع جواريه ويرفا الى الجامع

من جهة شرق على اثني عشرة درجة وبها سوق كثيرة ومتاجر عجيبة وبساتين تفيس جميعها وفنادق كثيرة رفيعة ومقصد كل أهل دور مدينة تونس كلها وجميع بلدان وأقاليم المعروف عليهما مكان بعينه ومن مشاهير دور تونس بها دار جليلة بسجلماسة ومدينة تونس ذات علم وفقه . وبها قضاء فريضة جماعة كثيرة ومع هذا تفصيل بلدي فيها . هي مخصوصة بفقيه على المذهب وخلاف بعلماء . خلفت نحو عشرين مرة .

وامتحن أهلها أيام ابن يزيد بالقتل والسبي وذهاب الاموال

وقال الجربي صاحب الحدثان :

فـويـل لـتـرشـيـش وويـــل لأهـلـهـا من الحبشي الأسود المتعصب

وقال بعض الشعراء :

لعمـرك مـا ألفيـــت تونس كاسمهـا ولكـــنـي ألفيتها وهي توحش

ويصنع بتونس شبه لمعاء من الحرف تعرف بالزيجيه . شديدة البياض في نهاية الرقة . يكاد تشف بيض يعلم لها نظير في جميع الاقطار وعامة الامصار . ومدينة تونس من أشرف مدائن فريقية وطيبها ثمرة وانفسها فاكهة فمن ذلك التمر الجريك . يقرك بعضه بعضا من رقة قشرة ويحتاج بليه وكثره حبات في كل نورة مع طيب مضغه وعظم الحبة . والرمان الصعيف لا حجم لحبه لبتة مع صدق الحلاوة وكثرة مائية . والاترج الجليل الطيب الطعم الذكي الرائحة البديع المنظر . والتين الجرمي أسود كبير فيه القشرة كثير العسل . لايكاد يوجد له نظير . والسفرجل المشهي كبرا وطيبا وعطرا والعناب الرفيع في قدر الجوز . والفستق الصوري في حجم الاترج مستطيل سكري القشرة صادق الحلاوة كثير الماء . وبها من جنس الحوت الذي لايكون مثله في غيرها مالا يحصى كثرة احتاس . تجري في البحر مع شهور المحم في كل شهر من تلك الشهور يجري فيه جنس منه لا يوجد في البحر في دخول ذلك الشهر من العام المقبل فهم من تحديدها في مدة موصوفة ونعمة غير ممنوعة . وكل جنس منه بصير فيقال سمين صحيح لحم طيب الطعم . منه جنس يعرف بالعلبق وجنس يعرف بالكنوبري وجنس يعرف بالاسقس وجنس يعرف بالكوس وجنس يعرف بالقوس . ومن مشاهيرها مالا نفيس له يخالف أهل تونس

ومن مدينة تونس الى قرطاجنة اثنا عشر ميلا .

من مدينة القيروان إلى مدينة تونس مرحلتان وبعض . يسير القوافل . وهي مدينة حسنة يحيط به من جميع جهاتها فحوص ومزارع بحفنة من شعير . وهي كثيرة غلاتها وحمل معاملات أهلها مع نفس الغرب ومرافئها وهي الآن في وقتنا هذا لكتاب . معمورة موفورة الخيرات بعيدة المغيب وغيبها سوء الترب والشم . وهذه الأبيات ثلاثة وجميع جهاتها ومزارعها إذا دخل سواد تونس هو خارج شرقي يعرف بغيبة وهي ينبوع تحيط بها النخيل وبساتين ما يكفي أهلها غذاؤهم ويعمل بها من الخمر ونوعه ما لا يمكن عمله في غيرها من البلاد ومدينة تونس في داخلها قديمة بانية حصينة اسمها في التواريخ قرطاجنة وهذه المحلة مسكونة وأحدثوا بناءها . سموها تونس وشرب أهلها من بئر شبه . لأن عيونها قليلة وخلاها ماء . بئر احتفرتها بعض سيدات الإسلام . بناء ثوابت وهذه في بهاء من سعة النقد وكثرة الماء وهذه المدينة مضافة لفرضة مشهورة بالطيب وكثرة السمك وحسن الجهة وجودة الثمار واتساع الغلات

ومدينة تونس في جون خارج من البحر . وهي على بحيرة محتفرة وعرضها كثير من طولها . وذلك أن طولها ميل ولها فم يتصل بالبحر . وهو المسمى فم الوادي وذلك أن هذه البحيرة لم تكن من قبل . وإنما حفر في أثر حفر انتهى به إلى مدينة تونس لأن بين تونس والبحر ستة أميال وسعة هذا النهر المحفور نحو 40 ذراعا وعمقه من 4 إلى 3 وقعري صبي وطيب هذا الحفر مستمر نهر 3 أميال ثم حفروا ماء البحر في ذلك النهر فعلا على الحفر نحو علاه برمح قامة وفلوكا كثيرة إلى أن بلغ الماء حده فوقف وعند آخر هذا الحفر يتسع فيه الماء ويعمق وسمه وقعره . وإليه تصل المراكب الحمالة والبواشي والحراقي وترسي هناك وتصل فضل الماء الصافي في هذا النهر المحفور إلى مدينة تونس . فهي على نحو البحيرة وموقف المراكب عند بابه في رواق صغير يعوم في قصير مياه إلى مدينة تونس ودخول المراكب من البحر إلى هذا النهر المحفور واحد بعد واحد . لاتساع النهر لا يحتمل أكثر من ذلك

باقـــوت

بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه وتكرار السين المهملة كلمة محدثة وقرية في ساحل بحر الروم . خرجت من أعمال مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها تعرف بقرطاجنة

ووكب سه ونس في ضمنه ترشيش وهي على ميلين من قرطجنة ويحيط سورها ثنتي وعشرون ف درج ، وهي لآل قصبة بلاد فرنجية . بينها وبين سفاقس ثلاثة ايام . ومائة ميل . بينها وبين القيروان وبحر من ذلك . بينها وبين المهدية . وليس بها مدارس . وانما شرفها من العلم ومصانع يجتمع فيها ماء المطر . في كل دار مصنع . وبارها جرح بادر في اطراف البلد ومياهها ملح وعيونها محترث كثير . وبها عدة قلعة وهي من اصح بلاد افرنجية هواء

بين تونس والقيروان ممر يقال له محفة ، وكان أول من اختط بتونس الساحل قصدته الطير فباضت فيه وقد حمل كل طائر منها زينتين في منقاره فبنيهما هناك وبه عدة عظيمة تبلغ سبعين الف درهم .

ويختتم ياقوت قائلا

وتونس قرية مؤنث محرر (1) يقسم به أهل المراكب اذا خاش عليهم البحر . يحملون من تراب قبره معهم ويبدرون به . والمنسوب إلى تونس من أهل العلم كثير . منهم شجرة بن عيسى وقيل بن عبد الله التونسي مات سنة 3 أو 2 (2) . وعبد الوارث بن عبد الله بن علي بن علي يوسف بن عاصم ، أبو محمد التونسي المالكي الاصولي الزاهد ، كان عالما بالكلام بصيرا به حسن الاعتقاد فيه ، له قدم في العبادة . وكان يتردد بين دمشق وحمص وحلب وكان له صحاب ومريدون قال ابو القاسم الحافظ التيمي في محمد الاصولي

د كنت في علم الأصول موافقا	بعقلك قول الأشعري المسدد
وعمست مولاك الكريم محاسبا	بقول لإمام الشافعي المؤيد
واتقنت حرف ابن العلاء مجردا	ولم تعد في الاعراب ثم المبرد
فمت على نحو بنفس مصدق	بمقالة حبر التونسي محمد

---

(1) راجع ترجمة احمد بن ابي محرر القاضي في طبقات ابي العرب (ص 167) ، طبقات الخشني (ص 235) ، الرياط (1 / 305) ، معالم الايمان (2 / 25) ، البيان (1 / 133) ، وترجمة (ابومحرر محمد بن عبد الله السكاني القاضي) في الرياض (1 / 189) ، معالم الايمان (2 / 18) ، الديباج (ص 285) ، البيان (1 / 130) ، طبقات أبي العرب (ص 166 - 167) .

(2) هو سميرة شجرة بن عيسى التونسي (167 - 162 هـ) ، محدث وفقيه مالكي من قدماء تونس ، درس على سنة وسبعين على مالك وروى عنه وعن ابن جابر وابن شرس وجمع من علماء تونس . البيان (1 / 152 و 162) ، ابو العرب ، طبقات علماء افريقية (ص 316) ، ابن فرحون الديباج المذهب (ص 127) ، القاضي عياض ترجمة عنه (ص 151)

...ت عبد الوارث سنة خمسين وخمسمائة

الغرناطي

تونس مدينة من بلاد المغرب كثيرة على ساحل البحر . فصيلة بلاد وريفية . أصبح بلادها ... فصيلة ماء وكثرة خير وبها من الثمار والفواكه ما لا يوجد في غيرها من بلاد المغرب حسن المعاملة فمن ذلك ما يحصل بقرك بالبلد وكثرة في كل وقت حتى وبها نوع من البقر لا يعلم ... مع صغر جثته ولا يزيد بكبر رائحة الذيع اسطر . الخروبي لا سود بكثير لرقيق ... كثير العمل . لا يكاد يوجد فيه بقر . وسفرجل كثير جدا الغصر الرائحة . والعنب ... كل حبة منه على حجم حوزة . والبطيخ يعلوى على حجم الأبرج مستطيل صدق ...

وبها نوع من السمك عجيبة لا ترى في غيرها . يرى في كل شهر نوع من السمك مختلف ... فيه فيصبح وبقي سبع صحيح الجرم ضيف الطعم ومنها نوع يقال له بقونس يقولون ... السمك به تحلف أهل تونس . وهي موصوفون باللؤم وقلة المروءة للغرباء وبخل شديد وخروج على الغرباء قل بعضهم ولاتهم وقد خرجوا عليه وبقي منهم القليل . قال :

عمرك ما أبصيت تونس كاسمها ولكني ألفيتها وهي توحش

وبين تونس وقيروان ثلاثة أيام بينهما موضع يقال له محنة به أمر عجيب . وهو أنه ... كان ولاة تونس قصدته لزراريز وقد حمل كل طائر منها دينارين في محسبه بقيمهما هذا ... يحصل من ذلك على غلة ، قالوا : تبلغ سبعين الف درهم !

ابن سعيد

مدينة حصينة بني سنها تونس حيث أطول النهار وثلاثين دقيقة والعرض ثلاث وثلاثين ... وثلاثين دقيقة وهي على بحيرة مالحة بداخلها مركب يصعد فيستقي من ... ماء عذب بقرب التي تونس في ميناها وبين ساحل بحيرة عند تونس وقمها عند سحر عشرة ... وهذه بعد عشرون ميلا وهذه مدينة لأن هي قاعدة قريبة . ومعظم بلاد المغرب ... لها . وفي شرقيها اقليبية .

العمري

... تونس في حوزي قبض من أهل صقلية وشك في الأمر وولاء في تحصيص

وبه يباع الزيوق للعيون . وسما على أن يقوم بالدين سوى جامعه ومدرسته . قال لهما من حسن الصورة نصيب ومن الفضل نصيبة سهم مقسم وما بيت في العرب مثل مدرسته المذكورة ولا أن محاسنه مقصورة على الصورة . قد ينسب بها لنعم ضفل وما يحسن في وجه الفتى شرف له .

وما الحسن في وجه الفتى شرف له
اذا لم يكن في فعله والخلائق

أبو الفدا

تونس قاعدة افريقية . وهي على بحيرة مالحة خارجة من البحر وبين ساحل البحيرة عند تونس وبين قمرت عند البحر عشرة أميال ودور البحيرة نحو أربعة وعشرين ميلا . قال في العزيزي وتونس مدينة حسنة قديمة البناء وبها مياه ضعيفة خارجة يزرع عليها وهي كثيرة الفلاحة خصبة الأرض وحولها بساتين بالقرب منها . وهو على جهة الغرب . مع ميله الى الجنوب . على مسيرة يومين . وهو بضم التاء وسكون الغين المعجمتين وفتح الواو.

القلقشندي

تونس هي قاعدة هذه المملكة الآن ومستقر سلطانها وهي مدينة قديمة البناء واقعة في لافيم الثالث قال ابن سعيد (المغرب والعرض) وهي على بحيرة مالحة خارجة من البحر الرومي . طولها عشرة أميال . وتونس على آخرها .

قال البكري . ودور هذه البحيرة أربعة وعشرون ميلا . قال العزيزي . وهي مدينة جليلة . لها مياه ضعيفة جارية يزرع عليها ، وفيها الخصب وكثرة الغلات وهي في وطأة من الارض في سفح جبل يعرف بام عمرو . يستدير بها خندق وسور حصين وبها ثلاثة ابواب كبيرة في سفح جبل يعرف بام عمرو . يستدير بها خندق وسور حصين وبها ثلاثة ابواب كبيرة من جهتها . وهي سبخة . وجميع بنائها بالحجر والاجر وبنيتها مستقفة بالاخشاب ، ودور كرهها مبنية بالجص وهي في وطأ من الارض يحيط بها خندق . هي كما يقال ضاهرة حسنة وباطنها سبخة وبناء أهلها من الآجر (؟) بها صهريج يجمع فيها ماء المطر يعمل لعباس ويجدد وبها بساتين ولا أعرف بجميع بلاد افريقية وهي المعروفة بالمغرب بعد القيروان بساتين أحسن من بساتين تونس وبساتين مدينة تونس بها ماء

[illegible] من ساقية بجبل يعرف بجبل زعوان ، على مسافة يومين من تونس .

قرطاجنة (1)

الهمداني

وسمه مدينة تونس قرطاجنة . وهي على ساحل بحر يحيط به ها احد وعشرون ذ ع ومن مدينة تونس الى الاندلس ستة فراسخ .

ابن حوقل

وهي (تونس) مصاقبة لقرطاجنة شهر امرها بالخصب وكثرة غواكه وحسنها وجودة تمرها وصحة وانهواء وتسع الغلات ومن علاتها القمح . ويحمل الى القيروان فيصهر لانتفاع به . وكذلك القطن والكروياء والعصفر والعسل والسمسم والحبوب والتمر وكثير من الماشية

البكري

ومن مدينة تونس الى قرطاجنة اثنا عشر ميلا وبينها وبين الذي الى قرطاجنة . ديماس عظيم . من داود عليه السلام وبينها وبين ساء قرطاجنة وساء مدينة وهي ثمان وسبعون سنة وهو داخل البحر على يوم عمره وبدير فيها يرى فيه كل يوم مسافن عجيبة لم يرها في مسافن وهي على ساحل بحر يصيب سمكها امواجه وكان تكسير سورها اربعة عشر الف ذ ع وقال ابو جعفر احمد بن ابرهيم (1) قطعت القروي في معاني قرطبة الى موسى بن نصير

(1) جعفر احمد بن ابرهيم بن محمد بن حوقل النصيبي الموصلي الرحالة صاحب كتاب صورة الارض . ولد في نصيبين في اوائل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وتوفي بعد سنة 366 هـ / 976 م . (معجم المؤلفين لكحالة 3 : 282) .

حتى بعث الى افريقية بثلاثة أمداد من خواتم الذهب التي كانت في ايد اشراف من قتل منهم

بفطع اسم الرومانيين من الدنيا . فاعلم ان الله السماء لا ياذن بذلك . ثم ركب المراكب واسرع

اهل روميه على اهل

عصب ووجهه مستدير وصورة الذئب ووجهه عابس . وجده قرضحة بواحتمع هل فريقية على نفقه وستخرج حبيعه ما مكنهم ذلك لكثرته . وفيها قصر يعرف بمنعقه مقرص بعصم واعلو . قد معقودة صنعت كثيرة مصل على السحر في غربيه قصر يعرف بالصابر . وهو الذي فيه د سعب الذكر . وهو كثير الأبواب والتزويج . وهو بعض صنف على كل باب صورة حيوا جده وصنه جميع صناع . وقصر يقال له قرمش .

البكرى

صنعت كثيرة بعصم في سماء جده مقرصة لكبر وبعصم يتربع على اس سارية منها ثم عن حلا وبينهم سفره صغيره وشراب وهي منتصبة كالشخ بيضاء ومهده صفراء بعض بث ... ي وسعة وبعضها سوداء . وبها قوم بعضهم لا يدان يعرف جزء فيه سبعة موجل بعده كما تعرف بموجل سبعين فيها ماء قديم لا يدان منى دخلها . وغرب قصر قرمش سحر قد بعضها فوق بعض مصنع مهيب المدخول . فيه جثث موتى على حالهم بى ليوم فاد مسو للاشو . ودخل مدينة ميناء كانت المراكب تدخلها بشرعها . وهي اليوم ملاحة عليها قصر وربض يعرف بسرج بي سليمان . وفي وسط مدينة صهريج كبير عليه في وقت هذا لف وسبعون حنية قائمة سوى ما تهدم منها . وكان يجري في هذا مصنع ماء محدود من عين حدود بي قرضحة على مسيرة يوم في قطر بعضه تغيب مرة تحت الارض . وتكون في موضع آخر في قطر فوق قدر حتى تسوى السحاب . ومن عين حفرة . كان عبيد الله يشرب الماء ترد عليه منه كل يوم احمال معروفة . وبقرضحة قصران من رخام يعرفان بالاحبين بين فيهما حجر مدور ومحكم بناء . وجده كله مدخول بعضه في بعض ويهدمون لتقصير ماء مجدوب يأتي من قبل مخوف لا يعرف بين منبعه يصب في بحر . وعينه ما غير تقرى قرضحة وبها سور من قبة صنوبر تظهر فوق الارض . منها يعبر ذراع قد عقد عليه قوم من حجر منقوشة . هذا حجر بحسب الذي يتخذ فوق ماء وبها قبة لا يدخلها ترمى بالنشاب من بينهم عدو ... منها مصنع مقروض بالحجارة ... في منها . وجرت قرضحة ماء من وجه ... وبعد ... وقصر ... في بحر . لا يدان يرى ما بعضها ... من ... بحر ... (1) ... بعد . قال ... ولا ... مع ... قرضحة ... في

(1) ... مولود في الاسلام ... فريقية (سنة 75 هـ) . رحل الى بغداد واتصل بابي جعفر المنصور . وقد روى عن سلسلة من الاعلام»

[illegible] وبعض بحائها قد نشر مكتوب عليه بالحميرية [illegible] عبد الله بن الأوش [illegible] بسبب [illegible] صالح وفي رواية حرق متعب [illegible] يعني أن هل هذه القرية ادعوهم إلى الله [illegible] منهم صالح فشفى صالح [illegible] حسنهم الله وفي إسحاق بن عبد الملك الملشوبي [illegible] يدخل [illegible] يشبه بني فلان [illegible] وفي من دخلها [illegible] لا يبلغ حرق عيسى بن مريم عليهما السلام

لادريسي

ومن هذه البحيرة إلى مدينة فرحانة 3 أميال ونصف وهي لأل حرب . وأما بعض منها فقعة مرتفعة يسمى معتقة . يحفها من سور تراب ويسكنها قوم من العرب يعرفون ببني [illegible] ومدينة فرحانة كانت في وقت عمارتها من أحسن بلاد الله وأكثرها . بعد فيها من عجائب [illegible] وصفها بقدره في ذلك . وبها لأن غياض من نخيل [illegible] متصلة بها مثل بساتين [illegible] كبير في مباني لا أعلم قدرة وسطاعة وذلك أن هذه الفيافي هي ماء في سنة وهي نحو من خمسين قوسا قائمة في الهواء . سعة كل قوس منها لا بد من 30 شبرا . وبين كل قوس وحتها سارية . وسعة السارية والعضادتين 14 شبرا ونصف [illegible] على كل من هذه الأقواس قوس على قوس صفة واحدة وبناء واحد من الحجر المنحوت الذي لا يحسنه شيء في الجودة . وعلى كل قوس من هذه القوسي الحجر الذي فوقه صور في الحجر المنحوت على القوسي سقفي نوع من الصور وصروف من التماثيل العجيبة المتقنة في الحجر من صفات الناس والطير والحيوانات والمراكب . وكل ذلك قد نقل بالنحت صنعة وأحدق حكمة وبناء هذه الأقواس لا على أساس لا شيء له . ويقال إن هذا البناء كان معمولا ومحكما في قصص [illegible] من أنبيائه ومن عجائب بناء فرحانة الدوميس (1) التي بلغ عددها 24 دميسا في سطر واحد . وفي كل دميس 130 حفرة في عرض 36 حفرة وفي كل دميس منها [illegible] من علاه

[illegible] في صفات عمله وعمله (ص 96، 116) .

[illegible] (1 96) [illegible] (2 104) [illegible] (1 171) [illegible] (6 173) [illegible] (ص 19) [illegible] (1 440) [illegible] (1 192) [illegible] (1 92) [illegible] (240) [illegible] (5 45، 62) [illegible] الأعلام، ص 436)

1 من [illegible] في مكان [illegible] سمي بحجر بحجارة [illegible] جمع مختلف معاني الكلمة في لسان العرب (1/ 1011)

وبين كل دفوس منها وضاحة تقاب و اقات تصل منها مبدة من بعض الى بعض . كل ذلك بهندسة وحكمة وكل هذه يجري في هذه الدواميس من عين شوق التي هي بقرب تغيروت وهي مسافة حتى هذه من هذه العين في هذه الدواميس الى مدخل وكل حرق هذه من هذه العين في هذه الدواميس على عدة قاطر لا يحصى بها عادة وحرق هذه بوابة معتمة وهذه الدواميس في مسيرة ساعتين فاكثر منها في بعض لا بعض كل قطيرة وهي كلها في بعض لا بعض واحدة بعد واحدة . كل في نهاية العمق وهذه من عجائب شيء يصرخ على وجه الأرض هذه في وقتنا هذا مقصود عن هذه الدواميس لا يصل بها هذه شيء . كل ذلك وجه حرب مدينة قرطاجنة ومع ذلك فيها من يوم خرابها الى الآن يحفر على ما تهدم من قصورها وأعمدة منها فيستخرج منه من يوم وجه ما يحتاج عنه ما يصف وبعد خراب هذه المدينة بمدة سنين خرج من وجه صنم الهة شهر في عرض 7 شبر فعندما عثر في خرابه ذلك

وجدها يحمل في جميع قطر الأرض ولا سبيل في أن يخرج حد منها في مركب أو غيره لا يحمل معه من حجارها شيء لكثيرة حتى شنهم ذلك وقد يوجد منها من عمدة وجه ما يكون محيط دور واحدة منها 40 شبر قد دوره ويحيط بمدينة قرطاجنة وضيعة من الأرض مسيرة يوم فرسخ وصروب العلات وسبع حمات وينقص أرض قرطاجنة من جهة مغرب قبلة مدينة سفاقس . وهذا قسم خلل

باقوت

قرطاجنة . بفتح ثم سكون قاف مهملة وفتح راء وطاء مهملة وفتح نون وضم تاء حد ضبطه وبرهنه بخطه ... قاله من وحي قرطاجنة في الدواميس في كتابه معجم صنعه في بلاد . وجدته بخطه حسن فلا شك في ذلك . بحث حتى عثر في ذلك من يقابلها مثلها من الجدي بيت ملكها من الحمل .

[illegible] وهي على ساحل بحر بينهما وبين تونس ثمانية عشر ميلا وتونس عمرت من جديد وفاحتها وبحجرتها وقد بقي من جدرانها ما يعمر به مدينة أخرى . ولم يكن غيرها من حاضرة ولا قاعدة سابقة . فجلب عمرها إليها من ناحية القيروان . وبينهما مسيرة ثلاثة أيام في حين منحدرة بعضها من بعض . وقد وصل بين تلك البحار بعقود معقودة وعمد مشيدة بالحجارة وجعل مجرى الماء فوق ذلك المعقود والماء لمحكم مجراه هل تلك البلاد يسمونه بالجلب . وهي مؤن كثيرة ومن عجائب هذه المدينة عرف عظيمة شاهقة بها وسط فضاء فسيح مبيد هندسها وعجيبها وذكر أهل السير أن عدد تلك الأعرف التي بحصن بالعساكر الأندلسي بأفريقية فيما قدمها . ثم بالقيروان وقت بناء مدينة بأفريقية شاهقة في بناء مثل قرطاجنة . فلما تم بناؤها وقبل هجرة قليلا شديدة ثم صنع الأمير بعضهم بعضا . ثم عدوا فرجع بعضهم حتى ملكها وهدمها فهرب من بقي من مرتهم . وذلك في سنة 70 هـ وقرطاجنة مدينة أخرى بالأندلس تعرف بقرطاجنة الحمراء خربت أيضا وكانت عملت على مثال قرطاجنة التي بأفريقية .

سوسة

اليعقوبي

سوسه [illegible] صناعة تعمل بها مراكب البحرية وترد[illegible] مراكب وهل سوسه خلاط من الناس .

ابن حوقل

ومن سوسه . فمدينة بين البحيرة والمهدية صيفة فيها حصنة على بحر البحر وبها سو حصين . وفيها معين . وبها مرسى فيه وعمل صالحة . وفي شرقيها دهقان [1] وعليهم ضيافة وهي حدى قرص البحر وبها سوق حسنه وفنادق وحمامات صيفة وهي من الثغور على مرحلة وكانت بها صباغ حمه ووجود من الحنية عزيزة . وعلاب

(1) الدهقان بالكسر والضم (من دهق ودهقن) كلمة فارسية معربة : التاجر . وايضا زعيم اعجمي [illegible] فلاحي العجم . او مقدم قرية او صاحبها بخراسان والعراق .

اذا شئت عيشا [illegible]

[illegible]

نظر تاج العروس 6 250 و 306/9

وفي لسان العرب . التهقن : التكبس 1026/1 وفي وصية آبي حمو : واعلم يا بني انه ينبغي لك ان تكون بقصابا ماهرا حاذقا ضابطا . وقد ترجم كل [illegible] دوزي في ترجمته للإدريسي (glossaire) وصاحب [illegible]

وسعة وبها صنعت كثيرة وبين مهدية وسوسة رباط (1) بمكنة منه من حبس على مر الايام
[illegible] . يعرف بالمستير ويقصده اهل قريته وقت من السنة فيقيمون به ايام معلومات
للكري

ومن القيروان الى سوسة ستة وثلاثون ميلا . قد أحاط بها البحر من ثلاث نواح بالمغرب
والجنوب والشرق وبها صخر مسح حصين منقن البناء يضرب فيه البحر ويدخل الى دورها
من فيها من جهة الشرقية وفي كل مدينة سوسة الذي بين مغرب وقبلة . منها على يعرف
بحي الحنش فيه ثمانية بيوت . جدها ثابت كبير جدا . سوقي قد تعرف بالصناعة
منها يدخل مراكب وتخرج . ومدينة سوسة بينها وبين غرب بقليل بالمغرب [illegible]
قصبة بلاون . قد مرتفعة واسعة معقودة بحجر منتقة بحنيف الذي يصفو على ماء يحتفب
من مراكب قصبته وحوله قرى كثيرة بعضي بعضها الى بعض . وحول مدينة سوسة ثلاثة عشر
بلاون وبين سوسة كلها بالبحر محكم وبسوسة سوق كثيرة . وهي مخصوصة بكثرة
لامعة وشعر ولحم سوسة طيب بنحوه وهي خيصة لاسعار واسواقه . كثيرة بخير

---

(1) الرباط : حصن صغير يأوي جماعة من المحاهدين المتطوعين بالرابطة على قدم الاستعداد لصد كل عدوان على الاراضي الاسلامية وهو في اصطلاح الفقهاء عبارة عن حبس النفس بالجهاد وحراسة الثغور وقد يطلق على المكان الذي يتم فيه هذا الحبس وهو المقصود هنا . وقد اشتهر عن الامام الكري حبه للرباط والمرابطة فكان يقوم في الرباط مرتين متتاليتين على نفسه وحدد وقتهما في شهر رمضان المعظم والمرابطة على ما هو مصطلح عليه في المشرق قد كانت في المغرب على سنتها وقصد الامام سيدي محمد صالح ورباطه بسوسة الذي بناه سنة 1162 هـ بالمكان المعروف بالمكنى الاعظم . وهذه السنة ما حدثت من قوله تعالى في سورة الانفال : واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الآية . وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . تحقيق كميل عواد ص 49 .

(2) الكري شيخ مشهور على الشخصي في وصفه من حيث ان الامير ابا يكن بن ابي عمر الكري والي الرباط يكون من سلالته ومن نزح منه قبله والاصل الثابت المتحدر من جده الاعلى ومن حجر مسكن . ومحل الاسكنة وقد كان بقصبة الرباط محكمة في المغرب حسب ما يسأل به من وجه الاشارة من سنة ثلاث الى اسكندرية قصبة مقصبة وقد يطلق الرباط مستعمل اشتهر فان المعروف هو ان الرباط هو في قرقب شنية . شيده عامر بن هرثمة بن عبد الله سنة 179 هـ (795 م) وقد تضاعف عدد المرابطين في عهد الامير قصبة محوطة على الشخصي وشرفه الاول وبعض المحاهدين يأوون الى الرباط حسبما تقتضي ومن هذا فان عقاب الرباط . وبه بني حنش قصبة مرتفعة في بلاد المغرب شيده على سنة من حبس الشخصي وهو مخزن . وهو في بعض من ناحية معقدة . وأحد بحصن من ناحية محتكرة من الرباط (رجع كتابي « الرباط » و « المحرس في [illegible] Les Ribats et les Mosques) الكتاب وحصنه الكري المرتبة وسلاح . (ص 1 بعض) . ويحتفظ كتب خطية في المغرب في قسمها هذه الصفحات الكتاب منه لابن مرزوق ، النسخة الخطية تحقيق ماريا بيغرا (مخطوط) (ص 282 .) وانظر كذلك : =

وهي قديمة بناء وكان معاوية بن حديج (1) قد بعث اليها عبد الله بن الزبير (2) في جمع كثيف وكان بعضهم من بقية الخوارج بطريق من طريق البر وهم عدد ممكنهم في ثلاثين الف مقاتل فنزلوا بمدينة سوسة فسار عبد الله حتى نزل شرقي عدد بضرمته في البحر . بينه وبين سوسة ثلاثة عشر ميلا فمضى حتى نزل بمدينة نفور . رجع الى مركبه وصدر عن مدينة سوسة . فركب عبد الله بن الزبير في جيشه حتى نزل البحر ونزل على باب مدينة سوسة وحط على فرسه وصلى بالناس صلاة العصر . والروم يتعجبون من امره وقلة كثرته بهم فاحرجوا اليه جمعا منهم كثير من فرسانهم خيلا وركبانا . فرحف اليه وهو مقبل على صلاته لا يروعه ذلك ولا يهوله . حتى قضى صلاته . شد على فرسه فركبه وحمل عليهم فانكشفوا عنه فهزمهم وهم اضعافهم حتى ألجأهم الى مدينتهم وانصرف عنهم . ومدينة سوسة ممتنعة على من نزلها وقد حال على اشده وباس ففي ذلك يقول سهل بن ابراهيم الوراق :

ما تخوف صدها عن سوسة
منها صعوبة شعرها والاقدام
وجلاد اسياف تطاير بينها
في النقع دون المحصنات الهيام

وقال محمد بن بلج السوسي :

الم بسوسة وبغي عليها ... ولكن الاله لنا نصير
مدينة سوسة يعرب ثغر ... تدين لها المدائن والقصور
عقد لعمر تدين بعز عليها ... كما عنت قريضة والنضير
عز لديس حاسق كل شيء ... سوسة بعدما شبت لامور
ولولا سوسة لشهت دواه ... يشيب لهولها طفل صغير
سيبقى ذكر سوسة كل ارض ... ويفنى اهلها بعد الكثير

Doutté, Histoire des Marabout

= Revue des Religions, vol. Rene Basset, les Relais et Berberie, (Melanges, 1925) Marcais Manuel de l'Art Musulman, I 45-46 Lopez Oliver Asin, Origen Arabe de Rabato Arrabdo 1928 مدريد

(1) معاوية حديج بن حمامة بن عمر ، أبو نعيم الكندي . لابن الصحابي ، ولي مصر في عهد معاوية الذي أخذ له بيعة اهل مصر وقد ولي غزو المغرب مرارا . كان حي سنة 50 هـ ، من أهم أعماله ، فتح صقلية وبرقة وقد أعيد في ولاية مصر سنة (17) شذرات الذهب (1 58) ، الاعلام (1 11) ، خلاصة تذهيب (ص 4)

2 عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي أبو بكر ثم فتح في من عثمان (ص) وبويع بالخلافة في سنة 64 هـ =

والطوحين الفارسية ومواجل الماء . وهو حصن عال متقن العمل .

الادريسي

ومن هرقليه الى مدينة سوسة 18 ميلا . وهي مدينة عامرة بالناس كثيرة المتاجر

= ... (2) انظر اعلاه : (ص 210 هامش 1) .

(1) ... (ص 210 هامش 1) ... (ص 202 هامش 7) ... (ص 111 هامش 6) ... (ص 96 هامش 1) ... (ص 169 و 171 و 173) .

مخرج من سوسة إلى القيروان على نحو ثلثي مرحلة تعرف بمدينة القيروان . ومقدره مسافة على جبل هذا الطريق وكان زيادة الله (1) بنى سورها وكان يقول ما بنى ما قدمت عليه زيادة الله غير أبي الأغلب . بناء مسجد الجامع بالقيروان . وبناء القنطرة بالرقادة وفي صحيفتي أبي الحسن . بناء مسجد الجامع بالقيروان . وبناء القنطرة بالرقادة . وبناء حصن مدينة سوسة . فابتنى حمدان بن محرز (2) فضاء قرطبة وجامع مدينة سوسة محاسن واضح ومجامع المصالحين . وإلى جنبها محرس عظيم كمدينة مسوسة منقن يعرف بمحرس رباط . هو مبني للأحبار والصالحين داخله حصن ثاني يسمى القصبة وهو بحذاء المدينة متصل بها . صناعة بسطح الحصن الذي هو في سمته . شرقي . وعلى المدينة غربي المدينة سوسة في سمت عال يرى دونها من البحر ووراءها سورها هيكل عظيم بسمته بمحرس القصص وهو أول ما يرى من البحر إذا قصدوا من صقلية بحرها وهذا الهيكل بعد ذلك بصعد من كل واحد منها إلى علاه . وهو هيكل واسع بين الباب الذي يدخل منه والشباك الذي يخرج منه مسافة صوبية بحيكة سوسة كثيره ويعرف بها غزل يباع زنة المثقال منه بمثقالين من ذهب . وبسوسة تقصر ثياب القيروان الرفيعة . وجباية ساحل القيروان سوسة والمهدية وصفاقس وبونس ثلث ذلك حاصلة . غير الداخل والخارج الذي هو ثلث ذلك . ثلاثون ألف مثقال . ومن محارس سوسة المذكوره . محرس مستير الذي حدثه الأثر متقدم الذكر ويذكر أن الذي بنى هذا العنصر الكبير بمستير . هو هرثمة بن أعين . سنة ثمانين ومائة . وله في يوم عاشر موسم عظيم ومجمع كثير . وبمستير بيوت وبحر وعنصر القديمة وموجل الماء . وهو حصن على منقن العمل

الادريسي

ومن هرقليه إلى مدينة سوسة 18 ميلا . وهي مدينة عامرة بالناس كثيرة التاجر

= ... وكان عاصمة بلاده ... وتوفي بها سنة 73 هـ
أخبار القضاة (4 135 ، وفيات الأعيان (1 210) ، الديباج (7 202)

(1) زيادة الله بن إبراهيم الأغلب ، أبو محمد ، تولى أمره لأخيه في إفريقية ، وهو من قتل ثمانين في سنة 201 هـ ... وكان عرف إفريقية في عهده كثير من الفتن والاضطرابات . فاقتصر فعله بالبلاد التي كانت تعرف بطاعته بحيث لم يبق على طاعته وقتا ما سوى الساحل ولكنه استعاد دفة الأمور وقويت شوكته بحيث جهز أسطولا لغزو صقلية وتمكن على معظمه حصوله ... لأنه ... الكامل (6 111) ، ابن عذارى ، البيان المغرب (1 96) ، ابن خلدون ، العبر (4 197) ، وانظر بعض الفتن في صفحات عديدة من إفريقية لأبي العرب ولا سيما في الصفحات 169 و171 و173) .

(2) انظر أعلاه : (ص 210 هامش 1) .

يسافرون فيها فاصدون وعنها صادرون وهو متاخم للذي يعدم قربه من نوع شبيب ويعدلهم مسوية اليها . وهو من جبال متاخم وشبيسة وبها سوق عامرة وميامهم من الموحل وعليها سور من حجر حصين .

ياقوت

سوسة . بضم أوله . قال بطليموس مدينة سوسة طولها تسع وثلاثون درجة وثمانى عشرة دقيقة . وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة قال ابو سعيد سوسة بلد بالمغرب وهى مدينة عظيمة بها قوم أنهم من لخمة . بضرب الى الصفرة (وبعد مذكر ياقوت كلاما كثيرا فيه خلط بين سوسة والسوس الاقصى ، اضاف

والصحيح ان سوسة مدينة صغيرة على الريف . بينها وبين سفاقس يومان . أكثر أهلها حاكة يسحون الثياب السوسية الرفيعة . وهى واقعة في غيرها . فهو مشبه بها . يكون ثمن الثوب منها في بلد عشرة دنانير وبين سوسة والمهدية ثلاثة ايام قال ظاهر سوسة بلد بالمغرب خرج منها محدثون وفقهاء وادباء . منهم أبو يحيى بن حمد السوسي . يحدث عن عبد الله بن وهب . كذا ذكره ابن يونس وصديقنا الأديب أبو الحسن على بن عبد الجبار بن بريات مستنبط منيع الكلام في النظم والنثر . قدم الشرق وأقام بدمشق مدة ثم قدم الموصل وأقام بها بالمدرسة بسنجار . وهو كيس لطيف حاضر النادرة ولاشعر . انشدنى لنفسه . وكتب لى بخطه

لا تعنفنى شيباً ألم بمفرقى
ان الشيب غبار معترك الصبا

وهي مدينة قد أحاط بها البحر من ثلاث نواحي . من الشمال والجنوب والشرق سور من صخر حصين منيع يضرب فيه البحر . وبها ما يعرف بما حنف الفتى وبها نخيلة يوجد بها الرطب . وهو بنيان عظيم بناه الاول له أبواب مرتفعة واسعة مرتفعة معقودة

(وهذا يقتبس ياقوت حرفيا وصف البكرى الذي اورده اعلاه . دون ان يعزوه الى البكرى في الأندلسي . حتى قوله ومن محاسن سوسة المذكورة المستنير)

وفي شرقي بحمدت على الساحل . مدينة سوسة ومنها فتح المسلمون صقلية وهي حت نصل بع وثلاثون درجة ودقائق . والعرض اثنتان وثلاثون درجة و يعون دقيقة وفي شرقيها بدحة لبحوب . مدينة المهدية

النجاني :

وسوسة مدينة كبيرة على سفح جبل عال وعليها سو منيع من صخر بنهى بحر يه مصب فيه . وبها آثار بلاوى . وليها نسب لثيب الرقيعة سميه ومسافرون بقصدونها من لاوق . وبها جامع لمحصنة حسن كل بدو في ولايه بي العباس محمد بن لاغلب سنة ست وثلثين ومائتين على يد حدمه حداء . وكانت سوسة د ذلك قرية واني بعده ابن اخيه ، ثو وثلثين . وبحصن جامعها لمذكور بيت قد كتب فيه بخط قديم نقشت في الحجر ا ر هيم حمد بن لاغلب فحدد سورها والحقها بمدن وكان تحديده لسورها سنة تسع و عين كلاه لله بيس بمخلوق » . وكتب مثل ذلك أيضا في عمد الجامع . وذلك كله تشبه على مذهب هل سنة وتشيت له بسبب كثرة ما كان بها وبجميع بلاد افريقية في لقديم من مذهب مخرفة عن مذهب لسنى . ثم ما كان بها منها في زمن ملك الروافض لها ثم في زمن تغلب الخوارج عليها .

ومن سوسة بكب أسد بن لفرات عازيا لى صقلية سنة اثنتي عشرة ومائتين . فافتتح كثيرا من معاقلها وتغلب على كثير من مدنها ومات في بعض لدي يبيه . وهو محاصرها

قلو . وبين لروم على سوسة في القديم في ثلاثين الف مقاتل . فمنع ذلك معاوية بن حديج سكوني . وقيل لتجيبي وقيل الكندي قال أبو عمر بن عبد البر ونصف ان شاء لله سكوني . وحطاه لرشاطي وكان معاوية هذا والي على افريقية من قبل عمرو بن لعاص . فبعث عبد لله بن الزبير لى سوسة في جمع كثيف ليحميها . فتوجه عبد الله لى سوسة ونزل خمعه على شرف عال بينه وبينها اثنا عشر ميلا . أو نحوها . فلما علم الروم بوصوله رفؤوا (*) جميع سفنهم لى شاطيء لبحر ومعو لارتحال . فوصل عبد الله بجمعه من بعد حتى ينتهى

(*) في الأصل شيئا . وهو تحريف واضح

ى سير ة بية . ثم ير على فرسه وهو يصلي بالناس بعض صلوات بحاضرة ، فجعل يروم يتعجبون من قدمه ومن قلة كثرته بهم فجمعه جمعا من جندهم فرحفوا به وهو مقبل على صلاته لا يهوله ذلك ، حتى قضى صلاته . ثم ركب فرسه وحمل عليهم فانكشفوا عنه وولوا ذاهم فصعدوا في مراكبهم وقفلوا

وهو ير سوسة معروفة بالامتناع على من رامها . هي بحصون بالناس وبحدة وحسك من متاعهم وتحدهم ان ا يريد ا سكنها وفعل فيهم الافاعيل شيعه من قتل لرجال وسبي لنساء وقطع لأعضاء ونشر للطون . حاصرها وبعث بالمهم لقائم شيعي ووجهوا عمال بي يزيد به . وذلك كله في عام خمس وثلاثين وثلاثمائة . فحصل بها ويزيد نفسه في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وحاصرها حصارا شديدا . وكان من جنده لتحصيل من جند بي يزيد مائة فحاصر بسكر في الحصن بعدد ثلاثة ولا بعة فصاعدا . فكان يقتل سوسة كل يوم . فمرة له ومرة عليه . وهو ير محاصر بها لى ان توفي لقائم في ذلك لعام وولي بعده ابنه اسماعيل ملقب بالمنصور فوجه لى بي يزيد حين كان سنة تحاه عنها

الفلفشندي

سوسه . مدينه على ساحل البحر واقعة في الاقليم الثالث من الاقاليم السبعة . حيث لطول بع وثلاثون درجة وعشر دقائق والعرض ثنتان وثلاثون دقيقة وهي في جنوبي شرقي تونس . وشرقيها في طرف داخل في البحر قدر (لعريري) وهي مدينة بية بها سوق وفنادق وحمامات قال الادريسي (فتلخص من النص المذكور علاه)

وذكر في مسالك الابصار أن عليها سورا من لبن وانها قديمة بعمارة الاستيلاء بعرب عليها

(٥) في الأصل : شيئا . وهو تحريف واضح .

القيـــروان (1)

مدينة القيروان بعضمى بني حنظلة عقبة بن نافع الفهري سنة 60 في خلافة معاوية وشربهم من ماء بئر كان بالشارع ووقعت الأمطار والسيول دخل ماء المطر من الأودية في بئر عظيم يقال لها الجلاء. ومنها شرب السقاة. ومنها ورد يسمى ورد سرويل في قبلة مدينة يأتي فيه ماء ملح لأنه في سباخ. الناس يستعملونه فيما يحتاجون اليه. ومشرب بني الأغلب على ميلين من القيروان في قصور قد بني عليها عدة حيطان ثم ترك مبارها حتى تحول عنها براهم ابن احمد فترك موضع يقال له رقادة (2) على ثمانية أميال من القيروان. وبنى

---

1. جغرافية افريقية لابن سعيد (4 جزاء). ابن ابي دينار القيرواني. المؤنس. محمود مقديش. نزهة الأنظار (جزءان). الحسن بن محمد الوزان. وصف افريقية. ج 3.

Dureau de la Malle. Voyages dans les Regences de Tunis et d'Alger. et ... Shaw. Th. Travels and Observations. Pellissier. Description de la Regence de Tunis. Guerin. Voyage dans la Regence de Tunis. Carbet. Histoire des Berbers. et al. Rae. The Country of the Moors. Basset. René Hotman. Missions en Tripolitaine. Duveyrier. De Slane. Kairawan. Revue Politique et Litteraire. 1883). Bedy. Tunis. Le Kairawan. Le Hedy. Saladin (H). La Mosquee de Sidi Okba. et Kairawan ; Pagault, Tunis et Kairawan ; Penet (P), Kairawan, Tunis.

وانظر نصا ... من عمل. تحفة الحبيب (مخطوط في مكتبة الكشوري) ورقة 398 _ 399

2. عاصمة ... الأغلب ونفع على ميله نحو ستة أميال إلى الجنوب من القيروان. بناها إبراهيم الثاني. ابن الأمير الأغلب في سنة 263 هـ (876 م). وقد استقر إبراهيم برقادة في قصر بديع في فصل الصيف الذي بناه فيها وعاش له فيه حياة فاضحت قادة منذ ذلك الوقت حاضرة من حواضر الدولة وكان يحيط بها من جانب ذلك المقصر قصور أخرى منها قصر البحر. وقصر الصحن. وقصر الغدير كما كان يوجد به مسجد جامع وحمامات وفنادق وأسواق. ... جامع المنجو الذي قيسه دوسلان من بابه الأول الموجود إلى جهته الشرقية بابح ذات اليمين. وبكري. كتاب المغرب. (ص 27) وابن عذاري. البيان المغرب (ص 110 ج 1). وابن الأثير. الكامل (ج 7 ص 215 ، 222 ، 248) وكتاب الاستبصار (مخطوط) ... =

هناك قصر وفي مدينة القيروان خلائط من الناس من قريش ومن سائر العرب من مضر وربيعة وقحطان . وبها أصناف من العجم من أهل خراسان . ومن كان وفد من عمال بني هاشم من بغداد وبها عجم من عجم بغداد من الديلم وغيرهم وشيعة ذلك

٦ ابن حوقل

وكانت القيروان عصمة مدينة بالمغرب وأكثرها تجارة وأموالا وحسنها مبانى وسوقا وكان فيها ذخائر جميع المغرب وبها يحمى موانيها وبها دار سلطانها . وبقصرها يكون بدائع وفرة . وهو مدينة كانت منازل لآل الاغلب .

٧ المقدسي

القيروان مصر لافريقية وهي عصمة جيش لاخير فيه نحوه . فيه جامع حدد تفوقه ونسهل وتحل وتحرر واسعة مع عمة كثيرة وحصن عجيب بحجم خمسة أمثاله . وبسور عشرة لا تسأل عن عين وغريب والأعناب والزيت . وهي فرضة (٢) مغربين ومتحرين بحريين . لا يرى أكثر من مدينة ولا أرفق من أهلها ليس غير حنفي ومالكي ، مع الفة عجيبة . لا شغب بينهم ولا عصبية . لا حرمة لهم على ولاتهم قد قعدوا على مذاهبهم وربع بعلم من فنونهم فهي مفخرة المغرب ومركز تسلطان واحد لايكاد . ففي من يسير وكثير من دمشق وحمص من صنهاجة . لا ترى مذهبهم ضعيف ودينهم ضعيف ولافيه صريف . بناء محروق في موحين . والصنائع موضوعة على صحاب مذاكيين تعيشهم في صنعه وسوقهم معصبة . وبعمهم كالاعمام لرسمة لا تزويج نصبى ولا غي بطريقين بها ماء . تكون أقل من ثلاثة ميال في مشيها وبشربهم من موحين وصهاريج يجتمع فيها ماء مطر وقد اجرى بها معرفة من بحيرة نملا موحين بعدما تدخل قصره بصرة بينهما مد وجزر وموحين بربيت فيها كثيرة يجتمع بموضع يسمى سمساط بكير وسط الاسواق في سرة البلد (وهو) كثير من جامع بن صوين بعمدة لرخام . وسقفه خشب ومرابيه فاخر فيها بالذهب سمساط . باب الصرفين . باب الزهادة ! باب الخصفيين . باب البدنة . باب الصيارفين باب الحجارين . باب سوق الحبس . باب البيضاء . باب الحاصة . باب خمسة عشر باب . باب ربيع ،

= Marçais (G) Manuel de l'Art musulman. I 42-44

دب عبد الله ، دب تونس ، دب أصرم ، دب سلم ، دب سوق الأحد ، دب نافع ، دب الخداعين . .

البكـــري

مدينة القيروان في وسط من الأرض مديدة ، من بحر ملها بحر تونس ، وفي شرق بحر سوسة والمهدية ، وفي قبلته ، بحر استافس وقفصة ، وغربها منها البحر الشرقي ، بينها وبين مسيرة يوم وبينها وبين الجبل ، مسيرة يوم ، وبينها وبين سودة التي المعروف بالساحل ، مسيرة يوم ، وشرقيها سبخة متح عظيم صيب يقطف ، وسائر حدودها رمال ، ضيقة كريمة وحشية بحسب العربي ، وهو المعروف بفحص القيروان ، يغرس فيه في السنة بحصة بحبة مائة ، وهو هذا بحسب طيب صحيح ، وكان يرد من حقوق منتصب ما خرج من القيروان يريد قدة ، وحذي باب صرم رفع العمامة عن رأسه يشير بهوى رأسه متدهي به صحة ، والقيروان من القديم ، سبع محارس ، بعة خارجها ، وثلاثة داخلها ، وكان القيروان في القديم سورها ثلاثة عشر ، ذرع بناه محمد بن الأشعث بن الخزاعي (1) سنة أربع وتسعين ومائة ، وهو وقت دخل فريقية ، وكان في قبلته باب سوى الأربعة ، وهو بين القبلة والمغرب ، وبين القبلة والشرق باب أبي الربيع ، وفي شرقيه باب أبي الربيع ، وفي شرقيه ، باب عبد الله وباب نافع ، وفي جوفيه باب قبلس ، وفي غربيه ، باب صرم ، وباب سلم ، فهدم هذا السور زيادة الله بن إبراهيم المعروف بالكبير سنة تسع ومائتين ، ثم قام عليه أهل القيروان مع المنصور المعروف بالصيدي (2) فبنيا السور على القيروان يوم الأربعاء لنصف من جمادى الأولى من هذه السنة ، وخرج أهل القيروان إلى زيادة الله ، فرعبو

(1) محمد بن الأشعث الخزاعي (ت 149 هـ) ، ولاه المنصور العباسي على مصر في سنة 141 هـ ، ثم ولاه هارون الرشيد لانقاذ افريقية بعد مقتل حبيب ابن عبد الرحمن الفهري ، فوجه اليها جيشا بقيادة أبي الأحوص العجلي ، فهزمه أبو الخطاب الخارجي . فبعث ابن الأشعث على رأس جيش كبير بلغ عدد جنوده بين 40 و 50 ألف مقاتل ، فحارب الخوارج معارك انتصر فيها ابن الأشعث بخدعة حربية وقتل أبا الخطاب في سنة 144هـ ، ودخل القيروان في سنة 146 هـ ، وسنة 148 هـ عين والياً على مصر فولاه وخرجوه من القيروان سنة 149 هـ في الموسم بمكة . (1/ 346) . خططه وولاته (ص 108) . دول الإسلام للذهبي (1/ 18) . بيان المغرب (1/ 72)

(2) سعيد بن صنده حسب نسبه على زيادة الله الأغلبي الأول في سنة 209 هـ . جمع عنه بالقيروان (1/ 406) ، البيان (126/1) ، تراجم أغلبية (ص 521) ، طبقات أبي العرب (ص 155) ، Fournel. Les Berberes (I 482)

في المعمورة ونصفح . هذه سور القيروان عقدها لهم ثمانية المعز بن باديس بن المنصور فصهاجي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وسبع تكسيره ثنان وعشرون ذراعا . وجعل السور مدني صبره . كل فصل حائطان يتصلان الى مدينة صبرة وبمدينة ليوم اربعة عشر بابا . منها مذكورة . وباب سحنون . وباب الحديث وبتفصيل بابا . وباب نظر وباب العلايين وباب ابي الربيع وباب سحنون الفقيه .

ومدينة صبرة . متصلة بالقيروان . بناها اسماعيل . سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وسورها منصور . وهي منزل ولاة الى حين خراجها . فنقل اليها معدن اسماعيل سوق القيروان كلها . وجمع الصناعات وبها خمسة عشر بابا بقبلي . وباب الجرفي وباب روبة . وباب كتامة . وهو حوفي . وباب الفتوح . ومنه كان يخرج الجيوش يذكر انه كان يدخل من احد ابوابها كل يوم ستة عشر ألف درهم . وكان سمط سوق القيروان قبل نقله الى منصورية متصلا من القصبة الى الجوف وطوله من باب ابي الربيع الى مجمع ميلان غير ثلث ومن المجمع الى باب تونس ثلثا ميل . وكان سمطا متصلا فيه جميع المتاجر والصناعات وكان من ترتيبه هكذا هشام بن عبد الملك وجامع مدينة القيروان خمسة عشر محلا للماء سقايات لاهلها منها من بناء هشام بن عبد الملك وغيره وأعظمها شأنا واضخمها منصب . محل ابي ابراهيم احمد بن محمد بن الاغلب (1) . بناه تونس وهو مستدير مشاهي الكبر . في وسطه صومعة مثمنة في اعلاها قصبة برقة مفتحة على اربعة ابواب على أحد عشر رجلا لا خلل بينهم كيلا يصل محط . فإذا امتلأ المحل كان ذلك وسط هذه القصبة بحور عين كان ابن الاغلب يدخل الى هذه القبة في موكب يسمى بالرلاح ويتصل بهذا المحل في قبلية أقداء صويلة معقودة اراحا على بناء وكان بيده الله قد بنى عربي هذا المحل قصر ويحوفي هذا المحل محل لضيف متصل به يسمى المسقيه يقع فيه ماء الوادي اذا جرى يكسر فيه شدة جريان الماء ثم يدخل منه الى المحل الكبير اذا انقع الماء في المسقيه قد قامتين على باب بين المحلين يسمى السرح وهذا المحل عجيب لشأن عربي

(1) أحمد بن محمد بن الاغلب التميمي (220 ـ 249) سابع الامراء الاغالبة ولي الامر بعد عمه . في العباس سنة 242 هـ وكان حسن السيرة في رعيته رفع المكاس محا لمعالم وبنى به سنة من حصون عشرة الاف حصن كما وسع جامع القيروان وجامع تونس وفي عهده فتحت قصريانه في صقلية وقد دامت ولايته 7 سنين وعشرة أشهر سيرته في جذوة (4 201) بكمال ابن الأثير (7 108 ـ 109) . لبيب (1 112) جمهرة انساب العرب (ص 210) خلاصة تاريخ تونس (ص 68) .

سبب وكان عبيد الله يقول إنما بنيت دار إفريقية شبيهة بما رأيته بالمشرق للحفير الذي بسامراء يعني بمحل القصر الذي بمدينة رقادة. المعروف بقصر البحر وفي القيروان بركة ماء يقال لها الحمراء وحوضي مدينة القيروان في بعض أيام العشر من شهر الحجة. وتنتهي سعته إلى خمسين ألف ألف وهم يحتاجون إليه في جميع السنة من شربهم وغير ذلك لا يؤثر في نقصه ولا ينقص منه وهو في وسط مدينة القيروان وأحدثت ولاة بني الأصغر منها والحفير (1) بالقيروان عملها الذي وليت وأتم بناءه أربعة نفر. واشتملت سنة عدد بناء (2) وفي من عدد بناء النبي صلى الله عليه وسلم ومقدار ثلث الزيادة في الحفير كله. ثلثي عشر مد. فصار الحفير القروي مائتي مد وأربعة أمداد بمد النبي. وذلك بكيل قرطبة خمس أقفزة غير ستة أمداد وصف القمح والشعير وسائر المكيلات عندهم. عشرة أرطال فلفلية. والقفير الزيت عندهم ثلاثة أرطال فلفلية.

ومدينة رقادة. وعلى أربعة أميال من القيروان. وبينهما أربعة وعشرون ألف ذراع وأربعون ذراعا وأكثرها بساتين. وليس بإفريقية عدل هواء ولا رائق كسبه ولا أطيب تربة من مدينة رقادة ويذكرون أن من دخلها لم يرى ضاحكا مستبشرا من غير سبب وذكروا أن حمدان الأعلف أبق وشرد عنه فلم يأته يأسا فعالجه بالسحق (3) الذي يتسبب به طريق السحق. فلم يتم له. فأمره بالخروج والمشي فلما وصل إلى موضع رقادة. نام. فسميت عند ذلك رقادة واتخذت دارا ومسكنا وموضع فرجة للملوك والذي سمى مدينة رقادة واتخذها دارا ووطنا. إبراهيم بن أحمد. وانتقل إليها من مدينة القصر القديم. وسمى بها قصرا عجيبا وجامعا. وعمرت بالأسواق والحمامات والفنادق. ولم ترل بعد ذلك دار ملك سمى الأغلب بن سالم هرب عنها زيادة الله من بني عبد الله الشيعة. وسكنها عبيد الله. إلى أن انتقل إلى المهدية.

(1) اختلف كيل القفير باختلاف البلدان الإسلامية وباختلاف العصور. وهو في المتوسط يتراوح بين 3 و 4 هيكتولتر بالمكاييل الحديثة. ولكنه كان يوجد قفيز يحتوي على ما يتراوح بين 440 و 1200 ليتر.

(2) ضرب من المكاييل (وهو غير المد). ويتراوح صاع. وهو قدح النبي (ص) وصاع (ص) وجمع أصناف ومداد ومدد. وشاع عند أهل الحجاز مثلث وكذلك عند الشافعي. وخلاف عند أهل العراق وفي الحنيفة

(3) اسم يهودي من أهل مصر في مرحلة الأولى في مصر ثم هاجر إلى القيروان وسكن بالقيروان وتعلم عمل الفخار في قصر الأغلبة بتونس. بعد سقوط دولة الله. إلى خدمة عبيد الله الفاطمي تولى في سنة 320 هـ (932 م).

وقد ترك عددا من المؤلفات ومن بينها كتاب الحاوي مشترك (Wustenfeld) بعنوان Geschichte der Arabischen Aerzte

(أو تاريخ الطب عند العرب).

سنة ثمان وثلاثمائة وهي ابتداء تأسيس ابراهيم بن سنة ثلاث وستين ومائتين فلما انتقل عنها عبيد الله بن مهدية . دخلها بوهي وانتقل عنها ساكنوها . ولم يزل تخرب شيئا بعد شيء الى ان وفي معدس سنة عشرين . فخرب ما بقي منها وعفا آثارها وحرث مدارها . ولم يبق منها غير بقاياها وما شاهد ابراهيم بن احمد وجعلها داره . مع بيع أسيد بمدينة القيروان وأنحاء مدينة قدة . فقال بعض الشعراء من اهل القيروان

بسيد الناس وابن سيدهم ومن إليه الرقاب منقادة
مما حوى مشرب في مدينته وهو حلال بأرض رقادة

وهذه مدينة القصر بقديم . فان الذي اسسها هو ابراهيم بن الاغلب بن سالم سنة اربع وتسعين ومائة وصارت دار امراء بني الاغلب وهي بقبلي مدينة القيروان وعلى ثلاثة اميال منها بها جامع له صومعة مستديرة مبنية بالآجر والعمد سبع صفات . ما بين أحكم منها ولا احسن منظرا [وفيها] حمامات كثيرة وفنادق وأسواق حسنة ومراحل بعداء واد قمحصت القيروان وفقد الماء في موسمه . فيأتي الماء من مدينة القصر . وكان بها من الابواب ، باب برحمة . قبلي وباب الحديد . قبلي . وباب عمون . شرقي . وباب ريح . شرقي . وباب سعدة . غربي . بقابل القبرة بكثيرة . ودخل مدينة رحبة كثيرة وسعة تعرف بالميدان ويحور مدينة القصر سبة تعرف بالرصافة . وبأني بر هيم مدينة القصر وانتقل اليها خرب دار الامارة التي كانت بالقيروان بقبلي الجامع .

الادريسي

ومدينة القيروان هي أمصر وقاعدة اقطر . وكانت أعظم مدن المغرب قطرا وأكثرها بشرا وأيسرها مولا وأوسعها حوالا وانقاها ماء وأنقاها هواء وأرحبها ذرعا وأكثرها حبابا وأعمقها سعة وبعدها ريحا وجهرهم عصبيا واضعفهم غيرا وانعتهم على فضلائهم بتمسك بالخير وبغضاء بالمنكر وتحامي عن الشبهات واجتناب للحرام وتنفس في مجالس العلوم وتميل الى الخصب . فبسط الله سبحانه عليها المغرب وتوسط الحوائج عليهم حتى لم يبق منها الا اطلال دارسة وآثار طامسة وهي الآن في وقتنا هذا . على حزء منها من التراب . وولاة أمورها المغرب وهم يقتصرون ما يتوفر من جبايتها . وبها اقوام قليلون تحاتهم بسيرة ومنافعها يسيرة . وفيما يذكر اهل العصر بها عمارة ستعود الى ما كانت عليه من العمارة وغير ذلك ومياهها عذبة وشرب اهلها من ماء الساحل الكبير الذي بها وهذا الساحل من عجيب الماء . لانه مبني على ترتيب

وفي وسطه بناء قائم كالصومعة وفي كل وجه منه مائة ذراع وهو كله مملوء ماء والقيروان كانت مدينتين، احداهما القيروان. والثانية عسكرة وعسكره كانت دار الملك وكان فيها أيام عمارتها ثلاثمائة حمام. واكثرها بلدية وبافيها مقر للناس كافة وعسكره الان في وقتنا هذا خراب ليس به ساكن وعلى اميال منها قصور عديدة شاهقة البناء الحسنة البناء الكثيرة المساكن والشجر وبها كانت الاعاجم ترجع في أيام دولتها وزمان بهجتها وهي الآن خراب لا ينتظر خرابها ولا يعود خرابها. ومن مدينة القيروان الى مدينة تونس مرحلتان

باقـــوت

القيروان قال الازهري معرب، وهو بالفارسية كاروان وقد تكلمت به العرب قديما قال امرؤ القيس

وغـــارة ذات قـــيـــــروان كـــأن أســـرابـــهـــا الـــرعـــــال

والقيروان في الاقليم الثالث. طولها احدى وثلاثون درجة وعرضها ثلاثون درجة وبعض دقيقة وهذه مدينة عظيمة بافريقية عمرت دهرا. وليس بالمغرب اجل منها. لما ان فتحت العرب من افريقية وخربت بلاد. فانتقل أهلها عنها. فليس بها اليوم الا ضعفاء لا يصلح فيه وهي مدينة مصرت في الاسلام في ايام معاوية. رضي الله عنه وكان من حديث تمصيرها على ما ذكره جماعة كثيرة من أهل السير قالوا غزا معاوية بن ابي سفيان معاوية بن حديج الكندي عن افريقية واقتصر به على ولاية مصر. وولى افريقية عقبة بن نافع (1) بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن مية بن عدائش بن ضرب بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وكان مولده في ايام النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن الكندي. هو عبد الرحمن بن عدي بن نافع بن قيس القرشي. سنة 48ه وكان مقيما بتوجي برقة ورويفه منذ ولاية عمرو بن العاص له. فجمع به من سلم من جرير وجمعهم

(1) عقبة بن نافع بن عبد قيس الأموي الفهري. من أعظم قواد الاسلام في عصره وأحد عساكر بني أمية وجه معاوية عمرو بن العاص إلى برقة في سنة 42 هـ لغزو بلاد المغرب فدخل في طاعته. ثم ولاه معاوية على هذه البلاد في سنة 50 هـ فعزل عقبة. ثم استعمله يزيد بن معاوية على إفريقية في سنة 62 هـ ومن هذه القاعدة انطلق لفتح كثير من المدن والحصون في الجنوب والغرب وقد قتل في معركة مع جيش بقيادة كسيلة في تهوده بسكرة في سنة 63 هـ (683 م) ودفن هناك كما يقال. (ابن الأثير 4 (19)). الحلل السندسية (1 (76)). الاستبصار (1 (36)). البيان المغرب (1 (19)). تاريخ ابن خلدون (3 (469 ـ 467).

ى جيش ورد من قبل معويه وكان جيش معويه عشره الاف . وسار الى قريقية وباب مدينها ففتحها عنوة ووضع السيف في اهلها وسلم على يده خلق كثير من البربر ودخل فيهم دين الله حتى تصل بلاد السودان . فجمع غنمة جيشه وقال ان هذه البلاد قوم لا اخلاق لهم قد عصيهم سيف سلمو . وقد رجع المسلمين من ظهرهم بعد ان قتلوا من عدوهم وسبيهم . فسار الى البربر المسلمين من ظهرهم بعد ان قتلوا من اهل هذه مدينة يسكنها مسلمون فسطوا به فحوا . الى القيروان . وهي في طرف البر وهي خمة عصيمة لا تشتهيها الحيات من كثرة شجرها وقال انما اخترت هذا الموضع بعيدا من البحر لئلا يطرقها مراكب الروم . فتهلكها . وهي في وسط بلاد ثم أمر أصحابه بالبناء فقالوا هذه غياض كثيرة السباع والهوام . فحلف على نفسه هذا . وكان عنده مستجاب الدعوة . فجمع من كان في عسكره من الصحابة وكانوا ثمانية عشر رجلا فيهم الحشرت وسبع بحر صحابة رسول الله . فرجعوا عنه . فلما رأى قلة من وحدوه بعد قتله فقال لهم يومئذ اى امرهش كل السبع يحمل شبله . والذئب يحمل أخوه وانثى تحمل ولادها . وهم حاجون البر بر . فحمل ذلك كثيرا من البربر على الاسلام . ثم احتفر هذا الاساس . واحتفر حوله وقامه بعد ذلك اربعين عاما لا يرون فيها حية ولا عقرب . واحتفر جامعها فتحير في قبلته فبقي مهموما فنام ليلة فسمع قائلا يقول في عند دخل الجامع . فانك ستسمع تكبير فاتبعه في موضع قطع الصوت . فهناك القبلة التي صيبه الله للمسلمين فهذه الاصل فلما صبح سمع الصوت ووضع القبلة واقتدى بها قبلة المساجد وعمر اساس مدينة فاستقامت في سنة 55 للهجرة وقد ذكرت قبلة خبر عقبة ومقتله في كتابي المسمى بالمسالك والممالك . وكان مقتله في سنة 63 ، بعد ان فتح جميع بلاد المغرب .

ويسند الى القيروان محمد بن ابي بكر عتيق القيروني المتكلم الشعري المعروف بابي بكر بن الطيب الاصول القيروان على ابي عبد الله الحسين بن خلف الاذدي . صاحب القاضي ابي بكر الباقلاني (1) وعلى غيره . وكان يذكر انه سمع عن أبي عبد الله القضاعي

---

(1) محمد بن الطيب بن محمد ، أبوبكر ، القاضي الباقلاني ولد في سنة 338 هـ وكان على رأس علماء مذهب الاشعري وقد ترجمه ابن عساكر وذكره بقوله : «محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر القاضي المعروف بالباقلاني المتكلم على مذهب الاشعري من اهل البصرة سكن بغداد وسمع بها الحديث من أبي بكر بن مالك سنة 375 هـ وأبي محمد بن ماس 369 هـ وأبي أحمد الحسن بن علي السيرافي 379 هـ» وكان قوي الحجة دقيق الاشارة وقد وجهه عضد الدولة سفيرا الى ملك الروم . فحرب به ابن عمه بصريه في قسطنطينية

مصر فرعيه نصر الله بن محمد مصور . وكان يقرئ الكلام في المظميه بغداد وأقام بالعراق بن سنوات ، وكان صلبا في الاعتقاد ومات في بغداد في ثامن عشر ذي الحجة سنة 512 هـ ، ودفن مع ابي الحسن الاشعرى ، خارج الكرخ .

القـزوينـي

القيروان مدينة عظيمة بافريقية مصرت في ايام معاوية وذلك انه لما توفى عقبة بن نافع الفهرى افريقية ذهب اليها وفتحها واسلم على يده خلق كثير من البربر . فجمع عقبة اصحابه وقال لهم افريقية قوم اذا عضهم السيف سلموا . وقد رجع المسلمون عنهم عدة مرات وبنوا لهم مدينة يسكنها المسلمون

فحدثوا ان موضع القيروان وهي أجمة عظيمة وعيصة لا تنفذ الحيات من تشابك شجرها ، فقالوا : هذه عيصة كثيرة السباع والهوام . وكان عقبة مستجاب الدعوة ، فجمع من كان في عسكره من الصحابة . وكانوا ثمانية عشر رجلا ونادى اينتم سبع وتحشرت ، يا صحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رحلوا عنا . فقد نازلونا فمن وجدناه بعد ثلاثة ! فرأى الناس ذلك اليوم عجبا لم يروه قبل ذلك وكان السبع يحمل شبله والحنش جراءه . والحية أولادها . وهي جماعة سرب سرب . فحمل ذلك كثير من البربر على اعتناق الاسلام ثم بنى المدينة فاستقامت في سنة خمس وخمسين ذكر الجبهاني ان القيروان اسطوخيس لا يدري جوهرهما ما هو . وهما تتفتحان مذ كل يوم جمعة قبل طلوع الشمس وموضع العجب كونه يوم الجمعة وقد قيل ان منبت الزهر صنوبر شمس تابع . فقال اهل القيروان . لا تخرج العجوبة من الاعاجيب من بيت الله الى بيت المقدس

ه مصطرب محصر مثلث مضارع يوفى في بعد سنة 403 هـ وقد حقق كثير من الكتب من أهمها » كشف أسرار الباطنية » « نقض التحصيل » « الاستقصاء » رجع سيرته في مصادر الآتية 4 239 ـ 270 ا قضاء (السبكي (ص 37 ـ 40) في طبقات (3 177) . شذرات الذهب (ص 267) . معجم المطبوعات (1 1349 ـ 349 1 211) ن عساكر كتاب تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام ابن الحسن الاشعري (طبعة دمشق 1347 هـ) (ص 221) والمدخل له حلال محمد عبد الحميد موسى نشأة الأشعرية وتطورها (طبعة دار الكتاب بيروت ، 1975 (ص 317) وما يليها

ابن سعيد

وبقع مدينة القيروان في جنوبي هذا الجبل (جبل وسلات) حيث طول ثلاث وثلاثين درجة وعرض احدى وثلاثين درجة وهي في الصحراء تصبح بجبل المغرب. وكانت قاعدة افريقية أول الاسلام وهي الآن تابعة لتونس ويتصل بجبل وسلات جبل يسكنه صنف من رعايا البربر.

أبو الفدا

ومدينة القيروان محدثة بنيت في صدر الاسلام. وهي جنوبي الجبل. والجبل في شمالها وهي في الصحراء تصبح بجبال المغرب وكانت قاعدة افريقية في صدر الاسلام. وهي الآن تابعة لتونس وشرب أهلها من آبار وليس بها ماء جار. وهي في بادية قال العزيزي ومدينة القيروان أجل مدن المغرب وكان عليها سور عظيم فهدمه يزيد الله بن الاغلب مدار عمرو بن محمد (1) وشرب أهلها [يقصد] من ماء المطر. يجتمع لهم من الشتاء في برك عظام تسمى المواجل وهم ولد في قبلة مدينة يأتي فيه ماء ملح يستعمله الناس فيما يحتاجون اليه.

القلقشندي

ثم صارت قاعدتها (افريقية) القيروان. بفتح القاف وسكون اللام بعدها تحت وفتح الراء وسكون الشدة تحت وفتح الواو بعدها همزة وواو ونون في آخرها هذه وهي مدينة من الاقليم الثالث بقصد. حيث طول ثمان وعشرون درجة واحدى وثلاثين دقيقة. بنيت في صدر الاسلام بعد فتح افريقية. في جنوبي جبل (بقع) شمالها وهي في الصحراء وشرب أهلها من ماء آبار وقال في العزيزي من ماء المطر. وليس لها ماء جار وهو ولد في قبلة المدينة. به ماء ملح

(1) في الأصل عمر بن محمد والأصح ما أثبتناه وهو عمرو بن محمد بن العباس بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمي ولاه هارون الرشيد على إفريقية سنة 194 هـ فجمع جموعه من العرب والجند وخرج من القيروان وقصد طرابلس فحاصرها ثم دخلها في شهر رمضان سنة 196 هـ وولاه الرشيد على إفريقية سنة 201 هـ ورجع إلى القيروان وبنى بها قصر السلام (Fournel, Les Berbers, I, 332 ; 1, 459) وبنى بغداد قصر الخلد (ابن عذاري، ص 160 ؛ 6 ، 230 ـ 236 ، 331 ، 332).

يستعمله الناس فيما يحتاجونه. قال العربي وهي أجل مدن المغرب (يعني في تقديمه) وكان عليها سور هندمه زيادة الله بن الأغلب قال الادريسي وبينها وبين سبيطلة ستون ميلا

الزهري

وكانت كانت تصنع في هذه المدينة أعظم ثياب تصنع في جميع الأندلس. وهي مدينة تيرون. وهي أجل مدينة عمرت في الأرض وذكرت في الأمم وبينها وبين حمص خمسمائة وستة وستون ميلا. وكانت هذه المدينة من أجل بلاد الله أرضا وأكثرها فواكه وزروعا. وكانت تضاهي مدينة بعلبك في الحسن والجمال. وكان فيها من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء مثل ما كان في بلاد البصرة. وكان جريها على يد نهر يمر إليها في مدة يزيد على عشرة أميال من مرون (كذا) وذلك أنه لما انتقلت الخلافة من بني أمية إلى بني العباس وانحرف الأمر. استولت العرب على مدينة قرطبة ولم يبق منها إلا ما كان على ساحل البحر ونبيت تيرون حربه السين حتى سكن الأمر وعمر منها شيء قليل حتى الخلافة المهدية استفتح أمير المؤمنين أبو محمد علي بن عبد المؤمن بلاد قرطبة بعد ما كان الروم قد غلبت على بعضها فغلبهم عليه. فهي اليوم معمورة عمارة يسيرة

المهديـــة (1)

ابن حـوقـل

ومهدية مدينة صغيرة استحدثها مهدي الخليفة بالمغرب . وسماها بهذا الاسم . وهي في بحر لبحر وتحول اليها من مدينة القيروان . في سنة ثمان وثلاثمائة وهي من القيروان على مرحلتين . في فرصة بحر وإلاها من بلاد كثيرة نحو ثلاثة حسنة سور وعمارة منيعة وبها سور من حجارة وله بابان ليس لهما فيما رأيته من الارض شبيه ولا نظير غير بابين لبدين على سور الرافقة . وعلى مثلهما عملا ومثل شكلهما نحو اثنا كثيرة القصور بصفة منازل وقصور . حسنة الحمامات وبها بيوت حسنة وفيها الفواكه والبقولات طيبة تدخل برمة الحاج بهية سطر ذكرتها سنة ست وثلاثين (وثلاثمائة) ومولاها كعدة وجيوشها عدة وبحرها طوع وقد حفرت حولها وابتنت عليها وبنيت عليها حائط . يتصل مولاها عليها وبعدها منها وكان أول تحصينها . أعني بها محمد بن كيداد وخروجه بالمغرب على أهله . وشاهد المناحس عليها الى الآن . وقد بقي بها بعض رمق .

وبنى عليها حائطا يتصل المنصور عليه السلام عليها وبعده عليها وسكنه منصورية من صهر القيروان . وبنى بها دورها من أي . يا محمد بن كيداد وقصوره بحائطه عليه وصور

(1) [illegible]

ه أصرد به عند خروجه للمغرب في أحراب الكفر ونفاق والأمصية وسكرية المرتق فإنه
ت به يحال عند مجيئه لما سبق به القدر فتقدم به عضده بن أن سعى على المغرب
جمعه وحضر المهدية وضيق على أهلها وهو سنة عشرين . حتى دب الله تعالى بموته
هم في غاية الثقة بالنصارى وشروطهم . فحاله فجور وسيئة سرور وحرج به ملان .
مر المؤمنين محمد بن الله صلى الله عليه وسلم . في فله شعاع الإيمان وعدله من الله الظفر
والإحسان وعدو الله في عدد لا يحصى وأمه ذب الله فيها بالنبي يعرس كرجع الصرف
لرجهم عن مستقرهم وصباحهم وبأس سيف في عصبهم وبهرهم بالمعين وقد غلبت
سرف فثبت بطنب من الأرض بعد وقبها من سوء ما قترفوه بعد . فمنهم من يغيرون
عرو وبرده كمنهم وقد وصل بنيهم في مرحله واحده . فمنهم الأصيل وحرقه به الأوبئ
وقام وسبل محمد بن الله عليه . فمن عد حربي يغيرون في دين الله
سعادة وعاب فيه طير النصر والسلامة فيمن بروه وبرث بحديه . فيحقه الله ما وعده وبعده
ما فيه . فهم أن يريد عن مكنه ومكن الله من حربه وأعده . فمن على هل يغيرون بعده
ويعقرون ويبيع ما يريد . فكان بينهم مبغض شرحه وتقاعد سؤه بني بن حدة وجمع بني
عسكر منصور ومكان مذكور . فحط أحمد الله في سرح مد وتنقل به وستوطنه وقام
ه وستحسنه صلوات الله عليه يوم الثلاثاء سنة خمس من ثمان سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة

البكـري

مدينة مهدية . مدينة بنى عبيد الله المهدي الذي ملك على ما ذكرناه في تاريخ ملوكهم وسمى
بالمهدية سنة ثلاث وثلاثين ومائتين قبل خروج المغرب كما . ثم خرج منها فاتي المهدية وضربها
حتى خرج من المغرب إلى مدينة سبيبة على مرحلة من المهدية وهي مدينة كبيرة
فيها جامع وأسواق وفنادق وحمام . وبها غرف في مسجدها كبير وبها حمامات كثيرة
مسجد غياث وبين مدينة سبيبة والمهدية ماء يقال له وادي مسيلة بين
في بابه في الشمال قبلها من الجنوب إلى الشمال عند لا يحصى . فترفعه إلى الشمال
فيمر كذلك يحفر ثم يحفر حتى يأتي جهتها ثم يدخل بها إلى
يحفر يعني فيه نصل لنبع يعرف بعين مسيلة لأسواق ومحلات ومساكن . فيها
على نصل يعرف بالنبع يحفر فيه بحفر فيه بحفر فيه . فيصبح بتصبب ويتبع
ويسعه فيه من سعة قدره وجميع مياه بشجر فيسقيها ما حتى لا تحتاج فيها .

كل باب على قصر، طوله ثلاثون شبرا في كل مسمار من مسامير هذه الباب وفي سائر صور الحيوان وفي المهدية من المواجل العظام ثلاثمائة وستون غير ما يجري اليها من خارجه التي فيها وباء يجري بالمهدية حسبه عبيد الله من قرية مدلس. وهي على مصرية من المهدية في القدس ويصب في صهريج داخل مهدية. عند جامعها. ويرفع من الصهريج الى قصر بالدوليب ويصب في مجلس يجري منه في تلك القناة وهي مرفوعة لاسكندرية والشام والاندلس وصقلية وغيرها. ومرساها مغلق في حجر صلد بسبع ثلاثين مركبا على طرفي مرسى يرجل بينهما سلسلة من حديد وقد يبدأ داخل سقيفة فيها خمس حراس برجلين أحد طرفي السلسلة حتى تدخل السقيفة ثم يمدها كما كانت بعد ذلك ثلاثا يصرفها مركب بروم وعرض مدخل الى المهدية من القبلة الى الجوف قد علوه. وده عبيد الله من البحر مثل ذلك وأدخله في المهدية فتسع الموضع وفيه ستة عشر برجا نحاسية منها في السور الاول وثمانية في زيادته. منها برج بني اوريل النحوي وبرج عثمان وبرج عيسى وبرج الدهان. سميت اليهم بعرف مساكنهم منها. وبجامع وقد محاسنة فما زاده من البحر وغير ذلك من المنازل والجامع سبعة بلاطات متقن بناء حسنه وقصر عبيد الله كبير سري بناه عربي. وقصر به القائم بناه شرقي بينهما ساحة فسيحة. ودار الصناعة شرقي قصر عبيد الله تسع اكثر من مائتي مركب وفيها قبور كبيرة طويلة لآلات المراكب وعددها ثلاثون لها شمس ولا مطر. وكان سبب بنيان عبيد الله المهدية. قيام أبي عبد الله وجماعة كتامة عليه وما حاولوه من خلعه وقتل هل القيروان جل كتامة فكان ابتداؤه بالنظر فيها سنة ثلاثمائة وكمل سورها سنة خمس وانتقل اليها سنة ثمان في شوال وكان بها رجال كثيرة فيها عامرة. فرفع بها قصر وبنى به. فيه الاسواق والحمامات ورتب لجميع كل مسكن لا حدد فريقه من العرب والبربر ولم ترد الملك بها بل كان ولي الامر اسماعيل بن القائم سنة تسع وثلاثمائة. فبنى بالقيروان محلا لاي يزيد وتخذ مدينة صبيرة وسنوضحها بعد هذا بعد وخرب كثيرا من المهدية وتهدمت.

الادريسي

[illegible] المهدية مرحلتان فيها [illegible] من قبل ملك [illegible] والمهدية مدينة [illegible] ذات حصن وفلاح يسكن بحضرتها [illegible] من بلاد [illegible] والاندلس بلاد الروم وغيرهم من بلاد [illegible] فيها بحسب [illegible] كثيرة [illegible]

على مر الأيام. وقد قيل ذلك في وقت هذا. فمدينة المهدية كانت مرسى وفرضة للقيروان وتسمّيها المهدي عبيد الله وسمّاها بهذا الاسم لأن البحر يدخل من سفاقس إلى هذه القيروان. ثم تدخل إليها من مدينة قابس. ومدينة المهدية من مدينة القيروان على مرحلتين وكانت قبل سنة تسعمائة يسافر إليها كثير والمصانع إليها محمولة من سائر البلاد والأقطار. ولها منعة بالبحر بها دافئة وفيها دانية. وبها على أهلها موفورة وإليها رجعة. ولها حسن مكان لصيقه. بقصبة مدارك ومسوغات وديار حسنة وحمامات حسنة. وبها حانات كثيرة. وهي في دانية حسنة بالدخل والخروج. بهية المنظر. وأهلها حسان الوجوه نظيف الثياب. ويعمل بها من الثياب الحسنة الدقيقة الجيدة المنسوبة إليها ما يحمل ويتجهز به التجار إلى جميع الآفاق في كل وقت وحين. ما ليس يقدر على عمل مثله في غيرها من البلاد والأمصار. لجودته وحسنه وغرابته عندهم من الوجوه. وأسعارها غير عالية. ويحيط بالمهدية سور حسن مبني من الحجارة. وعليه أبواب من حديد تغلق بعضه على بعض من غير حنايا وليس يدري في معمور الأرض مثلها حصانة ورشاقة. وهم من عجائبها الموصوفة. وليس بها حانات ولا بساتين ولا بحيرة. ولا يجلب إليها شيء من الفواكه من قصور المستير وبينهما في البحر ميلان. والمستير قصور ثلاثة يسكنها قوم متعبدون لا تصرفهم الأعراب في شيء. وبهذا المكان. على المستير. يدفن أهل المدينة موتاهم. يحملونهم في زوارق إليه فيدفنونهم به ثم يعودون إلى بلدهم. وليس بالمهدية عين تعرف في وقتنا هذا. والمهدية في حين تأليف هذا الكتاب. مدينتان. إحداهما مدينة المهدية. والثانية مدينة زويلة. ومدينة المهدية يسكنها الخواص وحشمهم. وبها قصره الحسن البناء العجيب الاتقان والاتقاء. وكان بها. قبل أن يفتحها سنة بعضهم حوالي سنة 543. صيفي لذيذ. وكانت لم يفتح ملوكها. واستضحت المهدية. وسطابها يومئذ الحسن (1) بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بلقين بن زيري الصنهاجي.

ومدينة زويلة لأسواق الحمية وسائر الحسنة وشوارع واسعة ولائقة فسيحة. وبها البحر ميسير بالماء دوني الدهن نقية وفيها ذكية. وحول بساتينها بياض. وبها همم في نفوسهم ومكاسبهم. وفيهم الجمال وبهم معرفة زائدة في التجارات. وضرائبهم جسيمة في المعاملات

وبقي هنا حتى وفاته

(1) ج ... 61 ... 308 ... الأعلام ص 33) تحقيق علي ذوه بني حماد في عدة أماكن

وهذه مدينة أسوار عالية حصينة جدا تضيف بها من سائر جهاتها ونواحيها البرية والبحرية وجميعها مبني بالحجر وفيها قادق كثيرة وحمامات حمة وهذه المدينة من جهة البر . خندق كبير تستقيه مياه السماء ويحاصرها من جهة غربيها جبل . كان في وجوب العرب إلى فريقية وقصدهم لها . فيه جنات وبساتين بسائر أنواع الفاكهة الطيبة وهو يفي الأمر منها بجميع ما يحتاج إليه من شيء وعلى مقربة من هذه المدينة . قرى كثيرة ومدن وقصور يسكنها قوم من البربر كثيرة وبها وحوش واغنام وبقر وإبل كثيرة في الفلح والشعير وهو يتولد كثير بعنصر منه زيت طيب عجيب يعم سائر بلاد إفريقية ويتجهز به إلى سائر بلاد المشرق وبين هاتين المدينتين ، أعني المهدية وزويلة ، فضاء كبير يسمى الرملة . مقداره أشف من رمية سهم والمهدية قاعدة بلاد إفريقية وقصبة مملكتها .

باقـوت

المهديه . في موضعين أحداهما بإفريقية والأخرى اختصه عبد المؤمن بن علي قرب سلا دار المهديه . فعلى اشتقاقه عندي أربعة أوجه أحدهما أن يكون من مهدي فتح ميمه . ويعني أنه هو مهتد في نفسه ، لأنه هداه غيره وهو كان دليلا لكل مهتدي . ضم الميم كقولك لمرمي ومكرمي وهو كان يفعل ذلك بغيره فصمت ميم وليس الضم والفتح للتعدية وغير متعديه وقد الأصمعي يقال هداه يهديه في الدين هدى وهداه يهديه هداية ، أدله على طريق وهديت العروس وهديتها هدى وهديت هداية هداه وهديت هدي هداني لأحسن طلاق ، ولاهن ، كما يرد ، ثلاثي متعد ، فلا يفتقر إلى زيادة الف .

(ويعني باقوت في هذا التحليل اللغوي الذي لا صلة له بالموضوع . ثم يعود إلى المهدية) .

وهذه مدينة بإفريقية ، منسوبة إلى المهدي وبينها وبين القيروان مرحلتان ، والقيروان في جنوبيها وقد اختطها المهدي واختط في سنة (1) فأكثر من اسمه المدين ، ويدخله في تعريفه .

(1) عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق ، مؤسس دولة الفاطميين في المغرب ، يسود اختلاف [illegible]

وبعض عيبهم الذين كانوا يحضرون مجلسه يزعمون أنه كان من يهودي من أهل سلمية يقال له زكروية القداح لذي كان أصل هذه الدعوة ثم قويه إلى أن حضرته الوفاة فلم يكن له ولد فعهد إليه وعلمه الدعوة وكان اسمه سعيدا . فلما صار الأمر إليه سمي عبيد الله

وقال قوم وهم قليلون : انه ولد القداح نفسه ، في قصص طويلة .

وقال من صحح نسبه انه احمد بن اسماعيل الثاني بن محمد بن اسماعيل الاكبر بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب فلما ملكها وقام بالقيروان مدة ثم خط المهدية وهي على ساحل بحر الروم دخله فيه ككف على يد . عليه سور عال محكم كاعظم ما يكون يمشي فيه فارسان عليه باب من حديد مصمت مصراع واحد تاق المهدي في عمله .

وقال بعض أهل المعرفة بأخبارهم : في سنة 300 هـ خرج المهدي بنفسه إلى تونس ترتاد لنفسه موضعا يبني فيه مدينة حوف من خارج يخرج عليه . وأرد موضع حصين حتى ظفر بموضع المهدية وهي جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند . فتأملته . فوجد فيها راهبا في مغارة فقال له : هل يعرف هذا الموضع ؟ فقال : هذا يسمى جزيرة الجعفر . فأعجبه هذا الاسم فتفاءل وجعلها دار مملكته وحصنها بالسور المحكم والأبواب الحديد المصمت وجعل في كل مصراع من الأبواب مائة قنطار . وهذه الأبواب باربعة مصاريع . لكل باب منها ذهبيريسع خمسمائة فارس . وكان شروعه في تحصينها بخمس خلون من ذي القعدة سنة 303 وقال أبو عبيد البكري كان شروعه فيها سنة 300 . وكمل سورها سنة خمس . وانتقل اليها في سنة ثمان في شوال ولم تزل دار مملكة هم إلى أن ولي الأمر اسماعيل بن أبي القاسم في سنة 440 هـ . فسار إلى القيروان محاربا لأبي يزيد واتخذ مدينة صبره واستوطنها بعد أبيه معد وعمل فيها مصانع واختفر آبارا وبنى فيها قصورا عاليه .

= [illegible] توفي سنة 322 هـ (934 م) [illegible] 90.8 [illegible] 114 [illegible] 117.3 [illegible] 120 [illegible] 118.1 [illegible] وكل هذه دعوى مفتعلة ، لان محمد بن اسماعيل بن جعفر لم يكن له ولد اسمه الحسين وهذا كذب فاحش» (ص 60 ـ 61)

(ويمضي ياقوت فيقتبس من وصف البكري الذي وردناه علاه . حتى قوله : ثم يعدونها كما كانت تحبيسا لها)

وما فرع من احكام ذلك . قال اليوم أمنت على الفاطميات يعني بناته . وارتحل اليها وقام بها . ثم عمر فيها الدكاكين ورتب فيها رباب المهن . كل طائفة في سوق . فقلدو اليها مواليهم فيما استقدم ذكره . أمر بعمارة مدينة اخرى الى جانب المهدية . وجعل بين المدينتين فدافيل ميدان وأفردها بسور وابواب وحفصه وسماها زويله واسكن بها أرباب الدكاكين من سوريين وعبرهم فيها بحرمهم واهاليهم . وقال انما فعلت ذلك لأمن عائلتهم . وذلك ان مواليهم وأهاليهم هناك . فان الاعادي يكيدون بهم بزويله كانت مواليهم عندي فلا يمكنهم ذلك وان الاعادي يكيدون في المهدية حافوا على حرمهم هناك وسبب بنيي وبينهم سورا وابوابا . فأنا آمن منهم ليلا ونهارا . لاني افرق بينهم وبين امواليهم ليلا . وبينهم وبين حرمهم نهارا . وشرب أهلها من الآبار والصهاريج ومهما ذكرت من حصانتها . فان حوصر ملوكها تناقصت حتى أفضى الأمر إلى أن أنقذ رجار صاحب صقلية جرجي بن توما في سنة 543هـ ، فأخلاها الجند بيد الافرنج ثنتي عشرة سنة حتى قدم عبد المؤمن في سنة 555 هـ إلى افريقية ، فأخذ المهدية في اسرع وقت فهي في يد اصحابه الى يومنا هذا لما نعلم حصانتها في حسب قضاء الله

وسكن المهدية جماعة وافرة من العلماء في كل فن ، منهم ابو الحسن علي بن محمد بن ثابت الخولاني المعروف بالحداد المهداوي القائل :

قامت وأبدت صفحة كالشمس من تحت القناع
سمعت الدفاتر وهي آخر ما يباع من المتاع
فأخذتها بيدي على كمدي وهمت بالصداع
لا تعجبي فبمثل رأيـ ـت . فجر في رمس الضباع

القيروان

مهدية مدينة بافريقية بقرب القيروان . حنطها المهدي سنة على تلك بلاد سنة ثلاثمائة . قيل انه كان يريد موضعا يبني فيه مدينة حصينة . حتى من خرج يخرج عليه حتى عثر بهذا الموضع وكانت جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند . فوجد فيها ماء في معدن . فسماه عين سمى الموضع . فقال هذه تسمى جزيرة الحنش . فغلبه هذا الاسم فبقي به

[مسي] بالحجر الابيض ذا رجه عصاه . وكان الابتداء في بنائها سنة ثلاث وثلاثمائة وسمي بها بقصور الخمسة المشارعة على البحر والصادرة عنه . والتي تلي المهدية الحل الاسبه بقصر من الحمل الاقصر .

النجاني

ثم منها يوم الاثنين الثاني عشر صفر . الى المهديه . قريبة مدينة جيلا قد ذكرها في شهر في قواعد الاسلام ذكرها . وهي من بناء عبيد الله المهدي . الذي تلقب بعبيس ابن منصور . وكان ابتداء بنائه لها لخمس خلين من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثمائة وهو الذي سماها من اسمه على الخاصيات . قال ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم الرقيق في كتابه خرج المهدي بنفسه في سنة ثلاثمائة الى مدينة تونس . فاختار على فراسخة وغيرها . وامر ان يحمل اليه حجر يرتاد موضعا على ساحل البحر يتخذ فيه مدينة تحصنه وتحصن بنيه من بعده وقد كان عنده علم حذاق بالقيام قائم على ذرعه . فاقام يلتمس ذلك مدة . فلم يجد موضعا احسن ولا احصن من موضع المهدية فساه هنالك وجعلها دار مملكته قال . وكان أول ما بنى منها سورها البحري الذي فيه ابوابها . وعندما وضع أول حجر منه وهو حاضر . أمر رجلا كان بين يديه أن يوتر قوسه ويقف على ذلك الحجر ويرمي سهمه فجعل يرمي ذلك . فانتهى سهمه الى مقصى . ووقع قائما على نصله فقال المهدي الى ذلك الموضع ينتهي صاحب الجند يعني ان يريد . فقدر ان وصل أبو يزيد الى ذلك الموضع ولم يتجاوزه

قال معلم المنجمان في تاريخه . وأمر المهدي بقياس مسافة هذه الرمية . فكانت مائتي ذراع وثلاثمائة وثلاثين ذراعا فقال المهدي هذا منتهى منقلبنا المهدية في يدينا من البحر . قال فلما تم بناء السور . بناه ابناؤه بذلك . فقال لهم ان جميع ما تروون انما عمل ساعة واحدة . يعني ساعة وصول ابي يزيد الى المهدية . قال فكان يقف على قوسه فيرمي فسبح بها بصنعون قال وأمر بعمل بابت لتحديد المدينة . فجعل صفائح مصمتة . ثم ثبت فيها مسامير . فثقبت بالمثاقيل . فقال للصباغ ما عندكم في هذا ؟ قالوا لا ندري . فاخرج مسمارا كذلك . ثم امر بايقاد نار تحت تلك كلها حتى تلهب وتصبغ مسامير الصفائح فعلت كلها فصبغها واحدة . فكان ذلك مما عد من معارف المهدي وهذا تعصب فمن بعد وأدنى معرفة الصناع ان يعرفوا هذا القدر ، ان كان صحيحا .

ولما تم البناء على هذه الصفة ، حب اختباره . فكتبهم اخره أن لا سبيل الى ذلك لأن فوقه ، فأمرهم ان يصنعوا احدى مصاريعه على ظهر سفينة ففعلوا ذلك . وبصر له منتهى غوص السفينة في الماء ، ثم ابرز وشحنت السفينة بالرمل وبحجارة الى ان وصل منها ما وصل ولا يسحرج الرمل منها فوق على كرت . فكان وزن مصراع مدينة فقصر في كثير من سبع ثمانين الف قنطار وكذا حكي أبو عبيده في « المسالك » وذلك عشرة قناطير وخمسة تركيبه . صنعت عليهم فتحه وعلاقه . فلم تكن مدينة من المرخان يستطيع ذلك . فأمر المهدي ان يكون معد على سرخ فهان عليه بعد المرخان ليوجد يتهيأ منه ما كانت المدينة بحاجة منه فحبب من هذا كله الى قصة المهدي وتقدمه فكرته

وأمر المهدي بحفر مرسى المدينة . وكان حجرا صلدا فتقرر وجعله حصنا من كل جهاته . وقام على فم هذا المرسى سنسنة من حديد يرفع احد طرفيها عند دخول السفن ثم بعد ذلك كانت تحصيب بمرسى من دخول مركب لروم وبنى دار الصناعة . وهي من عجائب الدنيا . ثم شرع في حفر لاهراء داخل المدينة . وبنى بحذاء المصنع . وحفر لاهراء بصفاء بالماء بحذاء الماء ثم مرتفعها ولا تفتح الا في يوم ريح يريد ويولا ذلك لم يمكن فتحها وكان اتسع المهدية في أول بنائها من الخوف ان تفسد قد عدوة سفن . فاستشعر المهدي عند ذلك . فردم من البحر مقدارها ودخله في المدينة فاتسعت وانجمع لاهلها ذلك . وهذه المعروفة في القديم بدار المحاسبات من جملة ماردم من البحر .

وحفر عبيد الله في بناء قصوره بها . فبنى قصره الكبير معروف به الذي كانت فيه سكناه وبنى به أيضا قصره معروف به بقصر وبنى فيه فسحة . وبنى قصر عبيد الله حيث كان هي دار الصناعة الان .

ولما كمل سور المدينة وقصورها . أراد عبيد الله أن ينقل اليها ثقل ذلك على ما ذكره : وصنعت عليهم سفينة بموضع الذي مرسى فيه . فقال لهم ان صنعت ذلك على كمالها وأحكم ينقل وتركتكم هنا وبحري عنكم لا أرى بالمقام . وعند فعل سيتغيبون عن ذلك فأجابوه فلم يكن بعد ذلك الا مدة حتى سل الله لسفينة بمقدار حتى مستكمل بعدة وهندمت دورها وهيكلت حتى عصمت من فيها . فخرج الناس في لاجله وبقيت . فكان المهدي يستوفيه لا ينقص في نهايته . فحينهم من ذلك فعلم تمت عمارتها .

وقد الشعراء في تهنئة المهدي بها فأكثروا . وقد استحسن في ذلك قول ابن بديل الكاتب

بنيت لدى أقصى المغارب دار ... قطنت بها الأحرار والأسرار
لادت بمورد الماء لما أن درت ... أن القلوب على الحسيب حرار

ونزل المهدي جنده وحصنه فيها وابتنى للعامة شرقي المدينة الأخرى فسماه رقادة ، وهي احدى المدينتين وبينهما قدر غلوة سهم وجعل الأسواق والفنادق فيه وقد بنى بها جامعاً متسعاً تجتمع به مياه الأمطار . فكانت لربض مدينة المهدية وقد كان المعز بن باديس جعل عليها سوراً عند دخول العرب الى أرضه سنة أربع وأربعين وأربعمائة وخربت هذه المدينة لا قديم بقي لها أثر . وكان بخارجها الجنوبي المعروف بالحمى رقادة وكان له جامع وبساتين بساتر الثمار وهو الذي هدمه وأفسدته العرب

وأقام المهدي ساكناً بمدينة المهدية مدة حياته ثم مات بهدسة اثنتين وعشرين وثلاثمائة . فولي بعده أبو القاسم القائم فهي آخر دولته تابعيه أبو يزيد محمد بن كيداد الخارجي

القلقشندي

ثم صارت قاعدتها بعد ذلك المهدية . بنى لها المهدي وهي مدينة بناها عبيد الله جد الخلفاء الفاطميين بمصر في سنة ثلاث وثلاثمائة وموقعها في الاقليم الثالث من الاقاليم السبعة (نقل طول وعرض ابن سعيد) . وهي على طرف داخل في البحر كهيئة كف متصل بزند وبحر محيط بها غير مدخلها . وهو مكان ضيق كمدخل بسنة وبها سور حصين شاهق في بعض مبني بالحجر الأبيض بدراج عظام . وبها القصور الحسنة مطلة على البحر

سفاقس (صفاقص) (1)

ابن حوقل

ومدينة سفاقس . حسن علاتها . وبتون وافريت وبها منه ما ليس بغيرها مثله وكان سعره عندهم فيما سلف من الزمن يحمل غيرته القتل في وقتنا هذا بما يبيع من ستين قفيز بدينار الى مائة قفيز بدينار . على حسب السنة وريعها . وربت مصر في وقتنا هذا من ناحيتها يحمل عليه بالشام . وهي ناحية على بحر سجرون بها مرسى ميت هذا . وعليها سور من حجارة وبنوب حديد منيعة . وفيها محارس مبنية يرتبط بها أسوافها عامرة وهي قبيلة البكروم . وفاكهتها من اجود . تسد حاجة أهلها . وشرب اهلها من مواجل بها . وموجبها مالحة تصنع حاجة لها استزرعت . وهم من صيود لسمك ما يكثر ويعظم . تصاد بحظائر قد ربت وعملت في هذا فتؤخذ بيسر سعي . وسورها بالحجارة والجير . وبينها وبين المهدية مرحلتان . وبها عامل عليها للسلطان بذاته .

البكري

ومنه الى مدينة سفاقس . وهي مدينة على البحر مسورة وبها سوق كثيرة ومسجد وجامع . وسورها صخر وطوب وبها حمامات وفنادق وبها عضيمة وقصبة حسنة وحصون وربطات على البحر . منها محرس بطرابه (2) وهو أشرفها وبها منارة مغرط لا تدرج يرقى اليه في مائة وستين درجة . ومحرس حنية . ومحرس بريحانه ومحرس مقدمات ومحرس المرة

(1) شيدت صفاقص في حوالي سنة 275 هـ (849 م) وأعيد بناؤها في القرن العاشر الميلادي

(2) طرابلس من [illegible]

وسفاقس في وسط بلاد قريبة ومن ريفها يمتار أهل مصر وأهل المغرب وصقلية وأروم ويبيع زيت منها أربعين بقرصية مثقال واحد وهي محط سفن وادا حر ماء نبت سفن في بحيرة وادا مد جفت سفن يقصدها نحو من فرسخ بالموق الحربية لا يسع منها زيت وعمل منها في قصدة بكمدة (1) تعمل على الاسكندرية وكثر واحد تعمل سفاقس في البحر. حزيرة سمي قرقنه. بينها وبين سفاقس في ذلك البحر الميت القصير القعر نحو عشرة أميال

وحزيرة قرقنه بلاكده. فيها ثلاثين ألف نسمة. ويحمل فيها على سفاقس زيتها وعرشها لأنها خصبة

الادريسي

ثم يرجع لذكر سفاقس. ويقول أنها في طرف رملة ممتدة من طرف برقة الى جهة الجنوب. وهذه الرملة في قصد مجيرين أميال

ومدينة سفاقس. مدينة قديمة عامرة بها سوق كبيرة وعمارة شاملة. وعليها سور من حجارة وبها عليه شرفات حديد منيعة. وعلى سورها محارس نفيسة المرتفع وسورها متحركة وبالقرب منها من الجبل ويجلب إليها من مدينة قفس فيبس فتوكه وعجيب ما عليها يكفيها ويبقى كثيرة وحصن قيسة ويصدر بها من السمك ما يعظم حصره ويكثر قدره وكثر صيدها بالمراكب المعدية لها في ماء سبت بقرب جبل وحل غلالها زيتون وزيت وبها من النخل ما يحد غيرها مثله. وبها مرسى حسن قريب منها بالجملة. بها من خير البلاد وأمنها دم حرة. وفي قديمها عزة وفتحها ذلك المعظم رحمه في عام 543 هـ من سمي بهجرة فهي لا معمورة ليست مثلها كذلك من بعده بالاشراق ومتأخر في زمن قصته فمن سفاقس في مدينة مهدية مرحلة.

سافرت

سفاقس مدينة من ساحل قرطاجنة على ساحل البحر الشرقي من صقلية بينها وبين مهدية ثلاثة أيام. وبين سوسة يومان. وبين قابس ثلاثة أيام. وهي على البحر ليس بها

(1) قصر الثوب. دقه وبسطه. والقصار: محور الثياب وبسطها (فارسية معربة). وكمد القصار الثوب: دقه.

منها سوق كثيرة ومسجد وجامع وسور صخر وآخر وفيها حمامات وفنادق وقرى كثيرة وقصور جميلة ورياضات ومناظر يرقى فيها في مائة وستين درجة في محرس يقال له بصريه وهي في وسط غابة أرسيوس ومن ربيها يمتار كثير أهل مغرب وكان يحمل الى مصر وصقلية وإليها ويكون فيها رخيص جدا يقصدها التجار من الآفاق بالأموال لا تبيع بربح وعمل فيها نقصة وبكمدة . منها أهل الاسكندرية وأحد والطريق من صفاقس الى تقيروان ثلاثة أيام . ومنها الى مهدية يومان يسب بها ابو حفص عمر بن محمد بن براهيم الكرني الصفاقسي متكلم على مذهب الشافعي وفقيه وكان من أهل الأدب وله بالكلام اسم طويل في مصر وقدم بغداد في شهر ربيع الأول سنة 505 . وكان يعرف بالمازري وكان مولعا بالرد على ابي حامد الغزالي ونقض كلامه .

ابن سعيد

وصفاقس تقع حيث الطول خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . والعرض احدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة وفي شرقيها وجنوبها مع آخر الاقليم الثالث مدينة قابس

أبو الفدا

ومدينة صفاقس شرقي مدينة المهدية حميدة الى الجنوب . وهي مدينة صغيرة وهي سور وبها آبار يشربون منها . وبها بساتين يسيرة في مستوى من الأرض والنخل من جميعها وبينها وبين قفصة نصف مرحلة .

التجاني

ووصلنا الى صفاقس ظهر فريت مدينة حاضرة على ساحل بحر الروم بينها وبين المهدية مرحلة وبينها وبين قابس مرحلة في بحر في بحر مسيرة يوم وليلة وبها آبار عذبة ومياهها قريبة من البحر . قابس بحر جها آبار شجره قليلة وفواكه محمولة اليها من قابس وماؤها شرب لا يستساغ وهي بعيدة في شربها عن مياه الجريد وهي من مياه الآبار ويقصد بها من جميع الجهات لاجتماع البحر بها وبحرها يأخذ صوب بحر الروم الذي يعمل منه ثلاث أذرعة مائية وهي واقعة في بحرها صدف يستخرج منه الدر صغير الحب ومنه كبير حسن ربما وجد في الواحدة منه الدرة

حر ستوت سمس على الحماة . وذا مدعمت . وفي هذا المدو البحر يقول بعض المحيدين من شعرائها وهو علي بن حبيب التنوخي (١) :

سقيا لأرض صفاقس ... ذات المصانع والمصلى
فحمى لقيصر بن الحبب ... ح فقصرها لسامي المعلى
سد بكاد يقول حب ... ن تروه أهلا وسهلا
حتى يريد زيادة ... فإذا رأى الرقباء ولى
لا لوم . لا لوم ولا ... عار . حتى أرى قابس وامصارا

وبها جمع حسن ذكر المبدى في جنان شبيح بي سحق المحيبي بن علي بن سعد حد الشيخ بي سحق هو بدى سعد . وكان سحنون ولاه قضاء صفاقس وهو ولده من الرضاعة رضعته زوجة محمد بن سحنون . مع محمد بن وهو بدى سي يصير سور صفاقس بالصوب والقلعي وبني المحرس المعروف في البلدية بالمحرس على وعرف بعد بالمحرس المحيبي . وقد شاع في بعض تسمية صفاقس بعدة لله وسبع لامر في ذلك بعض المؤرخين رجعه الكلاعي بعة لله واحدة في الانجليزي صفاقس

وكانت ولايته في بلدية تتردد عليها من قبل صاحبة بني بلوي المعز بن باديس عليها منصور الزغواني . وكان من المرسى المعروفين بالافلاء . وقد بنى شوره واحد في محلة الغرب فعاجله من عمه حمّو بن ميلي وقتله غدرا في بحصاء . وذلك في سنة اثنتي وخمسين وأربعمائة .

القلقشندي

وبها صفاقس منتج لصناعة مهمة . وهي مدينة على ساحل بحر شرقي مهدية وقعد في الأقليم الثالث وفي من سعيد . حيث طول خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة وعرض اثنتي وثلاثون درجة وخمسون دقيقة وقال في تقويم البلدان هي مدينة صغيرة على مستوى من الأرض

(١) هذا على حسب ما ذكره صاحب صفاقس في ترجمة ابن رشيق حيث قال في ترجمة ابن رشيق ... فحضر ... وقد ذكر ابن رشيق في ترجمة ابن حبيب ... في ترجمة ابن حبيب ...

(80)

وحوليها حمل يسمى حمل المسع . يستدبر بها سو وشرب أهلها من الآبار . ها ثمانين قبة ومن بحرها يستخرج الصوف المعروف عند العامة بصوف السمك متخذ منه الثياب النفيسة قال ابن سعيد : رأيته كيف يخرج يغوص الغواصون في البحر فيخرجون كمائم شبيهة بالمغزل بالعدق . وفي أعلاها رؤيره فتنشر في الشمس فتفتح تلك الكمائم عن دود يمتص ويؤخذ صوفه . فيغزل ويعمل منه قطعة لقبام من الحرير وتنسج منه الثياب

قابـــس (1)

ابن حـوقـل

وقابس مدينة منها (طرابلس) على ست مراحل الى جهة القيروان وحدة الطريق دت مياه جارية وشجار متهدلة وفوكه رخيصة . وبها من البربر الكثير . وهم من الزروع والصباغ ما ليس مثله من حولهم . الى زيتون وزيت وعلات . وعليها سور يحيط به خندق وله أسواق في ربضه وجهور من الصوف كثير (2) ويعمل بها الحرير الكثير الجرير وبها جود تدمع بالقرص ونعم اكثر المغرب . فتاتي من طيب الرائحه ونعمة اللمس بمثل حال الاديم الحرشي وبها صدقات وركوات وضرائب وحوال على اليهود وسائمة كثيرة وله عامل بنفسه وهي حصنة في اكثر أوقاتها وأهلها قليلو الدماثه غير محطوطين من الجمال والنصافة . وفيهم سلامة وفي ديانتهم شرّ شميرّ وبين قدرّ . وذلك أنهم لا يحلون من الشرابة والقول بالوعد والوعيد مع العيلة لسبي لسبيل والاعتراض على أموالهم في الكثير والقليل والويل من نام بينهم والحرب على من حاولهم وستحاربهم محالفين اكثر أيامهم لسلطانهم . مواربين في الحقوق عليهم ولم ترب هذه العادة بهم الى أن سار منهم الكثير الى قابس فحرقوا ربضها وحاصروه واستحوا أموال

(1) راجع غير ماذكر . Basset(R.) Un voyage en Tunisie ,Bull. de la Soc. Geogr. de l'Est 1882) Guerin Voyage archeolo gique dans la Régence de Tunisie Zaccone Notes sur la Regence de Tunis Maunoir Journal de route ; Laffite et servonne, le Golfe de Gabes ;
الحسن بن محمد الوزان ، وصف افريقية ج
ابن فضل الله العمري ، مسالك الابصار (مخطوط محفوظ في مكتبة اكسفورد ، ورقة 128

(2) انظر Sergeant Text iles ARS Islamica XV p 48 Marçais(Guides Arabes en Berberie, p 27

بحرها وأهل البادية منها . وأمكن الله تعالى منهم فهلك جميع من رصدها . ثم سار عنهم زعيم صنهاجه فجعل عشرة منهم في كساء .

المقدسي

قابس أصغر من طرابلس . بها واد حار . وشجرها من الجوز والتين كثيرة الخير والعنب والتفاح مشهورة . بادنجانها براني . وبها ثلاثة أبواب

البكري

ومدينة قابس مدينة حلية مشهورة بالصخر الجيد من بناء الأول ذات حصن حصين وربض وسوق وفندق وجامع سري وحمامات كثيرة . وقد أحاط بجميعها خندق كبير يجري به الماء عند الحاجة . فيكون أمنع شيء . وبها ثلاثة أبواب وشرقيها وقبليها أرباض ويسكنها العرب والأفارق . وفيها جميع الثمار وأنواعها كثير . وهي تشتهر عن القيروان بصنف الفواكه وبها شجر التوت الكثير . ويقوم من الشجرة الواحدة من الحرير مالا يقوم من خمس شجرات من غيرها . وحريرها أطيب الحرير وأرقه . وليس في عمل فريقية حرير لا في قابس وتفصل بساتين ثمارها مقدار أربعة أميال . وميامها سائحة مضرده يسقى بها جميع الشجر . وأصل هذا الماء من عين حراره في جبل بين قفصة وتوزر منها يصب في بحرها . وبها قصب السكر كثير . وبقابس مدرسة فيها ويحدو الحادي عند قدومه من مصر إلى افريقية فيقول .

لا نـــــوم ، لا نـــــوم ولا فـــــرار
حـــتى أرى قـــــابـــس والـــمنارا

وساحل مدينة قابس مرفأ للسفن من كل مكان . وحوالي قابس قبائل من البربر لواته ومدية ونفوسه ومرته ورواغة وزواوة وقبائل شتى أهل احصاص . وكانت ولايتها عند دخول عبيد الله فريقية تتردد في بني لقمان الكتامي . قال الشاعر :

لولا ابن لقمان حليف الندى سل على قابس سيف الردى

ويحدوها حريرة في البحر تعرف بحريرة زرود . بينهما مسيرة كثر من يوم عامرة آهله وكثيرا ما يمتنع أهلها عن السلاطين . وبين مدينة قابس والبحر . ثلاثة أميال ومما يذكرون من معايبها أن أكثر دورها لا مذهب فيها وانما يتنزلون في لاصقه . ولا يكاد أحد منهم يفرغ من قضاء حاجته لا وقد وقف عليه من يتذمر أحد ما يكون منه تذمر المستنير ، وبها جامع على

ذلك سفر فيتشاحون فيه . فيحصل به من أراد منهم . وكذلك نساؤهم . لا يرين في ذلك عيبا حرحد ستر احداهن وجهها وه يعلم من هي ويذكر أهل قابس انها أصح البلاد هواء حتى وجدوا بها طلسما فظنوا أن تحته مالا . فحفروا موضعه فاخرجوا منه تربة غبراء . فحدث عندهم بوباء من حينئذ برغمهم واخبر أبو الفضل جعفر بن يوسف الكتبي . وكان كاتب مؤنس (1) صاحب افريقية انهم كانوا في ضيافة بن وانموا الصنهاجي . صاحب مدينة قابس . فاتته جماعة من أهل البادية بطائر على قدر الحمامة . غريب اللون والصورة . ذكروا انهم لم يروه قبل ولا عهدوه . كان فيه من كل لون لحمه . وهو أحمر المنقار طويله . فسأل بن وانموا من احضره من العرب والبربر . هل عهد أحد منهم فلم يعرفه احد ولا سمعه . فامر بن وانموا بقص جناحه وارسل في القصر فلما جن الليل . جعل في القصر مشعل نار فلما هو الا ان راءه ذلك الطائر فقصد قصده وأراد الصعود اليه فدفعه الحداد وجعل يبح في التكر على مشعل . فاعلمه ابن وانموا بذلك . فقام وقام من حضر معه . قال جعفر : وكنت فيمن حضر . فامر بن وانموا بترك الطائر وشانه . فسار في أعلى المشعل وهو يتجح جدا . فاستوى في وسطه وجعل يتقلى كما يفعل سائر الطير في الشمس . فامر بن وانموا بزيادة الوقود في المشعل من حرق القصر وغير ذلك . فزاد تأجج النار . والطائر فيه على حاله لا يكترث ولا يبرح . ثم وثب من المشعل بعد حين يمشي . لم يربه ريب وأخبر قوم من أهل افريقية أنهم سمعوا خبر هذا الطائر بمدينة قابس والله أعلم بحقيقة ذلك وعلى مقربة من قابس جزيرة حرية . فيها بساتين كثيرة وزيتون كثير وأهلها مفسدون في البر والبحر وهم حوارج وبينها وبين البر مجاز

الادريسي

وقابس مدينة جليلة عامرة حفت بها من نواحيها بساتين حسنة ملتفة وحدائق مصطفة وفواكه عامة رخيصة وبها من التمر والزروع والصباغ ما ليس بغيرها من البلاد وفيها زيتون وزيت وغلات وعليها سور منيع يحيط به من خارجه خندق ولها أسواق وعمارات ونجارات وبضاعات وكان بها فيما سلف طراز يعمل بها الحرير الجيد وبها الآن مدابغ للجلود يجهز

(1) هو مؤنس بن يحيى ، شيخ بني رياح الذين خرجوا من الصعيد في سنة 441هـ (1050م) وغزوا افريقية سنة 443 ، بتوجيه من الفاطميين للانتقام من المعز بن باديس الذي قطع الخطبة لهم وبعد هذا التاريخ بسنتين خضع مؤنس افريقية لسلطانه .

به منها . ولها ولد ياتيها من عذير كبير وعلى هذا العذير قصر سحنة وبينه وبين قابس ثلاثة اميال . وماء قابس غير طيب لكنه شروب وأهلها يستعيدون به ومدينة قابس بينها وبين البحر ثلاثة اميال من جهة الشمال ويتصل بآخر عدة اشجارها الى البحر ، رملة . متصلة مقدار ميل . وهذه العدة شجر وحدث وكروم وزيتون كثير ويستعمل منه زيت كثير يتجهز به الى سائر النواحي وبها يضرب نحل مختلف به من الرصف الذي لا يعدله شيء في نهاية الطيب وذلك أن اهل قابس يجنونه طرية ثم يودعونها في دنان . فاذا كان بعد مدة من ذلك خرجت له عسلية تعلو وجهها بكثير ولا يقدر على التناول منه الا بعد زوال العسل عنها من اعلاه وليس في جميع البلاد المشهورة بالتمر شيء من التمر يشبهه ولا يحاكيه ولا يضاهيه في عذوبته وطيب مذاقه . ومرساها في البحر ليس بشيء . لانه لا يستتر من ريح ، وانما ترسى القوارب بواديها ، وهو نهر صغير يدخله المد والجزر وترسى فيه المراكب الصغار وليس بكثير السعة . وانما يطلع المد للاربعة نحو من ثمانية اسهم . وفي أعلاه قلة دمائه وهم زي وبصفة وفي باديته عتو وفساد وقطع سبل ومن مدينة قابس الى مدينة سفاقس بريا مع البحر 70 ميلا

ياقـوت

قابس . ان كان عربيا ، فهو من اقبست فلانا علما ونارا أو قبسته ، فهو قابس

مدينة بين طرابلس وسفاقس ثم المهدية على ساحل البحر . فيها نخل وبساتين عربي صرفس العرب بينهما ثمانية مراحل وهي ذات مياه جارية من اعمال افريقية في الاقليم الرابع . وعرضها خمس وثلاثون درجة . وكان فتحها مع فتح القيروان ، سنة 27 هـ على ما يذكر في القيروان قال البكري : قابس مدينة جليلة (وتسمى ياقوت فيقتبس وصف البكري الذي اوردناه اعلاه حتى النهاية التي تتصل بالطائر الغريب) .

وقد نسب اليها طائفة من أهل العلم ، منهم : محمد بن عبد الله القابسي ، من مشائخ يحيى بن عمر ، ومحمد بن رجاء القابسي . حدث عنه أبو زكرياء النجاري وعيسى بن عيسى بن برذر نجيرأبو موسى القابسي الفقيه المالكي الحافظ سمع بالمغرب ابا عبد الله الحسين بن عبد الرحمن الاجدابي وأبا علي الحسن بن حمول التونسي ، وبمكة أبا ذر الهروي . وببغداد ابا الحسن روح الحرة العتيقي وأبا القاسم ابن ابي عثمان النوحي ، وأبا الحسين محمد بن الحسين الحرابي ، وابا محمد الجوهري وأبا بكر بن بشران وأبا الحسن الدرويني وغيرهم ،

وحدث بدمشق . روى عنه عبد العزيز الكناني وأبو بكر بن الخطيب ونصر المقدسي . وكان ثقة ، ومات بمصر سنة 247 هـ .

ابن سعيد

وفي شرقيها (صفاقس) وجنوبها مع آخر الاقليم الثالث . مدينة قابس التي هي في فريقية كدمشق في الشام . ويمر اليها نهر من الجبل في جنوبيها يحترق عوضها ، ويسيح حتى يصب فيها وقد اختصت من بين بلاد إفريقية بالنور وفيها الرطب الكثير الطيب وحب العزيز والحناء . وبينها وبين البحر ثلاثة أميال . والمراكب المتوسطة تدخل نهرها . ويمتد منها الجبل الكبير مشرقا ومغربا وهو في جنوبيها . فيقصر في جهتها بجبل دمر . وفي جهة قفصة بجبل لاورس . وفي جهة القيروان بجبل وسلات وهو خصيب . يجمع هذه الامكن تحتي منه ميل بسيطة .

أبو الفدا

وقابس في فريقية . كدمشق في الشام . ويمر اليها نهر من الجبل في جنوبيها يحترق عوضها . وقد خصت من بلاد افريقية بالنور وحب العزير والحناء . وبينها وبين البحر ثلاثة أميال والمراكب متوسطة تدخل في نهرها وقابس شرقي صفاقس وجنوبيها قال في العزيزي عنها سور وخندق ومنها في سمت الجنوب الى غدامس أربع عشرة مرحلة .

التجاني

وشرف على غابة قابس ووصلنا اليها ضحى . وهذه البلدة قد ستولي المحسن وستغرقها . وأذكر بمقصوره لاقصر ووقاه الاحصر حنة الخلد وستغرقها . وقد أخذت غابته من جميع جهاتها وبهذه الغابة من الجوسق والنخل ما يستوقف الطرف ويستولي الحسن ويشرف ويحقق ما قيل من ان قابس جنة الدنيا . وانها دمشق الصغرى وهي مدينة بحرية صحروية فان الصحراء متصلة بها . والبحر على ثلاثة أميال منها

وعلى قابس سور صخر جليل من بناء الاول . وبها ارض واسعة . وحول سوقها في ارضها . وقد دار بسورها خندق متسع يحرون ماءه اليه قد خلقوه من بزول عدو عليهم فيكون مع شيء بها وانها واد يسقي بساتينها ومزارعها ويخرق في كثير من مواضع غابة دورها وشوارعها

وصل هذا الوادي من عين حراة في جبل بين القصبة والمعرب منها . وكثر جدلها فيما بين سبيبة والبحر . وتلتقي الجهة الساحلية المعروفة بساحة عنبر .

ومن مكاره التي حفت بها جنة قابس . ما يتعهدها من الوباء ويشتد ساكنها من الأمراض وبسبب ذلك ، فيما يذكر هنها كثرة شجرة الدفلى بها . فيكتسب الماء منها لدى جريه سمية مضرة تضر بالبدان ساكنيها كثيرا . وبذلك ، لا تجد وجوه كثير من أهلها الا مصفرة . وفي هذا سبب أيضا فساد وتغير جسمه كثرة عقوبتها . ويبس في جميع ميامها ما يسلم من ذلك لا يعين معروف باس الصغير وأما الشتية . فالمشهور في سمها عين سلام بالام مخففة وهي عما توجد في عقودهم القديمة عين سلم بسكون ومما يذكره أهل قابس . وهو من جنس الخرافات ، ما حكاه البكري عنهم . أن مدينتهم كانت سالمة من الوباء الى أن احتفروا فيها موضعا فوجدوا فيه ملا . فاستخرجوا تربة عمراء . فحدث الوباء عندهم بعينه من ذلك الزمن .

وقد اشتهر عن أهل قابس ما اشتهر عن بيع فضلائهم . وهم يقرون بذلك ويدعون شدة حنينهم اليها وأن الخيل في بلدهم لا يثمر الا بها . ومن رسالة لأبي المطرف ابن عميرة (1) في وصف قابس ، وكان ولي قضاءها في مدة المستنصر رحمه الله :

بلد عوطى لسانين . طوى الزيتون والتين . فاما النحل فجمع عصم . وضع هضيم . وسكك مأبورة . وبواعم في الخدور مقصورة . وإن بقعته لوارفة الظل آمنة الحرم والحل جنة لو نزع ما في صدور أهلها من الغل وبالجملة . فهو تاء العرابة مد هام الغابة . مستأثر بسيد من سادات الصحابة . ولا عيب بتربته الا وخامة مائه وحميات قلما يعرى من عدوه .

وفي فصل من رسالة أخرى له يصف شدة الوباء وما يذكره من كثرة عقاربها :

وهذه البلدة الآن في صلال من شرح الشبات . وظلال من ثمرات النخيل والاعناب . فهي بحال يقر بحمالها الاندلسي ويحاري بين جلالها الدمشقي . ولا عيب فيها الا هوء وحمته

---

(1) احمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عميرة المخزومي ، أبو المطرف اديب من فحول الادب في المغرب ولد ونشأ بسبته ، بالاندلس وانتقل الى غرناطة ومات بتونس ولي القضاء في عدة مدن ، منها مكناسة ومليانة ، وله كتب أحدها بعنوان «واضحة المرية» ولآخر بعنوان «نسبه على معجمه وشعره في الأدب» ، ولد سنة 582 وتوفي في سنة 658 هـ (وفي وفاة 56) جمع سيرته في هذه المراجع (ج 5 ص 96 ، جذوة المقتبس ص 90 ـ 91 ـ 92) ، الاحاطة ج 1 ص 60 ، جذوة الاقتباس (ص 72) ، بغية الوعاة (ص 137) ، نفح الطيب (ج 1 ص 203) ، عنوان الدراية ترجمة 92 ـ ص 282 (302 طبعة بيروت) نحل السندسية للاميرشكيب ارسلان (ج 3 ص 209) في الاحاطة ـ تحقيق عبد الحسن بن عميرة ، وهو خطأ ، نفح الطيب في عدة أماكن راجع فهرس طبعة احسان عباس .

تحف وماء غير من خاصه الماء المصاف . وبيوت المدينة دواخن سيئة لحوا سريعة التطاير شامخة البعد ت . كمه نارية . هامرة لأمره . تفرق نسبية وتقسم شرهين البرد والحر بالسوية . دبت عندنا ليلة إلى من كان يرمق دبيبها . ويحاول قبل أن نصيبه أن يصيبه . فأوقعت به لدغة في القدم . ولقي اشد الالم . وبات وبتنا معه ليلة احى دبيب (1) ونعدل لله ما اطول ما كانت وأهول ما كان (2) .

القلقشـــدي

ومنها قابس وهي مدينة في الاقليم الثاني . حيث الطول اثنتان وثلاثون درجة وأربعون دقيقة والعرض اثنتان وثلاثون درجة . على ثلاثة ميال من البحر (ومصبى القلقشندى فقال وصف بى العدا والعزيزي لوارد أعلاه)

(1) راجع ثمار القلوب للثعالبي (ص 509) باب المصافة (ليلة التاسعة) .

(2) صنف هذا الموضوع هو وصف في المطرف بدلع الغرب التي اشتهرت بها قابس

قسطيلية/تبوزر

ابن حوقل

وقسطيلية مدينة أيضا كبيرة عليها سور حصين وبها نخل كثيره و تمر و قصب بها كثير وهي معونه افريقية بتمورها وفيها الاترج لكثير الحسن لطيب تركي وكثر تفوكه بها على حال معتدلة في بطيبة وماؤها غير طيب ولا مرىء تجرى سواقيها خلال أجنتها ونخلها أكثر منه بغيرها مما يجاورها وسعر طعام بها في سائر الاقوات عال لانه يجلب اليها ولا يزرع بها من شعير ولا قمح لا زرع تافه وهي من السعة واسيوع ولاشرية في الاسواق وكثرة تورد والصدر عليها متمسين للعير والتجارة . مما لا تدانيها فيه مدينة مما قربها وجهر الصوف في جميع جهاته من الشقة والكسى والحبل الى سائر ما يعمل منه يحمل منها الى جميع الاقطار

البكـري

ومن قفره تسير الى بلاد قسطيلية وبينهما أرض سواحه لا يهتدى بطريق فيها لا بحشب منصوبة وأدلاء تنث الطريق . تسمولينث . لان هناك صواعيهم . فان ظل أحد يميل اوشمالا . غرق في أرض رمليس تشبه في الرطوبة بالصابون وقد هلكت فيها عساكر والجماعات ممن دخلها ولم يدلك أمرها وتصل هذه الارض السواحه الى مدينة عداميس

وأما بلاد قسطيلية . فان من مدنها توزر (1) والحمة وقصة وتوزر هي أمها وهي مدينة كبيرة عليها سور مبني بالحجر والطوب وبها جامع محكم البناء وأسواق كثيرة وحوض رياض وسعة

(1) عرضها الجغرافي 34 درجة شرقي 10 8 دقيقة في جنوب خط الاستواء وتقع على الحافة الشرقية

آهلة وهي مدينة حصينة هما ريعة ابواب . كثيرة النخل والبساتين والثمار . الا أن قصب السكر وامور لا يصلحان بها وحولها سواد عظيم من النخل وهي اكثر بلاد افريقية تمرا . ويخرج منها في كثر الاياء الف بعير موقورة تمرا وزبيد شربها من ثلاثة انهار تخرج من رمال كالدرملك فه وبياض . يسمى ذلك الموضع بلسانهم سرش وانما تنقسم هذه الثلاثة الانهار ، بعد جتماع مياه تلك الرمال بموضع يسمى وادي الحمام . يكون فعر انهر هناك بحومائتي ذراع ثم ينقسم كل نهر من هذه الانهار الثلاثة على ستة حداول وتتشعب من تلك الحداول سواقي لا تحصى كثره . تجري في قنوات مبنية بالحجر على قسمة عدل لا يزيد بعضها على بعض شيئ . كل ساقية سعة شبرين في ارتفاع بدوم كل من يسقى منها أربعة اقداس مثقال في العام . ويحسب ذلك في الاكثر والاقل . وهو ان يعمد الذي تكون له دولة يسقي ان قدس في اسفله ثقبة بمقدار ما يسدها . فيملؤه بالماء ويعلقه ويسقي حائطه وبستانه من تلك الحداول حتى ينقد ماء القدس ، ثم يملؤه ثانيا وهم قد علموا سقي اليوم الكامل هو مائة واثنان وتسعون قدس . ولا يعلم في بلد مثل أترجها حلاوة وحلاوة . وبها الترنجبين (1) والمحيطا والأمبج وجنايه قسطيلية مئتا الف دينار وأهلها يستطيبون لحوم الكلاب ويسمنونها في بساتينهم ويطعمونها التمر ويأكلونها وأخبرني من أصاف منهم رجلا قاطعه لحما استطابه واستحسنه ، فسأله عنه فقال له : لحم جرو مسمن !

ولا يعرف وراء قسطيلية عمران ولا حيوان الا الفلك انما هي رمال وانصوص سواحه . وهم يحبرون ان قوما أرادوا معرفة ما وراء بلادهم فاستعدوا وذهبوا في تلك الرمال أياما فلم يروا أثر للعمران وهلك اكثرهم في تلك الرمال .

الادريسي

ومن باجاني ان مدينة قسطيلية 4 مراحل وهي تسمى نور . وهي حصون وبها نخل كثيرا ونمرها كثير يعم بلاد افريقية وبها الاترج الكبير الحسن الطيب واكثر الفواكه التي بها في حالة

= لشط الجريد ، بينها وبين نفطه عشره فراسخ . راجع غيرماذكر :

Berbagge Itineraires archeologiques Doil n du Presnel le Djrid Tunisien (Revue Tunisienne, 1908)

(1) جمع كلمة ترنجبين (و ترنجين) في قاموس دوزي Sup au Dict Arabes (146, I) والترنجبيل ثمرة صفراء ذات رائحة قوية

معدنة وقوتها كثيرة موجوده متناهية في الكثرة والجودة . وماؤها عير طيب وسعر الطعام بها في كثير الاوقات حسن لانه يجلب ويرتبح الحنطة وتشعير بها قليل ويسير ويتصل بها . بين حموت بها وشرق . مدينة لحمة وبينهما مرحلة صغيرة وماء الحمة ليس بطيب لكنه شروب قمع به هلها . وبها نخل كثير وتمر غزير .

ياقـوت

قسطيلية بالفتح ثم السكون والكتفي بافتتاح فقرة من وصف كل من بن حوقل وبكري . ثم أحال الى مادة « توزر » .

وفي مادة توزَر قال :

مدينة في أقصى قريقية من نواحي الزاب الكبير . اعمل الجريد . معموره بينها وبين قفصة عشرة فراسخ وأرضها سبخة وبها نخل كثير . قال أبو عبيد البكري في كتاب المسالك « قسطيلية . قال من بلادها توزر (ومصى ياقوت فاقتبس وصف البكري المذكور علاه حتى نهايته) .

وينسب إلى توزر جماعة منهم : أبو حفص عمر بن أبي أحمد بن عيسون الأنصاري التوزري . لقيه السلفي بالاسكندرية .

ابن سعيـد

الجزء الثالث أو ما يلتف في عربيه من بلاد الجريد . بلاد قسطيلية وقاعدتها توزر . وبها نخل ومحمصات ونهرها يأتي من فوقها ويسقي بساتينها . وهي وبلادها جزائر في وسط رمال وبصحارى تكتنفها وبها الكتان لمفصل والنيلة والحلفا وهي تشبه في ذلك . وفي قلة المطر البلاد المصرية . وموضوعها حيث اطول ست وثلاثون درجة وست دقائق . والعرض سبع وعشرون درجة وثمان دقائق . وفي شرقها ، بلاد نفزاوه .

أبـو الفـدا

توزر . بضم المثناة فوق وسكون الواو . قاعدة قسطيلية وبها نخل ومحمصات قال ابن سعيد : (ثم اقتبس الفقرة المذكورة علاه من كتاب الجغرافيا)

وتوزر هي قاعدة البلاد الجريدية . وليس في بلاد الجريد عامة اكثر منها ولا اكثر مياها وصل ميدها من عيون تنبع في الرمل وتجتمع خارج البلد في واد متسع وتتشعب منه جدول كثيرة . ويتفرع عن كل واد جدول منها مذانب يقسمونها بينهم على املاكهم لهم مقاسم من المياه معروفة . ولهم على قسمها أمناء من ذوي الصلاح فيهم يقسمونها على الساعات من النهار والليل بحساب لهم في ذلك معروف وأمر مقرر مألوف وعلى ذلك الماء رخاء كثيرة

وهذا مما شاهدته فيها عيانا . وكثير من أهلها انما يسكنون بعلاتها ولا مدينة بين مباني العامة ومباني داخل المدينة . فان مباني العامة اصحها واحسنها . وبداخل البلد جامعان للخطبة وحمام واحد ومتفرجهم بموضع يعرفونه بباب المشرع . وهو من احسن المتفرجات . لان مجتمع الماء هناك . ومنه يتفرع . كما تقدم . ويجتمع فيه القصارون فيشرون هنالك من الثياب الملونة . والامتعة الموشية مايعمه على كثرة فيحيل للناظر انه روض تفتحت ازهاره واطردت انهاره . وليس بتوزر أحسن من هذا الموضع ، وهو خارج عن غايتها . والعامة ملاصقة لسور المدينة ، فهي بذلك تمت حصانتها .

وأهل توزر من بقايا الروم الذين كانوا بافريقية قبل الفتح الاسلامي . وكذلك اكثر بلاد الجريد لانهم في حين دخول المسلمين اسلموا على اموالهم . وفيهم قوم من العرب نزلوا سكنوها بعد الافتتاح . وفيها ايضا من البربر الذين دخلوها في قديم الزمان عند خروجهم من بلادهم . فان بلاد البربر انما كانت ارض فلسطين وما جاورها .

وقد اشتهر عنهم ماشتهر من بيع فضلاتهم . وهم يعيرون بذلك كما يعير أهل قفس . ويعير هؤلاء ايضا باكل لحوم الكلاب . ولم أرمنهم الا مقرا باكلها مستطيبا بلحمها . وقديما ما نصحوني باكل لحوم الكلاب . وليس يوقف . لوقت بناء توزر على تحقيق لقدم العهد ذلك . وبعض المؤرخين يقولون أن بناءها كان بإثر طوفان نوح عليه السلام وكان فتحها صلحا في أول الاسلام على يد حسان ابن النعمان سنة تسع وسبعين . وذلك عودة من برقه بالمدد الذي أمده به عبد الملك .

ووقع في تاريخ بسبب من الامام الحافظ أبي الطاهر السلفي ان افتتاح تونس كان على يد عقبة بن نافع الفهري . وذلك غريب . لان ولاية عقبة بن نافع على افريقية كانت سنة ست وخمسين . فان صح هذا الذي يذكره ابو الطاهر ، فيكون افتتاحها في زمن معاوية بن أبي سفيان وعلى القول الاول يكون افتتاحها في زمن عبد الملك ويحتمل أن تكون فتحت أولا في زمن عقبة ، ثم انتقضت كما انتقضت افريقية فافتتحت ثانيا في زمن حسان . وأما ما يدل على انها فتحت صلحا ، فبقاء كنائس النصارى بها حتى الى زماننا هذا ، ينصرف فيها ولاة المسلمين بنوا بازاء كل كنيسة منها مسجدا .

القلقشندي

نورد قال في تقويم البلدان [ثم اقتبس الفقرات المذكورة من وصف ابي الفدا وابن سعيد وقد في الروض المعطار بان أهلها يبيعون ما يتحصل في مراحيضهم من جميع الدنس ، يمتحون به بقولهم وبساتينهم ولكنهم لا يرغبون فيه الا اذا كان جافا . فيحتمل ذلك على عدم الاستحاء في مراحيضهم .

الباب الرابع

المدن الليبية

طرابلس (المغرب) (1)

اليعقوبي

طرابلس مدينة قديمة على ساحل البحر . عامرة آهله . وهي خلاف من بلاس . فتحها عمرو بن العاص سنة 123 في خلافة عمر بن الخطاب . وكانت آخر ما فتح من المغرب في خلافة عمر

ابن حوقل

أما طرابلس ، كانت قديما من عمل افريقية . وسمعت من يقول ان عمل افريقية لما كانت طرابلس مضافة اليها معروف معلوم . وكان منه صورة . وهي مرسل من طرابلس على ... وبه ضريبة على نخوض وقته هذه . ولم نعرفه قديما ولا سمعت به على الخراج من

1) يطلق لاسم طرابلس [illegible] على لأقليم الذي يضم ثلاث مدن : صبراته ، [illegible] ، وأوبه [illegible] ولاسم طرابلس [illegible] قد أطلق منذ القدم على المدينة التي كانت قاعدة مركزه الإداري [illegible] فتح المسلمون طرابلس ، فلم تؤخر غير متفقين على تحديد [illegible] فتح [illegible] سنة 23 [illegible] فتح من المغرب [illegible] سنة [illegible] بعد [illegible] بعد [illegible] بعد

أطرابلس الى القيروان وعلى القادم من القيروان الى طرابلس ، غير ما يقبضه المتولي عمل طرابلس من كل حمل ومحمل وحمل ، ودلك كالدي بلبده وهي أيضا قرية بينها وبين أطرابلس الى جهة المشرق مرحلتان ، من الضريبة على الجمال والاحمال المحامل والبغال والرقيق والغنم والحمير الى ما عدا ذلك من الأسباب الواردة واخذ الصدقات والخراج واللوازم من ناحية قصري ابن كمو وابن مضكود . والبربر المقيمون هنالك من هوارة وغيرهم . وهي مدينة بيضاء من الصخر الأبيض على ساحل البحر ، خصبة حصينة كبيرة ذات ربض . صالحة الاسواق وكان لها في ربضها أسواق كبيرة ، فنقل السلطان بعضها الى داخل السور . وهي ناحية واسعة الكور كثيرة الضياع والبادية وارتفاعها دون ارتفاع برقة في وقتنا هذا . وبها من الفواكه الطيبة اللذيذة الجيدة القمية الشبه بالمغرب وغيره : كالخوخ الفرسك والكمثري اللذين لا شبه لهما بمكان . وبها اجهر الكثير من الصوف المرتفع (1) وطيقان الاكسية الفاخرة الرقق والكحل النفوسية (...) والسود والبيض الشمية الى مراكب تحط ليلا ونهارا وترد بالتجارة على مر الاوقات والساعات ، صباح ومساء من بلد الروم وارض المغرب بضروب الامتعة والمطاعم (2) . وأهلها قوم مرموقون من بين من حولهم بنصفة لاعراض وثياب والاحوال منيرون منحملون في نفس وحسن هيئة وتنعم في معاش . الى مروءات ظاهرة حسنة ورحمة مستفيضة وبيوت حميدة . في مراء لا يفترق وعقول مستوية وصحة نية ومعاملة محمودة ومذهب الى طاعة السلطان سديد ، ورباطات كثيرة ومحبة للغريب اثيرة ذائعة . ولهم في الخير مذهب من طريق العصبية لا يدانيهم فيها بلد . قد وردت مراكب ميناهم . عرضت لهم دائما ريح تحرية فيشتد هبوبها لانكشافه ويصعب الارساء . فيبادر أهل البلد بقواربهم ومراسيهم وحبالهم متطوعين ، فيقيد المركب ويرسى به في أسرع وقت بغير كلفة لاحد ولا غرامة حبة ولا حزاء بمثقال .

المقدسي

طرابلس مدينة كبيرة على البحر مسورة بحجارة . لها باب بحري وباب شرقي وباب الحوف وباب العرب . شربهم من آبار وماء مطر كثيرة الفواكه والاجاص والتفاح والالبان والعسل واسمها كثير

(1) راجع : Sergeant, Textiles ARS Islamica XV, 44.

(2) راجع : [illegible] Mélanges G. Marçais II 54

مدينة أطرابلس . يذكر أن تفسير أطرابلس بالاعجمية الاغريقية : ثلاث مدن . وسماها اليونانيون طربليطة . وذلك بلغتهم أيضا ثلاث مدن . لاس طر ، معناه ثلاث . وبليطه يعنـــي مدينة . ويذكر أن اشفاروس ، قيصر ، هو الذي بناها . وتسمى أيضا مدينة أطرابلس ، مدينة باس . وعلى مدينة أطرابلس صور صخر جليل ابيضان وهي على شاطئ البحر ، وسمى جامعها حسن مبنى . ولها أسواق حافلة جامعة وحمامات كثيرة فاصلة وباطرابلس مسجد يعرف بمسجد شعاب مقصود ، وحولها أنباط وفي بربرها من كلامهم بالبطية (٥) ، في قرارات ، وفي شرقيها وغربيها مسيرة ثلاثة أيام الى موضع يعرف ببني النسيري وفي القبلة مسيرة يومين الى حد هوارة وفيها رباطات كثيرة يأوي إليها الصالحون ، أعمرها واشهرها ، مسجد الشعاب ومرساها مأمون من أكثر الرياح .

ومغداس ، منها الى قصور حسان مرحلة . ومن سرت الى مغداس مرحلة ومن قصـــور حسان الى الراشدة ، وهي بيرشريب ، سماها بهذا الاسم حسان بن النعمان هذا وانت تتوجه من مصر إلى المغرب . ومغمداس هو صنم قائم على شاطئ البحر ، حوله أصنام (1) وبه قصر سماه الاعرابي ، عامل سرت لبني عبيد الله . وبمغمداس التقا أبو الاحوص عمرو العجلي مـــع أبي الخطاب عبد الاعلى بن السمح القائم بدعوة الاباضية . فاقتتلوا على البحر ، فهزم أبو الاحوص العجلي الى مصر واحتوى أبو الخطاب على معسكره وقتل بشرا كثيرا من أصحابه وانصرف إلى طرابلس ، وذلك سنة ثنتين وأربعين ومائة (2) . ولما قتل زهير بن قيس في برقه استعمل عبد الملك بن مروان ، حسان بن النعمان الغساني (3) على افريقية ، فخرج اليها في

، في طبعة دوسلان وجميع أصحاب البربر كلامهم ، فتصحف هذا على قيس وهو أكثر احتمالا .

(1) راجع ترجمة البكري لدوسلان ، ص 21 هامش 3

(2) راجع بشان هذه الحوادث : ابن عذاري : البيان المغرب (طبعة بيروت 1 / 82 — 83) .

(3) يختلف روايات المؤرخين كثيرا بشان تاريخ هذه الحادثة فبعضهم كالليثي حوادث سنة 74 يذكرها في عهد الحكم بين حوادث سنة 76 ، 77 . في الوقت الذي يؤرخ هذه الحادثة في عهد عبد الملك في سنة 78 ويتردد سنة 77 تاريخ مقبول لهذا التعيين ، حيث ان مقتل زهير البلوي وقع في سنة السابعة (76) .
لا ينقطع واخراج الرخام لا ينقضي .

استعمل عبد الملك بن مروان ، حسان بن النعمان الغساني على افريقية ، فخرج اليها في المحرم سنة ثمان وستين ، فلقي عساكر الكاهنة بارض قابس ، وعلى مقدمتها القائد الذي كان مع كسيلة بن لمزم ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقتل صاحب خيل حسان بن النعمان وانهزم حسان واصحابه الى المنهل المعروف بقصور حسان بطريق مصر وقتل من اصحابه عدد كثير وأسر منهم نحو ثمانين رجلا فاحسنت الكاهنة اليهم واطلقتهم عبر واحد ، وهو يزيد ابن القيسي فوصلوا الى حسان واخبروه بخبر يزيد ، فسر بذلك حسان وكتب الى عبد الملك يعلمه بما نزل به من الكاهنة ويسأله أن يمده بالجيوش ، فكتب اليه عبد الملك أن يقيم بمكانه ، فبقي هناك قصرين وهما اليوم خربان .

ومدينة طرابلس كثيرة الثمار والخيرات ولها بساتين جليلة في شرقيها ويتصل بالمدينة سبخة كبيرة يرفع منها الملح الكثير وداخل مدينتها بير يعرف ببئر أبي الكتود ، يعيرون به ويحمق من شرب منه ، فيقال للرجل إذا أتى بماء يسلام لا يعتب عليك ، لانك شربت من بئر أبي الكتود ، واعذب آبارها بئر القمة

وذكر الليث بن سعد ، قال غزا عمرو بن العاص (1) مدينة أطرابلس سنة ثلاث وعشرين ، حتى نزل القبة التي على الشرف من شرقيها فحاصرها شهرا ، لايقدر منهم على شيء ، فخرج رجل من مدلج (2) ذات يوم من معسكر عمرو متصيدا في سبعة نفر فصوا غربي المدينة ، فاشتد عليهم الحر فدخلوا جحرا على ضفة البحر وكان البحر لاصق بسور المدينة ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور ، وكانت سفن البحر شارعة في مرساها في بيعتها ، فنفض مدلجي وصاحبه ، فاذا البحر قد غاض ناحية المدينة فدخلوا منه حتى أتوا من ناحية الكنيسة ، فكبروا ، فلم يكن للروم مفزع لاسفنهم وقتل عمرو بجيشه حتى دخل عليهم فلم يفلت الروم لا بما خف هم في مراكبهم

(1) عمرو بن العاص بن وائل سهمي قرشي ، يكنى أبا عبد الله ، أسلم في هدنة الحديبية ، وولاه الرسول (ص) غزوة ذات السلاسل ، وولاه أبو بكر فلسطين ، ثم فتح مصر ، وولاه عمر عليها ، ثم عزله عثمان ، ثم ولاه معاوية ، توفي سنة ثلاث وأربعين ، وقيل سنة ثمان وأربعين ، وقيل سنة تسع وخمسين ، وقيل غير ذلك ، وهو ابن تسعين سنة ، وقيل غير ذلك . (الاستيعاب ج 2 ص 493 ، 494 ، 495 ، 496 ، 497 ، 498 ، 499 ، 500 ، 501 ، 502 ، 503 ، 504 ، 505 ، 506 ، 507 ، 508 ، 509 ، 510 ، 511 ، 512 ،

[illegible] حسرون [illegible] [illegible] [illegible]

وفي كتاب ابن عبد الحكم (1) . ان عمرو بن العاص نزل على مدينة طرابلس في سنة 23 من الهجرة فملكها عنوة واستولى على ما فيها . قال

وكان من تسرّت منحصنين لما بلغهم (*) محاصرة عمرو طرابلس وسمها سارة وسرت لسوق المقدم . وبما نقله ابن سارة . عبد الرحمن بن حبيب سنة 31 فهذا يدل على أن طرابلس سمّيت بكورة وأن سارة قصبتها وقد ذكروا ان طرابلس معدودة ثلاث مدن وهذا يدل على انها ليست مدينة بعينها . وأنها كورة ويسمى اهل طرابلس العرب . عمرو بن عبد العزيز بن عبد الله بن يوسف الطرابلسي المالكي لقبه سمعني وثنى عليه وهو نقل في كتاب العربي

هـذب المـذهـب حـمـيـر أحـسـن الله خـلاصـة
بـبـسـيـط ووسـيـط ووجـيـز وخـلاصـة

وسافر إلى بغداد ومات بها سنة 510 هـ . وأبو الحسن علي بن عبد الله بن محفوظ الطرابلسي كان به اهتمام بتاريخ وصف تاريخ لطرابلس وكان فاضلا في فنون شتى . أخذ عنه سمعني وسافر إلى الحج فأدركته منية في مكة في ذي الحجة 566 هـ . وقال أبو طيب يمدح عبد الله بن حزم الطرابلسي

لو كان فيض يديه ماء غاديه
غرقت في عيب في مجمع لبس

---

(1) عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين . أبو القاسم أقدم من وصلت إلينا مؤلفاته من مؤرخي مصر الإسلامية وهو يعتبر من أسرة مصرية كان جده رئيس شرطة المالكية فحفظه في هذا المذهب وقد نسب لأسرته كثير من الأصحاب في عهد الولاة لأنها رفضت القول بخلق القرآن وقد توفي بن عبد الحكم في شعبان سنة 257 هـ [illegible] Massicé [illegible] 11 11 [illegible] [illegible] [illegible]

اكارم حسد الارض السماء بهم
وقصرت كل مصر على طسم وجديس
أي الملوك وهم قصدي أحاذره ،
وأي قرن ، وهم سيفي وترسي

وقال أحمد بن الحسين بن حيدرة يعرف بابن حرسان الطرابلسي

أحبابنا ! غير رهد في محبتكم كوني بمصر وأنتم بطرابلس
إن زرتكم ، فالسباب في زيارتكم وإن هجرتكم فالهجر مفترضي
ولست أرجو نجاحا في زيارتكم إلا إذا خاض بحر من دم فرسي
وأنثني ورماح الخط قد حطمت في كل أروع لا وان ولا نكس
حتى يصير عميد الجيش بينهما كما يصير كضوء الفجر في الغلس
يفدي نبيك عبد الله حاسدهم بجسمه الغير يفدي حافر الفرس

وفي بلاد طرابلس ، قال صاحب معجم البلدان : طرابلس مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام بين اللاذقية وعكة ، وزعم بعضهم انها بغير همزة .

ثم مضى دورد قائمة طويلة من العلماء والاعيان الذين ينتسبون الى طرابلس

ابن سعيد

وفي شرقي جرمة وجنوبها ، يتقهقر البحر الى الشمال حتى تكون مدينة طرابلس مشهورة . وتقع بين ثلاثين درجة وعرض اثنتين وثلاثين درجة ، وفي شرقيها على مرحلتين ، جبل قوسه متصل بجبل دمر وهو يتصل به من الجنوب الى جبل درب الذي يدخل في البحر المحيط ، وطوله ستة ايام ، وعرضه ثلاثة ايام ، وفيه مدن وعمائر وحقل كثير ومياه وخصب ومنه تمتار طرابلس كثير من الخيرات ، حتى الحصر والفواكه ، وفيه زيتون وزيت وزبيب وتمر ، ويتصل به جبل لبنان ينقطع في شرقي مدينة بيروت ، وتأثر هذه المدينة من برجه وبحجره لهرقية تشهد بحسنها المشاهد ، وهي على البحر حيث طول تسع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرض مثلث عرض طرابلس وعلى الجملة ، فقد وقفت طرابلس لا تلتقي مدينة فيها حمام ولا اخبار الى ان تصل الى الاسكندرية .

العـــدري

ثم وصلت الى مدينة مرسى ... وهي محفل مدنه وفيها معلم عرس ... قصرت صلاة وصمت ودخلت بحيرة سائر وقصدت تتبع مقاصدها لتعلل شرق لحسب وتربة صلاة مسرق . وشاطئ قد قطف . اكتنفه بحر وقفر ! واستولى عليه من عرب البر وبحري بحر سفق وبحر . وشرفت منه على تفاصيل شرق التحيح يوم لنشير

لانرى بها شجر ولاثمر . ولا تحس في رحابها حوض ولا نهر . ولا تحتسي إلا بحوض بئر ولا بهر . بل هي اقفر من حوف حمار . وهي سوسية كاسمها تحسار ... مس على ماسي منهم فصال لمن شبه ولا لذي الفضل بينهم هيبه ... وملابس يلبسها يلبس بها من ملا من نعيوب لعيبه . في بحر لومرح ماء البحر حمد وحفظ ماء سكن في دورك . وحق يصيق به متسع لعضاء وبرق يحق به في دمهم كسف بعضاء . وذهب رت في قصر على الحاتم . سوداء بديها من حرب ومن سلم . كأنهم من صيق فهامهم ما يخرجه ما الى العالم . فسبحان من خلقهم !

أبـو الفـــدا

ومرسى هي آخر مدينة تي في شرقي تغيروت ... وقد وقفت مرسى مشرق . لاتتقلى مدينة على لبحر مسية بالبحر . حصينة وسعه كثيرة . حصينة حد . وليس بها ماء جار . بل جباب وعليها سواقي . قال في العزيزي : وهي مرسى للمراكب

التجـــاني

وما وجهت في مرسى وشرفت عليها . كاد بياضها مع شعاع شمس . يعشى لابصار . فعرفت صدق تسميتهم بها مدينة بيضاء . وخرج جميع منها فصهر بالاستقبال . فعلى صفتهم بالبياض . ويحلى وفي سنة ذكرت عن سكناه . وهو قصبة بلاد . فمرسى بها ما ... آخر لصحراء مدينة على هذه لنقسة . غير أن بحر قد تكثر منها . وهو مرتع بلاد بها . فيه حوتها لسفن . وفي بحر منها . مسجد معروف في ساحله يسمى عيسوه . لأن عيسوه من شيوخ سكان بجتمعون فيه لعبادة فيقول من سكنه . وذكر لي بعض لمجاورين بها فيما يذكرون مع ذلك بأسماء ... من لاسم

وكان فيما يسمى هذه القصبة موضع يعرف بالرياض مخصوص بولاة الجند . وقصبته من المدن التي مصروح رؤساء طرابلس في خدمته . ويذكر بأن من حسنه وشدة وضخامة بنيته . وهو الآن خراب ، عيران به آثارا دالة على ما يذكر عنه . وقد اقطع هذا الموضع في هذا الوقت لبعض العرب فغير عن حاله وابتنى في موضعه دارا .

ودخلت جنده بلد . وهو محور بقصبة قريبة جدا صعبة المرتقى . لا يدخل إليه من محرس عليه ويجاور من شرف نهايته . وكان هذا الحمام من منافع القصبة . فيه من جملة ما يسع منه . وهو الآن محرس على بعض مساكن . وبالقرب من هذا الحمام خرب كبيرة لا يعلم ما محرس ذلك . وبينه وبين شاطئ البحر نحو كثير منه . ولا محرس بساحل ومستدعه . وذلك أن كثيرا تخترق مدينة طرابلس وعرض من وهي تجري على هيئة شط يحدد قاصي يسمى مشى نهر حلاله . وبينه سوره من الأعداء وحرس سائر ما يدخل سوره وسبب ذلك أن لأهلها حظا من محدد يصرفونه في ما سواه وهو يحتاج إليه من فهم سوره . فهم لا يزالون يحدون شيء فيه ويبدلون ثلاثة ثلاثة . وبينهم قد سرعوا في حفر خندق متسع يرونه يحصنهم من كل جانب بلد . وبينه وبين حفره من جهة بلد نقيبة ومشرق . وعرضهم في حفره هذا موضع يعرفونه بالرملة وهو خندق رمل متسع لاصق لجانب سوره . ولا يزالون يدأبون بنقل من ذلك الموضع . قد جهدوا جهدهم في حمله ورميه في بحر عادته يرجع كما كان . لا يقدرون على موضعه ولا يبرحونه . وخصوصا ذلك الموضع لذلك الكثيب من الرمل من اعجب الأشياء وهو على القصد من موضع رايته ظاهرة . حال من رمل . مع ما قد جهد من بشر قد تعب كثيرهم في نقل رمل من موضع إلى موضع . وحسبي ما يعاين جماعة من محدثين في ذلك الموضع بقصد من حيث يدأبهم . وبهم لا يزالون يرصدونه رمالا جديدة من ريح رمل شديد . فيرون الرمال تتفرق عنه يمينا وشمالا .

وكان افتتاح طرابلس في القديم على يد عمرو بن العاص رحمه الله ورضي عنه . بعد افتتاحه لمصر والاسكندرية . وذلك سنة اثنتين وعشرين . سار اليها في جيشه . فمر على شرقها من جهة الشرق وقام عليها شهرا لا يقدر منهم على شيء . وقد كانوا استعدوا بقبيل من الروم يعرفون بنفوسة ، دخلوا معهم في دين النصرانية .

(واستولى عمرو) على مدينة فهدم سورها ورحل عنها . ثم جدد بناء سورها من جهة البر على يد عبد الرحمن بن حبيب المتغلب على افريقية في آخر دولة بني أمية سنة اثنتين وثلاثين ومائة

وأطرابلس . مدينة شرقي تونس على البحر واقعة في الاقليم الثالث . قال ابن سعيد (اقتباس الطول والعرض) . قال في تقويم البلدان : (اقتباس وصف أبي الفدا وما ذكره صاحب العزيزي)

سـرت (1)

ابن حـوقـل

وسرت مدينة ذات سور صالح كالمنيع من طين وطابية وبها قنائل من البر ، وهم مزارع في نفس البر تقصد نواحيها إذا أمطرت وتنتج مزارعها . ولبعامن وحوه الاموال والغلات والصدقات في سائمة الإبل والغنم مايزيد على حال أجدابية وماها في وقتنا هذا وبها نخيل تحمي أرطابها ويبس بها من القسب (2) واتمر ماتذكر خاله . لأن نخيلهم بقدر كفايتهم . وهم أعناب وفواكه وسعارهم صالحة على مر الأوقات . والمتولى صدقاتهم وحمايتهم وخراجهم وما يجب على القوافل تجارة بهم صاحب صلاتهم . واليه جميع مجاري أمر البلد النظر فيه وفيما ورد إليه وصدر في شيفاء ضرائبه ولوازمه . وعنده سجلات والمباشر بمواجب ما على الأمتعة وتصفحها . حوف بحيلة لوقعة دون الأداء عنه بافريقية ودخلها أوفر من دخل أحد إليه لما ذكرت وهي على عدوة سهم عن البحر في مستوى من رمل . وترد المراكب أيضا عليها بامتناع . وتصدر عنها بسبب منه ، كالشب لسرتي . فانه بها عزيز كثير . وبالصوف أيضا (3) ولحوم المعز أغذى فيها من الضأن وبقر وتقوم بحوم الضأن فيها مقام المعز بغيرها لانها غير ملائمة لأهلها مستوفة ، ويختارون من لحم مرعيها وشرب الماء من ماء مطر يحتبس في موضع عند سورها وغير

(1) راجع غير ما ذكر : Courtois, remarques sur le commerce .
(Melanges G. Marçais . II) Agostini (De), le Popolamenti delli Tripolitania . Tantoli (A). Guida dell Tripolitania

(2) في لسان العرب . القسب : التمر اليابس تعتث في الغم صلب النواة .

(3) انظر : Sergeant, textile ARS Islamica, XI 44

وأعز وأكثر منه بما حاورها . ولسرير حاصرة بنفس قصبة سرت وبينهم حلاف على مر الأوقات وحروب وربما ثارت بعض الأحايين قريبة ولا تدوم وعامتهم قائم بنفسه من تحت يد سلطانهم الأعظم

البكـــري

ومنه (ودان) يخرج الى مدينة سرت . وبينها وبين رويلة مسيرة اثنى عشر يوما ، وبينها وبين ودان مثل ذلك . ومدينة سرت مدينة كبيرة على سيف البحر عليها سور طوب وبها جامع وحمام وسوق ولها ثلاثة ابواب قبلي وحوفي وباب صغير الى البحر . ليس حولها ارياض ولهم نخل وبساتين وآبار عذبة وحياب كثيرة دبائحهم المعز ولحومها عذبة طيبة وأهل سرت من أحسن عباد الله خلقا وأسوئهم معاملة لا ينتعون إلا بسعر قد اتفق جميعهم عليه وربما نزل المركب بساحلهم موسوقا بالزيت وهم أحوج الناس اليه فيعمدون الى الزقاق الفارغة فيملحونها ثم يصفونها في حوانيتهم واقيتهم ليرى أهل المركب ان الزيت عندهم كثير باثر . فلو أقام أهل المركب ما شاء الله أن يقيموا ما باعوا منهم إلا على حكمتهم . وهم كلام يتراطنون به ليس بعربي ولا عجمي ولا بربري ولا قبطي ولا يعرفه غيرهم . وهم على خلاف أهل طرابلس . فان أهل طرابلس أحسن خلق الله معاشرة واجودهم معاملة وأبرهم بغريب .

الادريســي

ومن مدينة صرتيس في جهة الشرق الى مدينة سرت 230 ميلا . وهي مرحلة وبين مدينة سرت والبحر ميلان وعليها سور تراب ، وهي استدارة رمل وهو بقايا جبل ، ولا ينبت بفسدها وليس بها من العشب ما يأوجله ولا من الشجر ما يودان . وكان بخيلهم فيما سلف فوق ما هو كثير من شجر الفتوت وبقايا من شجر النين كثير . غير أن العرب تأتي على أكثر ذلك لكفاف هم . وكانت هم أعناب وفواكه إلا أنها قد تلفت في وقتنا هذا ولم يبق بها شيء لا ما كان في بطون الاودية ورؤس الجبال ومياهها من المطر في المواحل . وآبارها قليلة وعليها قبائل من البربر

ياقــوت

سرت ، بضم أوله وسكون ثانية مدينة على ساحل البحر الرومي بين برقة وطرابلس

بعرب ، لاباس بها وفي سمنها من ناحية الحبوب في البر ، أجدابية ، ومنها يقصد الى اطرابلس بعرب قال أبو الحسن علي بن المفضل المقدسي نحافظ من أصحاب السلفي أنشدني أبوبكر عتيق بن القاسم السرقي لنفسه :

أقـــول لعيـــني دائمـــا ولـــدمعهـــا
لســـان بســـر الحب في الخـــد نـــاطق
اجـدك مـا ينفـك لي منـــك ضمـائـــر
بســـري واش أو لحبـــــي رامـــق
فلـو لاك لمـا أعـرف العشـــــق أولا
ولـــو لاه لم يعـــرف بأنـــي عـاشـــق

ابن سعيد

وهي ثمان رويلة ، مدينة سرت ، وهي من القواعد القديمة المذكورة في الكتب وعلى لسنة المدرة . وقد خربها العرب ولم يبق بها الا قصور سكنها اتباعهم وكذلك جهاتها ، فيها على لطريق قصور تحرز العرب الذين يحرثون حولها وموضوع هذه المدينة حيث لطول ثلاث وأربعون درجة ونصف ، والعرض ثلاثون درجة وهي على ساحل الرقاق . وفي غربها جون ردقية الذي يقال له جون رديق . لادقيق . وفيما بين سرت واجدابية يدخل البحر الى اشمال في الاقليم الرابع

أبو الفدا

قال ابن سعيد : وسرت من القواعد القديمة (الخ . الاقتباس مذكور أعلاه) . والطريق من هذه الجهة على القيروان مصر أقرب منها على الساحل . وفي الصحاري بين سرت وساحل ، عمل المعز الفاطمي صهاريج لما عزم على غزو مصر .

ودان

اليعقوبي

ودان ... [illegible] من مدينة ... [illegible] ... [illegible] ... [illegible]

ى ودان بسر بن أرطاة (1) وهو محاصر أطرابلس . فافتتحها . وذلك في سنة ثلاث وعشرين ودان بن عبد الحكم ثم انهم قصروا عهدهم ومعهم ما كان بسر بن ارطاة فرض عليهم . فخرج عقبة بن نافع الفهري الى المغرب بعد معاوية بن حديج . وذلك سنة ربعين ومعه بسر بن ارطـاة .

الادريـسي

وودان حرائر نخل متصلة وعمارات كثيرة . وودان هذه ناحية في جنوب صرت . وهما قصران بينهما مقدار رمية سهم . والقصر الذي يلي الساحل خال والذي مع البرية مسكون ولها آبار كثيرة ويزرعون بها الذرة وبغربيها غابات وحوضها شجر النوت كثير . وشجر تين ذاهب ونخل كثير وتمور ليبة حلوة . وان كانت تمور أوحنه أكثر . فتمور ودان أطيب . ومنه يدخل الى بلاد السودان وغيرها .

ياقـوت

ودان ثلاثة مواضع . أحدها بين مكة والمدينة . قرية جامعة . . .

وودان أيضا جبل طويل بين فيد والخليص . وودان أيضا مدينة بافريقية افتتحها عقبة بن عامر (2) في سنة 46 . أيام معاوية . وينسب إليها أبو الحسن علي بن أبي اسحاق الودائي ، صاحب الديوان بصقلية له ادب وشعر ذكره ابن القطاع وانشد له :

من يـشتري مـني النهـار بـليلـة
لا فـرق بين نجـومها وصحـابي

(1) بسر بن ارطاة أبو أرطاة العامري . صحابي . من الولاة الشجعان الدهاة . ولد بمكة وعاش في الجاهلية . وهو الذي قتل ابني عبيد الله بن العباس . وقد كان من كبار الشخصيات التي حملت عثمان معاوية على فتح مصر . فتوفي في سنة 41 . ثم عاد إلى الحجاز وعاش هناك حتى مع مصعب في سنة 70 . وكان من الولاة الذين حاربوا في الجيش في أيام عبد الملك بن مروان . راجع ترجمته في حجر العسقلاني (الاصابة 1 / 192) والذهبي . سير أعلام النبلاء (144/1) ومعجم البلدان (الاقتباس أسفله) .

(2) عقبة بن عامر بن عبس بن عدي الجهني . صحابي شهد مواقعه صفين في جيش معاوية وحضر مع معاوية غزو مصر . وولي إمرة مصر سنة 58 هـ . راجع ترجمته وأخباره لابن حزم ص 416 . وابن الأثير الكامل 3 / 520 . ابن حجر ، الاصابة رقم 5603 .

دارت على فـــلك السمـــاء ونحن قد

درنـــا على فـــلك مـــن الاداب

دان الصبـــاح ولا أتـــى وكـــانـــه

شيب أطـــل من ســـواد شبـــاب

ويمضي بقوت فيقتبس ما ذكره البكري مما أورده اعلاه ثم يقول :

والطريق من طرابلس الى ودان يسير في بلاد هوارة نحو جنوب في بيوت من شعر . وهناك قريات ومدن الى قصر اس ميمون من عمل طرابلس . ثم تسير ثلاثة أيام الى صنم من حجارة مبني على ربوة يسمى كرزة . ومن حواليه من قبائل البربر يقربون له القربين ويستسقون به الى اليوم ومنه الى ودان ثلاثة أيام وكان عمرو بن العاص بعث الى ودان بسرية ، وهو محاصر لطرابلس فافتتحها سنة 23 هـ ثم نقضوا عهدهم ومنعوه ما كان قد فرضه بسرعتهم . فخرج عقبة بن نافع بعد معاوية بن حديج إلى المغرب في سنة 46 هـ بسرية فريدة شريك بن صخيم حتى نزل بعد امس من سرت فحلف عقبة حيثه هناك واستحلف عليهم زهير بن قيس البلوي (1) ثم سار بنفسه في أربعمائة فارس وأربعمائة بعير شمالا مائة فرسخ حتى قدم ودان فافتتحها وأخذ ملكها فخدع أنفه . فقال له فعلت هذا وقد عاهدت المسلمين ؟ قال أدبك إذا مسست أنفك ذكرت فيه تحارب العرب . واستخرج منها ما كان قد فرض عليه . وهو ثلاثمائة وستون راسا .

ابن سعيد

وفي شرقيها ودان . وهي حزائر نخل ومياه وفيها حيث تطول حدتي وأربعون درجة . والعرض سبع وعشرون درجة وخمسون دقيقة . وفيها كان يحكم [في عصرنا] طوبية نفسه وفي شرقيها بلاد فزان . وهي أيضا حزائر نخل ومياه وعمائر أكثر من ودان . والجميع الان في طاعة ملك الكانم .

(1) من القادة الأمراء . شهد فتح مصر وولاه عبد العزيز بن [illegible]

زويلة

اليعقـــوبي

ووراء ذلك بلد زويلة مما يلي القبلة . وهم قوم مسلمون أباضية كلهم يحجون إلى بيت الله الحرام . وأكثرهم رواده ويجرحون الرقيق من السودان من المغربين والرعاويين وغيرهم من أجناس السودان . لقربهم منهم ويسبونهم وبلغني أن ملوك السودان يبيعون السودان من غير شيء ولا حرب ومن زويلة إلى غدامس وهي أرض بحر ومدينة درة وغيرها وبها خلائط من خراسان ومن البصرة والكوفة .

البكـــري

الزويلة .. مدينة غير مسورة في وسط الصحراء وهي أول حد بلاد السودان وبها جامع وحمام يجتمع بها الرفاق من كل جهة منها . ومنها يفترق قاصدهم وتتشعب طرقهم . وبها نخيل وبساط للزرع يسقى بالإبل (*) ولما فتح عمرو بن العاص برقة . بعث عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة . وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين . وبزويلة قبر دعبل بن علي الخزاعي (1) الشاعر . قال بكر بن حماد :

(*) كذا في الأصل والمرجع : يسمى بالأبار .

(1) شاعر هجاء . أصله من الكوفة وكان ممن هجاهم من خلفاء بني العباس . وشهد وفاته ، توفي سنة ٢٤٦ هـ . ابن خلكان ، وفيات الأعيان (2/266 - 270) ، ابن تغريبردي ، النجوم الزاهرة (2/190) .

المـــوت غـــادر دعبـــلا بزويـلـــة
وبـارض بـرقـة أحمد بن خصيـــب

وبين رويلة ومدينة أجدابية أربعة عشر يوما . ولاهل رويلة حكمة في احتراس بلدهم ، وذلك ان الذي عليه نوبة الاحتراس منهم يعمد إلى دابة فيشد عليها حزمة حطب كبيرة من جريد النخل تنال سعفها الارض ثم يدور بها حول المدينة . فاذا أصبح من الغد ركب ذلك المحترس ومن يتبعه على حمال السروج ودارروا بالمدينة . فان رأوا أثرا حار حا من المدينة اتبعوه حتى يدركوه أينما توجه بصاحبه وعدده ومتاعه وبعيره ورويلة من طرابلس بين المغرب وقسنة ويحسب من رويلة الرقيق الى ناحية افريقية وما هنالك . ومسايعاتهم بثياب حمر قصار . وبين رويلة وبلاد كانم أربعون مرحلة ، وراء صحراء بلاد رويلة لا يكاد أحد يصل اليهم . وهم سودان مشركون ويزعمون ان هنالك قوم من بني أمية صاروا اليها عند محنتهم بالعباسيين وهم على دين العرب واحوالهم . وبين مدينة رويلة ومدينة سبها مسيرة خمسة أيام .

الادريســي

ومدينة رويلة ابن خطاب في صحراء . وهي مدينة صغيرة وبها أسواق . ومنها يدخل الى حمل من بلاد السودان . وشرب أهلها من آبار عذبة ولها نخيل كثير ، وتمرها حسن . والمسافرون يأتونها بامتعة من حمارها وحمل من أمور يحتاج اليها . والعرب تجول في أرضها وتضر باهلها قدر الطاقة . وكل هذه الاراضين التي ذكرناها ملك بايدي العرب فمن قصر العطش الى قافز ، هي لدصرة (1) وعميرة (2) وهما قبيلتان من العرب . ومن قافز إلى طميثة إلى تَكّ ، وهي لقبيلة من البربر متعربين يقال لهم مرابة وريبانة وهوارة . وهم يركبون الخيول ويعتقبون الرماح لطوال ويحمون تلك الأراضي عن العرب أن تدوس ديارهم وهم عرة ونحوة وحلادة

يـاقـــوت

رويلة ، بفتح أوله وكسر ثانية ، بلدان . أحدهما زويلة السودان ، مقابل أجدابية ، في البربر بلاد السودان وافريقية . قال البكري : رويلة مدينة عبر مسورة (الخ . الاقتباس المذكور أعلاه) .

(1) ناصرة عشيرة كانت محالفة لبني سليم بن منصور .
(2) عميرة بن الدعام (؟) بطن من دوماء بن بكيل من القحطانية .

وروبة المهدية . وهي مدينة بافريقية بناها المهدي عبيد الله . جد هؤلاء لدين كـــو مصر ، الى جانب المهدية .

ابن سعيد

وهي شرقيها بلاد فزان ، وهي أيضا حواثر نخل ومياه لها مدد وعمائر أكثر من ودان وقاعدة فزان رويلة ، حيث تطول ثلاث وأربعون درجة وتعرض سبع وعشرون درجة وأربعون دقيقة .

فـــزّان (1)

أبـو الفـدا

زويلة ، بفتح الزين المعجمة وكسر لواو وعن ابن سعيد : زويلة قاعدة بلاد فزان (الخ . الاقتباس أعلاه) ومن المشترك : رويلة في قبلة افريقية ، قال وروبة ايضا مدينة محدثة كالربض للمهدية جعلها المهدي أول الخلفاء العلويين مسكنا لرعيته وسكن هو وجنده المهدية . قال في العبري : ومدينة رويلة مدينة كثيرة النخيل وزرع أهلها يسقى من الابار .

القـزويـنـي

رويبة مدينة بافريقية غير مسورة في حدود السودان ولاهلها خاصية عجيبة في معرفة آثار

راجع عن فـ

Masson (P.) Historique des établissements et du commerce ... Barth (H.) Reisen und Entdeckungen ... Nord- und Central-Afrika ... Duveyrier (H.) Les Touareg du Nord ... Nachtigal (G.) Sahara und Sudan ... Scarin (E.) Guida del Fezzan ... Despois (J.) Le massif central tripolitain ... Le Fezzan ... Les oasis du Fezzan ... Les oasis ... dans IBLA ... 1948 ... Rohlfs (G.) Im Lande der Sahara ... Oases d'Afrique ... Vatonne (B.) Histoire d'un pays saharien ... dans ... orient ... 1960 ... Hornemann ... Tagebuch ... seiner Reise von Cairo Nach Murzuk ... Lyon ... A Narrative of travels in North Africa ... Richardson ... travels in the great desert of Sahara ... Overweg (A.) Historical and Political ... Barth ... Reisen ... Beurmann ... Reisen von Benghasi ... Murzuk ... Rohlfs ... Mittheilungen ... Fezzan ... Mercier (E.) St. Eustache ... Tripoli ... Bonnassieux (Y.) Description des oasis de l'Afrique ... Fezzan ... Mercier ... autrefois ... 1937 ... Documents Algériens ... le Fezzan ... 1948 ... Despois (J.) Impressions du Fezzan ... Revue d'Alger ... 1944 ... Braunschweig (R.) ... texte arabe du IXe siècle ... intéressant ... Fezzan ... Corps (G.) ... Note ... sur ... Archéologie du Fezzan ... Travaux de l'Institut de Recherches sahariennes ... 1958 ... Vatonne (B.) Histoire d'un pays saharien (le Fezzan oriental. 2e trim. 1960)

القدم . ليس لغيرهم تلك الخصية . حتى يعرفون اثر قدم الغريب والبدوي والرجل والمرأة والذكر والعبد الآبق والامة . والذي يتولى احتراس المدينة يعمد إلى دابة يشد عليها حزمة من جرائد النخل ، بحيث يذل سعفه الارض ثم يدور به حول المدينة . فاذا أصبح ركب ودار حول المدينة . فان رأى أثرا خارجا تبعه حتى ادركه اينما اتجه .

وقد بنى عبيد الله المهدي ، جد خلفاء مصر ، في جنوب غربيه مدينة اخرى سماها المهدية ، بينها وبين سبيطلة كان يسكن هو وهذه المدينة . وسكن لعامة في زويلة ( ) وكانت دكاكينهم وما لهم بالمهدية . وبزويلة مساكنهم فكانوا يدخلون للمهدية وزويلة لمعيشته . ويخرجون لسبيل في هدايهم . فتبيل للمهدي بنى بينك في هذا في حاجة . فقال لكل بنى زحة . لاي سبيل فرق بينهم وبين اموالهم . وبالنهار فرق بينهم وبين هدايهم . فثامن غائلتهم بالليل والنهار .

حتى لأمر على عهد بني محمد بن وبنة وعدة قد بزويلة في كل ليلة بعد صلاة

أوجلـــة (1)

ابن حـوقـــل

وجزيرة اوجلة منها على ثلاثة أميال عمرها وجمورها . وهي ناحية ذات نخيل غضيضة وعلات من شعر حسيسة ويشبهها وقتئذ هذا رجل من ناحية صاحب برقة . وهو يكتفي بغلتها ومنها يحمل على جزيرة بسطفان في حسبة مثل برقة . فما ضمت من برقة غير منها وكثر وردت الحال في ذلك .

البكـــري

ثم تمشي أربعة أيام الى مدينة أوجلة ، وهي مدينة عامرة كثيرة النخل . وأوجلة اسم الناحية ، اسم المدينة أرزاقية . وأوجلة قرى كثيرة فيها نخل وشجر كثير وفواكه . وبمدينتها مساجد واسواق ، ثم أربعة أيام الى مدينة تاجرفت .

الادريـــسي

ومن أجدابية الى أوجلة مراحل . ومدينة أوجلة مدينة صغيرة متحضرة فيها قوم ساكنون كثير وتجارة ودلك قدر احتياجهم واحتياج العرب . وهي في ناحية الرمل بطيف بها نخل وعلات لاهلها . ومنها يدخل الى كثير من أرض السودان نحو بلاد كوار وبلاد كوكو . وهي في رصيف

(1) رجع عن ما ذكر Pacho Relation d'un voyage dans la Marmarique et la Cyrenaique et les Oasis d'Awbjila ; Ency de l'Islam (Gyver). وأنظر مقاله اوجله

طريق والوارد عليها والصادر كثير . وأرض أوجلة وبرقة أرض واحدة ، ومياهها قليلة وشرب أهلها من المواجل . ومن أوجلة الى مدينة زالة مراحل عربا وهي مدينة صغيرة ذات سوق عامرة وبها اخلاط من البربر من هوارة وتجاري وفي أهلها حماية ومروءة .

ياقـوت

أوجلة ، مدينة في جنوبي برقة نحو المغرب ضاربة الى البر . قال البكري : (الاقتباس المذكور أعلاه) .

ابن سعيـد

وعلى جنوبي الطريق الى الاسكندرية أوجلة . وهي جزيرة في تلك الرمال وعمارة في تلك الصحاري فيها ماء ونخل [وهي] تحت حضارة هيت (1) حيث خطوط خمسة وأربعون درجة واثنتان وخمسون دقيقة . وفي سمتها مدينة سانترية .

∴

(1) نص من سليم بن منصور ، من الغدامس وهو هيت من سهله بن سليم . ذكرها عند قصة صغيره تي ذكي بعد الاسكندرية راجع العبر 72/6 — 73 ؛ البيان والاعراب للمقريزي ، ص 67 .

بـرقــة (1)

اليـعقــوبي

مدينة برقة في مرج واسع وتربة حمراء شديدة الحمرة وهي مدينة عليا عليها سور وأبواب حديد وخندق . أمر ببناء السور المتوكل على الله . وشرب أهلها من ماء الامطار يأتي من الجبل في وديه الى برك عظيمة عملها الخلفاء ولامراء لشرب اهل مدينة برقة وحوي مدينه برقه ما يسكنها الجند وغير الجند . وفي دور المدينة والارباض أخلاط من الناس . وأكثر من بها جند قدماء قد صار لهم الاولاد والاعقاب . وبين مدينة برقة وبين ساحل البحر المالح ستة أميال . ولبرقة جبلان أحدهما يقال له الشرقي .

ابن حـوقــل

فاما برقة فمدينة وسطة ليست بالكبيرة الفخمةولا بالصغيرة الزرية . ولها كور عامرة وعامرة . وهي في بقعة فسيحة تكون مسيرتها يوما وكسرا في مثله . ويحيط بالبقعة من جميع جهاتها وأرضها حمراء خلوقية التربة . وثياب أهلها أبدا محمرة . ويعرف أهلها بالفسطاط من بين سكان المغرب بحمر ثيابهم وتعيرهم . ويطوف بها من كل جانب منها باديتها يسكنها الطوائف من

---

(1) يطلق اسم برقه في تعريفه على الأرض ذات الأحجار المختلفة الألوان وبرقه تشمل ، على وجه التقريب ، ولاية بنغازي حاليا وقد شهرت أرض برقه بخصب في عصور القديمة جع

Della cella viaggio di Tripoli di Barbaria arc frontiere del Egitto Fitto nel 87 Pacho voyage dans la Marmarique et la cyrenaique Beechey Expedition to explore the North coast of Africa Barth Travels in North Africa Hamilton wandrings in North Africa Minutoli Tripolitania Playfair. Bibliography of the barbary states

مرسى وهي مرسى بحرية حسنة ووحده مرسى حسنة وهي في مسيرة أيام منها من مصر إلى القيروان وبها من التجار وكثرة العرباء في كل وقت مالا يقطع طلابا لما فيها من التجارة . وعابرين عليها مغربين ومشرقين . ولذلك أنها تنفرد في التجارة بالقطران الذي ليس في كثير من بلوحي كهو . والجلود المجلوبة للدباغة في مصر . والتمور الواصلة إليها من جزيرة أوجلة ولها أسواق جدة جزء من بيوع الصوف والشعر والعسل والشمع والزيت والصروف الذي تصدره من المشرق وما يرده من المغرب وشرب أهلها من ماء المطر الذي يجمعونه في صهاريجهم وسعارها بأكثر الأوقات فائضة بالرخص في جميع الاغذية .

المقدسي

برقة قصبة جليلة عامرة نفيسة كثيرة الفواكه والخيرات والاعشاب مع يسار . وهي في ثغر [illegible] تربة حمراء شربهم من آبارهم يجمعونه من المطر في حياض وهي على حدود مصر يحتمل أن تعد من أعمال أهل مصر وصلاح وقل ضلال من غيرهم

البكري

برقة واسمها بالرومية الاعريقية بطابلس . وتفسيرة خمس مدن (1) وصار اليها عمرو بن العاص حتى صالح أهلها على ثلاثة عشر الفا يؤدونها اليه جزية . على ان يبيعوا من أحبوا من سائهم في جزيرتهم قال ليث ابن سعد (2) كتب عمرو بن العاص على أيلة (3) في شرطه عليهم ان تبيعوا نساءكم فيما عليكم من جزية وسمع عمرو يقول على منبر لاهل بلاشس عهد يؤدي في هم به ومدينة برقة في صحراء حمراء تربة ومدي . فتحمر لذلك ثياب سكانها والمتصرفين فيها . وعلى ستة أميال منها الجبل وهي دائمة الرخاء كثيرة الخير تصبح بها السائمة وتسمى على مراعيها . واكثر ذبائح أهل مصر منها . ويحمل منها إلى مصر العسل والصوف والقطران .

(1) هم هذه المدن هي معروفة في القديم باسمها Barca Cyrene Apollonius Berenica

(2) هو الليث بن سعد الفهمي . أبو الحارث إمام مصر في عصره في الحديث وفقهه وصفه الإمام الشافعي رضي الله عنه من مات ( ) وتلمذ له سعد عدد كبير من المؤلفين ترجم له حكمان وفات الأعيان 4 127 ابن حجر . تهذيب التهذيب 8 459 ، المقريزي في مذكره الخطط 1 207 ، القلقشندي . صبح الأعشى 3 399 ، ابن تغريبردي . النجوم الزاهرة 82/2 ؛ شمس الدين الذهبي ، ميزان الاعتدال 361/2 .

(3) قبيلة برقة كما جاء منها يقصد برقة وهذه القبيلة هي التي تحدث عنها بروكب Procope ebathia وتردد اسمها كثيرا في كتب مصر

وهو يعمل بها نقرية من قراها يقال لها مقة فوق جبل وعر لا يرقى اليها فارس على حال . وهي كثيرة الشجر من الحور والاثرج والسفرجل وصنف شجره يشبه شجر الصنوبر وينتصل به شعراء غريضة من شجر العرعر . وبمدينة برقة قبر رويفع (1) . صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وحول مدينة برقة قبائل من لواته ومن الافارق وفي الطريق من برقة إلى افريقية وادي مسوس ، فيه قدر حربة وحساب يقال ان عددها ثلاثمائة وستون ، وبها بساتين وفي هذا الوادي التربة التي يغلى [يجلب ؟] منها العسل .

الادريسي

فاما مدينة برقة ، فمدينة متوسطة المقدار ، ليست بكبيرة لقطر ولا بصغيرة ، غير أنها في هذا الوقت عامرها قليل واسواقها كاسدة وكانت فيما سلف على غير هذه الصفة . وهي أول مصر يرحله القادم من مصر الى القيروان . ولها كور عامرة بالعرب . وهي في بقعة فسيحة يكون مسيرة يوم وكسرا في مثله ويحيط بهذه البقعة جبل ، وأرض حمراء حلوقية التراب وثياب مسيرها يوما وكسرا في مثله ويحيط بهذه البقعة جبل ، وأرضا حمراء حلوقية التراب . وثياب أهلها ابدا أحمر . وبذلك يعرف أهلها في سائر البلاد المحيطة بها . والصادرة عنها والواردة اليها كثير في الاحايين لانها بعيدة عن البلاد المجاورة المقاومة لها في جميع حالاتها . وهي برية بحرية . وكان لها من الغلات في سائر الزمان القطن المنسوب اليها الذي لا يجانسه صنف من صنف قطن وكان بها ولى الان ، دبر بديع جيد بقرية وتصور له صنه اليها من اوحة . وهي الان يتجهز منها مراكب والمسافرون يوصون بها من الاسكندرية وغيرها بالصوف والعسل والزيت وتخرج منها التربة المنسوبة اليها فيتنفع فيها الناس ويتداوون بها مع زيت بحرب ولحكة ودماء بحية . وهي تربة حمراء وقد نعيت في مصر . فحت هذه كرائحة الكبريت فصيغة الدخان كريهة الطعم . ومن برقة الى مدينة أوجلة في البرية مراحل . وكذلك من برقة الى اجدابية مراحل ، وهي من الاميال 152 ميل ومن برقة الى الاسكندرية 21 مرحلة وهي من الاميال 550 ميل . والارض التي بينها يقال لها أرض بريق .

---

(1) رويفع بن ثابت الأنصاري شهد فتح مصر وأمره معاوية على طرابلس في سنة 46 هـ . فغزا فرنجيه وتوفي ببرقه وقبره مشهور في جبل الأخضر جنوب بنغازي . معجم الأعلام (101) . أحمد بك عرابي ، مشاهير العرب (21)

ياقـوت

برقة ، بفتح أوله والتسكين ، اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وافريقية . واسم مدينتها أنطابلس . وتفسيره الخمس مدن . قال بطليموس : طول مدينة برقة ثلاث وستون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وعشر دقائق . وقال صاحب الزيج : طولها ثلاث وأربعون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة . وارض برقة أرض خنوقية بحيث ثياب أهلها أبدا محمرة لذلك . ويحيط بها البربر من كل جانب . وفي برقة فواكه كثيرة وحيرات واسعة مثل حور ولور وانرج وسفرجل . وفي مدينة برقة قبر رويفع ، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم . وأهلها يشربون من ماء السماء يجري في أودية ويفيض الى برك بناها لهم الملوك ، ولها آبار . ولها ساحل يقال له أجيه وهي مدينة بها سوق ومنبر وعدة محارس على ستة أميال من برقة ، وساحل آخر يقال له طلمونية . وبين برقة والاسكندرية شهر .

قال أحمد بن محمد الهمداني : من الفسطاط الى برقة مئتان وعشرون فرسخا . وهي مما افتتح صلحا . صالحهم عليها عمرو بن العاص والزم أهلها من الجزية ثلاثة عشر ألف دينار وأن يبيعوا اولادهم (الخ . ما ذكره البكري) .

وقد نسب الى برقة جماعة من أهل العلم ، منهم : أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعيد بن زرعة الزهري البرقي ، أبو بكر مولى ابن زهرة ، حدث بالمعازي عن عبد الملك بن هشام وكان ثقة ثبتا وله تاريخ ، واخوه محمد وعبد الرحيم ابنا عبد الله رووا جميعا كتاب السيرة عن ابن هشام ، قاله ابن ماكولا . وذكر ابن يونس احمد بن عبد الله في البرقيين ، وذكر محمد في المصريين .

ابن سعيد

وكانت البلاد تعرف بانطابلس ، فسمتها العرب برقة لما رأته [فيها من] كثرة الحجارة المختلطة بالرمل . ومرسى طرق قل ان يكون به بطير على البحر فما تريح عليها من سيل كانه حوض منفور في حجر .

وفي الشرق ، مدينة برقة التي كانت قاعدة البلاد البرقية فخربها العرب ويقال لها اليوم مدينة المرج . وبينها وبين طلمية عشرة أميال .

وخصب برقة الذي فيه الاشجار والخيرات . هو في الدحلة التي في جنوبها ومسافته نحو عشرة مراحل من عرب الى شرق ومن حماه عرب هيت فله الصولة . ومن جبالها ينزل نهر درنة وينصب في البحر المالح . ولم أر في جميع بلاد برقة نهرا غيره . وفي جنوبه الصحراء المقفرة .

∴

اجـدابيـــة (1)

ابن حـوقـــل

واليها مدينة أجدابية على صحصاح من حجر في مستواه بناؤه بالطين والأجر وبعضها بالحجارة ولها جامع نظيف . ويطيف بها من أحياء البربر خلق كثير ولها زرع بالبخس وليس بها ولا ببرقة ماء جار . وبها نخيل حسب كفايتهم وبمقدار حاجتهم ووالبها القائم عليها من وجوه الأمـــوال وصدقات بربرها وخراج زروعهم وتعشير خضرهم وبساتينهم ، هو اميرها وصاحب صلاتها . وله من وراء مايقبضه لسلطان لوازم على القوافل الصادرة والواردة من بلاد السودان . وهي أيضا قريبة من البحر المغربي ، فترد عليها المراكب بالمتاع والجهاز وتصدر عنها بضروب من التجاره وكثير مما يخرج منها الاكسية المصرية وشقق الصوف المغربية الأمر . وشرب اهلها من ماء السماء

المقـــدسـي

اجدابية عامرة . بنيانهم من حجارة على البحر وشر بهم من الامطار . وسرت كذلك ولهم بوادي وشعارى .

البكـــري

ومدينة اجدابية ، مدينة كبيرة في صحراء ، أرضها صفا وأبارها منقورة في الصفا . طيبة

(1) هذا موقع يحمل هذا الاسم ، أجدابيا عبر بعيد من المدينة الكبيرة ، وشتان في الخصوب بينهما على مقربة من سرت . وهذا الموقع هو الذي يصفه الكتاب في الصفحات التالية

... وبها عين ماء عذب وبها ساقيتين تسقي وبحل يسير وليس بها من الاشجار الا الاراك وبها جامع حسن البناء ، بناه أبو القاسم ابن عبيد الله له صومعة مثمنة بديعة العمل وحمامات وفنادق كثيرة واسواق حافلة مقصودة . وأهلها ذوو يسار أكثرهم اقباط وبها بئر من صرحاء بنائه . ولها مرسى على البحر يعرف بالماحور لها ثلاثة قصور بينه وبينها ثمانية عشر ميلا . وليس في احدابية سقوف خشب ، إنما هي أقباء طوب لكثرة رياحها ودوام هبوبها وهي رخيصة الاسعار كثيرة التمر يأتيها من مدينة أوجلة أصناف التمور .

الادريسي

ومدينة أجدابية في صحصاح من حجر مستوكان لها سور فيما سلف ، وأما الان فلم يبق منه إلا قصير في الصحراء والبحر منها على 4 أميال وليس بها ولا حولها شيء من النبات وأهلها يعاشون عليهم يهود ومسلمون تجار . ويطوف بها من أحياء البربر خلق كثير وليس باجدابية ولا ببرقة ماء جار ، وإنما ميرههم من الماء حس وسط في التي يزرعون عليها فيبل بحنطه ولا أكثر بسعير وحروب القطاني والحبوب . ومن أجدابية الى أوجلة مراحل

ياقوت

أجدابية ... بلد بين برقة وطرابلس العرب بينه وبين رويلة نحو شهر سيرا ، على ما قاله ابن حوقل وقال أبو عبيد البكري : أجدابية مدينة كبيرة (الخ . الاقتباس انوارد) .

وقال غيره أجدابية مدينة كثيرة النخل والتمور ، وبين غربيها وجنوبها مدينة أوجلة . وهي من أعمالها . وهي أكثر بلاد المغرب نخلا وأجودها تمرا . وأجدابية في الاقليم الرابع وعرضها سبع وثلاثون درجة . وهي من فتوح عمرو بن العاص . فتحها مع برقة صلحا على خمسة آلاف دينار وأسلم كثير من بربرها . ينسب اليها ابو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل بن أحمد بن عبد الله الطرابلسي (1) يعرف بابن الاجدابي كان أديبا فاضلا له تصانيف حسنة منها كفاية المحتفظ ، وهو مختصر في اللغة مشهور ، مستعمل جيد ، وكتاب الانوار وغير ذلك

* * *

(1) هو ابراهيم بن إسحاق بن أحمد بن سعيد العواني الأجدابي (توفي في نحو 470 هـ) باحث لغوي له ، بن جانب الكتابين المذكورين بقوت هنا ، مختصر في علم الأنساب رجع أحمد بيك . منهل العذب 1 154 ـ 156 ، ياقوت ، ارشاد الأديب 47/1 .

الملحـــق
وصـــف كتـــاب الاستبصـــار
لمـــؤلـــف مجهـــول
للمـــدن المغـــربيـــة

ســـرت :

ومدينة سرت مدينة كبيرة قديمة على ساحل بحر وهي حصن ليس حصن وسورها معقد . لا يبيعون ولا يبتاعون إلا بسعر يتفقون عليه . و بها سوق مركب بساحلها موسوم بالزيت وهم أخوج ما يكون إليه فيعمدون إلى أرفاق بقعة فيفجرونها ويصنعونها في حوانيتهم ليرى أهل مركب أن سرت عندهم كثير فمن أقام هناك ما شاء الله أن يقيم . ولا يخرجون منهم إلا على حكمهم وهم يعرفون بعيد قوله ويغضون لذلك .

مدينة اطرابلس :

وهي مدن قريبة على ساحل مدينة طرابلس وهي مدينة كبيرة قريبة على ساحل بحر . والبحر يضرب في سورها من حجر جليل من صنعة الأولين . وقبل أن تعمر طرابلس 3 مدن وقبل مدينة طرابلس وبها سوق حافل وحمامات كثيرة وبساتين في شرقها . وهي كثيرة الفواكه خصبة خيرات وأكثر أهلها تجار يسافرون براً وبحراً ولهم سمح في تجارتهم . وهم أحسن الناس معاملة ضد أهل سرت . وداخل سورها بئر يعرف ببئر الكبود . يقال أنه من شرب منه يحمق . فهم يعيرون به . يقال مر رجل منهم إلى بعض بلاد عيبه لا عتب عليك . لأنك شربت من بئر الكبود

مـدينـة قـابـس :

مدينة قابس تعد أيضاً من بلاد البحرين . بينها وبين طرابلس 8 أيام . وهي مدينة كبيرة قديمة أثرية وعليها سور صخر جليل من بناء الأول . وهو حصن حصين وأرباض واسعة . وفيها فنادق وحمامات وهو حصن حصين خندق كبير حوله ماء فيه إذا خافوا من بعض عدوهم فيكون معه شيء وهو واد يسقي بساتينه وأرضيه ومزارعه . واصل هذا الوادي من عين جارية في جبل بين قفصة ومقرب وهو يصب في البحر بين مدينة قابس وبين بحر 3 أميال وحمامها أكثر من بحر وهي كثيرة الثمار وافرة بها كثير وليس بطريقة الجور الا فيه . وفيها شجر التوت كثير ويربي بها الحرير . وحريرها أطيب الحرير وأرقه وليس يعمل بطريقة حرير إلا بها . وهي مدينة فاخرة بحرية صخرية وبحرية منها قريبة . فيقال انهما اجتمع في مدينة خمسة أشياء متصادة موضع لا في مدينة من بلاد قابس يجتمع فيها

حت لطرق ونحم بعرف بطرقي وبرصد لحمى . فهي حصرة هذا لاقليم وقصبته و وحه وقلبه ومركز دائرته التي عليها يدور محيطه و لاستناد به تمهد حمه والله بعصمه بعزته

ذكر مدينة القيروان وكيفية وضعها سنة 47 من الهجرة

وفي معاوية بن ابي سفيان عقبة بن نافع الفهري على افريقية فافتحها في 10 لاف من المسلمين ومعه سيف وفي من بها من البربر ، ثم قال لهم اني قد فتحت لكم هذه البلاد وقد خرج عنها رجع كل من جاء منهم عن دين الله . فهل لكم يا معشر مسلمين أن تتخذوا مدينة تكون لكم عز الابد ؟ فأحبه الناس وتفقه على ان يكون هذه مرتصى فيها . وقد بقربها من البحر سهل تجهد وبرتاط ، فقال لهم عقبة نحاف من هذه القسطنطينية فتنغصها عليكم على موضعها فقال له بعض من معه . قال اكثر دونكم لايل تكون اسكم على بابها . في مرحبها منه من شر . فدعا الله في بعيصة من وحوش وبهوم وقال اخرجوا بدن الله فخرج كل ما كان فيها حتى لم يبق من الحيوانات شيء . وهم ينظرون اليها . وقال ان رفيق في ان نحله فنقيب القيروان 40 سنة ، يوقيها عيش ولا هوام .

[وبنا هو في قبله لجامع قامت عقبة مهمه وهي في منه قوللا نقاس به حجارة بيدك ، فحبث من سمعت تكبير فمش قد انقطع تكبيره وكثر بناء ، قد موضع فسلكم . فتمم عقبة ذلك فهو موضع قبلة وهو محراب جامع القيروان ، الى اليوم .]

وقد هذه حسان بن النعمان جامع القيروان حشر تحرب فيه بركة . وبنى به هذه المئذنة التي هي الى اليوم . ثم ولي القيروان يزيد ان يكون جامع من بنيانه ، وكان يركون منه تحرب تلك الساعة عقبة رحمه الله]. وبنى به سنة 248 هجرية بعد ان استعفى من عمل الله تحريف فيه مسجد القيروان . وذلك سنة 249 هجرية بعد ان اهل القيروان تضرعوا الى الله عز وجل جمعه بدعاء عقبة بن نافع فاستجاب في ذلك بناسمه الجامع . فلما وصل ذلك الى معد غضب وامر بنبش قبر عقبة بن نافع واحراق عظامه ، فلما وجد قبره ظاهر مدينة تهوذ . حيث استشهد رحمه الله بعد ذلك 500 من البربر ، حتى قيل فيما ذكر من قبره وجدوه على حاله . لم تبل عمامته ولا خلقت ولا وقع حافره ، وقعت على صفحة كادت تهلكهم . فاضربوا وهم يضربونه فحفروا عنه وهو قائم في صخرة حتى سمعوه يقول هيت هيت ثم بلي وصاروا معهم من مستضعفين ، وجامع القيروان الذي بناه حسان بن النعمان بالقصور بناه البربر على حسن منهاج لا منهم . كانت في كسوته من كتان ، وهو قائم في جامع القيروان حسان بن النعمان وهم مقبلون نحوه . عليهم عمائم نحوه وأرجح ، وبنى القيروان 19 مرحلا منها ، هي مسافات لاهل القيروان منهم من بنى في بنائه من عند نفسه ومن بنى منه بيده من حجارته وعصمه شاه وقصبه منصب من حجارة حسان بن النعمان ما عدا القيروان ، وهو مشتق منه . وفي وسطه صومعة مثمنة وفي علاه قبة مخروطة على

بوب . وقد وقف ترمي على صفته وهي أشد ما يمكن من القسي لا يدرك صومعة التي في وسطه وكان ذلك الساحل قصر عصبه فيه من الناس للعجيب والتعرف للشرفة على ذلك الساحل كل شيء غريب وعلم في هذا الساحل ساحل بصيف متصل به يقع فيه ماء الوادي الذي يجري . فتكسر فيه حدة جريانه ثم يدخل الساحل الكبير ، وهذا الوادي الذي يدخل الساحل إنما هو وادي شتوي يجري في أيام الشتاء . فقد أمتلأ هذا الساحل وغيره من سواحل شرب منه أهل القيروان وموشيهم ، ويرفع ماء هذا الساحل الى أيام بصيف ، فتكون هذه البرك عدد صالح لكثرة الماء فيه وكان عبيد الله الشيعي يقول رأيت بقريقه شيئين ما رأيت مثلهما بمشرق الحجر الذي بباب تونس من القيروان يعني هذا الساحل الكبير ، والقصر الذي برقادة المعروف بقصر البحر .

مدينة صبرة

وهي متصلة بالقيروان . وهي مدينة كبيرة بها مساجد وحمامات مصورة وكانت بها حبوب كثيرة . يقال أنه كان يدخل حد بوبها كل يوم 26 ألف درهم ، والله علم بالصواب

مدينة رقادة :

وهي من القيروان على 4 ميل وهي مدينة كبيرة دورها 24040 ذراع . كانت أكثر بلاد إفريقية سكانا وأهولها . وليس بإفريقية أعذب هواء من رقادة ، ولا في بلدها أطيب تربة . يقال أن من دخلها لم يزل يضحك مستبشرا مسرورا من غير سبب . وذكر أن واحدا من ملوك بني الأغلب ، كان قد أصابه أرق شديد وشرد عنه النوم دواما فعالجه إسحاق المنجم وهو الذي ينسب إليه الأسطرلاب ، فأمره بالخروج والنزه والمشي قبل طلوع الشمس إلى موضع رقادة ، فسميت رقادة من يومئذ ، وأتخذت موضع قرحه ومتنزها لملوك . ويقال أن الملك الذي بنى مدينة رقادة هو إبراهيم بن أحمد بن (محمد) بن الأغلب (261 ـ 289 هـ) فحصنها ، وعمل مملكته ومسكنه . قيل ومع بيع تسمية بالقيروان وتسميه مدينة رقادة بسبب جنده وعبيده ، فقال في ذلك بعض الشعراء .

يا سيد الناس وابن سيدهم ... ومن إليه تضوب مقوده

ما حرم الشرب في مدينتك ... وهو حلال ناص قاده

وفيها بويع عبيد الله الشيعي ، ذكره ابن الجزار في تاريخه .

مدينة سفاقس :

هي مدينة بإفريقية كبيرة من بلاد وبها طيب . من كل ما يرفق ومن جميع ما يتصيد عليه ، ومنها يحمل إلى قرطبة . وبرك وتحمله ما كان إلى بلاد الروم وعليه معول في صيدها وبقربها مكان وقد به وجميع سواحل ناص كثيرة لكثرة وطيبه وقد كان ملكها عدد لجهات الساحلية الى أن أخرجهم منها أمير المؤمنين سنة 555 هـ .

مدينة المهدية

وهي مدينة عظيمة بناها عبيد الله الشيعي لما قام هو وعبد الله الداعي وهو الذي قدم وبصره الداعي عليه بمحمد بن سنبر وخرجه من سجن مصر . ثم استحجب عليه ولما جمعه وعده على ذلك أشياء كثيرة وكان الشيوخ يقولون له هو المهدي وضعه مكان لعدوان شاعي بأبي ويحث عنه حتى جاءه صاحب هذا الاسم . وقد كان وقته وخبرهما مشهور . وبين المهدية والقيروان 60 ميلا . والبحر قد أحاط بالمدينة إلا من جانب غربي وفيه بابها . وبها ميناء كبير يسمى رادس . وفيه الأسواق والمهدية سوق مدينة بالصحراء الجبل . وبها بئر من حديد لا حشب فيها بها على واحد منهم 1000 قفل وطوله 30 شبرا وفيه صوت مخوف . وهي من عجائب ما عمل في الإسلام وفي المهدية 360 محلا . لكل مصر . سوق ما خلا بها من بضاعة إلى جانبها عبيد الله من قرية مسلس وبنى على مصره من المهدية والمهدية مبنية بالحجارة المنحوتة المقطعة في الجبل الذي بينها وبين 30 ميلا . وكان على فرسخ منها سلسلة جبال من غرب إلى شرق تعمل منها الحجارة المنحوتة وتحمل إلى المهدية ثم منها كما كان وذلك بحصن بغلا يحملها مركب يوم من صفاقس وعدها كما كان في أيام بني الأغلب يؤتى بالحجارة من جميع الأقطار .

مدينة جلولا :

مدينة قديمة بها حصن وعين ماء في وسطها وهي كثيرة البساتين والأشجار . جيدة الفواكه والأنهار والبساتين بها كثيرة جدا . وأكثر بساتينها مسقفة وعصب عنبها يعرش مثل الكرمة ياسمينها وحرش نخلها له وأكثر فواكه القيروان تجلب إليها من جلولة .

مدينة سوسة

مدينة بها قديمة قبل الإسلام . وهي على ساحل بحر القيروان وعليها سور حصين مبني بالحجارة من جوف بناء قديم معمول بحجارة منحوتة وعلى السور فوق ذلك مبنية بالجص سور مدينة بشكل حصين يسمونه بالحريق . مخلص . وهو من الرمل من بحر قد فصلوه من صفاقس وسوسة في سواحل بحر صفاقس وهي مخصوصة بكثرة من الأسماك وجودة بالغ وقد وصف جميع ما بها من الأسماك . وقد مر ذكرها وكذلك لا نصنع في بلد من صنعة هذه المدينة وشباب سوسة معروفة لا يوجد في بلد . هذا مخلص الذي لا يوجد في غيرها وهي حبات شبيهة برقيقة مثل عدس معمول وعدد تساوي منه قفيزة 100 دينار وزيد بحمله بالبحر إلى جميع بلاد الإسلام . ويباع بقرب منه ثقل تقريبا وبحمه مدينة من صب بحوم وبقية صب مراعيه . ويقرب منه بحرم مستطيل بني حوله في الأثر وهو حصن على ساحل بحر مقابل

وفيه جماعة من الصالحين الذين يحبو التفهم فيه منفردين عن الأهل والعشائر . وأهل تلك البلاد يخرجون إليهم الصدقات وبقربه نحو 5 محارس متقنة البناء معمورة بالصالحين .

مدينة تونس :

مدينة عظيمة بينها وبين القيروان مسيرة 3 أيام وبينها وبين البحر نحو أربعة أيام وبينها وبين قرطاجنة نحو 10 أميال ومرسى واحد يسمى رادس وبقرب البحر رادس حرق لتحصر عن سفينة ، وكان البلد مذكورا في القرآن الذي كان بأحد كل سفينة عصفت . فمن قرطاجنة ، وهي المهدية ، ومن مرسى وتونس بحيرة يقول أهل تونس إنها كانت من نحو 100 سنة أصلها كثيرة الحيتان والسمك ويزرع حولها الكروم . فقست عليها من البحر وهم يعرفون موضع صيدهم فيها إلى الآن . ومدينة تونس مدينة قديمة البناء ذات عمر وبها حجر يقال له دوهة 24 ذراعا ، وبها جامع متقن البناء منيع الصنعة مطل على البحر وهو من عجائب الدنيا ، ومدينة تونس في سفح جبل وبها ماء عجيبة . وأكثر عقودات أبواب دورها رخام أبيض وحجارة وثيقة معترض مكان لعنه . ومن الأماكن الشريفة دور تونس بوابها جامع وقد حفها سحاب وهي دار علم وفقه وهم موصوفون بالقيام على البلاد . وعدد أهل القضاء على أمر يسير نحو 20 مرة لأنها أكثر البلاد بيعة وعهودا وأن سلامتها من شقي منوط بالي براهيم هذا الأمر العزيز . وبذلك لا سعادة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين أيده الله .

وبالقرب من تونس نحو 15 ميلا نهر كبير يسمى مجرده وهو طريق إلى المغرب ويقال إن من شرب من مائه فسي قلبه . فأكثر أهل تونس يتحسون شربه ومدينة تونس شرف على قرطبة وطنجة لمن رقصها فكلها فمن ذلك سور القرطبة . فمن أراد أن يمسه بدرقة فشربه . وكذلك برمان والأبلج وسفرجل وتين وجميع فواكه لا يوجد هذا كثير . وفيها من الحيوان نحوت بحرى ما لا يحصى لكثرته . وكان سكنها في القديم قرطبيش وبها سميت تونس في أيام الإسلام . وذلك أن المسلمين لما فتحوا قرطبة على يوم كانوا يضربون على بلادها وكان لقرطبيش هذه صومعة عالية فكانت مدار المسلمين فمن مر به ذلك صومعة وتونس صوت ، فيقولون هذا صومعة تونس ، فغلب عليها الاسم فسميت تونس .

مدينة قرطاجنة

بينها وبين تونس 15 ميلا ومرسى واحد وهي من البلاد المشهورة فيها من الآثار والعجائب ما ليس في بلد شرقا ولا غربا وفيها أساس ومشى فيها عمود شامل ذاهب في الهواء كل يوم عجائب وهو من قبل قبلي مسجدها كان ملكا عظيما جدا وكان ملك كل الأرض وكان يسمى [illegible] فاتحا لا يرد دونه ملك إلا أذعن له وكان قد صنع له [illegible] في [illegible] وكان [illegible] مدينة [illegible] مكانة [illegible] حصرها وحصنها

على ملكها وأفسد قصورها أرسل ملك روما قائدا من قواده . فحشر من كل بلاده من الروم والجيوش وأمرهم بالوصول إلى بلاد فريقية ويرسوا على فرضحسه ولم يبق فيها من يحاربهم فأرسلوا إلى ملكها أنهم يعلمونه أن جل بلادهم من بلاد أهل رومة ويسألونه الاسراع لإعانتهم . فلما فهمت من ذلك ملك قرطاجنه . وقال أردت قصع بسم الرومانيين من الدنيا . وطلب إليه السماح إذا عير ذلك ثم رجع الى بلاده مسرعا فرحف إليه شيبون فلما صاحب رومة فهزمه مرات عديده حتى فتله واستأصل عسكره ودخل قرطاجنة فهدمها وحرقها وخرب المسلمون مبانيها ، ولبث مشهورا وليس يمكن منها الآن لا قصر واحد يسمى بالمعلقة . وهذا من الغرب ما يكون لبناء مقرطق العظم والعمد فيه معقودة بعضها فوق بعض صفات كثيرة وهو مطل على البحر وهو حصن عظيم

وبقرطاجنة دير للمعلم ويسميه أهل تلك البلاد بالقطاطر هو كله فيه معقودة على سواري رخام وعليه مثلها بحوالي أربع مرات وقد خلت بلاد . وبلاد تونس من الغرب ما يكون من البناء وبها أبنية كثيرة وقد صور على كل بناء صوره نوع من الحيوان وقد صور في بعضها صور جميع الصناع بأيديهم لأنهم وفي هذه البلاد من الرخام ما هو جميع أهل فريقية على بنائه ما قدروا عليه بكثرته وكان فيها قصران يعرفان بالأختين ليس فيهما حجر سوى الرخام والرخام الواحدة لا يشبه حجر آخر شيء . ويوجد فيها بيت رخام طوله 30 شبرا وعرضه 15 شبرا وبقدر أنه وجد في غربيها بيت من بيوت واحد وليس بمقدور من رخام هذين القصرين بحسبه على قدم الزمان . وما فرغ إلى الآن وبهذين القصرين ماء محبوس من ناحية بحوف لا يعرف منبعه وكانت عليه بواجير وسواقي تسقي بساتينهم وكان بها قصر عظيم مطل على البحر يسمى قرمس وهو من أعجب ما فيها لأنه مبني على سواري رخام مفرغة الكبر والعظم يجلس على رأس السارية 12 خلا بينهم سفرة طعام وشرب وهي مشمسة . كل شمع منها يكون دور السارية منها 30 شبرا في علو مفرط وعليها سواري حجر معترضة وقد بني القصر على أقباء معقودة بعضها فوق بعض بغرب صناعة وأحكم بناء فكان هذا القصر حصنا وإنما هدم من عهد قريب وذلك أنه تحصن فيه قوم من القطاع فكانوا يقطعون بذلك الجهات ويلجؤون إليه فجرح إليهم أهل تونس وفتنوهم وهدموا القصر وبقربه موضع فيه أقباء وذخائر تحت الأرض بهذا المحبوس فيه . وفيه حبس يبنى على جانبه إذا مست ثلاثة لقدمها .

ودخل ميناء مدينة بنجه مركب فنوغه وفيه موحد كشاه بعضهم يسمى موحد شاهين بحسب ما سمعت منه يسمع فيه دوي من تحت المسمار في بحر فيه فمن حسر على بحر فيه حيوان فوجد فيه ذلك وقد دخلته معه صاحب في وقت مصر هذا ، من يكلم فيه بأذى كنت يسمع هذا دون عصر . وهذا من أعجب ما فيه بناء في بلاد تونس . وليس بداخله ماء بحر ، وذلك لإحكام صنعته . وهي 18 صهريجا معقودة بعضها في بعض في بقاع نحو 200 ذراع . في عرض كبير وفيها من الماء نحو 16 قيام ، ولا يعلم من اين يدخل ذلك الماء .

ومن عجائب هذا البحر أن القناة التي كان يأتي منها الحوت من عين حمقان إلى مدينة قوصحة على مسيرة خمسة أيام وهي قناة عظيمة كان يأتي عليها ماء كثير، 5 أذرع أو أكثر وعرض القناة نحو 8 أشبار، وينقطع منها نحو الثلثمائة ونصف نعيب مرة تحت الأرض في موضع المرتفعة وقد جرت على موضع منخفضة تكون على قدر قوة قدر حتى تساوي السحاب عليه، وهي من عرب بني الأرض، وفي وسط المدينة صهريج كبير جداً في وقتنا هذا نحو 170 ذراعاً سوى ما تهدم منه وكان ينبع فيه ماء الحوت في هذه القناة ويخرج من هذا الصهريج إلى بعض البيوت وإلى بعض الحمامات التي تحت القناطر كتابة في حجر فيل أنه ترجمت فوجدت هذا من عمل من سمرقند

مدينة بنزرت :

على البحر بينها وبين تونس نحو يومين وفيها من الحلاوى والصخر الذي وقع منه كثير بقصبة البحر، وفيه حوت كثير وينقرب منها بحيرة بقدر ثلاثة أميال تدخل إليها ماء البحر وهي منبعة، وفيها من أنواع الحوت ما لا يحصى، فيصطاد فيها من كل نوع من أنواع السمك الحوت الذي يأتي (فيها) ذلك النوع إلى شاطئ بعينه من هذه البحيرة فيصطاد فيها بحيث يحمل الحوت إلى جميع البلاد القريبة منها، وأكثر حوت تونس إنما هو من هذه البحيرة، وهذه البحيرة أعني صحيحة الحرم لا يبدو لها ولا يتولد فيها ولا يتشكل فيها شيء من الحوت ما بين البحر وهذه البحيرة وذلك أن الحوت يولد في البحر ويخرج منه صغيراً كما ترى في هذه البحيرة ثم يرجع في وقت سعادته وولادته إلى البحر، فيصطاد في البحر الذي بينها وبينه فيصطاد بالشبكة كما يصطاد الحمام، وهذه الشبكة هي التي الحوت معروف بها في قناة البحر، فيصيد فيتقل معه على عدد معلوم فيخرج لقناة ويرسله وقد ربط حبلاً في حلق وثيل في شفته السفلى في البحر ويتبعه في الماء وشكته وتدور عليه الشبكة فيخرج عليها شكته ويخرج ما قدر الله وبعد ذلك حتى يستوفي ما قدر الله وعلى مقربة من هذه البحيرة من جهة البحر بين الجبلين جبلين إلى أخرى منخفضة من غير أن يدخله ماء البحر تنصب كل واحدة منها بالأحرى سنة شهر على ما هي لا يتغير لواحدة منهما طعم فلا الحلوة تصير ملحة ولا الملحة تصير حلوة .

مدينة طبرقة

مدينة قديمة فيها آثار كثيرة للأول وهي على ساحل البحر تدخل إليها السفن في الماء (المدينة) .

مرسى الخرز :

وبالقرب منها (صفاقس) مرسى الخرز وهي مدينة قديمة قد أحاط بها البحر من كل جهة إلا مسلك ضيق، وبها قصبة البحر من قبل مسلك ضيق فيها وبها كانت تسكن ملكة

بحر و بلاد الروم وفيها يخرج المرجان ومنها يحمل الى بلاد الهند وهناك قوم لهم مراكب وروازق ليس لهم حرفة الا اخراج المرجان من قعر البحر وهو نبات مشجر له أغصان وصورة اخراجه من البحر (أن) لهم حشبا قد نصب بعضه على بعض ويلقون عليها حبالا لكتان أو ليف بثقوبها بمراسم ويلقونها في البحر وتمشون بالروازق فيجر ذلك الكتان على قعر البحر فيكسر المرجان ويعلق بالكتان فيتقدونه ويأخذون ما تعلق منه ويقال ان المرجان اذا كان في قعر البحر بارزا هو نبات له ورق مسه هواء اشتد وتحرج منه في ذلك البحر كل سنة من القصير وهو أنفس مرجان الهند وهو أنفق شيء بالهند والصين ويكون البحر الذي قرب ساحل قربه بنيوش من قرى سنده وهو مثل هذا في نصيب وأصل ويكون في بحر الأندلس ويكون في بعض جزائر البحر الأخضر وهذا أنفذها .

مدينة بونة :

مدينة قديمة من بناء الأول وفيها آثار كثيرة وهي على ربوة مشرفة على قحوصها وقرطاجنة . وهي من أمهات البلاد وأكثرها سمكا ولحما وعسلا وحوت البحر يضرب في سواحلها وفيها يشتمل على صفة البحر المذكور في الحجر صيد هذا الحوت وكيفيته ومتى يتمكن الناس منه وبقرب هذه المدينة ماء ساخن يسقى بسائبها وأصلها وموضع حمامها متنزه حسن مشرف على البحر ويطل على مدينة بونة حسن رائع وهو كثير الثلج والبرد ومن العجائب أن فيه مسجدا قديما لا يرى عليه شيء من ذلك الثلج فإن عم الثلج الجبل كله إلا المسجد في وسطه كأنه شامة ويعرى مدينة بونة بركة في دورها نحو 15 ميلا وفيها سمك كثير جليل وفيها طائر يعرف بالكيكل بالخواص وهو يعيش على وجه الماء ويفرح فإن أحس بحيوان أو إنسان يروم أخذه فر عشه بفرحه برجليه حتى يصيره في وسط البركة حيث يأمن وهو طائر حسن وهو الذي يسمى في مصر بالخواص وينحدر بمصر من جنده ثياب للبيع وجلدها وتباع بأثمنة الغالية . ومرسى مدينة بونة يسمى مرسى مدينة الأرقش . وهو من مرسى مشهورة وبونة في خور من البحر يسمى خور الأرقش وهو صعب وفيه عقب مركب القبطاني ومركب الفخرى ومراكب كثيرة .

مدينة القل :

مدينة قديمة فيها آثار كثيرة للأول من الروم وهي على ضفة البحر وهي مرسى مدينة القسطنطينية . وهي كثيرة الفواكه والخيرات والعسل فيها كثير . وفيها تفاح جليل وفيها بطرة وجنة عظيمة وهي بربر بحرية .

مدينة جيجل

مدينة قديمة على البحر كان لها سور قديم يضرب البحر فيه وهي على بطرة كبير وهي كثيرة العسل والتفاح والفواكه . ومنها تحمل الفواكه والعسل والشمع الى مدينة بجاية وعلى هذه المدينة جبل كثيف ويسمى جبل جيجلي . وهو كثير الحطب فيه فيل كثيرة من البربر . وفيه كانت دعوة أبي عبد الله

[illegible] . وبين جبل وبحيرة على ساحل البحر موضع يسمى منصورية . عليه حصن عظيم الرمة حافة مثل الحائط . فيها ثقب في سمك حجر ربع الذراع به . ينبعث منه ماء في كل وقت من الأوقات المعهودة بالصوت الخمس يسمع قبل نبعانه دوي كدوي الرحى الطاحنة . ينبعث الماء هكذا ليلا ونهاراً .

مدينة بحابة

هي مدينة عظيمة على ضفة البحر والبحر يضرب في سورها . وهي محدثة من بناء منوث صهاجه ، صاحب قلعة بني حماد الطويل وتعرف بقلعة حماد اليوم . وكان سبب بناءها أن العرب لما دخلوا افريقية ، وفسدوا القيروان وكثر مدن افريقية ، هرب منهم صاحب القيروان الصنهاجي وتحصن بمدينة المهدية وكان بن عمه . صاحب قلعة . منصور بن حماد شد شوكه من صاحب القيروان وكثر جيشه فخرج بنصرة ابن عمه وجيش جيشاً كثيراً فلقيته العرب بحمنة فحصل بينه وبين مقربه من القيروان فكان منهم يوم عظيم حتى هزم المنصور وقتل أخوه وأكثر صنهاجه . بعد منصور وسماها منصورية (كذا والاصح ناصرية). وانتقل ملكهم من قلعة بني حماد وتحصن هو ومملكتهم وبينه وبين قلعة بني حماد مسيرة أربعة أيام

وهي مدينة عظيمة على بحر شامخة حصينة بها من ثلاث جهات . وهي شرق وغرب وبحر وهي من جهة الغرب تسمى بالمضيق على ضفته نهر يسمى وادي كبير وطريق قلعة بني قلعة بني حماد على عقاب وعر . وكذلك طريقها إلى تبرق وليس بها طريق سهلة إلا من جهة الغرب فمنه يكون للغرب إليها سبيل . ولا كان يدخل إليها . من الغرب إلا من كان يعبث بها سمك مصانعته بلاد قلعة وعبيد فيدخلها افراد وفرسان دون عسكر . فبنى صاحب قلعة في ملك شامخ وعمر وبنى بصهاجي في ملكه صاحب مصر . فبنى بحانه على نهر كبير وقلعة عظيمة وبحانه معلقة من جبل وقد دخل في البحر يسمى ميسون . وعليها سور عظيم والبحر يضرب فيه ولها دار لصناعة مراكب وبناء سفن . وهي بمنزلة بلاد . وهي . فإنه ليس بناء من ضفته سوى قلعة . وهي مرسى عظيمة تحط فيه سفن . وهي من بناء عبد المؤمن من قصبة بلاد وهي معدن مستغل من الاسكندرية بطرف بلاد مصر وبلاد سبتة وتهدد والقصبة وغيرها . ومدينة بحانه كثيرة الفواكه والشجر وجميع الخيرات وهي مشرفة بربها . ومطلة على بحر . وعلى فحص قد خصت به حتى . قد وجد نحو 10 أميال تسقيه بها وعيون وقنى كثيرة يستسقيهم ولها بها كثير يشرب منها بحر ميسين . وذويهم . وعليه كثير من جنانه وقد صنعت عليه بالغ تسقى من بها . وبه منزه عظيم وفي بحانه موضع يعرف بالبوزه . وهو وقف من بحانه فخرج في البحر متصل بالمدينة فيه قصبة من بناء منوث صهاجه ، يرعون حسن منها بناء لا يرى موضعه فيه ربوة مشرفة على بحر عليها شاشة بحانه ولا يعرف بحريه بحانه والمجلس مفرضة سبعة حيطانها بحجارة لا يعلم من علاه إلى سفلها . قد نقشت حسن نقش

ورثت المذهب والمذاهب وقد كتبت فيها الكتابات المحسنة وصورت فيها الصور الحسنة فجاءت من حسن القصور وأتمها منتزها وجمالا .

وهو الجبل الميمون الذي فيه بجاية . جبل عظيم عال قد دخل في البحر . وقد خرج في البحر وفيه مياه ساخنة وعيون كثيرة وينابيع وهو كثير الفرده . ويكثر فيه الحيوان المتوحش المسمى بالدب

وفي ساحل هذه المدينة على ما وصفت وكتب فيها نقية صنهاجة الذين جعلوا يدخلون مشيهم ممن وقت دخوله كدخول ميروقه سمعوص فيهم من سوء جنسهم فدخلهم بجايه منهم علي بن إسحاق بن حمو بن عليه المتوفى سنة 580 هـ (1184 م) وولاه بجايه أمير المؤمنين أبي يوسف أيده الله وأعزه ونصره .

مرسى الدجاج :

مدينة بربرية على شاطئ البحر . والبحر يضرب في سورها وهي قديمة البناء . وفيها عجائب الأول . ولها ينابيع حارة . وبها الطير المسمى بالسماني كثير من البحر فتأتيها حزيرة ميورقه

حرائر بني مرغناي

مدينة زيبه على ضفة البحر والبحر يضرب في سورها وهي قديمة البناء فيها من العجائب ما على بها كانت دار مملكة بني الأغلب وفيها دار صنعة قد فرش صحنها بحجارة مفوفة مثل المبلط فيها صور الخيل والحيوان بأحكم صناعة وأبدع عمل . وبفضل بحر زيبه مرسى لمحص كبير يسمى لمحص متيجه وهو محص كبير عظيم كثير الخصب . والقرى والعمائر . متصلة لأنها وهو منها . قد احدقت به الجنان مثل الإكليل . وفي آخر هذا المحص جبل عليه لطارق وهو وعر جدا يسمى جبل وحر . وبسببه هلك بلاد بني يعرب . وبين يدخل إلى يعرب إلا منه وكانت بمدينة بني مرغناي كنيسة عظيمة فيها عجائب من الصنائع في أيام منه جدا . هو قبله شريعة بعجائب . وهو كثير النفوس والصور ومرسى مأمون وفيه عين عذبة يقصد بها الصحاب للسقي ويقابل هذا المرسى من الأندلس مرسى شكلة ، وتليها بجهة الغرب ، مدينة لقانية .

مدينة شرشال :

وهي مدينة كبيرة فيها آثار كثيرة للأول وهي غير مسكونة . وفيها بناء عجيب يسمى محراب سليمان ، قد علا في الهواء ويقابله من الأندلس مرسى الاقنت .

مدينة تنس :

بينها وبين البحر ميلان وهي مدينة مسورة وداخلها قصبة صغيرة بناؤها سكنها عامل بني يعقوب بها جامع وسوق حقيرة كثيرة فيها يسمى بالمدينة من داخل القصبة بها مستشفى من جهة الشمال وبحوض يصب في البحر وهي كثيرة الزرع خصبة الأرض . منها يحمل القمح إلى الأندلس

وفي بلاد فريقيه وفي بلاد المغرب ، كثيرة الزرع عندهم ، ولكنها وبيئة من يدخلها لا يسلم من المرض وكثيرا ما يموت بها الغرباء .

مدينة وهران

مدينة على صفة البحر بناها جماعة من الأندلسيين المحريين بسبب المرسى الملاقى مع قفل البر المحوزين لها فسكنوها مع قفل من البربر يقال لهم بني مسكين نحو 7 عوم ثم انه وقف اليهم قفل كثيرة من البربر يقصدون ثار بينهم وبين بني مسكين ، ففي من كان فيها من الأندلسيين وكان عندهم جماعة منهم ، فقصدوا لحربهم عليهم ، فلما صبغوا عليهم هربت بنو مسكين في الليل وتغلب البربر المحاصرين لها عليها . وأخرجوا من كان فيها وأضرموا فيها النار فاحترقت وهربت عند ذلك وبقيت سبيل خاوية ، ثم تراجع الناس اليها وبنوا فعادت أحسن مما كانت ، وهي مدينة كثيرة البساتين وثمارها ومياهها كثيرة وزرعها وعيون وهي من أعز البلاد ولها نظر كبير ، فيها قرية كبيرة . فيها آثار قديمة ، وهي موصوفة بعظم الخلق وكمال القامة ، والإباء والشدة . قال أبو عبيد البكري أخبرني غير واحد ممن دخل هذه المدينة أنهم لم ير الرجل بكامل من غيرهم يكون في مسكب الرجل منهم وإنه كان الرجل منهم إذا أراد أن يقيم بيته فإنما يقتصر على كتفه وحمله على ظهره وسعى منها بيته كبير وسكنه . وبهران مرسى كبير مغني للسفن يكن من الريح لأنه في خور جبل مطل على وهران مرتفع

مدينة أرشغول :

مدينة قديمة بها آثار كثيرة وهي على نهر تافنا . وهو نهر كبير تدخل فيه السفن ، ومدينة قريبة من البحر تصل اليها المراكب للتجارة . وهي ساحل يتصل بينها وبين تلمسان فحص رنبو لحرث القمح وهو مبارك مشهور البركة .

مدينة أسلسى :

وهي في شرق أرشغول بمغربه منها وكانت مدينة قديمة عليها سور من صخر وكانت حصينة ولها نهر يسقي بساتينها وثمارها .

مدينة تدرومة :

من طرف جبل وهران وهي مدينة حسنة كثيرة الزرع وهو كثير الجبصة لأسفلها وبها بساتين حصينة وزرع كثير بينها وبين البحر 10 أميال وبساحتها نهر ماء يسيل وهو نهر كبير الماء وله مرسى مقصود ، وعليه رباط حسن فيترك به .

مدينة تكسر

وهي مدينة كبيرة بينها وبين البحر نحو 10 أميال . وهي بين وادي وحش ، وبها نهران أحدهما يسمى تكسر ، وبه سميت ، ومخرجه من بلاد كزولة ، من جبل كزول ، ومن هذا الجبل ينبع نهر

معروف بوزعه ، وهو نهر كبير مشهور من أنهار المغرب ومدينة بكر كثيرة البساتين طيبة الفواكه ، لا سيما بالمشمش والرمان ، فليس يوجد مثلها في بلده . وهي قديمة البناء افتتحها سعيد بن ادريس بن صالح الحميري . وهو المعروف بسعيد الصالح ، في أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان وكان دخول أرض المغرب في الافتتاح الاول قبل موسى بن نصير وعلى يديه سلم البربر المجوس ، وهم صليحة وعماده . ثم اسلم منهم بشر كثير لما ثقلت عليهم شرائع الإسلام . ثم تلافاهم الله بهدايته ، وبنت سعيد هذه المدينة وقد كان نقص على شط البحر ، ورأى ذلك البلد سوء . وكانت بهم حروب كثيرة مع قبائل البربر وكانوا قد تصاهروا مع الحسنيين من بني ادريس . ملوك المغرب ، والمجوس مدينة بكر حسنة عمارة ونحته مرسى كثيرة منها مرسى بادس ، عليه عمارة كثيرة من البربر . وفيه السمك رخيص ، ومنه تحمل مراكب بطعام

مدينة تيطوان :

وهي مدينة قديمة كثيرة العيون والفواكه والزرع طيبة الهواء والماء .

مدينة سبتة

وهي على ضفة البحر ، وهو بحر الزقاق . والبحر قد أحاط بها شرقا وجوفا . وقبلة . وليس لها إلى البر غير طريق واحد من ناحية المغرب شاء الله ان يقطعوه لقطعوه ولها سور حديد محدث . ومنها من جهة البحر سور كثيرة وفي آخر المدينة بشرقها . جبل كبير في شرقه كشفة يسمى مبيطة . وقد كان محمد بن ابي عامر أمر ببناء البحل مدينة ويسقل إليها اهل سبتة . فبنى سورها وبات ولم يتم ما أراد والسور باق الى وقتنا هذا كأنه مبني بالامس . وهو يشرف من البر الأندلس لبياضه ومن غريب ما في ذلك السور أن فيه شقة مستطيلة بأعلاها مسيرة ثلاثين عوضا من الماء وكان الرصد بناء عمله على هذا ولا لانفاق الكثير . فبقي بناؤه أصلب وبقي على مرور الدهور والأزمان فلم يساعده الأجل ، رحمه الله .

ومدينة سبتة مدينة قديمة سكنها الاول . فيها آثار كثيرة وكان لها ماء محبوب من نهر قريب منها على 3 أميال منها يجري ماء في قناة مع ضفة البحر تقلبي . الذي يعرف بسبو ، وكان يدخل كنيستها التي هي اليوم جامع سبتة . وأم بتحبيسه أمير المؤمنين يعقوب (رحمه) سنة ٦٨٦ حتى ماء اليها من قريبة بنيونش المذكورة على ستة أميال من سبتة . في قناة تحت الارض ، حسب ما حبسه الاول في قريبة فرطاجنة وغيرها . وشرع (في) عمل وعرضت أمور حضرت أنا بعضها إن شاء الله بذلك .

مدينة طنجة

هي مدينة كبيرة فيها آثار كثيرة للأول وقصور ودور وغيرها . وكان فيها ماء محبوب في قناة

كثيره ويخرجها ماء طيب يسمونه برقاق ، حمل شاعة الحمق ، فهم يعيرون بشربه ، فيقال لمن تهافت منهم ، شربت ماء برقال ، لا جناح عليك ! وفيه يقول الشاعر :

بطنجـــة عيـــن مـــاء وســـط رمـــــل
لـــذيـــذ مـــاؤه كـــالسلسبيـــــل
حليـــف وريـــــه عـــذب وبكـــــس
بطيـــر ســـــه ســـف ميـــل

وكان فيها رجام وصخر منحور جليل . منها كانت القنطره على بحر برقاق بى ساحل الأندلس التي لم يكن في العالم مثلها وكانت تمر عليها القوافل والعساكر من ساحل طنجة بى ساحل الأندلس فلما كان قبل فتح المسلمين للأندلس بنحو 200 سنة ضعى ماء بحر وخرج من بحر المحيط بى بحر برقاق ، فعرفت هذه القنطره وغيرها من المواضع المجاوره لها ويذكر أن طولها كان 12 ميلا وسعة المحيط اليوم في موضعها 30 ميلا وبحوها . فتدو هذه القنطرة لمراكب فينحفظون منها ويقال ، أنها تنكشف في آخر الزمان ويجوز عليها الناس ، والله أعلم بغيبه

وقبل أن نصحه آخر حدود افريقيه في المغرب . والمسافة ما بين طنجة والقيروان 1000 ميل وهي طنجه بيضاء المذكورة في الترابع وقبل ان عمل طنجة على مسيره شهر في مثله ، وان ملوك المغرب من الروم وغيرهم من الأمم كانت دار مملكتهم مدينه طنجه . واذا حفرت حرث طنجه وجدت فيها أصناف الجوهر ، فيدل ذلك على أنها كانت دار مملكة لأمم سالفه

مدينة أصيلا :

كانت مدينة كبيرة أزلية عامرة آهلة كثيرة الخير ورخيص وكان لها مرسى مقصود وكان سبب خرابها أن المجوس لما خرجوا من بحر الكبير فاول ما يلقون مدينة أصيلا ، فيدخلون بمراسيها ويخربون ما قدروا عليه ، فيجتمع البربر فيحاربونهم فكانوا معهم على ذلك مع ما كان بين أهل تلك البلاد من التنافس ويقال أن المجوس قصدوا اليهم مرة فاجتمع البربر لقتالهم فقالوا لهم ، ما حثكم لقتال وبيننا وبلادكم أموال وكنوز فافتحوا عنا حتى نستخرجها ونشاطركم فيها ، فرضي البربر بذلك واعتزلوا عن الموضع الذي ذكروا لهم ، فحفر المجوس موضعا من تلك المواضع التي زعموا فوجدوا على بعد ثلاثة مصاطب من الدخن ، فاستخرجوه فلما نظر البربر من بعيد الى صفره الدخن ظنوه تبرا ، فعدوا اليهم ونقضوا عهدهم وهرب المجوس الى مراكبهم فلما اصاب البربر الدخن ندموا فرجعوا الى المجوس أن يرجعوا الى استخراج المال ، فأبوا فقالوا : قد رأينا منكم نقض العهد فلا نأمنكم أبدا .

مدينة تشمش .

وهي مدينة قديمة بربرية فيها آثار بناء وهي على بحر وسع كثير الخصب والزرع والضرع ، وهي بسيط بلاد الأندلس وبقربها بحيرة كبيرة تسمى العسل ، يصب فيها البحر 7 عيون وتصب هي في البحر

7 ثواء ويقطع البحر عنه فتظهر فيها جزائر بينها جسور ، يتصيد فيه نوع السمك وبين البحر وبحيرة مسجد مقصود .

مدينة سلا :

اسمها بالعجمي شله ، وهي مدينة أزلية فيها آثار للأول وهي معروفة بضفة الوادي متصلة بالعمارة التي أحدثها لحبيبة الامام أمير المؤمنين وأباؤه الكرام ، وقد كان اتخذ بها سيد العرشيون واولياؤهم مدينة بالعدوة الشرقية ، وهي المعروفة الآن بسلا ، فيها ديارهم بحومة الجامع ولم يبق منهم سوى الاثر ، ولم تسقف فكلها تهدم وحتمى بعرصة في سائه في سنة 574 وأمر أمير الخليفة أبو يعقوب (رضه) ببناء مدينة كبيرة متصلة بالقصبة التي أحدثها الامام أمير المؤمنين وفي هذه القصبة جامع وقصور وصهاريج وحمام الجامع ، وهو محدوب من نحو 20 ميلا وفي هذه المدينة المحدثة قيصرية عظيمة وحمامات وفنادق وديار كثيرة وميناء مطرده وسقايات ومنافع اعدت لورود المحلات عليه (أن) وصفها على البحر والبحر الى حضرة مراكش كلأها الله وعلى هذا البحر قنطرة مركبة على 23 معدية مدت عليها أوصال الخشب وصدت عليها الألواح ، والفرش الوثيق الذي لا يؤثر فيه الحافر تحور عليه العساكر ويسافرون وحولها يتصيد ألواح السمك ، الشامل بمد البحر فترتفع لقنطرة وينعطي الحسر فتعوم عليه مراكب وترسو دونه الأحمال الكبار ، وقلما تسلم عند دخولها وخروجها لصعوبة المدخل ، وهو مشهور عند أهل صنعة أهل البحر ، ويقابله من مرسى الاندلس وادي شلب ، وبينهما في البحر يوم وبينه وهذه المدينة قد شرفها هذا الأمر العزيز وكرمها بما أحدثه فيها من المباني الرفيعة والمنازه البديعة وما هي وقت مرور المحلات عليها إلا من عجائب منزهات الدنيا ، لا سيما في الاعوام المخصبة والفصول المعتدلة ، وماهيك من ساحل طوله نحو الميلين وعرضه نحو الميل مملوء من النشر والزروع في لوادي بركنيه والمنازه المطله وعلاقات الثمار وعقد الربتون وحد الكرمات وقد الحصون للسادات بدهم الله ظاهره وقبة الجامع وأكثر منارة ذلك الحصن المشرف ظاهره من المدينة وما هي في وقتها لا أملح من ديار مصر وما يحكي عن دجلة والفرات فانما الله على الفناء والممات .

مدينة بـرقـة :

مدينة كبيرة أزلية قديمة ، فيها آثار كثيرة للأول وهي في صحراء حمراء ليس به ولا ماء فتحمر ذلك ليث ساكنيها والمتصرفين فيها وعلى ستة أميال منها جبل كثير الخصب والفواكه والمياه السائحة وعلى برقة كثيرة الخصب تصلح لسائمة في مراعيها وأكثر دوابح أهل مصر والاسكندرية من نعم برقة بعظم خلقه وكثرة شحمه وهو يحمله واسمه بالعجمة الاعريقية بطليس تقسيره 5 مدن ، وذكر ن في تلك الجهات التي برقة ولأن القديمة ذا مقداره في جرصه عنها ليس من جرص صنف كالك من غرب ما يكون في الدنيا لا تدخل الدابة من العضده وليس ، ولا بين لغة وليس ، لا يفتح ليس لا تدخل ولا تقدر لاحد على الخروج منه لا أن يدخل عنه آخر ، وذكر انه كان

مفتوح لا يقفل به . وأخبرني بعض من دخل ذلك الطريق أنه خلا دخل فيه بيوتي بعد قرى قد مقدار في حجر صلد وفيه من عظام الناس كثير فهابه كذلك فلم يخرج فوجد الباب قد انغلق ولم يقدر على فتحه وبقي يهلهله حتى صمه بعض صحابه ، فجاء إلى ذلك الباب فسمع صوته سمعت بفتح الباب ففتحه وخرج الرجل وهي تلك الآثار عجائب من بنائها

مدينة اجدابية :

مدينة كبيرة في صحراء صفاقس وقد مقدار في ذلك بعض صبه لها، وماء وبها عين ثرة عذبة ، وبها بساتين وحمل كثير ، وبه جامع حسن بناء ، وله الشبعي ، وله صومعة شامخة بديعة العمل وبها حمامات وفنادق كثيرة . وأسواق حافلة مقصودة وبها دور وبساتين كثيرة أقناط وبها بئر من صحراء وبه فيس مبنية سقوف من خشب . وبها هي بناء من الصخر لكثرة الريح ، بها ثم كذلك قبائل سرو والعرب في حمل بقربة . وطوله من الشرق إلى المغرب 6 أيام . وبينه وبين لقيروان ستة أيام ، وفيه مدن كثيرة وفي هذا الجبل معادن كثيرة فيها آثار قديمة بلاون عجيبة غرائب من تماثيل ووصل عمروس لقاض حمله منه . في جبل نفوسه وفتحه وكان فيه بعض الناس وفي وسط هذا الجبل مدينة جادو (وهي) مدينة كبيرة لها سوق حافلة وأكثر أهلها يهود . وهي على قرى جبل نفوسه

مدينة غدامس :

مدينة عظيمة قديمة بربرية وليها بنو يحيى بن عدمسي وبها دور مس وكهوف كانت سكنى لكافة التي كانت بالقرب وهذه الكهوف من بناء الأمين . فيها عرفت من بناء الأول بعضوه بحب الأرض مبنية بالقرب بها ذهبها سبيل، إلى آن ملوك سلفه وهم غدامس وتلك الأرض كلها صخرة وبها كانت حصينة عامرة وكثر طعامهم بها وبكثرة نعمتهم تلك البلاد حتى يجلب فيها بيرنج ولا يباع بحجر . ومن غدامس يدخل إلى تادمكة وبينهما من بلاد السودان

مدينة زويلة

مدينة كبيرة قديمة بها . في صحراء بقرب من بلاد كاغم وهي من السودان وقد سمعوا ها 500 من الهجرة . وهي مجتمع الرفاق وبها يجلب الرقيق . ومنها يخرج إلى بلاد قاغم وغيره من البلاد وبها فتح عمرو بن العاص برقه وجبل نفوسة بعد فتحه من برقة حتى برقة وبها فتحها وصار من برقة وبرقة للمسلمين وبها مدينة كبيرة بجبل وشمة وشرقها قصر وحجر وهو قصر عظيم على رأس جبل في طرف المغارة .

مدينة قمصة

وهي مدينة كبيرة بها سور حصين من صخر حسن بحكمة صناعة بجبل برأيه ، بها كما فرع من عمله وبقي أن بني بناه شيخ غلام سعود بن كعبان بجبل . وكان سمه مقوش على باب من أبوابه وكانت بها أربعة أبواب فلم يزل هؤلاء بها تصرف وقتوبهم بتقلب من حين توجيههم

برعمهم ، سنة 555 هـ و على الموحدين وسفكو دماءهم وقدموا على نفسهم رجلا منهم عرف بعلي بن لرند . فمنكهم في سنة 576(5) هـ وخرجوه منها الحنيفة يعقوب بن لامة لخليفة ، مير مؤمنين ، وولاه على مدينة سلاقسات بها . فلقي . أهل قفصة في سنة 581 (5) هـ فمر عليهم لعزي شفي لمير وفي فأدخلوه لبلد ومنكوه . وترك بها جماعة من لاجر مؤنس له . فحضرهم بها لحنيفة بويوسف رضي الله عنه فرحوا في عنق رقابهم فعلما الحنيفة على حرمهم وقتل عرفن ميورقن

وكان سم مدينة قفصة لحنيّة . لان فيها سيدا قديما مثل لحنيه وكذلك سمي بها وهي موسطة بين لقيروان ومدينة قابس وفي دخلها عين كثيرة منها عشر كثيرات معينات بين بها بطبر في عدوة منها وصفائه وكثرته . حدثني عدد من لجامع تسمى ذات لكسر . وهي عن عظيمة مبنية بلصخر لمحمل من سيدان لاون . سعتها 40 ذراع في مثلها وفوقها عين صغيرة منها تسمى ام العين وبينهما قنطرة من سيدان الأون ولا شك أن ماءها واحد وماء هذه العين لأولى ازرق شديد لصفاء . وفي قعر عين من خلاط وفيها دود نحو 7 فناء . وعين لاخرى تحت قصر قفصة وتسمى بالطرمية عليها سيدان عجب قديم وبانيها مسجد يعرف بمسجد لحوريين وسع هذه عين من حجر صلدا من ثقب وسع في لاسس ، ويسعث منه نفوذ عظيمة . وفي بيه صهريج عليه دكاكين مبنية بالحجارة ، وعليه فناء ، وقدامي فوقه مسجد عظيم . وقد اجتمع من هذه عين مع هذه لعين بكسور عند لجامع حوض مهم كبير تطحن عليه حبوب كثيرة . ويسقي بقصف عليه قفصة وضفاف صبها ومزارعها ، وبضف لشرقي من عدة قفصة سقي من عن عظيمة خارج مدينة تسمى عين مستير . وهي عين كثيرة معينة عذبة تخرج منها نهر كبير وهذه لعين من خمس عشرة عين . وهي خارج نهر لكبير تسمى وادي شل ، وهو يشق مدينة قفصة ويسقي بساتينها . وهذا نهر مشهور ولاهل قفصة في سقي جناتهم هندسة عظيمة وبرشام شديد وتدقيق حساب .

وكذلك بين هذه بقية جزيرة أخمل من جزيرة قفصة ، مع ملاحة خلالها . وحدة مطالها ولمدينة قفصة عدة كثيرة قد أحدقت بها من كل ناحية مثل لاكحل . في نكسر دائرها نحو 10 أميال فيها من المنازل التي تعرف بالقرى 18 منزلا وعلى العدة ومنازل ولكل خانط يسمونه سوق العدة ، وفي ذلك السور ابواب عظام عليها أبراج مسكونة يسمون تلك لابواب لاندلوب ومدينة قفصة كثيرة لنخيل والزيتون وجميع الفواكه التي بين في بلد مثلها فيها تفاح حسن كثير فاكهة يسمونه سفرجلي لا يوجد في بلد مثلها وكذلك الرمان والتوت لا يوجد مثلها في بلد وفيها نوع من العنب يسمى بالكحلي بين مثله في بلد وهو أكثر بعضهم يكون في عنقود فوق في حرم بعض لتفاح تكاد تنفدها ببصرك لصفاء لونها ورقة بشرته وهم يجعلونه في ازيار .

وقفصة أكثر بلاد قسنطينة حتى إني قلت ليس في بقية قسنطينة ولا فيها سوى قفصة بحسب في بقية بلاد المغرب وبلاد لاندلس وبلاد مصر فان من بلاد بلده صغير تحرم بين مثل لقفصي فان القفصي يكاد أن يكون في جرم اللوز .

وتصنع في قفصة دبة وطبانيس وعمائم من صوف في بهية نرقة نص هي تباب بشرب . وتصنع بها ثوب من حرف تعرف بالربحيه شديدة البياض في بهية من الرقه ليس يعمل لها نظير في جميع بلاد ويصنع بها رحاح حسن . وثوب عجمة . وثوب مدهنه حريرية . وهي حاضرة في جميع أمورها ، وفيها ذوو يسار وفيهم خير كثير وفيهم صدقات وهم يعظمون يوم عشر . تعظيما كثير

وكانت مدينة قفصة عظيمة بلاد افريقيه نضرا كان حولها نحو 200 قصرا آهلة عامره فيها لاشجار والنخل والزيتون والفستق وجميع الثمار وتسمى قصور قفصة .

مدينة توزر

وهي مدينة قديمة عليها سور مبني بالحجارة والجوب وحولها رحض واسعه وفيها أربعة أبواب وعليها عامة كثيره ، وهي من أكثر بلاد الجريد تمرا ، ومها تمتاز جميع بلاد افريقية وبلاد الصحراء بالتمر لكثرة بها ورخصه ، ولأنها على طرف الصحراء ، لا يعلم ما وراءها ولا قد أحد على الدخول في الصحراء التي في قبلتها وأهلها من بقايا الروم الذين كانوا (بها) قبل استفتاح المسلمين لها ، وكذلك أهل قسطيلية وبلاد الجريد .

مدينة نفطة :

ومن بلاد قسطيلية بقصة بينها وبين توزر 20 ميلا وهي مدينة كبيره قديمه عليها سور من بناء الاول ، وبها عامة كثيرة النخل والبساتين وجميع فواكه وهي كثيره الخصب ولها نهر يسقى بساتينها . وهي قديمة خصبية واهلها ذوو يسار وهم من بقايا الروم .

ومن بلاد الجريد ، بلاد نفزاوه وهو قطر مثل قسطيلية فيه مدن وقصور وعمائر كثيره متصله آهله وهي كثيره النخيل والبساتين ، كثيره الخصب وفي بلاد نفزاوه عين كبيره تسمى بالربربه نهر علي وهي من بناء الاول ، وليس ببلاد الجريد عين أعظم منها لا يدرك لها قعر .

مدينة بسكرة :

ومن مدن افريقيه مشهوره مدينه بسكره وهي مدينة قديمة فيها ، آثار للاول وبها حصن حصين بني بالصخر بحميل متقن بناء ومدينه بسكره على جبل شديد بناص يسمى بشمس ، بساتينه وهي كثيره الماء والعيون ومن تحت عيون كثيره تسمى عين شمس وهي تحت سور مدينه وبقرب مدينه بئر عين ومدينه بسكره خيصه لاسعار جدا ، قد خصصت بلاد ، تكن لتخصيصه بها قيمه وتسمى بسكرة قرى وبليده قد بها نخل وفيه جميع بلاد غرسها وبزروعها بكثره طعامها ، وخصبه وبساتينها تسمى بسكرة بقرب خيره لاندلس ، وبسكرة قريبة على مقربه من قصر قل مشهور بكثره نزع وبين هذا قصر أرض متشققة سوداء جود فيها الحنطة ويكثر فيه حمص وفول ، قلما يوجد مثله في موضع ومدينة بسكرة بصر كبير ، وهو قرى كبيره عامره

مدينة مجانة :

وتعرف بمجانة المصاحن لأن بها معدن لقطع حجارة الأرحى ليس على الأرض مثله ، وهي مدينة قديمة أزلية ذات مياه

مدينة مرمجانة :

مدينة مرمجانة كانت مدينة كبيرة قديمة أزلية فيها آثار للأول ولها عيون سائحة وهي على بطر واسع كثير الزرع والخيرات .

مدينة تبسة

وهي مدينة قديمة أزلية فيها آثار كثيرة للأول عجيبة من بناء بربرية ، بعد فرطاجنة ، وأعظم منها فيها دار معجب قد تهدم أكثره ، أغرب ما يكون من البناء وفيها هيكل نظن الرئي انه كان رفع اليد عنه ما يكاد يعرف الفرق بين أحجاره ، ولو غرست الأبرة بين حجرين من أحجاره ما وجدت منفذا وفي داخله أقواء معقودة بعضها فوق البعض ، وبيوت تحت الأرض واسعة كثيرة لها منظر هائل ويقال أن ذلك الهيكل لاستبراء الروحانيات لأن فيه أثر الدخان . وفيه صور جميع الحيوانات ، وصور شتى لا يعلم ما هي وفي وسط المدينة هيكل عظيم مبني على سواري رخام عظام وقد صور حولها حيطان هذا الهيكل من صور جميع الحيوانات بأغرب ما يكون من التصوير ويقال انها طلاسيم . وتوجد في حيطانه طلاسم ، ولقد دخلته فاطلعني إنسان من أهلها صنعها وهو على صورة مربع من نحاس أحمر حجر واحد منهما الى حجر الآخر ، قد صور بأعجب ما يكون التصوير ، وأخبرني أن بداخلهم ، كان لا يدخلها عقرب ، ولو دخل فيها مات ، حتى حفر إنسان أساس داره فوجد قد نحاس فيها عقارب من نحاس فسكها ، وصرفها فيما يحتاج فدخلت حينئذ العقارب المدينة وأضرت بالناس فيها والمسكون اليوم من تبسة إنما هو قصرها ، وعليه سور من الحجر جليل متقن العمل ، كأنه فرغ منه بالأمس ، وهو حصن عظيم وفي مدينة تبسة ، فناء تدخلها الرفاق بدوابهم في أيام الشتاء يسع القوم منها نحو مائة ، وأكثر ويقرب تبسة ، واد يعرف بوادي ملاق وبمدينة تبسة بساتين كثيرة وفواكه عجيبة ويجود فيها الجوز حتى يضرب به المثل في افريقية .

مدينة باغاية :

وهي مدينة عظيمة جليلة فيها آثار للأول ولها أنهار وعيون ومزارع ومسارح وهي تحت جبل أوراس ، وهذا الجبل يشق بلاد المغرب وافريقية . فطرفه من بحر المغرب يعرف بجبل بني مطغرة وطرفه الشرقي في بحر الشرق بقرب الإسكندرية ، وهو مسمى بطرف وادي وبقرب باغاية قبر مدعوس ، وهو قبر مثل الجبل العظيم مبني بآجر رقيق معقود بالرصاص .

مدينة قسنطينة :

وهي مدينة كبيرة عامرة قديمة أزلية فيها آثار كثيرة للأول وكان لها ماء محلوب يأتيها من بعيد على

قنطر تقرب من قنطر قرطاجنة وفيها مواحل عظام مثل مباني قرطاجنة ومدينة قسطيلية حصينة في نهاية سعة والحصانة لا يعرف في افريقية أمنع منها ليس لها في المنعة نظير غير مدينة زيدة بالأندلس . فانها تشبهها في وضعها وخندق المحيط بها والخانه المحدقة بها شبهها كثيرا ولكن قسطيلية أعظم وأكبر وأعلى على جبل عظيم من حجر صلد وقد شق الله ذلك الجبل فكان فيه خندق عظيم يدور بمدينة من 3 جوانبها وبهرها يكثير يدخل على ذلك الخندق ويدور بالمدينة فيسمع لخريره في ذلك الخندق دوي عظيم هائل وصوت مفزع لمن يقرب منه . وقد عقد الأوعل على هذا الخندق قنطرة عظيمة بل هي ثلاث على بعض . وهي بالجو فوق من على الخندق وعليها المدخول الى باب المدينة . وهي منصبة بدرجات . وقد بني على طرف القنطرة مما يلي باب المدينة . بيت على قدر يسميه أهل مدينة العور لأنه معلق في جو السماء فاذا كنت في وسط هذه القنطرة تعرا الى الصفة الشرقية نحو ذلك تطير في الهواء . وترى على النهر الكبير في قعر الخندق البعيد المهوى مثل الجدول الصغير هذه المدينة من عجائب العالم قد دخلتها مرارا وتأملت آثارها وحسب مواضعها كثيرة فيها أثار الأول فتمثلتها وكان في ذلك غرض وهي على بطن واسع وقرى كثيرة عامرة آهلة وهي كثيرة الخصب والزرع ولها بساتين كثيرة الفواكه ولكنها شديدة البرد والثلج كثيرة الرياح .

مدينة ميلة :

مدينة أزلية فيها آثار للأول تدل على انها كانت مدينة كبيرة وهي الآن عامرة آهلة كثيرة الخصب رخيصة السعر على بطن واسع وقرى عامرة وميله كثيرة الأسواق والمتاجر عليها سور صخر حبيل من بناء الأولين وفي وسط المدينة عين جارية عذبة من بناء الأوائل لها شرب كثير يدخل فيه فلا يوجد له آخر ولا يعلم من يأتي ذلك الماء . ويقال أنه محدود من جبل بالقرب منها يسمى تامروت . وتعرف هذه العين بعين أبي الشباع وبالقرب من ميله جبل المعاصن يسمى اليوم جبل بني يذوني وهم قبائل كثيرة من البربر سكنو ذلك الجبل لهم خلاف كثير على الولاة بسبب منعة جبلهم وفيه مدن وعمائر وقرى كثيرة وهو أخصب جبال افريقيه . فيه جميع الفواكه من التفاح الجبلي والسفرجل الذي لا يوجد مثله في بلد والأعناب لكثيرة

قلعة بني حماد :

مدينة قلعة بني حماد (أبي طويل) وهي مدينة عظيمة قديمة أزلية على بطن عظيم . كثيرة الزرع . وجميع الخيرات وهي في جبل عظيم وهي حصنة منيعة لا تمكن بقتال . وكانت دار مملكة بني حماد من صنهاجة وهم كانو ملوك افريقية (بعد بني عبيد) . فلما رجعو الى مصر ولو على افريقية (بلجين) بن زيري بن مناد الصنهاجي فكان كذلك على طاعتهم الى أن مات . فولي بعده ابنه باديس ثم ولي بعده ابنه المعز وهو الذي جمع طاعة الشيعة وقتلهم بافريقية قتلا ذريعا

ولبني حماد بالقلعة مباني عظيمة وقصور منيعة متقنة البناء عالية البناء منها قصر يسمى بدار البحر . وقد وضع في وسطه صهريج عظيم تلعب فيه الزوارق يدخله ماء كثير من ماء محدود على

بعد ، وهذا القصر مشرف على نهر كبير . وفيه من الرخام والسواري ما يقصر عنه الوصف وفيه قصور غير هذا ومكان عجيبة وفيه آثار عجيبة ويقال ان حماد بن حماد (كذا) صاحب القلعة التي تنسب إليه كان له دهاء وفطنة وتجربة في الحروب وكانت له فراسة حسنة وذكاء .

وتصنع بمدينة قلعة حماد أكسية ليس لها مثيل في الجودة والرقة الا الوحدية التي تصنع بوحدة . يساوي كساء العيد من عمل القلعة 30 دينار .

مدينة أشير :

هذا يراني من مياه الصهاريج ويعرف بأشير يراني وكانت مدينة قديمة فيها آثار عجيبة وبها بئر يراني سوداء وحصنها وعمرها . وليس في تلك الأقطار حصن منها وهي بين جبال شامخة محيطة بها . وداخل المدينة عيون لا ينبع لهما ماء ولا يدلك لهما قعر من بناء الأول . وبالقرب من المدينة مشرق وبمدينة الرسوس وغيرها بالسيماني ، وبسكرة أيضا حصن من الأمر يعرف بالبيراني وهو أبيض الجنس وكان صاحب القيروان يأمر بجمع ما يقع من بعره وبعث ما هنالك منه إليه . نصفه وحسنه ويشق عامة بسكرة نهر كبير ينحدر من جبل أوراس يسقي بساتينها ونخلها وهو نحو 6 أميال في عامة متصلة بالمدينة ، شرقي عنها وغربها . وبسكرة دار فقه وعلم فيها كثير للعلماء ومن قرى بسكرة قرية تسمى ملشون ، ومنها كان أبو عبد الله الملشوني وكان عالما فقيها يحمل عنه العلم .

مدينة باديس :

مدينة كبيرة لها حصنان وأرباض واسعة وبساتين كثيرة ومزارع خصبة يزرع فيها الشعير مرتين في السنة على مياه سانحة ونخل كثير ، وجميع الفواكه والثمار . وهي مدينة قديمة فيها آثار للأوليين وبها مياه وعيون كثيرة . وبالقرب منها قبطون بيضة وهو أول بلاد سماطة ومنه تتفرق الطرق الى بلاد السودان والى القيروان ، وبين بلاد الجريد ، وصالمس وغيرها . وقبطون بيضة قرية كبيرة كثيرة النخل فيها تجتمع الرفاق .

مدينة تلمسان

مدينة عظيمة قديمة فيها آثار كثيرة أولية تدل على أنها كانت دار مملكة سالفة . وهي في سفح جبل أكثر شجره الخروب وكان لها ماء محبوب من عمل الأوائل من عيون تسمى بوريط بينها وبين المدينة ستة أميال . ولها نهر كبير يسمى سفصيف وكانت تلمسان دار مملكة زناتة . وحولها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر وهي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة الخيرات والنعم ولها قرى كثيرة وعمائر متصلة ومدن كثيرة يرجع الى نظرها وفي جنوب من مدينة تلمسان قلعة منيعة كثيرة الثمار غزيرة المياه والأنهار ويتصل بها جبل تارونانة ، وهو جبل كبير معمور فيه القرى الكثيرة والعمائر المتصلة ومدينة تلمسان مدينة علم وخير ولم تزل دار العلماء والمحدثين .

مدينة وجده :

مدينه كبيره مسوره قديمه أزلية كثيرة البساتين والجنات والمزروعات كثيرة المياه والعيون ، طيبة الهواء ، جيدة التربه ، يمتار أهلها من جبرهم بطاقة ألوانهم وتنعم أجسامهم ومرعيها أنجع المراعي وصنحها بمماشية ، يذكر أنه يوجد في الشاه من شبابهم مائتي أوقية شحم ويصنعون من صوفها كسوة ليس لها نظير في الجودة مثل العبدلي ، يساوي نكساء يجيد منها خمسين دينارا وأزيد ، وعلى مدينة وجده طريق الذاهب والصادر من بلاد المشرق إلى بلاد المغرب وسجلماسة وغيرها

مدينة تاهرت :

وهي مدينه مشهوره قديمة كبيرة عليها سور صخر وبها قصبة منيعة على سوقها تسمى المعصومة ومدينة تاهرت في سفح جبل يسمى قرطل . وهي على نهر كبير يأتيها من ناحية المغرب يسمى مية وهو نهر آخر يجري من عيون تجتمع بمكان يسمى تاسى (منه) تشرب أهلها وبساتينها وكان هذا البساتين بساتين عظيم يعرف بمحرث سليمان لم ير بساتين أعظم منه ولا أحكم فيه من الرحم والأعمدة والنقوش ما يقصر عنه الوصف .

مدينة مليانه :

قريبة من مدينة أشير وهي مدينة كبيرة من بناء الروم قديمة وبها أسواق وفيها آثار قديمه للأول وهي مدينة حصينة في جبل يسمى زكار ، وشعراء هذا الجبل كلهم يجدون ومدينة مليانة مياه سارحة وبها وبساتين ، فيها جميع الفواكه ، وهي من أخصب بلاد الله قريبة وأخصبها سعة ومدينة مليانة مشرفة على فحوص واسعة وفيها كثيرة عامرة ومزارع واسعة وحولها قبائل كثيرة من البربر ويشق بلك الفحوص نهر شلف ، وهو نهر كبير مشهور .

مدينة المسيلة :

قرب بقعة حماد من بلاد الزاب . وهي في بسيط من الأرض على نهر كبير يسمى بسهر ، وسعه من مدينة الجزائر ، وقد ذكرناه ومدينة المسيلة أحدثها أبو القاسم اسماعيل بن عبيد الله الشيعي سنة 313 ، وكان المتولي لبنائها علي بن حمدون ابن سماك المعروف بابن الأندلسي فلم يسر بها أمير حتى مات في فتنة أبي يزيد ، وبقي ابنه جعفر أميرا فيها ، وهي على بلاد الزاب كلها ، وهذا جعفر ممدوح ابن هاني الأندلسي ، الشاعر المشهور ، له فيه مدائح كثيرة حسان ومدينة المسيلة كثيرة النخل والبساتين تشقها جداول المياه العذبة وكانت مدينة عظيمة على بطرف كبير وحواليها قبائل كثيرة من البربر من عجيسة وهوارة وبني برزال .

مدينة بقاوس :

مدينة كثيرة الأهل والثمار والمزارع كثيرة شجر الجوز منها يحمل الجوز إلى قلعة حماد وإلى بجاية وإلى أكثر البلاد :

مدينة طبنة

وهي مدينة كبيرة قديمة عليها سور من طوب ولها حصن قديم عليه سور من صخر حبيل ضخم متقن البناء من عمل الأوائل ولها رحاض واسعة وهي مما افتتح موسى بن نصير حين دخل بلاد افريقية والمغرب والأندلس . فيها سبعة 20 ألف إنسان ويشق مدينة طبنة جدول الماء تحدث وبها بساتين كثيرة للنخل وشجر ولها نهر يشق وسطها وقد بني له صهريج كبير يجمع فيه ، وتسقى منه جميع بساتينها وأرضها ، ولم يسكن من القيروان إلى سجلماسة مدينة أكبر منها .

مدينة بسكرة

مدينة كبيرة وحولها حصون كثيرة وقرى عامرة وهي قاعدتها . وبها عدة كبيرة كثيرة النخل وافر النزول وجميع الناس بسكرة نخل بكثرته بها وأكثر تمرها من النخل المعروف بالكنتي ، وهو المعروف بلاد كثيرة فيها جميع الناس . وفيها سوق يجتمع بسوق سوق جميع البلاد حسن وضعه وتحته ، وبلاد تاهرت شديدة البرد والعيون والثلج .

وقرب مدينة قلعة هوارة وهي قلعة منيعة في جبل خصيب فيه بساتين وثمار وأشجار ومزارع وأعناب وتحتها فحص طوله 40 ميلا يشقه نهر سيبات ونهر سيبات نهر مشهور ويقع في البحر عند مدينة أرزاوا وهي مدينة رومانية قديمة

مدينة فاس :

هي أعظم مدينة من مصر إلى آخر بلاد المغرب ومدينة فاس مدينتان كبيرتان مفترقتان ، يشق بينهما نهر كبير يسمى وادي فاس ويدور حولها سور عظيم ، وبين المدينتين قنطرة كثيرة وتطرد فيها جداول ماء لا تحصى تخترق كنفي المدينتين تسمى بالسوي لا بد لكل دار من دور المدينة منها ، وفيها عيون كثيرة لا تحصى عدد وفيها أرحية الماء نحو 360 رحى . وهي في الربوة ، وبها وصنف 400 والنهر الذي يخترق مدينة فاس ينبعث من عين عظيمة لها منظر عجيب فيها نحو 60 فوارة في دائرة يجتمع منها هذا النهر الكبير بينها وبين المدينة نحو 15 ميلا في بسيط من الأرض يكاد لا ينبين جري الماء فيه لاستواء أرضه ومدينة فاس محدثة اسست عدوة الأندلس في سنة 192 هـ (808 م) وعدوة القرويين في سنة 193 هـ (809 م) في ولاية ادريس بن ادريس الفاطمي . ومن تاريخ بناء فاس إلى اليوم ونحن في سنة 587 (1191) .

ومدينة فاس اليوم في نهاية العمارة والصلاح ، وقد بنيت أكثر حوانيتها الملاصقة بها دور . وضيعت إليها وبها 3 جوامع للخطبة ، منهما جامع عدوة الأندلس وهو جامع كبير متقن البناء يقال أن ابن عامر زاد فيه ، وجامع القرويين ، جامع كبير أكبر من جامع الأندلس ، وزيد في هذه المدة في هذا الجامع بناء كبير مشرف جميل المنظر . ومن جهة الجنوب صفائح منقوشة البناء ملاصقة بها مؤهد من الخشب وحسن

به ماء عين هو في أعلى نهر سبوه . وفي هذا النهر توجد بعض البحيرة وكذلك صنعت في جوف جامع القرويين سقايه متقنة البناء وبيد جانبه مع عمله الباب الجوفي . وفوقه في نبذة مرتفعة بقصف قبة داخل الصحن . وبيد فيها من جهة المغرب باب كبير مربع البناء الذي يسمى باب البحارين . كل ذلك في حدود سنة 578 . فكمل منه هذا الجامع المكرم وشرفت حرمته بما شرفه الله تعالى به . وكذلك تقصده لسلطان جامع شاسع معظم فيه بحصنه وحدثه فيها . لأمير المؤمنين داعم الله علاءه لأن قصبة منحدرة عن البلد فوجب أن يكون فيها جامع وفي كل عدوة شريعة لخطبة العيدين

ومدينة فاس كثيرة الخصب والرخاء . كثيرة البساتين . وبها عدة وبها كه وجميع والنعم . ولها قصبة واسعة منصبة بعساكر وعدوة القرويين من هذه المدينة كثيرة المساجد والشجر وبيد وعمل من عدوة الأندلس وكذلك هم قصبة عظيمة حسنة الحصن ويقال أن حائط عدوة الأندلس شحن من حائط عدوة القرويين وساوهم احتمل من بناء القرويين وحائط عدوة القرويين احتمل من حائط عدوة الأندلس ويقال أن عدوة الأندلس تأخذ حتى تعرف بالأصل حتى حيلا حسن نطعم وتراحه . يصلح به ولا يصلح بعدوة القرويين ، ترح حليل يوجد بها ولا يوجد بعدوة الأندلس . وكذلك سميد عدوة الأندلس طيب من سميد عدوة القرويين وهذه المدينة قصبة بلاد المغرب . بل وبلاد المشرق والأندلس لاسيما في عهد الأمير المؤمنين يد الله دوامه . ومنها يتجهز إلى بلاد السودان وإلى بلاد المشرق . ومنها يحمل النحاس الاصفر إلى جميع الآفاق

فلما استقر هذه المدينة العظيمة لما كانت على هذا الوضع المتقدم ووصفت عليه بركة الوضع بها وهو أن إدريس بن إدريس بعلوان الفاطمي . صهر ترتب على هذا النسق مكانس أهلها وعاد عيشهم وكثرة نعمهم بحمل مدينة وعظم حسناتها وكثرتها فعطفت نفوس الناس عليها وشمخت أنوفهم وكثرت همتهم وكان فيها من مشيخة جلة عظماء فضلاء قد وفى محاصله الحقيقة أمير المؤمنين صهر ونساعدو مع الوالي المتصرف بها فادخلو الموحدين أعزهم الله يوم الاثنين في العشر الأول من ذي الحجة سنة 540 (23 مايو 1145 م) .

وموضع وادي فاس بوادي سبو على 3 أميال من مدينة وهذا الوادي نهر عظيم من أعظم نهر بلاد المغرب ، ومنبعه من جبل في بلاد بني وارين . وراس العين في نواحي عصمة يهبط الدخول فيه وهي دهسة عظيمة لا يدرك قعرها .

وينصب في هذا الوادي شامل الكثير وينبع إلى راس العين وقريب منه ويدخل في هذا الوادي شامل الكثير وينبع إلى راس العين أو قريب منه ويدخل في هذا الوادي الحوت الكثير وينصيد في في بعض الأحيان منه من الكبير وذكر ثقات أنه بيع واحد ـ 13 درهما وطال كثير منه بدرهم ونصف . ويصل إلى المدينة الحوت الكثير المسمى عندهم بالقرب بالحمة والحربي ثقة أنه عاين سبب صيد زينه 65 صلا والحربي ثقات أنه كان بمدينة فاس ومكناس الحوت الذي يسمى بالشولي وهو

ألذ ما يوجد من نوع سمك نصبح منه الأون ناصف ثقل فلا تشم له رائحة ويوكل هذا النهر يخرج في البقاع كانت البلاد التي يسقيها اشرف البلاد واخصبها .

مدينة مكناس :

وهي بين مدن وقرى كثيرة متصلة البنى والخصب . مدن منها نفرات وبعيرة محدثة ، وهي محدثة البناء ومشرفة على بطاح وبقاع مملوءة ماشية واكثرها بربر بنوا فسميت به وهذه مدينة عليها سور كبير وأبراج عظيمة وهي مدينة جليلة فيها أسواق حفيلة وحدث فيها لأمير المؤمنين . عبد الله دومة بحائر عظيمة في نهاية من الاتساع وحفت لها ماء بها وأمر بغرسها فنبتت وكبرت . فرشها أكثر بربر في جميع المغرب وبعده لربيت النصر الكبير المسمى سي سبيل ومعينه وجهاته وفيها يوم سبع حصب في الحصن بقديمه حصنه وفي مدينة المسماة بسوق الغلام حطة . وفي ولاد عطوش حطة . وفي أولاد بربوش حصنه ، وفي بني موسى حصنة ، وفي بني زيدو وفي بني وريغه وفي بني مرون وبحن في سنه 587 (1191) وهي من بلاد العتيقة لمجيده وكان بها حدمه نعلاها فان أرضها كريمة طيبة مزارع كثيرة مياه

وهي من أعمر بلاد المغرب ها نطا واسعة وقرى عامرة وعمائر متصلة تشقها الأنها ومياه السائحة والعيون الكثيرة وتطحن عليها الأرحية وتحرث بها الحمامات الأرض في صيبها دعاره وسقاها

مدينة سجلماسة

مدينة عظيمة من أعظم مدن المغرب وهي على طرف الصحراء ولا يعرف في قطر ولا جزيرة عمران بينها وبين حافة صحراء مسيرة شهرين في رمال وحشان غير عامرة قليلة الماء يسكنها ، قوم من مسوفة يحالون لا يستقر بهم مكان ليس هم مدن ولا عمارة يأوون إلى وادي درعه وبينه وبين سجلماسة 5 أيام ، ومدينة سجلماسة محدثة بنيت في سنة 140 (757 ـ 758) أسسها مدرار بن عبد الله ، وكان رجلا من أهل الحديث يقال أنه لقي بالعراق عكرمة مولى بن عباس وسمع منه ، وكان صاحب ماشية ، كثيرا ما ينتجع سجلماسة وكان الموضع سوق يجتمع فيه بربر تلك النواحي فاجتمع إلى مدرار قوم من بصريه فلم يلبث نحو 40 رجلا ، فقدموا على أنفسهم مدرار وشرعوا في بناء سجلماسة فبنوها ثم سوها أبو المصور بن أبي القاسم ابن مدرار وهو يشركه في الاتفاق في بنائه أحد ، انفق مدى ألف مد طعاما

وذكر آخرون أن رجلا حدادا اسمه مدرار كان من نصيبه قرطة خرج من الأندلس عند وقعه النصر قبل نقرت سجلماسة . وموضع سجلماسة إذ ذاك سوق بربر في تلك النواحي . فأنشأ به مدرار خيمة وسكنها ، فسمى الناس حوله فكان ذلك أصل عمارتها وكان رجلا أسود وأولاده قد هجروا بسدلك .

ومدينة سجلماسة 12 باب ، ولها بساتين وهي كثيرة النخل والأعناب وجميع الفواكه وريف ، عنبها المعرش الذي لا تناوله الشمل لا يرتب الا في الظل ويسمى الظلي وما أصابته منه ريب في الشمس وهي على نهرين من عنصر واحد في موضع يسمى الكلف ، وممده عيون كثيرة ولهم مزارع كثيرة يسقونها

من شهر في حياض سماتين ، وترع أرض سجلماسة عامرة ويحصد من ذلك نحو 3 عوم لأنه شديد الحر شديد القيظ فاذا يبس الزرع تأثر عند الحصاد و صبه متشققه فيقع ما يتأثر من الحب في الشقوق فاذا كان العام الذي أحرجوا الشهر على عداتهم . لأن مطر فيه ، وحرثوا بلا بذر وكذلك العام شاث قمحهم رقيق الحب يسع مد النبي صلعم من قمحهم 75 لف حنة . وهم يأكلون الزرع قد أخرج شطأه وهو عندهم مستطرف وذلك لعلمهم الحدث عندهم ومن الحبب بمدينة سجلماسة بها ليس بها كلاب لأنهم يسمونهم ويأكلونها ، كما يصنع أهل الحريد . فصيدهم وغيرها والسؤون عندهم يهود لا يتجاوزون هذه الصناعة .

قال الحسن كان هذا في الزمان المتقدم وأما الآن فهم تجار أهل هذه البلاد كلها وأسبوذهم ، وخاصة بمدينة فاس ، فاني عاينت منهم من يقال أن عنده المال الممدود .

مدينة أودغست

هي مدينة عظيمة آهلة فيها أمم لا تحصى . ولها سماتين كثيرة ويزرعون فيها القمح والحمر والفوسن ويسقونه بالدلاء وكذلك يسقون بساتينهم وانما يأكل عندهم القمح الملوك وأهل البيت منهم ، وسائر أهلها يأكلون الذرة والمعاني تجود عندهم كثير والقرع والعنب عندهم أكثر شيء ، وخصبه . تشترى في أودغست 10 أكباش بدينا وأكثر من ذلك . وهم أيضا نعم حريصة وأغنام حسنة وبهم سمن جيد لذيذ كله لا يكاد الانسان فيه يسمع صوت جبينه لكثرة عوده ، بل وتجدهم بها في بيت وليس بالفضة وبمدينة أودغست مياه حسنة ومنازل رفيعة وأهلها تجار أخلاط من جميع الأمصار ، وقد سنوطوها بكثرة خيرها وبنافق سوقها وتجارتها وحرمة أودغست لا يوجد مثله في بلد تجلب منها جلود الحمر البيض لألوان مائلات الحدود ، لطاف صحاح لا دقاق ، وسعات لا كثاف صيقات الدروج ، ممتنعة بأجذاعها كأنما ممتنع بكرائد ، من غير أن يتكسر لأحد منها ذي طاق عمرها .

حدثني ثقة من التجار أنه أتى بمدينة أودغست مرأة أقدم على جسيم وكان يطعمها أكثر أيامها شفاء من الجوس على أدافيها وهي أن له طفلا يلعب حولها وهو يدخل تحت حصرها ويخرج من الجهة الأخرى من غير أن تتحرى له وذلك لعظم بدنها وقلة حصرها وتحت منها سود بيت صحاح محشات تباع الواحدة منها بـ 100 دينار كبار . وزيادة . تجلب عسل الأصمعة والأسبيذ الحلاوة مثل الخمر يطيب ولا يتحات والفاكهات والفواكه والمقاثي والشهوات . وصنف الحلاوة ولا يوجد حاذق يصنعها منهن . ومنها تجلب الدقيق الحصينة الجيد . وفي أوساط أودغست كثير جدا تجلب بضائعها يعسر لقربها من بحر النحيط ويجلب منها . هب الحنطة . حبوب مختلفة ذهب أودغست الجيد ذهب الأرض وأصحه وكان صاحب أودغست في سنة 350 هـ رجلا من صنهاجة وكانت له جيوش كثيرة فدان له أزيد من 20 ملكا من ملوك السودان كلهم يؤدون له الخراج ، وكان عمله مسيرة شهر في مثله في عمله متصله وكان يعتد في أزيد من 100 000 تجلب فلا تحل في تلك البلاد فيبيعه فيدان له غير ملك من ملوك السودان غير له وجه ، فتحل بلده وحرقه ، وقتل

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

س بشهيل سنة 459 (1067م) . وهي ما بني فيها دار الإمامة وهي الآن معمورة بها . ثم حتم سورها وبنده سنة 514 (1120) الخليفة أمير المؤمنين صبه يوم سبت بعد صلاة العصر 18 من شوال وفتحها سنة 541 هـ وهي ثلاثة أميال منها واد تسيفت منبعه من بلد دمنات يصب فيه وادي وريكه ووادي بهيس وأودية كثيرة ومصبة في الساحل رباط حور وبدحله مشاتل الكثير الطيب وهي مدينة طيبة عترة كلها عطاء من حجر على حجر . عدد سكانها قريب من قامة أو قومتين . وبساتينها تسقي من آبار متصل بعضها ببعض حتى تخرج على وجه الأرض وبينها وبين درن نحو 20 ميلا وهي كثيرة الزرع والضرع تحرثها دكالة . وحولها من البساتين والجنات التي يسمونها بحائر لعظمها ما لا يحصى كثرة وبعد وضعها يمشي منها جمل درن لكثرة من يعمره . وكان خروج هذه الشرذمة الصحراوية بقتال يرعوطة الكفار المرتدين عن ديانة الإسلام .

ومدينة مراكش اليوم من أعظم مدن الدنيا بهجة وجمالا بما زاد فيها الخليفة الإمام وحبيبه أمير المؤمنين أبو يعقوب وخليفتهما أبو يوسف رضي . فإن الخليفة الإمام بني فيها جامع عظيما ثم زاد فيه مثله أو أكثر في قبلته كان قصر وقع بينهما المناصفة العصر الذي يشيد في الإسلام مثله ، وكمله ابنه وحبيبه أبو يعقوب (رضه) وحبس للخليفة الإمام مياه من أودية الدرن . وغرس بحيرة عظيمة غربي مدينة قبل بهيس ، دورها 6 أميال ، وبني فيها وحولها صهريجين عظيمين ، كنا في تلك الأيام نعوم فيهما ، فلا يكاد القوي منا يقطع الصهريج الا بمشقة ، وكنا نتفاخر بذلك ، واحدث الخليفة بعده ابنه أبو يعقوب (رضه) ، بحائر مثله في الغرب ، بل أجمل وجلب لها مياه وأحدقه في صهريج أعظم من المتقدمة وزاد في قبلة المدينة جنانا أنشأه الآن ابنه الامام الخليفة أبو يوسف رضة ، وزاد عليه مدينة أخرى تقارب الأولى في دورها ، وكانت بحائر عظيمة فيها قصور وجامع وأسواق وفنادق وحبس للخارجين قيسارية عظيمة لم يبق في مدن الأرض أعظم منها وأمر بعمارتها أولا سنة 585 هـ

ومدينة مراكش أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وأعنابا وفواكه وجميع الثمار وكانت قبل ذلك يطير الطير حولها فيسقط من العطش والرمضاء وأكثر شجرها الزيتون ، وفي مراكش اليوم من الزيتون والزيت ما يستغني به عن غيرها من البلاد وتميز بلاد كثيرة وكان زيتها قبل اليوم دهنا شريفا . لأنه تلك البلاد كثير جدا ، وزيتون مراكش أكثر من زيتون مكناسة وزيتها أرخص وزيتها أطيب .

مصطلحات الجغرافيين العرب

البريد : الرسول وارساله . هي أيضا مسافة اختلف في تقديرها بين اثني عشر ميلا وستة أميال .

الفرسخ : فارسي معرب اختلف فيه أيضا فقيل ثلاثة أميال وقيل ستة .

الميل : ثلاثة آلاف ذراع عند الجغرافيين . والميل عند اللغويين . مدى بصر ومنتهاه

الذراع : أربع وعشرون إصبعا .

الاصبع : ست حبات شعير مصفوفة بطول بعضها إلى بعض .

الاقليم : أحد الاشرطة السبعة التي تنقسم اليها المساحة التي تمتد بين خط الاستواء والقطب الشمالي ، والاقليم كلمة يونانية معربة .

الكورة : كل صقع يشتمل على عدة قرى ولابد لتلك القرى من قصبة أو مدينة تجمع اسمها الكـورة .

الاستان : لفظ معناه الكورة . ومنه كلمات مثل شهرستان وخوزستان وطبرستان . والاستان ينقسم الى الرساتيق . والرستاق ينقسم الى عدة طسوج . وينقسم الطسوج إلى عدة قرى .

الرستاق : كل موضع فيه مزارع وقرى . واللفظ لا يطلق على المدن الكبيرة . وهو عند الفرس مرادف للسواد عند العراقيين .

الطسوج : أصغر من الكورة والرستاق والاستان . أكثر ما تستعمل الكلمة في سواد العراق . وقد قسم سواد العراق الى ستين طسوجا .

الجند : كلمة تستعمل في تقسيم الشام الاداري ينقسم الشام الى خمسة اجناد ، وهي : جند قنسرين وجند فلسطين وجند حمص وجند دمشق وجند الاردن . والجند عبارة عن مجموعة من الكور .

السكة : الطريق المسكوكة التي تمر فيها القوافل من بلد الى أخر .

المصر : البلد المعروف . والمصران . الكوفة والبصرة والمصر الحديثين المشيئين

الطول : اختلف الجغرافيون العرب في مطلق خطوط الطول . فهي تبدأ عند بعضهم عند شواطئ المحيط الاطلسي ، وعند البعض الاخر في نهاية الجزر الخالدات (جزر الكناري) ، ومن هنا الاختلاف في تحديد أطوال بعض الاماكن .

العرض : عرض البلد مقابل لطوله ، وهو يمثل البعد عن خط الاستواء نحو الشمال .

الدرجة : الدرجة عند العرب هي قدر ما تقطعه الشمس في يوم وليلة . وتنقسم الدرجة الى ستين دقيقة ، والدقيقة الى ستين ثانية والثانية الى ستين ثالثة

جوف : (في كثير من الأحيان عند الجغرافيين العرب) . شمال . جوفي شمالي

جون : خليج (golfe) ، وقد استعمل المقري «تجون البحر» بمعنى شكل جون

حط . وإقلاع (موضع) : المكان الذي ترسو وتقلع عنده السفن .

داموس : (ج . دواميس) : قبو .

دهقان : (دهقنة) حادق ـ لبق ـ حسن التخلص .

سقلاطون قماش من الحرير موشى بالذهب ومنه أخذت الكلمة الفرنسية (Siglaton) .

سماط : أسواق ذات سماطات أي ذات دكاكين مصطفة .

طاروس (على طاروس الريح الشرقية): عند هبوبها .

عتابي نوع من القماش مصنوع من الحرير والقطن . أخذ اسمه من الحي الذي كان يصنع فيه في بغداد .

فلفل : (مفلفل الشعر) : شديد الجعودة مثل رؤوس الجيش .

قصير : (ج . أقاصير) : مكان غير عميق من البحر .

يرذن ليزواو : (بربرية) : نوع من القمح .

قائمة الكتب المقتبس منها والمراجع المحال إليها في الهوامش

أبو المطرف أحمد بن عمير المخزومي، لمحمد الشريف المغربي طبع الرباط ، 1966 .

الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام ، للمنوني ، طبع مصر 1367

آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ، دار صادر ، بيروت ، 1969 .

الاحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ، طبع مصر ، 1955

أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدسي ، ليدن ، 1909 .

أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض للمقري (4 أجزاء) ، طبع منه 3 في مصر سنة 1358

الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأندلس لسليمان الباروني ، مطبعة الأزهار المصرية

إرشاد الاديب (معجم الأدباء) لياقوت ، طبع مرجليوث (7 أجزاء) القاهرة ، 1907 1925

الاستقصا في أخبار مغرب الأقصى لأحمد الناصري السلاوي ، القاهرة ، 1312

الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، القاهرة ، 1323

أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام ، لسان الدين بن الخطيب ، الرباط ، 1353

الانيس المطرب بروض القرطاس لابن أبي زرع ، فاس ، 1303

بصائر المكنون ، لاسماعيل باشا البغدادي ، استنبول ، 1945 1947

ب

البيان والتهمة في تاريخ ابن كثير (14 جزء) مصر ، 1351 1358

بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، ليحيى بن خلدون تحقيق المرحوم ، الجزائر 1903

طبعة جديدة ، تحقيق الأستاذ حاجيات ، طبع مكتبة الوطنية ، الجزائر 1980

بغية الوعاة ، لجلال الدين السيواطي ، 1326 .
بعة مقتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس لابن عميرة الضبي ، مدريد ، 1884
البيان المغرب لابن عذاري (4 أجزاء) ليدن ، 1948 (وكذلك طبعة بيروت (جزءان) ، 1950)

ت

تاج العروس للزبيدي (10 مجلدات) ط مصر 1306 — 1307 .
تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (جزءان) ، ط مدريد 1890
تاريخ غزوات العرب في أوربا لشكيب ارسلان ، بيروت ، 1966 .
تاريخ مدينة فاس لمؤلف مجهول ، بالرمو ، 1875 .
تاريخ اليعقوبي (احمد بن اسحاق بن واضح) — جزءان — بيروت 1196 .
تاريخ ابن عساكر (5 أجزاء) دمشق ، 1339 — 1332 .
تراجم الحنفية (مستخرجة من مدارك القاضي عياض لمحفظ محمد المنصور) تونس 1968
تراجم اغنية (مستخرجة من مدارك القاضي عياض) تونس 1968
تعريف الخلف برجال السلف للحفناوي (مجلدان) الجزائر 1906 .
تقويم البلدان لاسماعيل أبي الفداء باريس 1840 .
التعريف بابن خلدون لمحمد بن تاويت الطنجي ، مصر 1951 .
تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (12 جزء) حيدر اباد 1300 — 1308

ث

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، للثعالبي ، مصر 1326 .

ج

جذوة الاقتباس ، لابن القرضي ، طبع حجر ، فاس 1309 .
جمهرة انساب العرب لابن حزم ، القاهرة 1962 .

ح

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، لجلال الدين السيوطي ، مصر 1299
الحلل السندسية في الاخبار التونسية لمحمد بن الوزير ، تونس 1287 .
الحلل السندسية في الأخبار والآثار الاندلسية لشكيب ارسلان (3 مجلدات) مصر ، 1355 — 1358
الحلة السيراء ، لابن الابار ، مصر 1963 .

خ

خريطة المغرب الاركيولوجية . لأحمد المكناسي . تطوان 1961

لخلاصة النقية في أمراء تونس والوريقية لمحمد الباجي . تونس 1323

د

الدرر البهية لادريس بن أحمد ، طبع فاس 1314 .

الدراسيس لأحمد الحلبي . فاس 1324

الدرر السنية لمحمد علي السنوسي الحطابي . طبع مصر 1349

دول الاسلام للذهبي (مجلدان) ، حيدراباد 1337 .

الديباج في معرفة أعيان المذهب المالكي لابن فرحون . مصر 1351

ر

رحلة التجاني ، تونس 1958 .

رحلة العبدري تحقيق ابن جدّو ، الجزائر

ز

زهرة الآس ، لأبي الحسن الجزنائي ، الجزائر 1341

س

سير ، في رجال الأندلسية ، لأحمد بن سعيد الشرجي . طبع حجر . الجزائر (؟)

ش

شجرة النور الزكية لمحمد بن خلوف . مصر 1349

شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي .

ص

صبح الاعشى للقلقشندي (14 مجلدا) ، مصر 1331 — 1338 .

الصلة لابن بشكوال ، طبع مدريد 1882 .

صفة الأندلس (مأخوذة من نزهة المعطار) تحقيق ليفي بروفنسال للحميري . القاهرة 1937

صورة الارض لابن حوقل ، ليدن 1938

ض

الضوء اللامع للسخاوي (12 مجلدا) ، مصر 1353 .

ط

طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين السبكي ، مصر 1324 .

طبقات علماء افريقية وتونس ، لأبي العرب ، تونس 1968 .

طبقات المدلسين المسمى « تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس » لابن حجر العسقلاني ، مصر 1322 .

ع

العبر وديوان المبتدأ والخبر لعبد الرحمن بن خلدون ، بولاق ، 1284 .

عنوان الدراية فيمن عرف من علماء بجاية للغبريني ، بيروت 1969 .

ف

فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ، القاهرة 1299 .

ك

كتاب الاستبصار لمؤلف مجهول ، طبع الاسكندرية ، 1958 .

كتاب [illegible] ، نسخة المجلد السابع من المكتبة الحنفية لغربية [illegible] ، ليدن 1891 .

كتاب القصاة بقرطبة للخشني (أبو عبد الله) القروي ، مدريد .

كشف الظنون في أسماء الكتب والفنون لحاجي خليفة (صنعة المشي بالأوفست) عن صنعة يستيك . وهي في ستة أجزاء (مع الذيل الذي هو هدية العارفين في جزئين) 1914

كتاب الوفيات ، لابن قنفذ القسنطيني ، بيروت 1971 .

ل

لسان العرب لابن منظور ، دار لسان العرب ، بيروت .

لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (6 أجزاء) ، حيدراباد 1300 — 1308

م

مختصر كتاب البلدان للهمذاني (ابن الفقيه) ، ليدن 1891 .

مرآة الجنان لليافعي (4 أجزاء) ، حيدراباد 1337 — 1339 .

مرصد الأطلاع لعبد المؤمن بن عبد الحق (3 أجزاء) ، ليدن 1852 — 1854

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، للمسعودي (مرفق بترجمة فرنسية) باريس 1861

المسالك والممالك لابن خرداذبه ، ليدن 1882 .

معالم الايمان في معرفة أهل القيروان للدباغ (4 أجزاء) ، تونس

المعجب في تلخيص اخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي مصر 1949

معجم البلدان لياقوت (طبعة بيروت منقولة عن طبعة وستنفلد) في خمسة أجزاء ، وطبعة ليبزغ نشرت في سنة 1866 — 1873 .

معجم ما استعجم للبكري ، غوتا 1876 .

معجم ما استعجم للبكري تحقيق وستنفلد ، غوتا 1876 ، 4 أجزاء .

وكذلك طبعة مصطفى السقاء ، القاهرة ، 1949 ، في مجلدين .

معجم المطبوعات العربية ليوسف سركيس ، مصر 1928 ، في جزأين .

المغرب في ذكر افريقية والمغرب للبكري ، باريس 1911 .

المغرب وأرض افريقية والمغرب للشريف الادريسي (مقتبس من كتاب نزهة المشتاق) ، ليدن 1864

المغرب في حلي المغرب لابن سعيد المغربي تحقيق شوقي ضيف (جزءان) ، مصر 1964

المقتبس في اخبار الأندلس لابن حيان القرطبي ، ثلاثة اقسام — بيروت ومدريد

المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب لأحمد بك ، الاستانة 1317

المؤنس في اخبار القيروان وتونس لابن ابي دينار ، تونس 1321

ن

نسوع المغربي في الأدب المغربي لعبد الله كنون (جزءان) بيروت 1357

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغربردي (12 جزءا) طبع دار الكتب المصرية 1348 — 1375 .

نزهة الهادي للبيفراني ، باريس 1889 .

نفح الطيب للمقري (8 أجزاء) بيروت 1961 .

نكت الهميان لصلاح الدين الصفدي ، مصر 1329 .

و

وفيات الاعيان لابن خلكان ، بيروت 1968 .

الولاة والقضاة لمحمد بن يوسف الكندي ، بيروت 1908 .

ياقوت

بعدما نقل وصف البكري لمدينة تنس كما هو دون أية اضافة ، مضى ياقوت فنقل ما ذكره أبو الربيع سليما الملتاني (أو المليانى) :

مدينة تنس خربها الماء وهدمها في حدود بيف وعشرين وستمائة . وقد تراجع اليها بعض أهلها ودخلها في تلك المدة ، وهم ساكنون بين الخراب . وقد نسبوا الى تنس ابراهيم ابن عبد الرحمن التنسي (1) دخل الاندلس وسكن مدينة الزهراء وسمع من أبي وهب بن مسرة الحجري وأبي علي القالي . وكان في جامع الزهراء يفتي . ومات في صدر شوال سنة 307 .

وقد سعيد بن واشكل التيهرتي في عنته التي مات منها بتنس :

نأى النوم عني واضمحلت عرى الصبر
واصبحت عن دار الاحبة في أسر
وأصبحت عن تيهرت في دار معزل
وأسلمني مرّ القضاء من القدر
الى تنس دار النحوس فسقها
يساق اليها كل منتقض العمر
هو الدهر والسياق والماء حاكم
وطالعها المنحوس صمصمة الدهر
تلاد بها البرغوث يحمل راجلا
ويأوي اليها الذئب في زمر الحشر
ويزحف فيها العام في كل ساعة
بجيش من السودان تغلب بالوتر
ترى أهلها صرعى ذوي أم ملندم
يروحون في سكر ويغدون في سكر
وقال غيره

(1) فقيه ولد في تنس ونقل إلى الأندلس حيث مارس التعليم في جامع الزهراء . راجع ترجمته المنسوبة لابن عمه القاضي ص 204 — 205 ؛ الأزهار الرياضية لسليمان الباروني (2/51—52) .

أيها السائل عن أرض تنـــــس
مقعد اللوم المصفى والـــدرس

بلـــدة لا ينـــزل القطـــر بهـــا
للنـــدى فـــي أهلهـــا حـــرق درس

فصحـــاء النطـــق فـــي لا أبـــدا
وهـــم فـــي نعـــم بكـــم حـــرس

فمتـــى تلمـــم بهـــا جاهلهـــا
يرتحـــل بهـــا قبـــل نعلـــس

وماؤهـــا مـــن قبـــح مـــا حصـــتبـــه
نحـــس يجـــري عـــلى تـــرب تجـــس

فمتـــى تلعـــن بـــلا دا مـــرة
فاجعـــل اللعنـــة دأبـــا لتـــس

القزويني

تنس مدينة بافريقية حصينة ولها قهندز صعب المرتقى . ينفرد بها العمال لحصانتها ، خوفا من الرعية . هواؤها وبيء وماؤها رديء وماؤهم من واد يدر حول المدينة واليه ميه حشوشهم وشربهم منه ، والحمى لا تفارق أهلها في أكثر الاوقات .

وبها ذئب كثير يأكل أهلها ، وبرغوث كثير وهم في عـذاب مـن الذئـب والبراغيـث !

قال بعض من ذمها وهو فقيه :

لا سقـى الله بلـده كنـت فيها ! سراعيـث كلـهم أكلـوني
قرضـوني حتـى تحمر جلـدي لو جمعت الثياب لم تعرفـوني
صعدت سطـوح لم يتركوني وأرهـم عـلى البدرج يسقـوني

ابن سعيد

أول ما يلقاك منه [الجزء الثاني من لاقيم الربع] مدينة تنس . وهي مشهورة بكثرة

قمح ، ومنها يحمل في المراكب الى سواحل الاندلس وغيرها . وهي الآن قاعدة معروة ، من ولاته . وموضوعها حيث الطول ثمان عشرة درجة واثنتا عشرة دقيقة . والعرض ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة ولها نهر يأتيها من جنوبها وينصب في البحر بشرقيها وبينها وبين البحر ميلان وفي شرقيها مستعاسم ، وهي من فرض معراوة وبينهما ستون ميلا .

* * *

أشـــير (1)

ابن حوقل

أشير مدينة محصنة يسكنها آل زيري بن مناد ولها سور حصين وأسواق وعيون تطرد وأحنة ومزارع وأقليم حسن القدر . ومن أشير الى تامركيد وبها عين .

البكري

ذكر الطريق التي تؤدي من تنس الى أشير . ثم وصف هذه المدينة بعد أن ذكر الابيات التي رواها محمد بن يوسف لعبد الملك بن عيشون .

---

(1) لا تزال أطلال مدينة أشير باقية إلى اليوم عند الكاف الأحمر في مساحة تبلغ نحو 95 فدانا والموقع يسمى في الوقت الحاضر «يشير» . وقد كان بها مدينة أشير في الفترة ما بين عام 324 هـ (935 م) وعام 334 هـ (946 م) ، نتيجة مناورة لاتساع نفوذ صنهاجة في ولاية تيهرت ونصبة يوسفه أبي قامت بين أسرة مناد وبنو زيري بالمغرب الأوسط ومدينة أشير ، عبارة عن ثلاث مدن منفصلة ، كانت العربية منه ، وهي البقايا المعروفة الآن باسم « عين يوسف » ، تسمى « منزه بنت السلطان » وأما المدينتان الشرقيتان ، فهما « أشير » و « بنية » .

وقد كان [illegible] هو أول من تعرّف على مدينة أشير الاثرية في حوالي الكاف الأحمر ، في سنة 1852 . وفي سنة 1922 ، قام جورج مارسي G. Marçais بزيارة حول أشير وبكتابة دراسة قيمة عنها نشرتها المجلة الإفريقية في نفس السنة

رجع مقالتي ، بنو زيري بين أشير والقيروان ، مجلة الثقافة عدد يونيو 1974 ، وكتابي ، دولة بني حماد ، ومنشأة بقعة وتحية ، وابن الأثير ، الكامل 8 ، وابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، وابن عذارى ، البيان المغرب ، والسلاوي الاستقصا ، والبكري ، نص مقتبس من نهاية الأرب ، تونس في أخبار إفريقية وتونس .

Gsell St ; Atlas Archeologique de l Algerie Gautier les Siecles Obscurs Terrier (Ch A) Histoire de l Afrique du Nord, T II Poisser, Memoire Hist. et Geogr Rodet Notice sur les Ruins de Menzeh Bint El-Sultan, Yachir, R.A., 1908.

تمهيد

ان المدينة بوصفها القطب الدائر لحركة الانتاج والتوزيع والتبادل الثقافي والاقتصادي ، وملتقى المسارب الفكرية والسياسية والاجتماعية . هي الخلية الحية الاساسية في حضارة كل مجتمع بشري في الماضي والحاضر وكذلك كانت الارياف (ولاتزال) تابعة للمدن التي تخدمها بمدها بالمنتجات التي تحتاج اليها وباستهلاك منتجاتها . وبتزويدها بالخراج وبمختلف انواع الضرائب وهي لاتكتسي اهمية ما الا بوصفها خلفية للمدينة التي تدور في فلكها وهذا الوصف يصدق بصفة خاصة ، على المدن في الحضارة الاسلامية

والمدن المغربية المعروفة لدينا ، هي المدن التي بنيت في العصر الاسلامي أو التي احياها المسلمون وبالتالي فان التعريف الذي يقدمه الجغرافيون العرب لهذه المدن لا يكاد يتجاوز هذا الاطار

والنصوص التي نضعها بين يدي القارئ في هذا الكتاب ، تلقي كل الضوء الممكن على حياة المدينة المغربية عبر بضعة قرون فهي تصور الحركات السياسية وتنقلات السكان والانتاج الزراعي والصناعي والاثار ، وتعكس بعض التيارات الادبية والفكرية الى حد ما .

ومايطبع ، سيجد اختلافا في الروايات والاقوال والاوصاف بين الجغرافيين الذين نعرض نصوصهم وهذا مرجعه الى اختلاف المصادر التي ينقل عنها كل منهم ، ولكنه يرجع بصفة خاصة ، الى التغيرات التي تطرأ على المدينة بين الفترات التي تفصل بين كاتب وكاتب ، بسبب الغزو والقحط والقلاقل الاجتماعية والسياسية الخ .

وكذلك نصور لنا هذه النصوص مثلا مدينة المهدية في احوال مختلفة فهي مدينة مزدهرة في بداية عهدها وفي مرحلة ثانية تتدهور حالتها بفعل حصار ابي يزيد صاحب الحمار لها ، حصارا طويلا . وسنرى تحليقة لتاطمي منها ولكن المهدية سوف تسترجع مكانتها وتزدهر من جديد في اواخر عهد الرستميين قبل ان تبدأ في الانحطاط مرة اخرى . حينما هرب منها آخر ملوكهم . الحسن بن علي الصنهاجي وتركها للنورمان في سنة 543 (1148م) .

واذا قال لنا ابن حوقل ، ان مصر كانت تمون بالزيت من سفاقس ، فان هذه حقيقة اقتصادية شائعة في عصره ولكن ذكر البكري هذه الحقيقة يدلنا على ان سفاقس قد تمكنت من المحافظة على ثروتها من الزيتون خلال الفترة التي تفصل بين الكاتبين ولكن البكري يضيف ملاحظة أخرى تؤكد لنا أن سفاقس قد نمّت حقولها من الزيتون بصفة معتبرة ، حيث أن المدينة أصبحت تصدر الزيت الى بلدان أخرى غير مصر ، وخصوصا ، الى صقلية والمغرب وبلاد الروم

ولكن الشريف الادريسي الذي كان يكتب في النصف الثاني من القرن السادس الهجري والذي يؤكد ما قاله أسلافه أن «جل غلاتها الزيتون» ، لايذكر ، مع ذلك شيئا عن صادرات سفاقس من الزيتون الى صقلية (حيث كان الكاتب الروجري يعيش)،أو الى غيرها من البلاد والدرس الذي نستخلصه من هذه المقارنة العابرة ، هو أن ثروة سفاقس من الزيتون قد تقلصت وأصبحت لاتتجاوز سدّ حاجة الاستهلاك المحلي .

وهذه الحقيقة لاتدعو الى الدهشة والاستغراب ، اذا عرفنا أن نشاط القرصنة كان قويا في البحر الابيض المتوسط في عهد الادريسي ، وأن الغزو الهلالي الذي قطع طرق القوافل الى الشرق والغرب قد أعمل معاول الهدم والتخريب للحياة الاقتصادية والعمرانية في المدن والارياف معا وليس من شك ، في أن غابات الزيتون المحيطة بسفاقس كانت من بين ضحايا معاول الخراب

على ان الطريف أن رواية ياقوت الذي جاء بعد الادريسي بنحو قرنين من الزمن ، ستلقي ضوءا خاصا على ثروة الزيتون التي حبت بها الطبيعة سفاقس ، وتدلنا على ان غاباتها قد انتعشت بعد ان تمكن المغرب من هضم تلك العناصر المخربة . فان هذا الكاتب يؤكد أن «أكثر أهل المغرب يمتارون من زيتها (سفاقس) » ولكن ياقوت لايشير الى ان سفاقس تصدّر زيتها في اتجاه آخر غير المغرب ، وهذا الصمت ليس مرجعة الاهمال أو النسيان . فان ياقوت يذكرنا بأن سفاقس كانت في الماضي تصدر الزيت الى مصر وصقلية وبلاد الروم وأن سعر الزيت فيها كان رخيصا جدا

ومما تقدم ، نستنتج أن زراعة الزيتون في سفاقس قد استعادت بعض أهميتها في عهد ياقوت وأصبح انتاجها يفي بحاجتها ، مع فائض يصدّر الى بلدان المغرب ولكن المدينة كانت في هذا العهد قد فقدت أسواقها في مصر وصقلية وبلاد الروم .

على أن الغريب هو أن القلقشندي المصري الذي عاش في اواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجري،وبدي نعرف اقتباساته لكثيرة من البكري والادريسي (مما يدل على اطلاعه على ما كتباه عن سفاقس) لايذكر شيئا عن ثروة سفاقس من الزيتون ولايشير الى تصدير المدينة للزيت الى مصر أو غيرها من البلاد فهل نستنتج من ذلك ان انتاج سفاقس من الزيتون لم تعد له أهمية تستحق الذكر؟

مما يؤكد هذا الاستنتاج أن الجغرافيين الذين جاءوا بعد القلقشندي (وفي مقدمتهم ابن سعيد المغربي وأبو عدا وبنحاي) لايذكرون شيئا عن انتاج سماقس أوتصديرها للريت .

ومثل آخر للتغيرات التي تطرأ على حالة مدينة من المدن في الانتاج الذي يشكل دعامة دورها الحضاري وازدهارها الاقتصادي . هو انتاج قابس للتوت في عهد البكري فان هذا الكاتب يشيد بانتاجها الوفير من التوت وبانتاجها الرفيع من الحرير .

ولكن الادريسي يذكر اشتهار قابس بصناعة الحرير في صيغة الماضي ويقول «كان بها فيما سلف طرز يعمل به الحرير الحسن» .

وفي نفس الوقت نجد ان البكري لايذكر شيئا عن مدابغ قابس ، بينما يتحدث الادريسي عن صناعة الدباغة في قابس في صيغة تدل على أن هذه الصناعة قد استقرت وتدعمت في المدينة ، بحيث ان البلد كان يسد حاجته المحلية من الجلد ويتبح فائضا للتصدير الى الخارج

وبعبارة أخرى فان قابس قد تحولت في غضون الفترة التي تفصل بين هذين الكاتبين من بلدة تعنى بتربية دودة القز وتنتج الحرير الرفيع ، الى بلدة تمثل تربية المواشي ثروتها الاساسية وتشكل صناعة الجلد فيها محورا لنشاطها الصناعي .

تلك أمثلة للمنهجية التي يمكننا ان ندرس بها بطريقة مفيدة هذه النصوص التي أضعها بين يدي زملائي ، بحيث نستطيع ان نعمق فهمنا للمضمون الحضاري لتاريخنا وأن نخرج قليلا عن طرق المسلوكة لدى المؤرخين والتي تضع امامنا سجلات مملة لمعارك والانتصارات العسكرية ولسير القادة العسكريين والامراء والملوك .

لقد ان الاوان لان نبحث الآن ، مستعينين بالمعلومات القليلة التي وصلتنا في هذا المجال ، عن دور الشعوب وعن نشاط الرجل العادي في الريف في الانتاج الزراعي ، وعن نشاط رجل الشارع في المدن في التجارة والصناعة وغير ذلك من الوان النشاط اليومي . صحيح أن هذا النشاط الاقتصادي يجهود رتيب ويخلو من اللمعان والاشياء المثيرة للخيال ، ولكن مما لايحتاج الى التاكيد ، هو أن نشاط رجل الشارع ، الفلاح والصانع والتاجر ، يمثل الدعامة الاساسية ، بل والوحيدة ، لترف قصور الملوك والمادة التي تتكون منها عظمتهم ومجدهم العسكري

والمعلومات التي تساعدنا على تكوين صورة لحياة الشعوب ليست هي تلك المعلومات التي يقدمها الينا مؤرخو القصور الملكية أو حتى المؤرخون المعروفون ، وانما هي التي نستقيها من مشاهدات السياح والرحالين ومن الجغرافيين العرب الذين عنوا بوصف البلاد وتحدثوا عن أدوار الشعوب التاريخية في معركة الانتاج اليومي الرتيب ، بعيدا عن قعقعة السلاح وخارج هالات المجد التي تحيط بالعظماء الذين هم كسالى في معظم الحالات !

ان اللذة التي أشعر بها عند تقديم هذه النصوص للباحثين تنسيني ما تكبدته من المشقة في جمعها والسهر المتواصل لتحقيقها وترتيبها بطريقة منهجية مفيده ولشرح ماقد يعتورها من الغموض والتعليق عليها . وحسبي انني مقتنع بان العمل الذي قام به بعض الباحثين وسدوا به ثغرات في تاريخ مناطق معينة ، مثل أمارى بالنسبة الى تاريخ صقلية ، هو من نوع هذا العمل ، وانه هو الآخر ، سيسد ثغرة في تاريخ المغرب الاسلامي ومن ثم فان همي الوحيد الآن ، هو ان يحسن استغلال هذه النصوص ، بحيث لا تعتبر مجرد روايات للمتعة والتسلية .

الجزائر في 27 مارس 1983

اسماعيل العربي

المقدمة

تمتد جزيرة المغرب في مضلع شبه مربع من الارض المرتفعة ويحيط بها البحر الابيض من الشمال والمحيط الاطلسي من الغرب ، والصحراء الكبرى من الجنوب . وهذا المربع غير متساوى الاضلاع ، حيث أن المسافة التي تفصل بين رأس بونة ورأس اسبرتل ، هي 1.550 كيلومتر ، بينما تبلغ المسافة بين رأس بون وقابس 200 2 كيلومترا ، والمسافة بين رأس بون ورأس اسبرتل ، هي 1.000 كيلومترا ، وبين قابس ورأس بونة 400 كيلومتر . وتبلغ مجموع مساحة الارض التي يضمها هذا المضلع 930000 كيلومتر مربع .

وإذا استثنينا المناطق العربية من المغرب ، والمناطق الشرقية من تونس ، حيث تمتد مساحات من الاراضي الواطئة المنبسطة ، فان الاراضي المغربية كلها تقريبا من الهضاب والمرتفعات التي يحيط بها جبال مختلفة الاوضاع والارتفاع ، وترتبط كلها بسلسلة جبال الاطلس العظيم

والجزائر ، هي اكثر البلدان الاربعة حظا في ارتفاع الارض فان متوسط ارتفاع مستوى الارض في تونس يبلغ 300 مترا ، وفي المغرب الاقصى 800 مترا (وهذا هو متوسط ارتفاع الارض على مستوى البحر في مجموع بلاد المغرب) ، بينما يبلغ متوسط ارتفاع الاراضي الجزائرية 900 مترا .

ولكن هذا لايعني أن الجبال الجزائرية في مجموعها أعلى جبال المغرب ، حيث أن أعلى قمم الجبال في هذا البلد (جبل شلية باوراس) لايزيد ارتفاعها عن 2.328 مترا ، بينما يبلغ ارتفاع جبل طوبكال بالمغرب 4165 مترا . والجبل في مجموع بلاد المغرب ، يكون عادة ، محاط بهضاب وسهول متدرجة الارتفاع .

وهذا التكوين الطبيعي لبلاد المغرب ، يفسرلنا ظاهرة توزيع المدن بدون تساو بين مختلف المناطق . وهو ، بدون شك ، ذو تأثير كبير على مصير الانسان ورخائه ونموه الاجتماعي وتطوره

الحضارى عبر القرون – ذلك التصور الذي يرتكز خصوصا . على المدن ومراكز العمران – ومن ثم على تكييف صلاته مع العالم الخارجي وتفاعله مع مختلف الشعوب التي جاءت الى هذه البلاد للتجارة أو للاستعمار أو لنشر المبادئ والايديولوجية .

وقصة المدن المغربية منذ ظهور قرطجنة التي شيدت في سنة 813 ق م . والتي كانت مركزا للاشعاع الحضارى للفينيقيين الذين استقروا في هذه الديار منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد . ولكنه اذا كانت قرطجنة اعظم المدن المغربية في العصور القديمة ، فهي ، بالتاكيد ليست قدم مدن المغرب . فان اوتيك وسيرت وليبه وطرابلس ، كانت العديد توعلامة في القدم . ولكنا لا نعرف عن مدينة شيئا يذكر . بل ان قرطجنة نفسها لا نعرف عنها الا ما ذكره المؤرخون الرومان (وهو يتصل بتدميرها اكثر مما يتصل بحياتها) وعن الحروب الفينيقية التي خاضت غمارها هذه المدينة العتيدة بشجاعة وتحمّلت اوزارها وانتهى الامر بتخريبها في سنة 146 ق م .

وكثير من المدن المغربية القديمة (غير قرطجنة) ستبعث من رمادها وتستانف الحياة في القرون التالية . بفضل مواقعها على البحر ومراكزها عند ملتقى خطوط المواصلات والتجارة البرية . وايضا . بفضل القصص والاساطير التي تروي ماضيها وتناقلتها الاجيال عبر العصور .

وهذه الاساطير كان كثير منها لا يزال منتشرا في البلاد عندما جاء العرب الى المغرب ، وقد ردد الجغرافيون العرب صداها في كتبهم . كما قدموا لنا وصفا لبقايا آثارها . سنتعرف عليه في الصفحات التاليـــة .

على أن تاريخ المدن المغربية الحي انما يبدأ بالفتح الاسلامي وبارتباط الصلة بين هذه البلاد وبين مراكز الحضارة الاسلامية في الشام ، ثم في العراق . فان الجيوش العربية التي حملت معها الرسالة الاسلامية قد فتحت معها . ايضا . طرقا للتبادل الاقتصادى والتقنى العلماء والادباء والفنانين ولتحويل الخبرات التقنية الضرورية لبناء المدن ولاقامة دعائم العمران فيهـــا .

وملف « المدن المغربية » الذي نستخلصه مما سجله الجغرافيون العرب والذي يعكس لنا صورة صادقة لنشاط مراكز العمران في المغرب ولنموها واتساعها أو لاندثارها خلال نيف وسبعة قرون ، هو ايضا ملخص تاريخ المغرب في رهى عصوره ، وأكثرها ازدهارا .

وفي هذه المقدمة التي نمهد بها للاقتباسات التي تصف المدن المغربية ، نقترح أن نقدم

بعض الجغرافيين العرب الذين تحدثوا عن الموضوع ، تمثل نظرتهم الاجمالية الى المغرب من ناحية جغرافية (الامتداد والحدود الخ .) والعمرانية والاثنوغرافيه ، ثم نردف ذلك بمحاولة لتحديد أصالة المساهمة التي قدمها كل جغرافي للتعريف بالمغرب وقيمة هذه المساهمة وبذلك سيتمكن القارئ من السير على هدى عند تصفحه لهذه النصوص ، عارفا بشخصية الكاتب الذي ننقل عنه،ومكانته العلمية وبرأي الذين تناولوا آثاره بالدرس من المحدثين

وطريقة التي سلكناها لعرض آراء الجغرافيين ووصفهم الاجمالي للمغرب ، ترتكز حول ثلاث كلمات أساسية ، وهي (المغرب) و (افريقية) و (البربر) . وسنعرض هذه النصوص التي تستمد من مصنفات نادرة لكتب الجغرافيين العرب ، طبقا لنفس الترتيب الذي سرنا عليه في تقديم النصوص التي تتصل بالمدن ، أي الترتيب الزمني للمؤلفين .

التعريف بالمغرب

- يتعرض أحمد بن يعقوب (ت 284 هـ) الذي هو مؤرخ أكثر منه يعتبر جغرافيا لوصف بلاد المغرب ولا لذكر حدوده . ولكنه استهل وصفه الذي يبتدئ من برقة لمدن المغرب ، بفقرة يعرف فيها المغرب ، أورد فيها ملاحظات ينفرد ببعض تفاصيلها ، عن الطريق التي تمتد بين مصر وبرقة . وفيما يلي ما قاله اليعقوبي (1) :

« فمن أراد أن يسبك من مصر الى برقة وأقصى المغرب ، نفذ من الفسطاط في الجانب الغربي من النيل حتى يأتي تربوط ، (2) ثم يصير الى منزل يعرف بالمنى (3) قد أقفر أهله ، ثم يصير الى قصير كبير معروف بأبي مينا (4) ، وفيه الكنيسة الموصوفة العجيبة البناء الكثيرة الرخام (5) ، ثم يمر بمدينة معروفة بذات الحمام (6) ، وفيها مسجد جامع ، وهو من عمل كورة

(1) كتاب البلدان (ص 342)

(2) وصف البكري تربوط بأنها « قرية جامعة على النيل ، بها أسواق ومسجد جامع وكنيسة وخرب كثير خربته كتامة ، إذ كانوا هناك مع أبي العباس بن عبيد الله الشيعي » (قارن البكري ص 2 ولاندريسو ص 160 وياقوت 27/2)

(3) جمع ترجمة دوسلان الفرنسية لكتاب البكري (ص 8 ، هامش 2)

(4) درس البكري . وفي اليعقوبي : بيومينا ، وهو تحريف ظاهر .

(5) جمع وصف مفصلا لهذه الكنيسة في البكري (ص 3) .

(6) يعلل البكري هذه التسمية بقوله « لأن كل من شرب من مائها حم ، إلا من عافاه الله » (نفس المصدر)

لاسكندرية ، ثم يصير في منازل بني مدلج في البرية ، بعضها على الساحل ، وبعضها بالقرب من الساحل ، منها المنزل المعروف بالصاحونة ، والمنزل المعروف بالكنائس ، ومنزل معروف بحب العوسج ، ثم يصير في عمل لوبية ، وهي كورة تجري مجرى كور الاسكندرية منها منزل معن ، ثم المنزل المعروف بقصر الشماس ، ثم حرية القوم ، ثم الزعادة ، وهي اول منازل البربر يسكنها قوم من مراته وغيرهم من العجم القدم ، وبها قوم من العرب من بني وحهيبه وبني مدلج واخلاط ، ثم يصير الى العقبة (1) ، وهي على ساحل البحر المالح ، صعبة المسلك حزنه خشنة مخوّفة ، فاذا علاها صار الى منزل يعرف بالقصر الابيض ، ثم معابر فيه ، ثم قصبة الروم ، ثم حب رمل ، وهذه ديار البربر من ماصلة الى اخلاط من [illegible] ثم يصير الى وادي محيل ، وهو منزل كالمدينة به المساجد الجامع وبرك ماء وسوق قائمة وحصن حصين فيه اخلاط من الناس واكثرهم من البربر من ماصلة وزناته ومصمودة ومزوه وقطبصة من وادي محيل الى مدينة برقة ثلاثة مراحل في ديار البربر »

واول تعريف جغرافي للمغرب يصادفنا في أواخر القرن الرابع الهجري يقدمه لنا سائح جغرافي من نصيبين ، وهو ابن حوقل الذي تجول في مختلف اقطار المغرب وسجل بنا ملاحظات هي اهم ما وصل الينا في وصف المغرب منذ الفتح الاسلامي . حتى قيام هذه الدولة

جاء في مقدمة كتاب (صورة الارض) مايلي .

ثم ذكرت المغرب ورسمته في وجهين . وبدأت بشكل ما حاز منه ارض مصر الى المهدية والقيروان ، وما في جواريها من المدن ، وان قلت ، واعقبته باقي صورته من القيروان والمهدية الى ارض طنجة وزيلي ، ورسمت على بحره مدنه الساحلية وشكلت طرقه الى جميع بحائره وكيفيتها معربة ومشرقة في سائر جهاتها » (2)

ثم يتعرض ابن حوقل لتعريف عند اول كلمة « المغرب » عامة فيقول .

«وما المغرب فبعضه ممتد على بحر المغرب في غربيه ولهذا البحر جانبان . شرقي وغربي . وهما جميعا عامران .

---

(1) حيل بينه وبين الدخول حوالي 900 هـ ، بينه عند بحر ما بين برقة وبحيرة بحر الخمور شرقي (ف ـ جغرافية ص 147 . هامش 158 والبكري ص 8) وانعقبة إسم لعدة أماكن فضّل ياقوت في تعريفها (معجم البلدان 134/4)

(2) طبعة دوخوية ، ص 16 .

«... المغرب العربي ، فمن مصر وبرقة وافريقية وناحية تنس الى سبتة وطنجة فللعرب خاصة ، ... ين ، وما في أضعاف هذا الاقليم :

«... المشرقي ، فهو بلاد الروم من حدود الثغور الشامية الى القسطنطينية الى نواحي رومية وقلورية (1) والانكبردية (2) والافرنجة وجليقة ، ثم باقي ذلك الى آخره للعرب في يد صاحب الاندلس » (3)

ويمضي ابن حوقل في تحديد تخوم المغرب العربي ، فيرسمها كما يلي :

«وحده من مصر الاسكندرية على النيل وارض الصعيد حتى يمضي على ظهر الواحات ... برية لتنتهي الى ارض النوبة ، آخذاً الى البحر المحيط وممتدا الى حقيقة العرب نواحي ارض ... وارض اودغست ، ثم يستمر عاطفا الى الشمال ، مارا على بلاد برغواطه ومنه الى فوهة بحر الروم الذي يأخذ من البحر المحيط بين أرض طنجة وأرض الأندلس وراجعا . حده من ... ض صحة على البحر الى نواحي تنس وتونس والمهدية من أرض افريقية مقبلا على ارض ... نس وبرقة والاسكندرية » : (4) .

وقد عنى ابن حوقل في تعريفه بالمغرب أيضا ، بحكم مهنة التجارة التي كان يمارسها ، ... ناحية الاقتصادية ، فقدم لنا ، الى جانب الوصف التفصيلي الذي سجله عن كل بلدة من البلدان ، فقرة عن تخصص المغرب في الانتاج والتصدير الى المشرق . وفي ذلك يقول :

« ... ما يجهز من المغرب الى المشرق : المولدات الحسان كالتي استولدهن ابو العباس وغيرهم واكابر رجالهم وولدن غير سلطان عظيم ، كسلامة البربرية ، أم أبي جعفر هارون الرشيد وعلية ام المعتصم ، وقتول ام ابي منصور محمد القاهر بن المعتضد ، وغير من ذكرت من ... بيوت مشرق وامرائه ، والغلمان الروقة الروم ، والعسبر ، والحرير والاكسية الصوفية الرفيعة ... نسبة الى حلب الصوف وما يعمل منه ، والاطباع والحديد والرصاص والرئبق والخدم ... المجلوبون من بلاد السودان ، والخدم المجلوبون من أرض الصقالبة على (طريق) الاندلس .

1 Calabr

2 La Lombardie

(3) راجع خريطة إبن حوقل المرفقة بكتابه .

(4) نفس المصدر ، ص 64 .

وهم يحيل نفيسة من البراذين والبغال العراب والابل والغنم ، ومن لديهم من ماشية البقر وجميع الحبوب برخيص . ومن اسعارهم ، على تدني مدنهم وديارهم ، فهي غاية برخص في لاصعه والاعدية والاشربة والبحمدن والادهان . وبهم من جيد الفواكه والتمور والارطاب وسائر الاعدية . وعندهم من الحمال الكثيرة في مزارعهم وسكك صحاريهم التي لاتدانيها في الكثرة من العرب : »

ويمضي الرحالة ابن حوقل في ذكر ما شهده من العادات والتقاليد في بلاد المغرب وفي صف ما لاحظه من سلوك سكان هذه البلاد فيقول :

« هذا الى طاعتهم لمن ملكهم فتقفهم وبصرهم عن انفسهم وعقلهم . وليس في بلدانهم من الفواحش الظاهرة وتعاطي لامور المنكرة ، كالعيدان والطنابير والمعازف والنوائح والقيان والمخنثين والفسق الشنيع ما يكثير من المواضع وقد يعرف في بعض نواحيهم من التهور والقيان والمخنثين والفسق الشنيع ما يكثير من المواضع وقد يعرف في بعض نواحيهم من التهور الشديد وبحمول العتيد وبذل السيف وبذل الصيش ، ويوجد عندهم فيمن رق دينه وحسن عمله . »

وفيهم خصلة غير هذه الصفة ، لم يزلوا تسمو هممهم وتتوق نفوسهم الى ورود المشرق سعة اقطارهم وفشو مروآتهم ، فيرد دون طرفا وديا ومحتدا وفروسيه ، وعملا في جميع وجوه الفضل وسبل النبل . وكان ممن قدم مصر بهذه الحال قديما ، محمد بن هواشا ، وكنت فيه آلة من لآت الخير ، فاكتنفه السلطان بمصر واستخدمه لبسالته وشجاعته وريسته ، فتقدم في كل حال من الجميل والخير . » (1)

ويحدث ابن حوقل عن العنصر البربري في المغرب ، فقال :

« والبربر السكان ، قبائل لايلحق عددهم ولا يوقف على آخرهم لكثرة بطونهم وتشعب افخاذهم وقبائلهم وتوعنهم في البراري وتبددهم في الصحاري . وجميعهم من ولد جالوت ، الا اليسير منهم ، وفيهم ملوك ورؤساء ومقدمون في القبائل يطيعونهم ويامرونهم فلا يخالفونهم والمال فيهم من الماشية كثيرغزير .

ومن المتعربين الموغلين في البراري ، صنهاجة أودغست . وسمعت أبا اسحاق ابراهيم

---

(1) نفس المصدر ص 94 ـ 95 .

بن عبد الله المعروف بفَرَغ شعله ، وهو صاحب الدَّيْن والصكّ الذي قدمت ذكره (1) بأودغست يتوب . سمعت تنبروتان بن اسفيشر يقول وكان ملك صنهاجة أجمع - انه يلي أمرهم مد عشرين سنة ، وانه لايزال في كل سنة يرد عليهم قوم منهم زائرين له م يعرفهم ولا سمع بهم ولامقلهم . قال : ويكونون نحو ثلاثمائة الف بيت من بين نوالةوحصّ ، وكان الملك في أهل هذا الرجل لهذا القبيل ، منذ لم يزالوا .»

وبهذا الوصف الذي امتزجت فيه دقة العالم العارف بروايات المتقدمين بملاحظات سائح استقصى لمميزات وخصائص الشعوب ، وبوصفه الطريف والغني معا للمدن المغربية ولطرق المواصلات والتجارة التي تربط مختلف اجزاء هذه البلدان ، اعتبر ابن حوقل ، بحق ، «خير الاوب» من بين الجغرافيين العرب في شئون المغرب (2)

وينتهي القرن الرابع الهجري بظهور جغرافي كبير ، وهو المقدسي الذي خصص كتابه : « حسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » لوصف مختلف ولايات المملكة الاسلامية التي زار كثيرا منها في الشرق ، ولكنه لا يبدو ان رحلاته تجاوزت حزيرة صقلية الى المغرب الذي كرس له مع ذلك مكانا حسنا في كتابه . وفيما يلي الفقرة التي وصف فيها « اقليم المغرب » ، كما يسميه :

«هذا اقليم كبير سري كثير المدن والقرى ، عجيب الخصائص والرخاء . به ثغور جليلة وحصون كثيرة ورياض نزهة . وبه جزائر عدة ، مثل الاندلس الفاضلة العجيبة وتاهرت وسجلماسة المختارة الفريدة ، واصقلية ، الجزيرة المفيدة : أهلها في جهاد دائم ، ثم العني فيه سالم . به ، كالبصرة،مدن عدة ، ولهم أيضا في الحير رغبة ، وللسلطان عدل ونظر وحسبه ، متصل بالبحر . خير جار وخير قوم لكل سائر ومار ، قد غاب في الزيتون مدنه ، وبالتين والكرمات أرضه ، يجري حلالها الانهار ، ويملأ غيطانها الاشجار ، الا انه بعيد الاطراف ، كثير الصور ، صعب المسالك ، كثير المهالك ، في زاوية الاسلام موضوع ، وبعضه حلف البحر مقطوع،فلا فيه راعب ، ولاله ذاهب ، ولاعنه سائل ، ولايفضله قائل . لم يخرج عدما

(1) يشير إلى القصة التي رواها والتي تدل على مدى الازدهار الاقتصادي وسعة نطاق العمليات التجارية بأودغست ، وهي أنه رئي صك في هذه المدينة ، فيه ذكر حق لمعصم على رجل من التجار ، وهو من أهل سجلماسة بالثبية،وأربعين ألف دينار ، نفس المصدر (ص 96) .

(2) الأدب الجغرافي العربي لكراتشكوفسكي (204/1)

مذكورا ، ولا واحد مشهورا الا القليل ثقلاء . وان كانو مستورين ، بخلاء وان كانوا منعمين ."

ويمضي المقدسي فيقول — :

«وهو اقليم جليل كبير طويل ، يوجد فيه اكثر ما يوجد في سائر الاقاليم ، مع الرخص . كثير السمين والزيتون ، به مواضع الحر ومعدن البرد ، كثير يهود ، جيد الهواء والماء وأما البحر ، فانك تحده من مصر الى السوس الاقصى ، الا في مواضع ، فان بها جبالا وبلدانا باردة .

وأما المذهب ، فعلى ثلاثة اقسام : أما الاندلس ، فمذهب مالك وقراءة نافع . وهم يقولون : لا نعرف الا كتاب الله وموطأ الامام مالك . وان ظهروا على حنفي أو شافعي نفوه . وان عثروا على معتزلي أوشيعي أو نحوهما ، ربما قتلوه . وبسائر المغرب الى مصر ، لا يعرفون الشافعي ، رحمه الله ، وانما هو أبو حنيفة ومالك رحمهما الله !

وكنت يوما أذاكر مع بعضهم مسألة ، فذكرت قول الشافعي رحمه الله ، فقال لي . سكت. من هو شافعي ؟ انما كانا بحرين : ابو حنيفة لاهل المشرق ، ومالك لاهل المغرب :

«ومن برقة ، تحمل ثياب لصوف والاكسية . ومن صقلية الثياب المقصورة الحيدة . ومن افريقية الزيت والفستق والزعفران واللور والرقوق والانطاع والقرب . ومن فاس لتمور وجميع ما ذكرنا .

«ومن خصائص الاقليم ، المرجان ، يخرج من جزيرة في البحر اسم مدينتها ، مرسى الحرر ، يدخل اليها في طريق دقيق ، كالمهدية ، من بحرها يرتفع المرجان ، وهو المرجان ، لا معدن له غيرها . وهي في جبال ، يخوضون الى جمعه في قوارب ومعهم صلبان من خشب قد لفو عليها شيئا من الكتان المحلول وربطوا في كل صليب حبلين يخذهما رجلان فيرميان بالصليب . ويدبر لنواتي القارب ، فيتغفف بالقرن ثم يجذبونه . فمنهم من يخرج من عشرة آلاف الى عشرة دراهم ، ثم يجلى في اسواق لهم ويباع جزافاً رخيصا ، لا اشراق له قبل حميه ولا لون » (1) .

وفي منتصف لقرن الرابع الهجرى يقدم لنا جغرافي اندلسي ساهم مساهمة كبيرة في

---

(1) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ص 231—239) .

تسمية عند الجغرافيين ، وهو ابو عبيد البكري ، تعريف لحدود المغرب ، ولكن في سياق تحديث عن افريقية . والشيء الذي يلفت النظر في تحديد البكري لتخوم المغرب ، هو أنها لا تبتدئ عند صفة الميل العربية أو عند الاسكندرية ، طبقا للنظرية التي تعزى الى البيروني والتي سار عليها معظم الجغرافيين العرب ، وانما هي تبدأ عند برقة ، أو في القسم الشرقي من جون سرت الكبير (1) . وفي هذا الصدد يقول البكري (2) – :

«وحد افريقية طولها من برقة شرق الى طنجة الخضراء غربا واسم طنجة موريطانية ، وعرضها من البحر الى الرمال التي هي أول بلاد السودان ، وهي جبال ورمال عظيمة متصلة من المغرب الى الشرق وفيه يصاد الفنك الجيد» (3) .

واذا تجاوزنا القرن السادس الهجري ، وهو القرن الذي عاش فيه الادريسي الذي لا يقدم مساهمة تذكر بشأن تحديد تخوم المغرب ، فسنلتقي بجغرافي كبير عني بهذه المسألة ، وهو ياقوت الحموي . وميزة ياقوت الاساسية ، هي أنه يفرق بين مصطلحين (افريقية) و (المغرب) ويحاول أن يحدد لكل منهما تخوما .

فبصدد الحديث عن افريقية يقول ياقوت :

«افريقية اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قباله جزيرة صقلية ، وينتهي آخرها قباله جزيرة لاندلس . والجزيرتان في شمالها . وحد افريقية من طرابلس الغرب ، من جهة برقة والاسكندرية لى بجاية ، وقيل الى ميانة ، فتكون مسافة طولها نحو شهرين ونصف» (4)

وفي رسمه لتخوم المغرب يقول

«بلاد واسعة ووعثاء شاسعة . قال بعضهم : حدها من مدينة ميانة ، وهي آخر حدود

(1) وهو غير جون سرت الصغير الذي هو جون قابس

(2) ص 21

(3) الفنك نوع صغير من الثعالب لا يتجاوز حجمه حجم القط وهو يعيش في المناطق الحارة من افريقية ، وخصوصا في الصحاري التي تمتد من بحيرة تشاد حتى دارفور وحتى جنوب وهران وقد كان العرب يلبسون فراء الفنك قارن ما ذكره صاحب لسان العرب (1137/2) ودوزي R. Dozy في Sup. Au Dic. Ar. (2/293) .

(4) المعجم (228/1) .

وريقية الى آخر جبال لسوس التي وراءها البحر المحيط ، وتدخل فيه جزيرة الاندلس ، وتكون الى الشمال قرب منها وطول هذه البر مسيرة شهرين» (1)

وقد تعرض ياقوت في مدة آسيا من معجمه الكبير ، لتقسيم العالم الى مشرق ومغرب ، قال :

«وأصل هذه القسمة من أهل مصر ، وعنهم بقيت عادتهم الى الآن . فانهم يسمون ما عن يمانهم ، اذا استقبلوا الجنوب مغربا ، وعن شمالهم مشرقا ، وهو كذلك بالاضافة اليهم ، لانهم رفعوا الاضافة وأطلقوا الاسمين ، فصار المشرق لذلك أضعاف المغرب . ولما اخترق بحر الروم قسم المغرب بالطول ، سمو جنوبي القسمين لوبية ، وشماليها وربى . وأما المشرق فتركوه على حاله قسما واحدا من أجل أنه لم يقسمه شيء كما قسم البحر المغرب» (2)

وفي مدة البربر ، تحدث عن امتداد بلادهم ، وحدد للمغرب نفس الامتداد الذي رسمه البكري (وياقوت ينقل كثيرا عن البكري) ، فقال :

«البربر سم يشمل قبائل كثيرة في لبلاد المغرب أولها برقة ، ثم الى آخر المغرب و (بداية) البحر المحيط ، وفي الجنوب الى بلاد السودان . وهم أمم وقبائل لاتحصى ، ينسب كل موضع الى القبيلة التي تنزله ، ويقال لمجموعهم بلاد البربر ، وقد اختلف في أصل نسبهم ، فاكثر البربر تزعم أن أصلهم من العرب ، وهو بهتان منهم وكذب . »

وبعد ما يستعرض مختلف الاقوال المعروفة التي يوردها المؤرخون والجغرافيون العرب عن نسب البربر وأصلهم ، يمضي فيقول :

«والاكثر والاشهر في نسبهم أنهم بقية قوم جالوت لما قتله طالوت ، هربوا الى المغرب فتحصنوا في جبالها ، وقتلوا أهل بلادها ثم صالحوهم على شيء يأخذونه من البربر وقدموهم في الجبال الحصينة»

وبعد ذلك ، ينقل ياقوت عن أحمد بن يحي بن جابر ، عن عبد الله ابن صالح قوله .

«وسمي هم (البربر) من الجبارين الذين قتلهم داوود وطالوت وكانت منازلهم على لدهر

---

(1) نفس المصدر (161/1) .
(2) نفس المصدر (54/1) .

ناحية فلسطين فلما اخرجوا من أرض فلسطين ، أتوا المغرب ، فتناسلوا به واقاموا في جنبه » (1)

على أن ياقوت يأتي بشيء طريف في هذه النسبة يخالف فيه معظم النسابين ، وهو انه يستثني من الانتساب الى الاصل الفلسطيني ، قبيلة كتامة وقبيلة صنهاجة التي تعرف حرص ملوكها على ربط أصلهم بالعرب ، بحيث وضعت لهم شجرة نسب لهذه الغاية لاصلة لها بأية حقيقة معروفة . وشجرة النسب هذه كانت شائعة في عهد ياقوت ولا يستبعد أن يكون قد اطلع عليها . وعلى كل حال ، فان كتامه وصنهاجه في نظر ياقوت : «من سبي افريقش بن قيس بن صيفي بن سبأ الاصغر ، كانوا معه لما قدم المغرب وسبى افريقية فلما رجع الى بلاده تخلفوا عنه عمالا على تلك البلاد فتقوا الى الآن وتناسلوا » .

وهكذا ، فان ياقوت ، هو الآخر ، يعتقد في حقيقة أسطورة غزو ملك حميري لايعرفه تاريخ ، لافريقية في جيش ضخم تاركا وراءه «عمالا» من القبيلتين الوحيدتين التين عرفتهما العصور القديمة في هذه البلاد على وجه التحديد (2)

ولكن ياقوت الذي ينقل عن غيره كل ماكتبه عن المغرب وافريقية والبربر تقريبا ، يطالعنا برأي ينفرد به عن غيره وقد يرى البعض فيه تحاملا مجافيا للحقيقة ، يتصل بصفات يزعم أنها من خصائص البربر التي تميزهم عن شعوب العالم الاخرى . فهو يرى أن البربر أجفى خلق الله واكثرهم طيشا . . وأسرعهم الى الفتنة وأطوعهم لداعي الضلالة وأصغارهم لسمق الجهالة ، ولم تحل حياتهم من الفتن وسفك الدماء قط ولهم أحوال عجيبة واصطلاحات غريبة وقد حسن لهم الشيطان الغوايات وزين لهم الضلالات ، حتى صارت طبائعهم الى الباطل مائلة ، وعزائمهم ضد الحق حائلة ، فكم من دعى فيهم النبوة ، فقتلوا ، وكم زاعم فيهم أنه المهدى الموعود به فاجابوا داعيه ولمذهبه انتحلوا ؟ وكم ادعى فيهم مذاهب الخوارج ، فالى مذهبه بعد الاسلام انتقلوا ، ثم سفكوا الدماء المحرمة ، واستباحوا الفروج بغير حق ، ونهبوا الاموال واستباحوا الرحال ، لا بشجاعة فيهم معروفة ، ولكن بكثرة العدد وتواتر المدد ، وتحكى عنهم عجائب .

(1) نفس المصدر (1/368—369) .

(2) بحثنا موضوع غزو ملك حميري مزعوم للمغرب بتوسع في كتابنا «دولة بني حماد» ، طبع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1980 ـ ص 9 ـ 40 .

وهذه النعوت والاوصاف التي يلصقها ياقوت ظلما وبهتانا بشعب وقف في جميع حقب تاريخه موقف المدافع عن ارضه ضد الغزاة الاجانب ، تكون اكثر صدقا ودقة لو أطلقها ياقوت على حشود التتر الذين خربوا الحضارة الاسلامية وقد اضطر هو شخصيا الى الهروب أمام زحف جنكيزخان على خوارزم تاركا وراءه كل ما يملكه في الدنيا وراضيا من الغنيمة بالنجاة بنفسه (1)

ولكن تحامل ياقوت على البربر لايقف عند هذا الحد الذي هو كثير ، متى صدر عن عالم مثله ، عود الناس على التحقيق والتدقيق ، بل يتجاوزه ليقذف البربر بتهمة أخرى أقل ماتوصف به أنها بشعة . فقد اتخذ ياقوت من حكايات ردد صداها ابن حوقل بكثير من الحشمة والتحفظ عن كتامة ، ثم نفاها بعد ذلك ، أساسا لتقرير تفصيلي يوصم البربر أجمعين وفي كل مكان ، بخصلة هم أشد الشعوب التي تعرفها استنكارا لها وأبرأ عباد الله منها (2)

بل ان ياقوت ليذهب في بغضه للبربر حدا يدعو الى الدهشة والاستغراب ، فيورد حديثا نبويا يعزوه إلى مالك بن أنس ويزعم أن النبي (صلعم) أمره أن يبيع عبدا له بربريا «ولو بدينار» . ولما تساءل أنس عن سبب ذلك ، أجابه الرسول بانه ينتمي الى أمة بعث الله اليهم نبيا فذبحوه وطبخوه وأكلوا لحمه ! ... (3) وهذا الحديث مزيف ولا أساس له حيث لا يستجيب لاي شرط من شروط صحة رواية الحديث ، ولكنه لو فرض جدلا ، أن حوارا من هذا النوع جرى فعلا ، ألم يكن الاولى بياقوت أن يعيد أصل الغلام البربري الى بربرة (الصومال) الواقعة على شواطئ خليج عدن مقابل اليمن ، وهي بلاد اشتهرت بخيلها وعبيدها منذ عهد امرىء القيس (4) بدلا من ان يوهمنا أنه من بلاد البربر ؟ فان بلاد البربر لم تعرف قط بتصدير العبيد في أي عهد من عهود تاريخها ، قبل الاسلام أو بعده . وهذا التحريف والتزوير من ياقوت لايمكن ان يكون مرجعه الجهل ببلاد البرابر (بربرة) السود ، لان هذا الكاتب يردف مادة (البربر) في معجمه مباشرة بمادة (بربرة) التي يشرح خصائصها (5)

---

(1) قارن ما ذكره ابن حوقل أعلاه عن البربر (ص 10) .

(2) أشار إبن حوقل إلى هذه الخصلة وقال أن أصل ذلك أن أبا عبد الله الداعي استباحهم به (بذل الأولاد لأضيافهم) ، وهو يعني كتامة . ولكنه أردف يقول : «وليس نرى بكتامة ولا بغيرها شيئا من هذا الأمر ، ولا يجيزونه ولا يستحسنونه» (المصدر المذكور ص 93) .

(3) راجع المعجم ، مادة «البربر» (1/368 — 369) .

(4) راجع تعليقنا على جغرافية ابن سعيد في الهامش رقم 8 (ص 211 – 212) .

(5) راجع المعجم ، مادة «بربر» (1/69 – 370) .

على أننا اذا عرفنا أن ياقوت يجهد نفسه لينقل مايثبت أن البربر ليسوا من بني آدم اطلاقا ، زالت دهشتنا واستغرابنا . فان هذا العالم الجليل لا يتورع عن ان ينقل عن الشاعر ابي القاسم النحوى الاندلسي رأيه في البربر الذي ضمنه هذين البيتين الذين يدلاّن على عبقرية وموهبة شعرية خاصة في هجو الشعوب :

رأيت آدم في نومي فقلت له
أبا البرية إن الناس قد حكموا
أن البربر نسل منك ، قال أنا ؟
حواء طالقة ان كان مازعموا

والجغرافي الآخر الذي يقدم لنا نظرة عامة عن بلاد البربر (المغرب) ، هوزكرياء بن محمد القزويني ، الكوزموغرافي الذي كان معاصرا لياقوت في أواخر حياته ، ياقوت الذي نقل عنه كثيرا واقتنع ببعض مزاعمه التي تتصل بالعنصر البربري . يقول القزويني في كتابه (آثار البلاد واخبار العباد) ما يلي :

«بلاد البربر واسعة (تمتد) من برقة الى آخر بلاد المغرب و (بداية) البحر المحيط . سكانه أمة عظيمة يقال انهم من بقية جالوت . [ف] لما قتل هرب قومه الى المغرب في جباله . وهم أجفى خلق الله وأكثرهم بطشا وأسرعهم الى الفتنة . . . وأطوعهم لداعية الضلالة ولهم أحوال عجيبة واصطلاحات غريبة سوَّل لهم الشيطان الغوايات وزين لهم أنواع الضلالات» (1) .

وبعد ذلك يروى القزوينى قصة الغلام والحديث المزعوم والنبي الذي اكله البربر ، وهي قصة من الواضح أنه استقاها مثل غيرها من عناصر وصفه من معاصره ، ياقوت ، حيث اننا لم نعثر عليها عند كاتب آخر سواه .

ولما تحدث عن افريقية ، قال القزوينى انها :

«مدينة كثيرة الخيرات طيبة التربة وافرة المزارع والأشجار والنخيل والزيتون . وكانت افريقية من قبل بلاد اكثيرة ، والان صحارى [تمتد] مسافة أربعين يوما بارض المغرب ، بها برابرة ، وهم : مزاته وهوارة وغيرهم ، وماء اكثر بلادها من الصهاريج .

(1) آثار البلاد (ص 163 – 164) .

«وبها معادن الفضة والحديد والنحاس والرصاص والكحل والرخام . ومن عجائبها بحيرة بنزرت . حدثني الفقيه أبو الربيع الملتاني (1) انه يظهر في كل شهر من السنة فيها نوع من السمك يخالف النوع الذي كان قبله . واذا انتهت السنة يستانف الدور فيرجع النوع الاول (2) . وكذا نهر شلف ، فانه يظهر في كل سنة في زمن الورد صنف من السمك يسمى الشهبوق ، وهو سمك طوله ذراع ولحمه طيب الا أنه كثير الشوك ، ويبقى شهرين ويكثر صيده في هذا الوقت ويرخص ثمنه ، ثم ينقطع الى القابل ، فلا يوجد شيء منه الى السنة القابلة ، أوان الورد» (3) .

وآخر كاتب جغرافي عربي ، زمنيا ، يقدم لنا نظرة اجمالية للتعريف بالمغرب ولرسم حدوده هو الملك المؤيد اسماعيل أبو الفدا . فقد ذكر في معرض الحديث عن المغرب في تقويم البلدان ما يلي — :

«يحد بلاد المغرب من الشرق ، حدود مصر من ظهر الواحات الى بحر الروم (البحر الابيض) عند العقبة التي على طريق المغرب بين برقة والاسكندرية ، على بحر الروم ، ومن جهة الشمال ، بحر الروم من العقبة المذكورة الى فم الزقاق (4) عند سلا وطنجة ، ومن المغرب البحر المحيط ، من طنجة الى صحراء لمتونة في الجنوب ، ومن الجنوب ، المفاوز الفاصلة بين بلاد السودان وبلاد المغرب . وهذه المفاوز ممتدة غربا بشرق من المحيط الى ظهر الواحات من حيث ابتدأنا .

«وبلاد المغرب ثلاث قطع : الغربية منها وتعرف بالمغرب الاقصى ، وهي من ساحل البحر المحيط الى تلمسان غربا وشرقا ، ومن سبتة الى مراكش ثم الى سجلماسة ، وما في سمتها شمالا وجنوبا :

«والقطعة الثانية ، تعرف بالمغرب الاوسط ، وهي من شرقي وهران عن تلمسان الى آخر حدود مملكة بجاية من الشرق.

«والقطعة الثالثة الشرقية ، افريقية ، وتمتد الى برقة (و) الى حدود ديار مصر . ويقال للبر الذي يعدي من فرضه الى الاندلس برّ العدوة ، وهو المغرب الاوسط والاقصى . وأما

(1) لم أعثر في كتب التراجم والسير على هذا الاسم ، ولربما كان محرفا عن الملياني كما أورده ياقوت الذي نقل عنه في مادة «تنس» في معجمه (49/2) . انظر كذلك أكرا تشكوفسكي (المصدر المذكور 366/1) الذي يفترض أنه ربما كان ملاحا تجول في سواحل افريقية .

(2) ذاعت قصة هذا الحوت بحيث أن معظم الجغرافيين العرب الذين تعرضوا لوصف بحيرة بنزرت يوردونها . راجع ، على الاخص ، معجم البلدان (499/1 ـ 500) جغرافية ابن سعيد (ص 43) الادريسي المصدر المذكور (ص 114 ـ 115) البكري المصدر المذكور (ص 58) .

(3) آثار البلاد (ص 148) .

(4) مضيق جبل طارق .

الفهرس

تمهيد 7

المقدمة 11

الباب الأول : 67

مدن المغرب الأقصى 69

الباب الثاني : 131

مدن الجزائر 133

الباب الثالث : 201

المدن التونسية 203

الباب الرابع : 279

المدن الليبية 281